



التفسير المنهجي

المجلدُ السَّادِسُ

مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ - نِهايَةِ سُورَةِ النُّورِ



تأليف

أ. د. أحمد شكري

لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/







المجَلَّدُ السَّادِسُ

مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ - نِهايَةِ سُورَةِ النّورِ

تأليف

الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com



الطبعة الأولى

2005

رقم الإجـــازة : 2668/ 11 /2005

رقم الإيـــداع : 2700/ 11 /2005

التصنيف الدولي: 0-472-08-9957



الْجُــزْءُ الْأَوَّلُ

مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ - نِهايَةِ سُورَةِ الْأَنْبِياءِ

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الأَوَّلُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٩
الدَّرْسُ الثَّاني	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٦
الدَّرْسُ الرَّابِعُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٩
الدَّرْسُ الخامِسُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٢٣
الدَّرْسُ السَّادِسُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٢٧
الدَّرْسُ السَّابِعُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٣١
الدَّرْسُ الثَّامِنُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	٣٥
الدَّرْسُ التَّاسِعُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	٣٩
الدَّرْسُ العاشِرُ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	٤٣
الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	٤٧
الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	٥١
الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	٥٤
الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	٥٩
الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ	٦٣
الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ	٦٧
الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ	٧١
الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ	٧٥
الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ	سُورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ	٧٩
الدَّرْسُ العِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٨٣
الدَّرْسُ الحَادي وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الثَّاني	٨٧
الدَّرْسُ الثَّاني وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	٩١
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	٩٥
الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٩٩
الدَّرْسُ الخَامِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١٠٣
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٠٧
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١١١
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١١٥
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١١٩

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الثَّلاثونَ	سُورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١٢٣
الدَّرْسُ الحادي وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١٢٧
الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٣١
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٣٥
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٣٩
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١٤٤
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١٤٨
الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٥٢
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٥٦
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٦١
الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٦٦
الدَّرْسُ الحادي وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١٧٠
الدَّرْسُ الثَّاني وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	١٧٤
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	١٧٨
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ طهَ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	١٨٢
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١٨٧
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٩١
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٩٥
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	٢٠٠
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٢٠٥
الدَّرْسُ الخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٢٠٩
الدَّرْسُ الحادي وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٢١٤
الدَّرْسُ الثَّاني وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	٢١٨
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	٢٢٢
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	٢٢٦
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	٢٣٠
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	٢٣٤
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	٢٣٨
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالخَمْسونَ	سُورَةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	٢٤٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمَّدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يومِ الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهديَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارَسَتِهِ ، ومِنْ ذلكَ قولُهُ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرةً مُتَواليَةً في خِدْمةِ هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلَّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرِها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسيرِ أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريسِ في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالِي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجِحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديثِ .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرسُ الأوَّلُ

سورةُ الكهْفِ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ الكَهْفِ سورَةٌ مَكِّيَةٌ ، تَتناوَلُ أُصولَ العَقيدَةِ ، وتَثْبيتَ دَعائِمِ الإيمانِ باللهِ تعالى وبالبَعْثِ ، وتَسْتَخْدِمُ أُسلوبَ القَصَصِ لِتقريرِ ذَلِكَ ، وتَعْرِضُ بَعْضَ مَشاهِدِ يَوْمِ القيامَةِ . وَسُمِّيَتْ بِهَذا الاسْمِ لِوُرودِ قِصَّةِ أَصحابِ الكَهْفِ فيها .

وَقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ سورَةِ الكَهْفِ عَدَدٌ مِنَ الأحاديثِ ، مِنْها ما رَواهُ أَبو الدَّرْداءِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِنْ أَوّلِ سورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجّالِ »[1] .

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا : أيْ لا اخْتِلالَ فيهِ ولا اخْتِلافَ ، لا في اللَّفْظِ ولا في المَعْنى .

قَيِّماً : مُسْتَقيماً لا مَيْلَ فيهِ .

بأْساً : عَذاباً .

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ فضائلِ القرآنِ ، رقم الحديث : ٤٦٣٩ .

مِنْ لَدُنْهُ : مِنْ عِنْدِهِ .

كَبُرَتْ كَلِمَةً : ما أعْظَمَ قُبْحَها مِنْ كَلِمَةٍ .

باخِعٌ نَفْسَكَ : مُهْلِكٌ نَفْسَكَ .

أَسَفاً : حُزْناً عَلَيْهِمْ وأَلَماً لِحالِهِمْ .

التفسيرُ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ سورَةُ الكَهْفِ بِحَمْدِ اللهِ تَعالى ، والحَمْدُ هُوَ الثَّناءُ الحَسَنُ على جِهَةِ التَّعْظِيمِ والتَّوْقيرِ ، وفي هذا البَدْءِ تَعَلُّمٌ وإرْشادٌ لِلْعِبادِ كَيْ يَبْدَؤُوا أُمورَهُمْ بِحَمْدِ اللهِ تعالى على نِعَمِهِ ، ومنْ نِعَمِ اللهِ تعالى الَّتي يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ عَلَيْها : إنْزالُ الكتابِ على عَبْدِهِ وَرسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَوَصْفُهُ تَعالى لِرَسولِهِ ﷺ بالعُبوديَّةِ في مَقامِ إنْزالِ الكِتابِ ، لأنَّ هذا الوَصْفَ أَفْضَلُ ما يُوصَفُ بِهِ المُؤْمِنُ وأَشْرَفُهُ .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنّ المُنْزَلَ ، وهُوَ القُرْآنُ الكَريمُ ، لا اعْوِجاجَ فيهِ ، ولا اخْتلافَ بَيْنَ معانيهِ ، ولا تَعارُضَ بَيْنَ ألفاظِهِ ومَدْلولاتِهِ ، فَهُوَ ، في ذاتِهِ ، مَحْمودٌ ، لِخُلُوِّهِ مِنْ كُلِّ ما يَعْتَري كُتُبَ البَشَرِ مِنْ هَذهِ النَّواقِصِ .

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ الآيَةُ بِلَفْظِ ﴿قَيِّماً﴾ وهُو تأكيدٌ على خُلوِّ القُرْآنِ مِنْ أَدْنى عِوَجٍ ، وإشارَةٌ إلى أنّهُ كِتابٌ كامِلٌ في ذاتِهِ ومُهَيْمِنٌ على غَيْرِهِ مِنَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وهُوَ قائِمٌ بِتَبْيِينِ مَصالِحِ العِبادِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَه أنَّ في القُرْآنِ إنذاراً وبِشارَةً ، فالإنْذارُ مِنْ عَذابِ اللهِ الشَّديدِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، وهُوَ عَذابٌ عَظيمٌ لأنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، والبِشارَةُ لِلَّذينَ آمَنوا باللهِ إيماناً صادِقاً ، وعَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ بأنَّ لَهُمْ في مُقابِلِ ذَلِكَ أجْراً حَسَناً ، وأنَّهُمْ سَيبْقَوْنَ مُتَمَتِّعينَ بهِ زَمَناً طَويلاً لا نِهايَةَ لَهُ ولا انْقِطاعَ .

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ .

ذَكَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيةِ فِئَةً مِنَ الكافِرينَ الَّذينَ أَنْذَرَهُمُ القُرْآنُ ، المُسْتَحِقّينَ عَذابَ اللهِ تَعالى ، وهُمُ الَّذينَ زَعَموا أنّ للهِ وَلَداً سُبْحانَهُ . والَّذينَ افْتَرَوْا هَذا الافْتِراءَ العَظيمَ أَصْنافٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فَمِنْهُم اليَهودُ الَّذينَ قالوا : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ ومِنْهُم النَّصارى الَّذينَ قالوا : ﴿المَسيحُ ابنُ اللهِ﴾

ومِنْهُمْ مُشْرِكُو العَرَبِ الَّذين قالوا : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ .

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

تُبَيِّنُ هَذهِ الآيَةُ الكريمةُ أنَّ هؤلاءِ الَّذين يَزْعُمون بأنَّ للهِ وَلَداً ، إنَّما يُطْلِقونَهُ مِنْ دُونِ عِلْمٍ ، وَهُمْ مُتَّبِعونَ لآبائِهِمْ وأسْلافِهِمْ في تَرْديدِ هذا الافْتِراءِ ، وهُوَ كَلامٌ فاجِرٌ قَبيحٌ لا يَجوزُ لَهُمُ التَّلَفُّظُ بهِ ، وهُوَ كَذِبٌ مَحْضٌ واختِلاقٌ باطِلٌ ، ولَوْ فَكَّروا فيهِ بِعُقولِهِمْ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ فَسادُهُ وضَلالُهُ ، وَلَما تلفَّظوا بِهِ .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

أَخْبَرَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ ﷺ أنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ الَّذينَ لَمْ يُؤْمِنوا بالقُرآنِ لا يَسْتَحِقّونَ مِنْهُ أنْ يُرْهِقَ نَفْسَهُ ويُجهِدَها لِعَدَمِ إيمانِهِمْ ، وأنْ يَزْدادَ أَسَفُهُ على إصْرارِهِمْ على الكُفْرِ لِدَرجةِ إهلاكِ نفسِهِ أَسَفاً وحُزْناً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تَعالى على كَبيرِ آلائِهِ ، وعَظيمِ نِعَمِهِ .

٢ـ سَلامةُ القُرْآنِ الكَريمِ منْ أيِّ خَلَلٍ أوْ عِوَجٍ ، وَهُوَ كِتابُ الهِدايةِ والاسْتِقامَةِ .

٣ـ عَدَمُ تَرْديدِ كلامِ الآخَرينَ مِنْ دُونِ عِلْمٍ أَوْ بيِّنَةٍ .

٤ـ نِسْبَةُ الوَلَدِ إلى اللهِ تَعالى كَذِبٌ عَظيمٌ ، وافْتِراءٌ قَبيحٌ ، وجَهْلٌ بِمَقامِ الأُلوهِيَّةِ .

٥ـ تَوْجيهُ الدَّاعي إلى اللهِ أنْ لا يُهْلِكَ نَفْسَهُ أَلَماً وَحَسْرَةً على عَدَمِ إيمانِ المَدْعوِّينَ ، وإعراضِهِمْ ، وأنْ يَكونَ هَمُّهُ تَبْليغَ الدَّعْوَةِ ؛ فَهُوَ مُكَلَّفٌ بِدَعْوَتِهِمْ لا بِهدايتِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ذَكَرَتِ الآياتُ صِفَتينِ لِلْقُرْآنِ الكَريمِ :

أـ اذْكُرْهُما .

ب ـ بَيِّنِ الفَرْقَ بَيْنَهما .

٢ـ وَرَدَ الفِعْلُ (يُنْذِر) في هَذهِ الآياتِ مَرَّتيْنِ ، مَنْ المُنْذَرُ في كُلٍّ مِنْهُما ؟

٣ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يأتي :

أ ـ باخِعٌ نَفْسَك .

ب ـ أَسَفاً .

ج ـ بأساً شَديداً .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرِ اسْمَ سورَةٍ أُخرى بَدَأَتْ بالحَمْدِ للهِ ، واكْتُبِ الآيَةَ الأُولى مِنْها .

٢ـ اقْرَأ الآيَةَ (١١) مِنْ سُورَةِ النِّساءِ ، واسْتَنْتِجْ مِنْها أنَّ لَفْظَ الوَلَدِ يُطْلَقُ على الذُّكورِ والإناثِ مِنَ الأبْناءِ .

٣ـ ارْجِعْ إلى تَفْسيرِ سورَةِ (عَبَسَ) واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ تَفْسيرَ قولِ اللهِ تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنتَ لَهُ تَصدَّى ، وما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى﴾ وَوازِنْهُ بِتَفْسيرِ الآيةِ السَّادِسَةِ في هذا الدّرْسِ .

* * *

الدّرسُ الثّاني

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّاني

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لِنَبْلُوَهُمْ : لِنَخْتَبِرَهُمْ .

صَعيداً : تُراباً .

جُرُزاً : أجْرَدَ لا نَباتَ فيهِ .

الكَهْفُ : النَّقْبُ الواسِعُ في الجَبَلِ ، فإنْ كانَ ضَيِّقاً فَهُوَ غارٌ .

الرّقيم : اللَّوْحُ الَّذي كُتِبَ فيهِ أسْماءُ أصْحابِ الكَهْفِ وقِصَّتُهُمْ .

الفِتْيَةُ : جَمْعُ فتىً ، وهُو الشَّابُّ اليافِعُ .

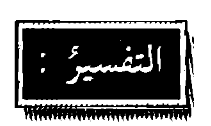
فَضَرَبْنا على آذانِهِم : جَعَلْنا عَلَيْها حِجاباً يَمْنَعُها مِنَ السَّمْعِ .

بعثْناهُم : أيْقظْناهُمْ مِنْ نَوْمِهِم .

الحِزْبَيْنِ : الفِئَتَيْنِ المُخْتَلِفَتَيْنِ فِي مُدَّةِ نَوْمِهِم .

أحْصى : أكْثَرُ ضَبْطاً لِلْمُدّةِ .

لَبِثوا أمَداً : مُدَّةَ بَقائِهِمْ في الكَهْفِ نِياماً .



﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ .

بيّنَ اللهُ تعالى لِعبادِهِ حَقيقةَ الحياةِ الدُّنْيا ، وأنَّ ما فيها مِنَ زَخارِفَ وذَهَبٍ ونَباتٍ وبِحارٍ وخَيْراتٍ ، إنَّما هي لاختبارِ البَشَرِ ، لِيَظْهَرَ أَيُّهُمْ يُحسِنُ عَمَلَهُ فيُجزى عَلَيْهِ خَيْراً .

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ .

ثُمَّ بيَّنَ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّ مآلَ هذهِ الزِّينةِ العَظيمةِ والزَّخارفِ المُتَنَوِّعَةِ على الأَرْضِ إلى الزَّوالِ ؛ إذْ سَيأْتي عَلَيْها زَمَنٌ تُصْبِحُ فيهِ حُطاماً ورُكاماً ، خاليةً مِنْ كُلِّ زِينةٍ وبَهْجةٍ ، وتُراباً لا نَباتَ فيهِ ، فلا يَليقُ أنْ يَغْتَرَّ بِها الإنْسانُ ، ويَرْكَنَ إليْها ويَطْمَئنَّ لِما فيها .

ثُمَّ شَرَعَ سُبْحانَهُ في ذِكْرِ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ العَجيبةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ أنَّ حادِثَةَ أصْحابِ الكَهْفِ مَعَ ما فيها مِنْ دَلائلِ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ لَيْسَتِ الآيةَ الوَحيدةَ الدّالَّةَ على عَظَمةِ اللهِ تَعالىٰ ، فَفِي هذا الكَوْنِ مِنَ الآياتِ الغَريبَةِ العَجيبةِ ودَلائِلِ القُدْرَةِ الواضِحَةِ ما يَفوقُ هذهِ الحادِثَةَ .

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ القِصّةُ بالإخْبارِ عَنِ الْتِجاءِ عَدَدٍ مِنَ الفِتْيَةِ إلى كَهْفٍ ، واتِّخاذِهِ مأْوىً لَهُمْ ، وهُمْ يَدْعونَ اللهَ تَعالى أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ، وأنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ أسْبابَ الصَّلاحِ والهِدايَةِ في أَمْرِهِمْ . ويُفْهَمُ مِنَ الآياتِ التّالِيةِ أنَّهُمْ كانوا مُوَحِّدينَ للهِ ، وأنَّ قَوْمَهُمْ كانوا مُشْرِكينَ ، ودَعَوْهُمْ إلى عِبادَةِ الأَصْنامِ ، فَهَربوا بِدينِهِمْ خَشْيَةَ أنْ يَفْتِنوهُمْ أَوْ يَقْتُلوهُمْ .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ .

أَرادَ اللهُ تعالى لِهؤلاءِ الفِتْيَةِ البَقاءَ لِمُدّةٍ طَويلةٍ في كَهْفِهِمْ ، فأَلْقى على أَسْماعِهِمْ حِجاباً يَمْنَعُهُم مِنْ سَماعِ الأَصْواتِ والحَرَكاتِ ، فَناموا سِنينَ مُتَعدِّدةً طويلةً .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

أَيْقَظَ اللهُ تَعالى أَصْحابَ الكَهْفِ مِنْ نَوْمِهِم بَعْدَ سنواتٍ مُتَعدِّدةٍ ، في الوَقْتِ الَّذي أرادَهُ ، حَسَبَ مَشيئَتِهِ وعِلْمِهِ ، لِيُظْهِرَ أَيَّ الفَريقينِ المُخْتَلِفينِ أَكْثَرَ ضَبْطاً في تَحْديدِ مُدَّةِ نَوْمِ أَصْحابِ الكَهْفِ فيهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَعَلَ اللهُ تعالى الزِّينةَ في الأَرْضِ اخْتِباراً لِلنَّاسِ ، لِيُظْهِرَ مَنْ يَنْتَفِعُ بها ، ويَجْعَلُها في طاعةِ اللهِ ، ومَنْ يَغْتَرُّ بها وبِمَتاعِها الزائلِ .

٢ـ قِصَّةُ أَهْلِ الكَهْفِ مِنَ الآياتِ الدَّالةِ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ .

٣ـ اللهُ تعالى يَسْتَجيبُ دُعاءَ مَنْ يَلْجأُ إليْهِ ويَحْميهِ مِنْ عَدوِّهِ .

٤ـ إذا أرادَ اللهُ شَيْئاً هَيَّأَ أَسْبابَهُ ، فَحينَ أَرادَ اللهُ أنْ يَنامَ أَهْلُ الكَهْفِ مُدَّةً طَويلةً جَعَلَ على سَمْعِهِمْ حاجِزاً حتّى لا يَسْتَيْقِظوا ، ويَناموا المُدَّةَ الَّتي قَدَّرَها .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الأَرْضِ وتَزيينِها ؟ وما المَآلُ الَّذي سَتَصيرُ إليْهِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِنَ : الكَهْفِ ، الرَّقيمِ ، فَضَربْنا على آذانِهِمْ ، أَحْصى .

٣ـ لِماذا لَجأَ الفِتْيةُ إلى الكَهْفِ ؟

٤ـ هاتِ مِنَ الآياتِ دَليلاً على ما يَلي :

أـ كانَ أَصْحابُ الكَهْفِ شَباباً .

ب ـ ما على الأَرْضِ مِنْ زينةٍ إلى زَوالٍ .

ج ـ نَوْمُ أَصْحابِ الكَهْفِ سَنواتٍ طويلةً ثُمَّ بَعْثُهُمْ ، مِنْ آياتِ اللهِ تعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ ثَلاثةَ أَعْمالٍ حَسَنةٍ يُحِبُّها اللهُ تعالى .

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ الحِجابِ عَلى أَسْماعِ أَهْلِ الكَهْفِ وهُمْ نائِمونَ في كَهْفِهِمْ ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

الدرس الثالث

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَرَبَطْنا على قُلوبِهِمْ	: ثَبَّتْناهُم وقَوَّينا عَزائِمَهُمْ بِقَولِ الحَقِّ .
شَطَطاً	: قَوْلاً بَعيداً عَنِ الحَقِّ .
لو لا	: هَلاَّ .
بِسُلطانٍ بَيِّنٍ	: بِحُجَّةٍ قَوِيَّةٍ وبُرْهانٍ واضِحٍ .
فأْوُوا	: الْتَجِئوا .
يَنْشُرْ لَكُمْ	: يَبْسُطْ ويُوَسِّعْ عَلَيْكُمْ .
مِرْفَقا	: ما تَنْتَفِعونَ بِهِ مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ ومَأْوىً .

التَّفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ تَفْصيلُ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ بَعْدَ أَنْ أَجْمَلَ ذِكْرَ قِصَّتِهِمْ فيما سَبَقَ ، قالَ تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾

تُبَيِّنُ الآيةُ الكَريمَةُ أنَّ قِصَّةَ أصْحابِ الكَهْفِ قِصَّةٌ واقِعيَّةٌ ، وأنَّ عِلْمَها عِنْدَ اللهِ سُبحانَهُ ، وهِيَ قِصَّةُ شَبابٍ آمَنوا بربِّهِمْ ، وصَدَقوا في إيمانِهِمْ ، وصَمَدوا في وَجْهِ الطُّغْيانِ ، وثَبَّتَهُمُ اللهُ على الهُدى والحَقِّ وزادَهُمْ إيماناً .

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ .

قَوّى اللهُ قُلوبَ أصْحابِ الكَهْفِ لِيَحْتَمِلوا ما يُلاقونَه مِنْ أذىً في سَبيلِهِ ، وقَدْ وَقَفوا وِقْفَةَ رُجوليَّةً عَظيمةً ، أعْلَنوا فيها إيمانَهُمْ باللهِ ، وإقْرارَهُمْ لَهُ تَعالى بالرُّبوبيّةِ ، وإفرادَهُ وحْدَهُ بالعِبادَةِ ؛ فَهُوَ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ ، ولا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أحَدٌ سِواهُ ، ومَنْ يَقُلْ غَيْرَ هذا فَهُوَ ظالِمٌ وقَوْلُهُ باطِلٌ بَعيدٌ عَنِ الحَقِّ .

﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾ .

أَنْكَرَ الفِتْيَةُ المُؤْمِنونَ على قَوْمِهِمْ عِبادَةَ آلِهَةٍ غَيْرِ اللهِ ، وهُمْ لا يَستطيعونَ أنْ يَأْتوا بأيِّ دَليلٍ على اسْتحقاقِ هذهِ الأصْنامِ لِلْعِبادةِ ، فَما مِنْ أَحَدٍ أعْظَمُ ظُلْماً لِنَفْسِهِ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ الكَذِبَ بِنِسْبَةِ الشَّريكِ إليهِ سُبْحانَه .

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾

بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ الفِتْيَةُ عَنْ مُعْتَقَدِهِمْ لِقَوْمِهِمْ مُظْهِرينَ دينَهُمْ ، خَرَجوا فارِّينَ بدِينِهِمْ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِلآخَرينَ مِنْهُمْ : بِما أنَّكُمُ اعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمْ وآلِهَتَهُمُ الّتي يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ ، فَأْووا إلى الكَهْفِ ، وهُو كَهْفٌ مَعْلومٌ لَدَيْهِمْ ، لَعلَّهُمْ كانوا يَجْتَمِعونَ فيهِ يَعْبُدونَ اللهَ خِفْيَةً عَنْ قَوْمِهِمْ ، فإنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ويُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقا ، وكَذلِكَ فَعَلوا ، فَقَدْ تَوجَّهوا إلى الكَهْفِ لِيُقيموا فيهِ ، راجينَ أنْ يَبْسُطَ اللهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ ، فَيُنجيَهُمْ مِنْ أَذى قَومِهِمْ ، ويُهَيِّءَ لَهُمْ ما يَنْتَفِعونَ بهِ في أُمورِ مَعاشِهِمْ ، وهذا المَوْقِفُ مِنْهُمْ يَدُلُّ على ثِقَةٍ عَظيمةٍ باللهِ ، وقُوَّةٍ في التَّوكُّلِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ عَلِموا أنَّ اعْتِزالَهُمْ قَوْمَهُمْ في الكَهْفِ سَيُقابِلُهُ عَطاءٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، وأنَّ وُجودَهُمْ في ذَلِكَ المَكانِ الخالي مِنْ وَسائِلِ العَيْشِ لا يَمْنَعُ مِنْ وُصولِ رَحْمةِ اللهِ الواسِعَةِ إليْهِمْ ، فَهُمْ في الظّاهِرِ لَجَؤوا إلى مكانٍ ضيِّقٍ ، ولكنَّهُمْ في الحَقيقةِ كانوا مُتَمَتِّعينَ بِرَحْمةِ اللهِ الواسِعَةِ ، الفَسيحةِ ، الَّتي نَشَرَها وبَسَطَها عَلَيْهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الشَّبابُ أكْثَرُ قَبولاً لِلْحَقِّ مِنْ كبارِ السِّنِّ الَّذينَ طالَ بِهِمُ العُمُرُ وانْغَمَسوا في الباطِلِ .

٢ـ فَضيلةُ الجُرْأَةِ في الحَقِّ والتَّصْريحِ بهِ ، ولَوْ أدّى إلى الإيذاءِ أَوِ القَتْلِ .

٣ـ بُطْلانُ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ لِعَدَمِ وُجودِ دَليلٍ عَقْلِيٍّ عَلَيْها .

٤ـ دُعاءُ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ ، فالدُّعاءُ للهِ وَحْدَهُ .

٥ـ الشِّرْكُ ظُلْمٌ وكَذِبٌ ، والمُشْرِكُ ظالِمٌ كاذِبٌ .

٦ـ إذا صَدَقَ الإنسانُ في دُعائِهِ وطَلَبِهِ أَعْطاهُ اللهُ الهِدايةَ وَرَبَطَ على قَلْبِهِ .

٧ـ اعْتِزالُ الكَفَرَةِ المُشْرِكينَ مَشْروعٌ ، وقَدْ شَرَعَ اللهُ لنا اعْتِزالَهُمْ بِالهِجْرَةِ إلى دارِ الإسْلامِ .



التَّقويمُ

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى : شَطَطاً ، سُلْطانٍ بَيِّنٍ ، مِرْفَقاً .

٢ـ بماذا تَسْتَدِلُّ أنَّ قَوْمَ أَصْحابِ الكَهْفِ كانوا يَعْرِفونَ اللهَ إلاَّ أَنَّهُمْ كانوا يُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخرَى ؟

٣ـ ما الدَّليلُ في الآياتِ على أَنَّ الشَّبابَ أكْثَرُ قَبولاً لِلْحَقِّ مِنَ الكِبارِ ؟

٤ـ كَيْفَ تَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذهِ الآياتِ أنَّ ضِيقَ المَكانِ لا يَعني ضيقَ الحالِ ؟

٥ـ أيّدَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ الشَّبابَ بأُمورٍ عِدَّةٍ ، اذْكُرِ اثْنَيْنِ مِنْها كَما جاءَ في آياتِ الدّرسِ .

٦ـ ما الدَّرْسُ المُسْتَفادُ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أـ إنهم فِتْيَةٌ آمنوا بربِّهِم .

ب ـ لنْ نَدْعوَ مِنْ دُونِهِ إلَهاً لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً .

ج ـ لَوْلاَ يَأْتونَ عليهِم بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ .

نَشاطٌ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ الكَهْفِ والغارِ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اذْكُرْ دَرْساً آخَرَ يُسْتَفادُ مِنَ الآياتِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تزاوَرُ	: تَميلُ .
تَقْرِضُهُم	: تترُكُهُم وتَتَجاوَزُ عَنْهُمْ فلا تُصيبُهُمْ .
فَجْوةٍ مِنْهُ	: مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهْفِ .
باسِطٌ ذِراعَيْهِ	: مادٌّ يَديهِ .
بالوَصيدِ	: فِناءِ الكَهْفِ .
رُعْباً	: خَوْفاً وفَزَعاً .
بوَرِقِكُمْ	: دَراهِمِ الفِضَّةِ الَّتي مَعَكُمْ .
يَظْهَروا عَلَيْكُمْ	: يَعْلَموا مَكانَكُمْ .
يَرْجُموكُمْ	: يَقْتُلوكُمْ رَمْياً بالحِجارَةِ .



التفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ حالَ الفِتْيةِ بَعْدَ أنْ أوَوْا إلى الكَهْفِ ، وكَيْفَ تعَهَّدَتْهُمْ عِنايةُ اللهِ وَرِعايتُهُ ، قالَ تعالى :

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

كانَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلوعِها تَميلُ عَنْهُمْ إلى جِهَةِ اليَمينِ كَيْلا يُؤْذِيَهُمْ شُعاعُها المُباشِرُ ، كما كانتْ تَميلُ عَنْهُم كَذَلِكَ إذا غَرَبَتْ إلى جِهَةِ الشّمالِ . وهذا المَيْلُ لِلشَّمْسِ عَنْهُم حالةَ شُروقِها وغُروبِها عِنايةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، وقدْ كانوا في مُتَّسَعٍ مِنَ الكهفِ ، ولا يَنْقَطِعُ عَنْهُمُ الهَواءُ . وهذا الَّذي حَصَلَ مَعَ الفِتْيَةِ في نَوْمِهِم دَليلٌ على قُدْرَةِ اللهِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِهِ وتَصرُّفِهِ في خَلْقِهِ ، ولا يَنْتَفِعُ بآياتِ اللهِ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْهِدايةِ ، ومَنْ لَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْهِدايةِ فلا وَلِيَّ لَهُ يَنْصُرُهُ ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَجِدَ مُرْشِداً وهادِياً يَدُلُّهُ عَلى الخَيْرِ .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

أي تَظُنُّهُمْ أيُّها النَّاظِرُ إليْهِمْ مُسْتَيْقِظينَ مَعَ أنَّهم نائِمونَ مُسْتَغْرِقونَ في نَوْمِهِم ، ويَتَقلَّبونَ يَميناً وشِمالاً لِئلاَّ تَفْسُدَ أجْسامُهُم مِنَ الأرْضِ مَعَ طولِ المُدَّةِ ، وَكَلبُهُمْ مادٌّ يَديهِ ، جالِسٌ في فِناءِ الكَهْفِ ، وهيَ جِلْسَةُ توثُّبٍ واسْتِعدادٍ كأنَّه يَحْرُسُهُمْ ، وَهُوَ في الحَقيقةِ نائِمٌ مِثْلُهُمْ ، ولَوْ شاهَدْتَهُمْ وَهُمْ على تِلْكَ الحالةِ لَفَرَرْتَ هارِباً خَوْفاً مِنْهُمْ ، وذلِكَ لِما أوْقَعَ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ مِنَ الهَيْبَةِ ، وهذه آيةٌ أُخْرى لَهُم لِئلاَّ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

أي كما أَنَمْناهُمْ نَوْماً طَويلاً أَيْقَظناهُمْ ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِم ، فقالَ بَعْضُهُمْ : لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، بِناءً على غالِبِ ظَنِّهِمْ ؛ لأنَّ النَّائِمَ لا يُحْصي مُدَّةَ نَوْمِهِ ، ولِذَلِكَ عادوا

فَأَحالوا العِلْمَ بِمُدَّةِ نَوْمِهِم إلى اللهِ ، ولعَلَّهُمْ شَعروا بِشِدّةِ الجوعِ فَطَلبوا مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يَذْهَبَ إلى المَدينةِ ، وَيَأْخُذَ مَعَهُ القِطَعَ النَّقديّةَ الفِضِّيَّةَ الَّتي مَعَهُمْ ، ويَخْتارَ مِنْ طَعامِها الحَلالِ الجَيِّدِ الطَّيِّبِ فَيَأْتِيهِمْ بِقوتٍ مِنْهُ ، وأَوْصَوْهُ أَنْ يَحْتاطَ حتّى لا يَنْكَشِفَ أَمْرُهُمْ ؛ بأَنْ يَكونَ لَطيفاً في المُعامَلَةِ مَعَ مَنْ يَلْقاهُ مِنْ أَهْلِ المَدينةِ ، فإنّهُم إنْ عَلِموا أنَّهُ مِنَ الفِتْيَةِ الَّذينَ أَوَوْا إلى الكَهْفِ ، واكْتَشَفوا مَكانَهُمْ ، فإنَّهُمْ سَيَقْتُلونَهُمْ رَجْماً بالحِجارَةِ ، أَوْ يُجْبِرونَهُمْ على العَوْدَةِ إلى الدِّينِ الباطِلِ الَّذي فَرّوا مِنْهُ ، وإنْ حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَلَنْ يُفْلِحوا أَبَداً . وقَوْلُهُمْ هذا كانَ بِناءً على ظَنِّهِمْ أَنَّ أَهْلَ المَدينةِ الَّذينَ فَرُّوا مِنْهُم ما يَزالونَ مَوْجودينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

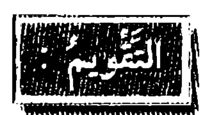
١ ـ إنّ اللهَ تَعالى يُسَخِّرُ ما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ لِحِمايَةِ أَتْباعِ دينِهِ ، ولَوْ كانَ ذَلِكَ بأمْرٍ خارِقٍ لِلعادَةِ .

٢ ـ الهِدايَةُ والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ تَعالى .

٣ ـ النَّائِمُ لا يَدْري مِقْدارَ نَوْمِهِ .

٤ ـ وُجوبُ الحَذَرِ والتَّلطُّفِ في المُعامَلَةِ عِنْدَ خَشْيَةِ العَدُوِّ .

٥ ـ وُجوبُ طَلَبِ الحَلالِ في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ وغيرِهِما .



أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ عَدِّدْ ثَلاثَةً مِنَ الأُمورِ الخارِقَةِ لِلعادَةِ حَصَلَتْ مَعَ أَصْحابِ الكَهْفِ في هذهِ الآياتِ .

٢ ـ لماذا طَلَبَ الفِتْيَةُ مِنَ الذّاهِبِ إلى المَدينةِ أنْ يَتَلَطَّفَ في تَعامُلِهِ ؟

٣ ـ ما سَبَبُ الرُّعبِ الَّذي يُصيبُ النّاظِرَ إلى أَهْلِ الكَهْفِ وهُمْ رُقودٌ ؟

٤ ـ بيِّن معنى الآياتِ التّاليةِ :

أ ـ وتَرى الشّمسَ إذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عن كَهْفِهِمْ ذاتَ اليَمينِ .

ب ـ وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ .

ج ـ وهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ .

د ـ قالوا رَبُّكُم أَعْلَمُ بما لَبِثْتُمْ .

هـ ـ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصيدِ .

و ـ ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً .

ز ـ يَرْجُموكُمْ أوْ يعيدوكُمْ في مِلَّتِهِمْ .

نَشاطٌ :

يَتَخَيَّلُ بَعْضُ النَّاسِ أنَّ أهْلَ الكَهْفِ اسْتَيْقَظوا ، وقَدْ طالَتْ شُعورُهُمْ وأظفارُهُمْ ، كَيْفَ تَرُدُّ على هذا الوَهْمِ ؟ اكْتُبِ الرَّدَّ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَعْثَرْنا علَيْهِمْ : أظْهَرْنا أمْرَهُمْ .

إذْ يَتنازَعونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ : اخْتَلَفَ النَّاسُ في شَأْنِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ .

الَّذين غَلَبوا : الَّذين انْتُصرَ رأيُهُمْ وعُمِلَ بِهِ .

مَسْجِداً : مَكاناً لِلصَّلاةِ .

رَجْماً بالغَيْبِ : ظَنّاً مِنْ دُونِ يَقينٍ .

فلا تُمارِ فيهِمْ : لا تُجادِلْ في عَدَدِهِمْ .

ولا تَسْتَفْتِ : ولا تَسْأَلْ

التفسير :

ما يَزالُ الحَديثُ عن أَهْلِ الكَهْفِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

أي دَلَلْنا النَّاسَ عَلَيْهِمْ . والطَّريقَةُ الَّتي دَلَّ اللهُ بها النَّاسَ على أهْلِ الكَهْفِ مَفْهومَةٌ مِنَ النَّصِّ ، فإنَّ الَّذي ذَهَبَ يَشْتَري لأَصْحابِهِ طَعاماً لا بُدَّ وأنَّ أَمْرَهُ قَدْ كُشِفَ ، فإنَّهُ أنْكَرَ النَّاسَ ، وأنْكَرَهُ النَّاسُ ، فَقَدْ تَغيَّرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، واسْتَغْرَبَ النَّاسُ حالَهُ ، وإنَّما أعْلَمَ اللهُ في ذَلِكَ الزَّمانِ بِأَهْلِ الكَهْفِ وقِصَّتَهُمْ لِيَعْلَمُوا أنَّ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ ، فإنَّ نَوْمَ هَؤلاءِ الفِتْيَةِ لِسَنواتٍ طَويلةٍ كالمَوْتِ ، ولِيَعْلَمَ النَّاسُ أنَّ السَّاعةَ لا شَكَّ في حُصولِها ، وأنَّ وعْدَ اللهِ بِبَعْثِ عِبادِهِ مِنْ قُبورِهِمْ حَقٌّ .

وقَدْ تنازَعَ أَهْلُ البَلْدةِ في شأْنِ هَؤلاءِ الفِتْيَةِ ، واخْتَلَفوا فيهِمْ ، وانْقَسموا إلى فَريقَيْنِ : فريقٍ يَرى إقامةَ بُنْيانٍ على الكَهْفِ ، وفَريقٍ ثانٍ يَرى بِناءَ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ ، لِيَكونَ مَكانَ صَلاةٍ وطاعةٍ للهِ ، وانْتَصَرَ أَصْحابُ هذا الرأْيِ ، وغَلَبوا الفَريقَ الآخَرَ .

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

تُبيِّنُ الآيةُ الكَريمَةُ أنَّ النَّاسَ اخْتَلفوا في عَدَدِ أصْحابِ الكَهْفِ ، فَذَهَبَ عَددٌ مِنْهُمْ إلى أنَّهُم ثَلاثةٌ رابعُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وذَهَبَ فَريقٌ آخَرُ إلى أنَّهُمْ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وهما قَوْلانِ مَبْنيَّانِ على الظَّنِّ مِنْ دُونِ أيِّ يَقينٍ ، وسَيقولُ عَدَدٌ مِنَ المُخْتَلِفينَ فيهِمْ إنّهم سَبْعَةٌ وثامِنُهُم كَلْبُهُمْ .

ثُمَّ تُبيِّنُ الآيةُ أنّ الخَوْضَ في هذا الأَمْرِ مِمّا لا فائِدَةَ فيهِ ، وأنّ الحِكْمَةَ مِنَ القِصّةِ غَيْرُ هذا الأَمْرِ ، فَلْيوكَلْ أَمْرُ عَدَدِهِمْ وتَفاصيلُ حادِثَتِهِمْ إلى اللهِ ، ﴿قُلْ ربِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ وَهُوَ - سُبحانَهُ - العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، ولا يَعْلَمُ على وَجْهِ الضَّبْطِ عَدَدُهُمْ إلاَّ قَليلٌ مِنَ النّاسِ ، ولا يَنْبَغي الخَوْضُ في هذا الأمْرِ ومُناقَشَةُ أَهْلِ الكِتابِ فيهِ إلاَّ بما ذَكَرَهُ الوَحْيُ وبيَّنَتْهُ الآياتُ ، وما عَداهُ مِنْ تفاصيلَ فلا داعِيَ لَهُ ، ولا يَنْبَغي سُؤالُ أَحَدٍ عَنْهُ .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

هذا تَوْجيهٌ لِلنَّاسِ أنْ لا يَجْزِمَ أَحَدُهُمْ على فِعْلِ شَيْءٍ فيما يَقْدُمُ مِنَ الزمانِ إلاَّ أنْ يَقْرِنَ عَزْمَهُ هذا بِمَشيئةِ اللهِ فَيقولَ : إنْ شاءَ اللهُ ، وإذا نَسِيَ قَوْلَ هذهِ العِبارةِ حالَ عَزْمِهِ على فِعْلِ الشَّيْءِ ، فَلْيَقُلْها حينَ يَتَذَكَّرُ ذَلِكَ ، وفي هذا التَّوجيهِ إرْشادٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَجْعَلَ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقاً باللهِ تَعالى في كُلِّ حالٍ ، وأنْ يَرُدَّ عِلْمَ الغَيْبِ وحوادثَ المُسْتَقْبَلِ إلى مَشيئَةِ اللهِ عَلاّمِ الغُيوبِ ، الّذي يَعْلَمُ ما كانَ وما يَكونُ .

وفي الآيةِ الكَريمةِ إرْشادٌ آخَرُ ، وتَوْجيهٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَدعُوَ اللهَ تعالى أنْ يَخْتارَ لَهُ الأَمْرَ الأَقْرَبَ إلى الرُّشدِ والأَحْسَنَ لِحالِهِ ، فإنّهُ ـ سُبحانَهُ ـ العالِمُ بما يَصلُحُ لَهُ أكْثَرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وعلى المُسْلِمِ أنْ يَتطلَّعَ دائِماً إلى الأَمْرِ المُقَرِّبِ مِنَ اللهِ تعالى أكْثَرَ ، والأَحْسَنِ لهُ في دينِهِ ودُنْياهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ إنَّ هذهِ الحادِثَةَ مِنْ أوْضَحِ الأَدِلَّةِ على إمْكانِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ .

٢ ـ النَّهْيُ عَنِ السُّؤالِ عمَّا لا فائِدَةَ فيهِ .

٣ ـ النَّهْيُ عَنِ الجِدالِ والمِراءِ ، وعَنْ سُؤالِ مَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ بالأَمْرِ .

٤ ـ على المُسْلِمِ أنْ يَقْرِنَ حَديثَهُ عمَّا عَزَمَ على فِعْلِهِ في مُقْبِلِ الزَّمانِ بِقَوْلِهِ : إنْ شاءَ اللهُ .

٥ ـ على المُسْلِمِ أنْ يَطْلُبَ مِنْ رَبِّهِ الهِدايَةَ إلى الرُّشْدِ والخَيْرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ ما مَوْقِفُ أهْلِ القَرْيَةِ مِنَ الفِتْيَةِ ؟

٢ ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ قولِ عبارةِ : (إنْ شاءَ اللهُ)مَعَ الأُمورِ المُسْتَقْبَلَةِ ؟

٣ ـ كَيْفَ تَدُلُّ هذهِ الحادِثَةُ على إمْكانِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٤ـ ماذا تَسْتَنْتِجُ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ التَّاليةِ :

أـ قالَ الَّذين غَلَبوا على أمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً .

ب ـ رَجْماً بالغَيْبِ .

ج ـ فلا تُمارِ فيهِمْ إلاّ مِراءً ظاهِراً ولا تَسْتَفْتِ فيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً .

د ـ واذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ .

نَشاطٌ :

اسْتَنْتِجْ مِنَ الآيةِ الثّانيةِ والعِشرينَ لِماذا كانَ الرَّأْيُ الثَّالِثُ هُوَ الصَّوابَ ؟ واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ

سُورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ : هذهِ صِيغَةُ تَعجُّبٍ تَعْني : ما أَعْظَمَ إِبصارَ اللهِ وسَمْعَهُ .

مُلْتَحَداً : مَلْجأً تَحْتَمي بِهِ .

واصْبِرْ نفسَكَ : احْبِسْها وثَبِّتْها .

بالغَداةِ والعَشِيِّ : في الصَّباحِ والمَساءِ .

ولا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ : لا تَصْرِفْ نَظَرَكَ عَنْهُمْ إلى غَيْرِهِمْ .

أَغْفَلْنا قَلْبَهُ : جَعَلْناهُ غافِلاً ناسِياً .

فُرُطاً : ضَياعاً وهَلاكاً .



التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِبَيانِ مُدّةِ لُبْثِ الفِتْيَةِ في الكَهْفِ . قالَ تعالى :

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلُ المُدَّةِ الَّتي قَضاها الفِتْيَةُ في الكَهْفِ نائِمينَ ، بَعْدَ أَنْ سَبَقَ إجْمالُ المُدَّةِ في قولِهِ تَعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١] وهِيَ ثَلاثُمِئَةِ سَنةٍ بالتَّقْويمِ الشّمسيِّ ، وزيادةُ تِسْعِ سِنينَ بالتّقْويمِ القَمَرِيِّ ، ولِذا كانَ التَّعْبيرُ عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِم بِهذا الأُسْلوبِ لِيُشيرَ إلى التَّقْويمينِ .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِمْ ، أَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ الأعْلَمُ بهذِهِ المُدَّةِ ، فَهُمْ أَنْفُسُهُم لَمْ يَعْلَموا كَمْ لَبِثوا ، كما لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ أَحَدٌ آخَرُ ، فهُوَ وَحْدَهُ الَّذي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ في السّمواتِ والأرْضِ ، فما أَعْظَمَ إبْصارَهُ وسَمْعَهُ اللّذيْنِ يُحيطانِ بِكُلِّ المَخْلُوقاتِ ، وصيغَةُ التَّعجُّبِ في الآيةِ ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾ تَدُلُّ على أنَّ عَظَمَةَ هذا الأمْرِ لا يُحيطُ بها إدْراكُ البَشَرِ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ، فاللهُ تَعالى يَرى ويَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ ، ولَيْسَ لأهْلِ السَّمواتِ والأرْضِ مَنْ يَتولّى أُمورَهُمْ ويَنْصُرُهُمْ ويُعينُهُمْ سِواهُ ، وهُو الغَنِيُّ عَنْهُمْ وعَنْ غَيْرِهِمْ لاَ يَحْتاجُ إلى مَنْ يُعينُهُ في حُكْمِهِ وقَضائِهِ .

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ بَيانِ حَقيقةِ حادِثَةِ الفِتْيةِ أصْحابِ الكَهْفِ ، تَوجَّهَ الخِطابُ الإلَهِيُّ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ مُرَبِّياً ومُؤَدِّباً ، فأَمَرَهُ أَوّلاً بِتِلاوَةِ القُرْآنِ الَّذي حَفِظَهُ اللهُ ، ولا يُوجَدُ أَحَدٌ يَسْتَطيعُ تَبْديلَ كلامِ اللهِ ، ولا يُوجَدُ لِلْخَلْقِ مَنْ يَلْجَؤونَ إليهِ ويَسْتَعينونَ بِهِ سِوى اللهِ .

وتَدُلُّ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ على عَظيمِ مَنْزِلَةِ القُرْآنِ الكريمِ ، فإنَّهُ الكتابُ المَحْفوظُ مِنَ التّبديلِ والتّغْييرِ والزّيادةِ والنُّقْصانِ ، وتِلاوتُهُ عِبادَةٌ وقُرْبةٌ مِنَ اللهِ ، وهُوَ دُستورُ الأُمَّةِ الباقي ، ومِنْهاجُ حَياتِها الدّائِمُ .

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

والأَمْرُ الثّاني لِرَسولِ ﷺ هُوَ الصَّبْر على مُلازَمَةِ مَنِ اتبعَكَ وآمَنَ بِكَ ، الَّذينَ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَهُ

ويَذْكُرونَهُ صباحاً ومَساءً ، وفي كُلِّ أَوْقاتِهِمْ ، لا يُريدونَ بِذلِكَ عَرَضاً مِنْ أعْراضِ الدُّنيا ، وإنَّما يُريدونَ رِضا اللهِ ، ولا تَتَجاوَزْ عَيْناكَ هَؤلاءِ المَوْصوفينَ بهذهِ الصِّفَةِ إلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ زِينَةِ الدُّنيا وأَمْوالِها ومَنْزِلَتِها ، ولا تُطِعْ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ ، فإنَّهُمْ غافِلونَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ومُتَّبِعونَ لأَهْوائِهِمْ ، وحالُ أَمْرِهِمْ ومَآلُهُم ضَياعٌ وهَلاكٌ وخَسارَةٌ .

ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللهِ ﷺ يَتَطَلَّعُ إلى الدُّنْيا وأَهْلِها بِرَغْبَةٍ ، بَلْ كانَ أَزْهَدَ النَّاسِ فيها ، ولكنَّهُ كانَ يَرْغَبُ في إيمانِ أَهْلِ السُّلْطَةِ والغِنى لِعِلْمِهِ بما يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عذابٍ مُهينٍ إنْ بَقُوا على كُفْرِهِمْ ، وفي هذهِ الآيةِ تَوْجيهٌ لَهُ ﷺ ولِكُلِّ مَنْ يَقْتَدي بِهِ أنْ يَجْعَلَ جُلَّ وَقْتِهِ مَعَ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ الباحِثينَ عَنْ رِضا اللهِ ، فإنَّهُمْ يُذَكِّرونَهُ باللهِ بحالِهِمْ ولِسانِهِمْ ، وأَنْ لا يَغْتَرَّ بما عِنْدَ أَهْلِ الدُّنيا مِنْ زِينَةٍ وَجاهٍ ، فإنَّهُ إلى زَوالٍ وهَلاكٍ ، وهذا لا يَمْنَعُ مِنْ نُصْحِهِمْ ودَعْوَتِهِمْ إلى الخَيْرِ والرَّغْبَةِ في إيمانِهِمْ ، فَتكونُ العَلاقةُ بِهِمْ لِلتَّأْثيرِ فيهِمْ ، وهِدايَتِهِمْ لا للتَّأَثُّرِ بِهِمْ ، وتنفيذِ رَغَباتِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على المُسْلِمِ أَلاّ يُشْغِلَ فِكْره بما لا سَبيلَ إلى مَعْرِفَتِهِ كَعِلْمِ الأُمورِ المُغَيَّبَةِ .

٢ـ على المُسْلِمِ أنْ يَشْغَلَ وَقْتَهُ بِتلاوةِ كتابِ اللهِ والتَّدَبُّرِ في مَعانيهِ .

٣ـ على المُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ على مُعايَشَةِ إخْوانِهِ أَهْلِ الإيمانِ أَوْلياءِ الرَّحْمنِ ، ولا يُفارِقَهُمْ لِيَنْشَغِلَ بِأَهْلِ الدُّنْيا .

٤ـ اللهُ تعالى يَعْلَمُ مِنْ حالِ المَرْءِ ما لا يَعْلَمُهُ المَرْءُ عَنْ نفسهِ .

٥ـ اللهُ تعالى غَنِيٌّ عَنْ خَلقِهِ ، لا يَحْتاجُ إلى إعانَةٍ مِنْهُمْ وهُمْ المُحْتاجونَ إليْهِ .

٦ـ حِفْظُ اللهِ تعالى كِتابَهُ وكلماتِهِ مِن التَّحْريفِ والتَّبْديلِ .

٧ـ دَعْوةُ المُؤْمنينَ إلى الاجْتِماعِ على الخَيْرِ وذِكْرِ اللهِ .

٨ـ الأُمورُ لَيْسَتْ بِظَواهِرِها ؛ فَقَدْ يَكونُ المَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ عَظيماً ذا شَرَفٍ وَجاهٍ وَزينةٍ ، ولَكِنَّهُ عِنْدَ اللهِ خاسِرٌ هالِكٌ .

٩ـ على الدَّاعي إلى اللهِ أنْ لا يَتَأَثَّرَ بِحالِ أَهْلِ الدُّنْيا ، وما عِنْدَهُمْ مِنْ مَتاعِها ، بَلْ يُؤَثِّرُ فيهِمْ ويَدْعوهُمْ إلى طاعةِ اللهِ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى ﴿أبْصِرْ بِهِ وأسْمِعْ﴾ ؟ وما فائِدَةُ أُسْلوبِ التَّعَجُّبِ ؟

٢ـ عَلامَ يَدُلُّ إعْلامُ اللهِ تعالى لنا عَنْ مُدَّةِ لَبْثِ أهْلِ الكَهْفِ فيهِ ؟

٣ـ ما مَعنى : مُلْتَحَداً ، الغَداةِ ، العَشِيِّ ، فُرُطاً .

٤ـ مَنْ هُمُ الَّذينَ أَمَرَ اللهُ تعالى بِحَبْسِ النَّفْسِ مَعَهُم ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٥ـ وَرَدَ في الآياتِ الكَريمةِ تَوْجيهانِ مِنَ اللهِ لِرَسولِهِ ﷺ ، اذْكُرْهُما مَعَ الدَّليلِ على كُلٍّ مِنْهُما .

٦ـ اذْكُرْ ثلاثَةً مِنَ الدُّروسِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ حَوِّلْ ثَلاثَمِئَةِ سَنةٍ شَمْسيةٍ إلى ما يُقابِلُها مِنَ السِّنينَ القَمَرِيَّةِ ، إذا عَلِمْتَ أَنَّ السَّنةَ الشَّمْسِيَّةَ تَزيدُ على القَمَرِيَّةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً في السَّنةِ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدَّالَّةَ على حِفْظِ اللهِ تعالى لِكِتابِهِ العَزيزِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها	: أحاطَتْ بِهِمُ النَّارُ كما يُحيطُ البَيْتُ والسُّورُ بما فيهِ .
كالمُهْلِ	: كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، وهو ما يَبْقى في أسْفَلِ الإناءِ ثَخِناً رَديئاً .
مُرْتَفقاً	: مَقَرّاً ومَكانَ اسْتِراحةٍ .
سُنْدُسٍ	: حَريرٍ رَقيقٍ .
وإسْتَبْرَقٍ	: حَريرٍ غَليظٍ ثَقيلٍ .
الأرائِكِ	: السُّرُرِ المُزَيَّنَةِ الفاخرةِ .

التفسيرُ :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ التَّوْجيهاتِ الإلهيَّةَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ . وفي هَذِهِ الآياتِ بيانٌ لِتَوْجيهٍ آخَرَ لَهُ ، وهُوَ أنْ يَقولَ الحَقَّ ، وأنَّ ما جاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ هُوَ الحَقُّ ، وأنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَهُوَ مَعْروضٌ أمامَ

المَدْعوِّينَ ، وَهُمْ مُخيَّرونَ بَيْنَ اتِّباعِهِ بالإيمانِ ، وعَدَم اتِّباعِهِ بالبَقاءِ على الكُفْرِ ، إلاَّ أنَّ رَحْمَةَ اللهِ تعالى البالِغَةَ بِعبادِهِ اقْتَضَتْ مِنْهُ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ يُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ مَصيرَ كُلٍّ مِنَ الفَريقينِ ، إقامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وتَرْغيباً في الإيمانِ .

فالَّذينَ كَفَروا باللهِ قَدْ ظَلَموا أنفَسَهُمْ ، وسَيَكونُ مَصيرُهُمْ يَوْمَ القيامةِ النَّارَ ، الَّتي سَتُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، كَما يُحيطُ السُّورُ والبِناءُ بما فيهِ ، فَهِيَ نارٌ وجُدْرانُها مِنْ نارٍ ، فلا يَسْتَطيعونَ الخُروجَ مِنْها ، وَحينَ يُصيبُهُمُ العَطَشُ مِنْ شِدَّةِ العَذابِ ، وَيَستغيثونَ طالِبينَ الغَوْثَ والشُّرْبَ ، يُسْقَوْنَ مِنْ ماءٍ قَبيحٍ مُنْتِنٍ لا يُطاقُ يُشْبِهُ عَكَرَ الزَّيْتِ ، وقَدْ بَلَغَ دَرَجةً عاليةً مِنَ الحَرارَةِ فإذا اقْتَرَبَ مِنْ وُجوهِهِمْ ذابَتْ مِنْ شِدَّةِ الحَرارَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ سَيُرْغَمونَ على شُرْبِهِ لِتَتَقَطَّعَ مِنْهُ أمْعاؤُهُمْ ، كما قالَ تعالى في سورةٍ أُخرى : ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] فَهُوَ شَرابٌ سَيِّءٌ قَبيحٌ ، بَلْ إنّ جَهَنَّمَ أسْوأُ مَكانِ إقامَةٍ ، كُلُّها عَذابٌ ، وأَسْوارُها وشَرابُها وطَعامُها عَذابٌ ، وإطْلاقُ المُرْتَفَقِ عَلَيْها ، وهُوَ مَكانُ الاسْتِراحةِ ، لِلتَّهَكُّمِ بأهْلِها ، أعاذَنا اللهُ تعالى مِنْها بِرَحْمَتِهِ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ .

هذا شُروعٌ في تَبيينِ عاقِبَةِ مَنِ اخْتارَ الإيمانَ على الكُفْرِ ، وقادَهُ إيمانُهُ إلى العَمَلِ الصَّالحِ ، فهؤلاءِ أعْمالُهُمْ لا تَذْهَبُ ضَياعاً وسُدىً ـ كما هُوَ حالُ أعْمالِ الكافِرينَ ـ بَلْ يَجْزيهِمُ اللهُ تَعالى عَلَيْها أحْسَنَ الجَزاءِ ، وهُو ماتُبَيِّنُهُ الآيةُ التاليةُ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ .

فَمَصيرُهُمْ جَناتٌ يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً لا تَنْقَطِعُ ولا تَنْتَهي ، وفي هذهِ الجَنَّاتِ جَميعُ أَصْنافِ النَّعيمِ ؛ ففيها أنْهارٌ تَجْري مِنْ تَحتِ مَنازِلِها ، وهِيَ أنهارٌ متنوِّعَةٌ ، كما قالَ تَعالى في سُورةٍ أُخْرَى : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وفيها أساوِرُ مِنْ ذَهَبٍ يُحَلَّى بها أَهْلُ الجَنَّةِ . والأَساوِرُ : جَمْع أَسْوِرَةٍ ، وفي تَنْكيرِها إشْعارٌ بأنَّها في غايةِ الجَمالِ والرَّوْعةِ .

ويَلْبَسُ أَهْلُ الجَنَّةِ ثِياباً لَوْنُها أَخْضَرُ ، واللَّوْنُ الأخْضَرُ أحْسَنُ الأَلْوانِ وأَكْثَرُها طَراوَةً وَراحةً لِلْعَيْنِ ، وقَدْ نُسِجَتْ هذهِ الثِّيابُ مِنْ رَقيقِ الحَريرِ ، وبَعْضُها مِنْ غَليظِهِ ، والجَمْعُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ لِلدَّلالةِ على أنَّ فِيها ما تَشْتَهيهِ الأنْفُسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ ، ولِلدَّلالةِ على عِظَمِ النَّعيمِ ، فالسُّندسُ رَقيقُ الحَريرِ لباسٌ داخِليٌّ ، والإسْتَبرقُ غَليظُ الحَريرِ يُلْبَسُ فَوْقَهُ ، ويتَّكِئونَ على الأرائِكِ وهِيَ السُّرُرُ المُزَيَّنَةُ الفاخِرَةُ المُرْخاةَ عَلَيْها السُّتورُ الجَميلةُ ، وخُصِّصَ الاتِّكاءُ بالذِّكْرِ لأنَّهُ هَيْئَةُ المُتَنعِّمينَ .

هذا جَزاءُ المُتَّقينَ المُؤْمِنينَ الَّذينَ كانوا يَعْمَلونَ الصَّالِحاتِ ، ونِعْمَ الجَزاءُ هُوَ ، وحَسُنَتِ الجَنَّةُ دارَ إقامةٍ ونَعيمٍ لأَهْلِها ، فَمَنْ أرادَها عَلَيْهِ أنْ يَسْعى لَها بالعَمَلِ الصّالِحِ والاجْتِهادِ في طاعَةِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ العاقِلُ لا يَفْعَلُ ما يَقودُهُ إلى العذابِ الَّذي أَعَدَّهُ اللهُ تعالى لِمَنْ كَفَرَ بِهِ .

٢ـ عِظَمُ نَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ وتنوُّعُهُ ، وهُوَ في أَعْلى دَرَجاتِ النَّعيمِ والرَّاحَةِ ، والعاقِلُ يَحْرِصُ على تَحْصيلِهِ والتَّنَعّمِ بِهِ .

٣ـ الإنْسانُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الهِدايةِ والضَّلالِ ، ولكنْ على الإنسانِ أَنْ يَتَحَمَّلَ عاقِبَةَ اخْتيارِهِ ، فَلِلكافِرِ النَّارُ ، ولِلْمُؤْمِنِ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ ما وَصَفَ اللهُ بهِ حالَ أَهْلِ النّارِ وما وَصَفَ بهِ حالَ أهْلِ الجَنَّةِ ، كما جاءَ في الآياتِ الكَريمةِ .

٢ـ لِماذا سَمَّتِ الآيةُ الكريمةُ الكافِرَ ظالِماً ؟

٣ـ ما معنى : السُّرادِقُ ؟ وهل إحاطَتُهُ بأَهْلِ النّارِ لِتَخفيفِ العَذابِ أَوْ لِزيادَتِهِ ؟

٤ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ السُّنْدُسِ والإسْتَبْرَقِ ؟

٥ـ لِمَ خُصَّ ذِكْرُ الاتِّكاءِ على الأرائِكِ مِنْ دُونِ غَيْرِهِ مِنْ أَحْوالِ أهْلِ الجَنَّةِ ؟

٦ـ اذْكُرْ ما أَعَدَّهُ اللهُ تعالى لأَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ نَعيمٍ مُرَتَّباً كما جاءَ في الآيةِ الكَريمةِ .

٧ـ صِفْ شَرابَ أهْلِ النّارِ ، واذْكُرْ أثَرَهُ في الشَّارِبِ .



١ـ وَرَدَ في سُورةِ الغاشِيَةِ بَيانٌ لِنَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الدَّالةَ على ذَلِكَ .

٢ـ ارْجِعْ إلى أَحَدِ كُتُبِ المَعاجِمِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ أَصْلَ اشْتِقاقِ لَفْظَيْ : سُنْدُسٍ ، وإسْتَبْرَقٍ ، واكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثّامنُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جنَّتين : بُسْتانَيْن .

حَفَفْناهُما : أحطْناهُما .

آتَتْ أُكُلَها : أعطَتْ ثِمارَها الَّتي تُؤْكَلُ .

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً : ولَمْ تُنْقِصْ مِنْ ثَمَرِها شَيْئاً .

فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهراً : شَقَقْنا الأَرْضَ وأجْرَينا بَيْنَ الأشْجارِ نَهراً .

نَفَرا : أعْواناً وعَشيرةً .

تَبيدُ : تَهلِكُ وتَفْنى .

مُنْقَلَباً : مَرْجعاً وعاقِبَةً .

لكنّا : لَكِنْ أنا ، حُذِفَتِ الهَمْزَةُ وأُدْغِمَتِ النُّونُ في النُّونِ .

هُوَ اللهُ ربِّي : أيْ أَقُولُ هُوَ اللهُ رَبِّي .



التفسيرُ :

﴿ ۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِعبادِهِ لِيَتَّعِظوا ويَبْتَعِدوا عَمَّا فيهِ مِنْ خِصالٍ مَذْمومةٍ ، ويَعْمَلوا بما جاءَ فيهِ مِنْ خِصالٍ حَميدةٍ ، والمَثَلُ المَضْروبُ : رَجُلانِ أَحَدُهُما كافِرٌ أُعْطِيَ مِنْ أنْواعِ المالِ ما جَعَلَهُ مُتعالِياً ، والآخَرُ مُؤْمِنٌ جَعَلَهُ إيمانُهُ يَطْمَئِنُّ إلى القَليلِ ويَرْضى بِهِ . وفيما يَلِي تَفْصيلٌ لِحالِ كُلٍّ مِنْ هذينِ الرّجلينِ ، أَمَّا الأَوَّلُ فَكانَ يَمْلِكُ بُسْتانَيْنِ جَميلَيْنِ ، فيهِما الأعْنابُ المُثْمِرَةُ ، ويُحيطُ بها أَشْجارُ النَّخيلِ ، وبَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنفَيْنِ أَصْنافٌ أُخْرى مِنَ الزُّروعِ المُتَنوِّعَةِ .

﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وكُلُّ واحِدَةٍ مِنَ الحَديقَتَيْنِ أَخْرَجَتْ ثِمارَها يانِعَةً طَيِّبَةً ، في غايَةِ الجُودَةِ والحُسْنِ ، ولَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئاً ، ويَجْري بَيْنَ الجَنّتَينِ وفي خِلالِهِما نَهَرٌ لِيَكونَ السَّقْيُ مِنْهُ أَيْسَرَ وأَسْهَلَ .

وفي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ تَصْويرٌ جَميلٌ لِمَنْظَرِ الحَديقَتَيْنِ المُثْمِرَتَيْنِ المُحاطَتَيْنِ بأَشْجارِ النَّخيلِ لِحمايَتِهِما ، وفيهِما أَنْواعُ الزّروعِ المُخْتَلِفَةُ وتَجْري فِيهِما الأَنْهارُ البَهيجَةُ .

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وكانَ لِلرَّجُلِ صاحبِ الجَنَّتينِ أَمْوالٌ أُخْرى سِوى الجَنَّتينِ يُثَمِّرُها ويُنَمِّيها ، فَهُوَ في نَعيمٍ كَبيرٍ ، وكانَ لَهُ أَوْلادٌ وَخَدَمٌ ، فَقالَ لِصاحِبِهِ المُؤْمِنِ وهُوَ يُراجِعُهُ في الكَلام ، ويَطوفُ بِهِ في الجَنَّتَيْنِ ، ويُرِيهِ ما فيهِما ويُفاخِرُهُ بما عِنْدَهُ مِنْ ثِمارٍ وأَمْوالٍ : أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأَكْثَرُ أَنْصاراً وخَدَماً وأَوْلاداً .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

واغْتَرَّ هذا الرَّجُلُ بما يَمْلِكُ مِنْ حُطامِ الدُّنيا ومَتاعِها ، وظَنَّ أَنَّهُ مُخَلَّدٌ فيهِ ، فَدَخَلَ إِحْدى جَنَّتَيْهِ وهُوَ مُتَمَرِّدٌ مُتَكَبِّرٌ مُنْكِرٌ لِلْبَعْثِ والمَعادِ ، وفي ذَلِكَ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ وكُفْرٌ لِلنِّعْمَةِ ، وقالَ عِنْدَما رَأى ثِمارَها وخُضْرَتَها : إنَّ جَنَّتَيْ هَذهِ لَنْ تَهْلِكَ أَبَداً .

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وَتَمادى في غَفْلَتِهِ وإعْجابِهِ بما يَمْلِكُ ، فَنَطَقَ بالكُفْرِ الصَّريحِ ، مُعْلِناً أَنَّه لا يُؤْمِنُ بيومِ القيامَةِ ، وأَنَّهُ عَلى افْتِراضِ حُصولِ ذَلِكَ فإنَّهُ سَيكونُ يَوْمَ القِيامةِ مالِكاً لأَحْسَنَ مِنْ جَنَّتَيْهِ هاتَيْنِ ، وسَتَكونُ

عاقِبتُهُ ومَرْجِعُهُ إلى خَيْرٍ ونَعيمٍ ، ظَنّاً مِنْهُ أنَّ ما أُعْطيهِ في الدُّنيا عَنِ اسْتِحْقاقٍ وأنَّهُ كَرامَةٌ مِنَ اللهِ لَهُ .

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

قالَ لهُ صاحِبُهُ المُؤْمِنُ وهُوَ يُراجِعُهُ ويُكَلِّمُهُ ويُناقِشُهُ الحَديثَ : أَكَفَرْتَ باللهِ حينَ قُلْتَ ﴿وما أظنُّ السَّاعةَ قائِمَةً﴾ وَهُوَ الَّذي خَلَقَكَ مِنَ التُّرابِ الَّذي خَلَقَ منهُ آدَمَ ، ثُمَّ تناسَلَتْ ذُرِّيَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النُّطْفَةِ الَّتي تَتَحَوَّلُ مِنْ ماءٍ مَهينٍ لِتُصْبِحَ رَجُلاً قَوِيّاً ومَخْلوقاً مُتَكامِلاً ، فَهَلْ يَسْتَحِقُّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهذِهِ النِّعَمِ الكُفْرَ وإنكارَ البَعْثِ ، وإنْ كُنْتَ كذلِكَ فأنا أَقولُ : إنَّ الّذي خَلَقَني وأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعَمِهِ هُوَ اللهُ رَبِّي ، وإنِّي لَنْ أُشْرِكَ بِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ والطّاعَةِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ على عِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ضَرْبُ المَثَلِ يُقَرِّبُ المَعْنى وَيُوَضِّحُهُ .

٢ـ حُصولُ نِعَمِ الدُّنْيا لِلْعَبْدِ لا يَعْني أَنَّهُ كَرامةٌ مِنَ اللهِ لَهُ ، بلْ قَدْ يَكونُ ابْتِلاءً واخْتِباراً .

٣ـ الكِبْرُ والغُرورُ يَقودانِ صاحِبَهُما إلى الشَّرِّ والكُفْرِ .

٤ـ المُكَذِّبُ بِالبَعْثِ والنُّشورِ كافِرٌ باللهِ ، لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ للهِ في خَبَرِهِ .

٥ـ المُؤْمِنُ وإِنْ كانَ فَقيراً فَهُوَ عَزيزٌ بِعِزَّةِ اللهِ لاَ يَهُونُ في مَجالِ المُواجَهَةِ مَعَ الكَفَرَةِ المُشْرِكينَ .

٦ـ المُؤْمِنُ دائِمُ النُّصْحِ لِغَيْرِهِ ، لا تَأْخُذُهُ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ .

٧ـ مِنْ أَساليبِ إقامَةِ الحُجَّةِ على مُنْكِري البَعْثِ تَذْكيرُهُم بالنَّشْأَةِ الأُولى في خَلْقِ أَبيهِمْ آدَمَ مِنْ تُرابٍ وَخَلَقَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ماءٍ مَهينٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وُصِفَتِ الجَنَّتانِ في الآياتِ الكَريمةِ ؟

٢ـ ما الَّذي جَعَلَ صاحِبَ الجَنَّتَيْنِ يُنْكِرُ البَعْثَ ؟

٣ـ ما أَصْلُ « لكنَّا » ؟ وكَيْفَ أصْبَحَتْ تُلفظُ هكذا ؟

٤ـ ما فائِدَةُ تَذْكيرِ الإنسانِ بأنَّ أصْلَ خَلْقِهِ مِنْ تُرابٍ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى الألفاظِ التَّاليةِ :

نفَراً ، تَبيدَ ، حفَفْناهُما ، مُنْقَلَباً .

نَشاطٌ :

١ـ قالَ اللهُ تعالى : ﴿فأمّا الإنسانُ إذا ما ابْتلاهُ ربُّهُ فأكْرَمَهُ ونعَّمَهُ فيَقولُ ربِّي أكْرَمَنِ﴾ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ هذا القَوْلِ وما قالَهُ صاحِبُ البُسْتانِ ؟ اكْتُبِ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ مِنْ فَهْمِكَ للآياتِ الكَريمةِ ، ارْسُمْ في دَفْتَرِكَ رَسْماً تَقْريبياً يُبيِّنُ صِفَةَ الجَنَّتَينِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ التّاسِعُ

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حُسْباناً : عَذاباً مُهْلِكاً .

صَعيداً : أَرْضاً جَرْداءَ لا نَباتَ فيها .

زَلَقا : مَلْساءَ .

غَوْراً : ذاهِباً في أَعْماقِ الأَرْضِ .

أُحيطَ بِثَمَرِهِ : هَلَكَتْ ثِمارُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْها شَيْءٌ .

يُقَلِّبُ كفَّيْهِ : يَضْرِبُ إِحْدى يَديهِ على الأُخْرى نَدَماً وحَسْرَةً .

خاويةً على عُروشِها : ساقِطةً على أَعْمِدَتِها وجُدْرانِها .

فئةٌ : جَماعةٌ .

الولايةُ : النُّصْرةُ والعَوْنُ .

خَيْرٌ عُقْبا : خَيْرٌ نتيجةً ونهايةً .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلامِ الرَّجُلِ المُؤْمِنِ لِصاحِبِ الجنَّتَيْنِ ، يَحُثُّهُ على ذِكْرِ اسْمِ اللهِ تعالى عِنْدَ دُخولِ حَديقتِهِ ، وأنْ يَعْتَرِفَ بأنَّ النِّعَمَ الَّتي عِنْدَهُ هِيَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعالى عليهِ ، فما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنِ ، وأنَّهُ لا قُدْرَةَ لأحَدٍ على فِعْلِ شَيْءٍ إلاَّ بإعانَةِ اللهِ لَهُ .

وهذا تَعْليمٌ مِنَ المُؤْمِنِ لِلْكافِرِ وتَوْبيخٌ لَهُ ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُ أنَّهُ لا يَجوزُ لَهُ أنْ يَحتَقِرَهُ ويَتكبَّرَ عليْهِ لأنَّهُ يَراهُ قَليلَ المالِ والأوْلادِ ، فَقالَ لَهُ :

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ .

هذا جَوابُ الشَّرْطِ ﴿إن ترن...﴾ المَذْكورِ في الآيةِ السَّابقةِ ، أيْ : واللهُ تعالى قادِرٌ على أنْ يُغيِّرَ هذا الحالَ ، فَيُعْطيَني مِنْ رِزْقِهِ خَيْراً مِمَّا عِنْدَكَ أيُّها الكافِرُ ، وأنْ يُرْسِلَ على جَنَّتِكَ الَّتي اغْتَرَرْتَ بِها عَذاباً مِنَ السَّماءِ كالصّاعِقَةِ ، فَتُصْبِحَ بَعْدَ أنْ كانتْ جَنَّةً مُثْمِرَةً يانِعَةً ، أرضاً جَرْداءَ خالِيَةً مِنَ النّباتِ والأشْجارِ ، مَلْساءَ لا يَسْتَقِرُّ عليْها شَيْءٌ ، خالِيَةً مِنَ الماءِ بسبَبِ ذَهابِهِ في باطِنِ الأرْضِ ، بحَيْثُ لا يُمْكِنُ اسْتِخْراجُهُ والإفادَةُ منْهُ . ولَمْ تَنْفَعْ هذهِ النّصيحةُ والمَوْعِظَةُ الكافِرَ فاسْتَمَرَّ على كُفْرِهِ ، ووَقَعَ ما حَذَّرَ منهُ المُؤْمِنُ :

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾

يَنْتقِلُ بنا السِّياقُ مِنْ مَشْهَدِ البَهْجَةِ والازْدِهارِ إلى مَشْهَدِ الدَّمارِ ، بَعْدَ أنْ هَلَكَتْ ثِمارُهُ وأمْوالُهُ ، سَقَطَتْ مُحْتَوياتُها على أعْمِدَتِها وجُدْرانِها ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها ما يَنْفَعُ أوْ يَسُرُّ . وتُبيِّنُ الآيةُ حالَ الكافِرِ يَضْرِبُ إحْدى يَدَيْهِ بالأُخْرى نَدَماً وتَحَسُّراً وألَماً لِما أَصابَهُ ، وَهُوَ يَتَذَكَّرُ مَوْعِظَةَ صاحبِهِ الّتي لَمْ يَنْتَفِعْ بها ، ويُعاتِبُ نَفْسَهُ على كُفْرِهِ وجُحودِهِ لِنِعَمِ اللهِ ، ويَتَمَنّى لو عادَتْ بهِ الأيامُ لِيُصْلِحَ عَمَلَهُ ويُغيِّرَ مسارَ حياتِهِ ، وهذا شأْنُ كلِّ مُقَصِّرٍ .

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

كانَ صاحِبُ الجَنَّتَيْنِ مُعْتَزًّا بمالِهِ وأعْوانِهِ ، مُعْتَمِداً عَلَيْهِما لِدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ ، إلاَّ أنَّه لَمّا وَقَعَ بهِ

عِقابُ اللهِ لَمْ يَنْفَعْهُ رِجالُهُ وأعْوانُهُ ، وما كانوا يَقْدِرُونَ عَلى دَفْعِ ما وَقَعَ بِهِ ونَصْرِهِ ، فأيْنَ قُدْرَةُ هؤلاءِ وأمْثالِهِمْ مِنْ قُدْرَةِ العَظيمِ القادِرِ على كُلِّ شَيْءٍ ، ولَمْ يَكُنْ لِيستَطيعَ هُوَ أنْ يَدْفَعَ عَنْ ذاتِهِ ومُلْكِهِ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهِ ، فَذَهَبَ ما كانَ يَعْتَزُّ بِهِ ويَفْخَرُ ، ولَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ ولا عِزَّةٌ ، وفي هذا أبْلَغُ الدَّلالَةِ على أنَّ الأُمورَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

ففي مِثْلِ هذهِ الأحْوالِ يَتَبَيَّنُ لِلنّاسِ أنَّ النَّصْرَ والعَوْنَ إنّما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وأنَّ المُلْكُ والقُوَّةَ والسُّلْطانَ للهِ الحَقِّ لا لِغَيْرِهِ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ خَيْرُ مَنْ يُثيبُ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ ، وعاقِبَةُ طاعةِ اللهِ تَعالى خَيْرٌ وأبْقى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُؤْمِنُ البَصيرُ بِدينهِ يَقِفُ مِنَ الكُفَّارِ مَوْقِفَ المُعَلِّمِ والمُربِّي ، كَفِعْلِ هذا المُؤْمِنِ مَعَ صاحِبِهِ الكافِرِ .

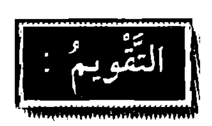
٢ـ قيمةُ المَرْءِ بإيمانِهِ لا بمالِهِ وسُلْطانِهِ .

٣ـ يَقولُ المُؤْمِنُ عندما يَرى ما يُعجِبُهُ : ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فإنَّه لا يَرى فيهِ مَكْروهاً بإذنِ اللهِ .

٤ـ يَسْتَجيبُ اللهُ تعالى لِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ ويُحَقِّقُ رَجاءَهُ فيهِ .

٥ـ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ نَصْرَ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ تعالى .

٦ـ قَدْ تُعَجَّلُ العُقوبَةُ لِلكافِرِ في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ كما فَعَلَ اللهُ بإهْلاكِهِ جَنَّةَ هذا الكافِرِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ كانَ الكافِرُ صاحِبُ الجَنَّتَيْنِ يُعامِلُ المُؤْمِنَ ؟

٢ـ من اعْتَزَّ بغَيْرِ اللهِ ذَلَّ ، بيِّنْ صِحَّةَ هذهِ العبارةِ مِنْ أحْداثِ القِصَّةِ .

٣ـ ما معنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ فَتُصْبِحَ صَعيداً زَلَقاً .

ب ـ يُقَلِّبُ كَفّيهِ .

ج ـ هُنالِكَ الوَلايةُ للهِ الحَقِّ .

٤ـ وازِنْ بَيْنَ حالِ الجَنَّتَيْنِ قَبْلَ الهَلاكِ وبَعْدَهُ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي مُوسى الأشْعرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ له : « أَلا أدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنوزِ الجَنَّةِ ؟ قُلْتُ : بَلى يا رَسولَ اللهِ ، قال : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ إذا قالَها العَبْدُ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ : أسْلَمَ عَبْدي واسْتَسْلَمَ »[1] .

نَشاطٌ :

ـ يَعْرِضُ طالِبانِ مَشْهَداً تَمْثيلِيّاً يَتضمَّنُ أحْداثَ القِصَّةِ وإبرازَ العِبْرَةِ منها .

* * *

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الذِّكرِ والدُّعاءِ ، باب رقم ١٣ ، رقم الحديث ٦٨٠٨ وأحمدُ في المسندِ برقم ٧٦٢٥ .

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَشيماً : يابِساً مُتَفَتِّتاً .

تَذْروهُ : تُفَرِّقُهُ وتَنْثُرُهُ .

الباقياتُ الصَّالِحاتُ : الأعْمالُ الصَّالِحَةُ الَّتي يَبْقى أجْرُها لِصاحِبِها .

بارِزَةً : ظاهِرَةً لا شَيْءَ عَلَيْها .

نُغادِرْ : نَتْرُكْ .

مُشْفِقينَ : خائِفينَ .

يا وَيْلَتَنا : يا هَلاكَنا .

أَحْصاها : أثْبَتَها وحَفِظَها .

حاضِراً : مُثْبَتاً في كتابِهِمْ .



التفسير :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِلْحَياةِ الدُّنيا في سُرْعَةِ انْقِضائِها وفَنائِها ، بماءٍ نَزَلَ مِنَ السّماءِ إلى الأرْضِ ، فَخَرَجَ بهِ النّباتُ وافِياً مُكْتَمِلاً ، ثمَّ أصْبَحَ هذا النَّباتُ مُتَكَسِّراً يابساً مُتَفَتِّتاً تُفَرِّقُهُ الرِّياحُ وتَنْثُرُهُ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشِّمالِ ، وهكذا مَصيرُ الدُّنْيا بَعْدَ الزِّينةِ والأموالِ والمَتاعِ إلى زَوالٍ وذَهابٍ .

﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مقتدراً﴾ فَقُدْرَتُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كامِلَةٌ ، ومِنْ جُمْلَةِ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ : الإفْناءُ والإنْشاءُ ، فلا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماءِ ، لا حَدَّ لِقُدْرَتِهِ ولا رادَّ لأمْرِهِ .

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ضَرَبَ اللهُ تعالى لِعبادِهِ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا الّتي يَغْتَرُّ بها كَثيرٌ مِنَ النّاسِ ، بَيّنَ لَهُمْ حَقيقةً أُخْرَى لِيَنْتَفِعوا بها ، وَهِيَ أنَّ الأمْوالَ والأوْلادَ زِينةُ الحياةِ الدُّنْيا لا غَيْرُ ، ثُمَّ يَبيدانِ ويَذْهبانِ ، فلا يَجوزُ لأحَدٍ أنْ يَغْتَرَّ بِهِما ، ولا أنْ يَجْعَلَهُما هَمَّهُ في حَياتِهِ ، فَيَصْرِفانِهِ عَنِ العَمَلِ الصّالحِ ، ولِذا وَجَّهَ اللهُ عِبادَهُ لِما هُوَ أحْسَنُ لَهُمْ وأكْثَرُ ثَواباً مِنَ التَّعلُّقِ بالأمْوالِ والأوْلادِ ، والغَفْلَةِ عَنِ العَمَلِ والطّاعةِ ، ألا وَهُوَ : الأعْمالُ الصّالِحَةُ ، فَهِيَ الّتي تَبقى ثَمَرَتُها للإنْسانِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، ويَنالُ بها صاحِبُها في الآخِرَةِ كلَّ ما كانَ يُؤَمِّلُهُ في الدُّنْيا .

فَجَديرٌ بالمُؤْمِنِ أنْ لا يَتعلَّقَ بالأمْوالِ والأولادِ لأنَّهُما زائِلانِ ، ويَتَعلَّقَ بالأعْمالِ الصّالِحَةِ لأنَّها هِيَ الباقِيةُ ، وَسَيَجِدُ ثوابَها في الآخِرَةِ ، ويَتَحَقَّقُ لَهُ ما كانَ يُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزاءٍ .

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تعالى فَناءَ الدُّنْيا ، ذَكَرَ مَشاهِدَ مِنْ يَوْمِ القِيامَةِ ، ومِنْها : تَسييرُ الجبالِ وإزالَتُها ، فَتُصْبِحُ هَباءً مُنْبَثّاً لا أَثَرَ لَها كأنْ لَمْ تَكُنْ ، وبِذَلِكَ تُصْبِحُ الأَرْضُ ظاهِرَةً مِنْ جَميعِ جَوانِبِها ، لا جِبالَ فيها ولا وُدْيانَ ، فَهِيَ أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ لا ارْتِفاعَ فيها ولا انْخِفاضَ ، ويَجْمَعُ اللهُ تَعالى النّاسَ كُلَّهُمْ بَعْدَ أنْ يَبْعَثَهُم مِنَ القُبورِ ، لا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وهذا مَشْهَدٌ آخَرُ مِنْ مَشاهِدِ يَوْمِ القيامةِ .

وفي التّعبيرِ عنِ الحَشْرِ بالفِعْلِ الماضِي ما يَدُلُّ على تَحقُّقِ حُصُولِهِ ، وأَنَّهُ كائِنٌ بلا رَيْبٍ ، فلا وَجْهَ لإنكارِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ ما يَحْصُلُ بَعْدَ حَشْرِ النّاسِ جَميعاً :

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وبَعْدَ الحَشْرِ يَكونُ العَرْضُ والحِسابُ ، فَكُلُّهُمْ ظاهِرونَ لا يَحْجُبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَداً ، وهُمْ مُصْطفّونَ صُفوفاً بحَسَبِ أُمَمِهِمْ وأَصْنافِهِمْ ، قَدْ أُعيدَ خَلقُهُمْ ، وهُمُ اليَوْمَ مَحْشورونَ مُجَرّدونَ مِنَ الثِّيابِ والأَعْوانِ ، لا يَمْلِكونَ شَيْئاً يَتفاخَرونَ بِهِ ، ويُقالُ لَهُمْ : لَقَدْ جِئْتُمونا فُرادَى حُفاةً عُراةً ، وكُنْتُمْ تَزْعُمونَ أَنْ لا بَعْثَ ولا حِسابَ .

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وعِنْدَ الحِسابِ يُوضَعُ كِتابُ كُلِّ امْرِئٍ بيدِهِ ، في يَمينِهِ أَوْ في شِمالِهِ ، والَّذي يُوضَعُ كِتابُهُ بِشمالِهِ يَكونُ خائِفاً مِمَّا يَنْتَظِرُهُ مِنْ سُوءِ المَآلِ ، فَقَدْ أَجْرَمَ بِحَقِّ نفسِهِ ، وسَيدعو هَؤلاءِ الَّذينَ يُوضَعُ كِتابُهُمْ بِشمالِهِمْ على أنْفُسِهِم بالهَلاكِ وهُمْ يَنْظُرونَ في كتابِهِمْ ، ويَجِدونَ فيهِ كُلَّ ما عَمِلوهُ ، صغيراً كانَ أَوْ كبيراً ، واللهُ تعالى لا يَظْلِمُ أحَداً ، وسَيُجازِيهِمْ حَسَبَ أَعْمالِهِمْ فلا يُعاقِبُ أحَداً بِغَيْرِ جُرْمٍ ، ولا يُنْقِصُ مِنْ ثَوابِ المُحْسِنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيانُ حَقيقَةِ الدُّنْيا وسُرْعَةِ انْقِضائِها وعَدَمِ جَوازِ الاغْترارِ بها .

٢ـ على العاقِلِ أنْ يُقَدِّمَ الباقي على الفاني ، والآخِرَةَ على الدُّنْيا .

٣ـ الانْشِغالُ بالأَعْمالِ الصّالِحَةِ الَّتي يُرادُ بها الآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الانْشِغالِ بِزينةِ الدُّنْيا مِنَ الأَمْوالِ والأَوْلادِ .

٤ـ إِثْباتُ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وما يَتلوهُ مِنْ حِسابٍ وجَزاءٍ .

٥ـ نَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللهِ تعالى .

٦ـ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ فَلا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَداً .

٧ـ بَيانُ الحالَةِ الَّتي يُبْعَثُ عَلَيْها النّاسُ .



التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنِ المَثَلَ المَضْروبَ لِلحياةِ الدُّنْيا ، وما تَسْتَفيدُ مِنْهُ ؟

٢ـ لماذا يَدعو المُجْرِمُ على نَفْسِهِ بالوَيْلِ والهَلاكِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَعْنَى ما يلي :

أـ فأصْبَحَ هَشيماً تَذْروهُ الرِّياحُ .

ب ـ وتَرى الأَرْضَ بارِزَةً .

ج ـ ووُضِعَ الكِتابُ .

دـ لا يُغادِرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إلاّ أَحْصاها .

تَعَلَّمْ :

عَنْ عائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ قالَتْ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً[1] ، فَقُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ الرِّجالُ والنِّساءُ جَميعا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ؟ قال : الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أنْ يَهُمُّهُم ذَلِكَ »[2] .

نَشاطٌ :

١ـ الأَعْمالُ الصَّالِحَةُ هيَ الباقياتُ الصَّالِحاتُ ، اكْتُبْ فِي دَفْتَرِكَ خَمْسَةً مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ .

٢ـ اذكُرْ آيةً مِنْ سُورةِ النَّبأ وأُخْرى مِنْ سورةِ القارِعَةِ فيهما ذِكْرُ تَسييرِ الجبالِ ونَسْفِها وإزالَتِها ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى سورةِ يُونُسَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها آيةً تُشْبِهُ الآيَةَ الخامِسَةَ والأَرْبعينَ مِنْ سُورةِ الكَهْفِ ، وسَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الآيتَيْنِ .

---

(١) غُرْلاً : غيرَ مختونينَ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الرقاقِ ، بابِ الحَشْرِ ، رقم الحديث : ٦٥٢٧ ورواه مسلم في كتابِ الجنَّةِ ، بابِ فَناءِ الدُّنيا ، رقم الحديث : ٧٣٠٠ .

الدَّرسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَسَقَ : خَرَجَ عنِ الطّاعةِ .

المُضِلِّينَ : الّذينَ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ .

عَضُداً : أعْواناً .

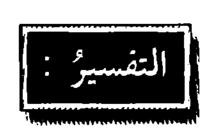
مَوْبِقاً : حاجِزاً .

مُواقِعوها : داخِلوها .

مَصْرِفاً : مَهْرَباً .

صَرَّفْنا : أَعَدْنا القَوْلَ بأساليبَ مُخْتَلِفةٍ .

جَدَلاً : خُصومةً في الباطِلِ .



التفسيرُ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ .

أمَرَ اللهُ تعالى الملائِكَةَ أَنْ يَسْجُدوا لآدَمَ سُجودَ تَحيَّةٍ وتَكْريمٍ لا سُجودُ عِبادةٍ وتَعْظيمٍ ، فَسَجدوا طائِعينَ لأَمْرِ ربِّهِمْ ، لكنَّ إبْليسَ لَمْ يَسْجُدْ وَعَصَى أَمْرَ رَبِّهِ . وقَدْ كانَ إبليسُ مِنَ الجِنِّ لا مِنَ المَلائِكَةِ ، وإنَّما أُلْحِقَ بهِمْ لِما كانَ يُظْهِرُهُ مِنَ الطَّاعَةِ وكَثْرَةِ العِبادَةِ ، فَدَخلَ في جُمْلَةِ المَأْمورينَ بالسُّجودِ .

هذا مَوْقِفُ إبْليسَ مِنْ أَبينا آدَمَ عَليْهِ السّلامُ ، فَكَيْفَ نُطيعُهُ ونُواليهِ مِنْ دونِ اللهِ وَهُوَ عَدوُّنا وعَدوُّ أَبينا مِنْ قَبْلُ ، وقَدْ أَقْسَمَ أنْ يُغويَ البَشَرَ ويُضِلَّهُمْ ، فمَنْ أطاعَهُ كانَ مِنَ الظّالِمينَ ، وكانَ مُسْتَبْدِلاً طاعَتَهُ واتِّباعَهُ بِطاعةِ اللهِ العَظيمِ ، وبِئْسَ ما صَنَعَ بهذا الاسْتِبْدالِ الظالِمِ .

وفي الآيةِ دَليلٌ على أنَّ الشَّياطينَ يَتوالَدونَ ، وأنَّ لإبْليسَ ذُرِّيَّةً مِثْلَهُ في الشَّرِّ والإفسادِ .

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

لم يَكُنْ إبْليسُ وذُرِّيَّتُهُ حاضِرينَ عِنْدَما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرْضَ ، كَما لَمْ يَكُنْ بَعْضُهُمْ حاضِراً خَلْقَ باقيهِمْ ، فَهُمْ مِثْلُكُمْ أيُّها البَشَرُ عاجِزونَ مَخْلوقونَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَسْتعينُ بأَحَدٍ في خَلْقِهِ وتَدْبيرِهِ لِهَذا الكَوْنِ ، فَهُوَ الغَنيُّ عَنْهُمْ ، فكيفَ تَظنُّونَ أنَّهُ اسْتَعانَ بِمَنْ يُضِلّونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الشَّياطينِ ونَحْوِهِمْ على خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ، أَوْ على خَلْقِ بَعْضِهِمْ .

ففي الآيةِ دليلٌ عَلى ضعفِ الشّياطينِ ، وتَبْيينُ عَظَمَةِ اللهِ المُطْلَقَةِ واسْتِغْنائِهِ عَنْ سائِرِ المَخْلوقاتِ .

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ .

ويَوْمَ القيامةِ يَطْلُبُ اللهُ تَعالى مِنَ النّاسِ أنْ يَدعُوا مَنْ كانوا يَعْبُدونَهم مِنْ دونِهِ سُبْحانَهُ ، لِيَكونوا لَهُمْ شُفَعاءَ ونُصَراءَ ، وَحينَ يَدْعو العابِدونَ مَنْ كانوا يَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مِنْ أصْنامٍ وأَوْثانٍ ، أَوْ مِنَ الشَّياطينِ أَوْ مِنَ البَشَرِ ، فإنَّ هَؤلاءِ المَعْبودينَ لا يَستطيعونَ الاسْتِجابَةَ لَهُمْ ، فإنَّهم عاجِزونَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ كانوا يَعْبُدونَهُم فاصِلٌ وحاجِزٌ عَظيمٌ ، فإذا كانَ هَذا حالُ هَؤلاءِ

المَعْبودينَ يَوْمَ القيامَةِ ، فَكَيْفَ تَصِحُّ عِبادَتُهُمْ ، وهُمْ عاجزونَ عَنْ نُصْرَةِ أنفُسِهِم وغَيْرِهِمْ ؟

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ ﴾ .

ويَوْمَ القيامةِ يَرى الكافرونَ النّارَ عَياناً ، فَيوقِنونَ أنَّهُمْ داخِلوها وَواقِعونَ فيها ، لا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْها ، ولا مَكانَ غَيْرَها يَأْوونَ إليْهِ ، فَقَدْ أَحاطَتْ بِهِمُ النّارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، نَعوذُ باللهِ تَعالى مِنَ النّارِ وعَذابِها .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝ ﴾ .

مِنْ رحمةِ اللهِ تعالى وحكمتِهِ أنْ جَعَلَ في هذا القُرْآنِ ذِكْرَ الشَّيْءِ الواحِدِ بأكثرَ مِنْ أُسْلوبٍ ، وعَرَضَ المَعْنى لِلنَّاسِ بِصِيَغٍ مُتَنوِّعَةٍ ، وضَرَبَ الأَمْثالَ لَهُمْ لِيَتَذَكَّروا وَيَتَّعِظُوا بذلكَ ويُؤْمِنوا ، ولكنَّ الإنْسانَ هُوَ أكْثَرُ المَخْلوقاتِ خُصومَةً في الباطِلِ ، وجِدالُهُ أكْثَرُ مِنْ جِدالِ كلِّ مُجادِلٍ ، فمُعْظَمُ البَشَرِ لَمْ يَنْتَفِعوا مِنْ هذهِ الآياتِ المُتَنوِّعةِ والأَمْثالِ المَضْروبةِ لَهُمْ بسببِ جِدالِهِم بالباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَقْريرُ عَداوةِ إبْليسَ وَذُرِّيَّتِهِ لِبَني آدَمَ .

٢ـ إبْليسُ مِنَ الجِنِّ ولَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ .

٣ـ على المُؤْمِنْ أنْ يَحْذَرَ مِنْ أنْ يُوقِعَهُ الشَّيْطانُ في حَبائِلِهِ .

٤ـ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أَحَدٌ سِوى اللهِ .

٥ـ الخِزْيُ والعارُ لِلْمُشْركينَ يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ يَدْعونَ شُرَكاءَهُمْ فلا يَسْتَجيبونَ لَهُمْ ، وَيَدْخُلونَ جَهنَّمَ جَزاءَ شِرْكِهِمْ .

٦ـ بَيانُ أنَّ الإنْسانَ هُوَ أكْثَرُ المَخْلوقاتِ جَدَلاً وخُصومَةً .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ كَيْفَ دَخَلَ إبْليسُ ضِمْنَ الخِطابِ لِلملائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ وَهُوَ مِنَ الجِنِّ ؟

٢ـ في الآياتِ أمثلةٌ عِدَّةٌ على عَدَمِ اسْتحقاقِ غَيْرِ اللهِ تعالى العِبادَةَ ، اذْكُرِ اثنينِ مِنْها .

٣ـ بيِّنْ بإيجازٍ معنى كُلٍّ ممّا يأتي :

أـ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ ربِّهِ .

ب ـ وكانَ الإنْسانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً .

٤ـ اللهُ تعالى غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ ، اذْكُرْ آيةً مِنَ الدّرْسِ تُؤَكِّدُ هذا المَعْنى .

نَشاطٌ :

- اكْتُبِ الآيَةَ الَّتي وَرَدَ فيها سُجودُ المَلائِكَةِ لآدَمَ في سورَةِ البَقَرَةِ ، وبيِّنْ وَجْهَ شَبَهِها بالآية الخمسينَ من سورةِ الكهف .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قُبُلاً : عِياناً ومُقابَلَةً .

لِيُدْحَضُوا : لِيُبْطِلوا ويُزيلوا .

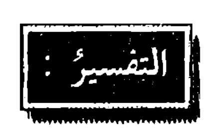
هُزواً : اسْتِهْزاءً وسُخْرِيَةً .

أكِنّةً : أغْطِيَةً مانِعَةً .

وَقْراً : صَمَماً وثِقلاً في السَّمْعِ .

مَوْئِلاً : مَنْجىً ومَلْجأً .

لِمَهْلِكِهِم : لِهَلاكِهِمْ .



﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ أنَّ السَّبَبَ المانِعَ لِلنّاسِ مِنَ الإيمانِ والاسْتِغْفارِ بَعْدَما جاءَهُمُ الهُدَى هُوَ طَلَبُهُمْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ العَذابِ الَّذي نَزَلَ بالَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ عِياناً يُشاهِدونَهُ ويَنْظُرونَ إليهِ .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ مَهَمَّةَ الرُّسُلِ الكِرامِ هِيَ الهِدايةُ والدَّعْوَةُ إلى الخَيْرِ ، وتَبشيرُ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وعَمِلَ صالحاً بالجَنَّةِ ، وإنذارُ مَنْ كَفَرَ بِهِم وعَمِلَ سُوءاً بالنّارِ . إلاّ أنَّ الكافِرينَ يُكابِرونَ ويَطْلُبونَ مِنَ الرُّسُلِ دَلائِلَ تُثْبِتُ صِدْقَهُمْ ويُجادِلونَهُم مُكابَرَةً وعِناداً بالباطِلِ لِيَغْلبوا بِهِ الحَقَّ ويُبطِلوهُ ، فَهُمْ حينَ يَطْلُبونَ المُعْجِزاتِ ويَسْتَعْجِلونَ العَذابَ لا يُريدونَ الإيمانَ ، وإنّما يَسْتَهْزِئونَ ويَسْخَرونَ بآياتِ اللهِ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

لا أحَدَ أظْلَمُ مِمَّنْ وُعِظَ بآياتِ اللهِ البَيِّنَةِ ، وحُجَجِهِ السّاطِعَةِ ، وشَواهِدِ عَظَمَتِهِ العَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ ، فَتَعامَى عَنْها وتَناساها ولَمْ يُلْقِ لَها بالاً ، ونَسِيَ ما عَمِلَهُ مِنَ الأفْعالِ القَبيحةِ ، ولم يُفكِّرْ في عاقِبَتِها ، وذَلِكَ بسببِ وُجودِ أَغْطِيَةٍ على قُلوبِهِمْ تَمْنَعُ وُصولَ الإيمانِ ، وصَمَمٍ في آذانِهِمْ يَمْنَعُ سَماعَ الحَقِّ ، فَهُمْ مَهْما دُعوا إلى الحَقِّ فَلَنْ يَسْتَجيبوا لَهُ مُطْلَقاً .

وإسْنادُ الفِعْلِ إلى اللهِ في قَوْلِهِ : « جَعَلْنا » يَدُلُّ على ثُبوتِ الأمْرِ ودَوامِهِ .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كَثيرُ المَغْفِرَةِ ، واسعُ الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤاخِذُ النَّاسَ لِما يَفْعَلونَهُ مِنَ الذُّنوبِ والمَعاصِي لَعَجَّلَ لَهُمُ العُقوبَةَ ، ولأَهْلَكَهُمْ جميعاً ، ولكنَّهُ يُؤَخِّرُ عَذابَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ ، وإمْهالاً لَعَلَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُ أَوْ يُؤْمِنُ ، ولَكِنْ إذا حانَ وَقْتُ عَذابِهِمْ سَواءٌ أكانَ ذلكَ في الدُّنْيا ؛ كَما حَصَلَ لِلْمُشْرِكينَ في بَدْرٍ ونَحْوِها ، أمْ كانَ في الآخِرَةِ ، فإنَّهُم لَنْ يَجِدوا مِنَ العَذابِ مَنْجىً ولا مَلْجَأً .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وهذهِ الأقوامُ أمْثالُ عادٍ وثَمودَ وأصْحابِ مَدْيَنَ وقَوْمِ لُوطٍ ، لَمَّا اسْتَحقّوا العذابَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وحانَ الوَقْتُ الَّذي أَرادَهُ اللهُ لِهَلاكِهِمْ حَصَلَ ما أَرادَهُ اللهُ في مَوْعِدٍ لا مَحيدَ عَنْهُ ، فلا يَغْتَرَّ الظّالِمونَ بِتَأخيرِ العَذابِ ، فإنَّ اللهَ تعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَهَمّةُ الرُّسُلِ هِيَ التَّبْشيرُ والإنْذارُ ، لا إكْراهَ النّاسِ على الإيمانِ .

٢ـ الاسْتِمْرارُ في ارْتِكابِ السَّيِّئاتِ يُؤَدّي إلى رَفْضِ الخَيْرِ ، والحِرْمانِ مِنَ الهِدايَةِ .

٣ـ عِظَمُ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبادِهِ بتأخيرِ العَذابِ عَنْ مُسْتَحقِّيهِ إلى أجَلٍ مُسَمّىً ، رَحْمَةً بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُؤْمنونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ أوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ قُبُلاً .

ب ـ وفي آذانِهِم وَقْراً .

ج ـ وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِداً .

٢ـ ما السَّبَبُ الّذي مَنَعَ الكافِرينَ مِنَ الاهْتِداءِ ؟

٣ـ لِماذا لا يُعَجِّلُ اللهُ العَذابَ لِمُسْتَحِقِّيهِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ تَذْكيرِ المُشْرِكينَ بالأَقْوامِ الّذينَ أُهْلِكوا مِنْ قَبْلِهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ حادِثَةً تَدُلُّ على سُخْرِيَةِ كُفّارِ مَكَّةَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٢ـ اكْتُبْ ما قالَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ لِمَلَكِ الجِبالِ عِنْدَما جاءَهُ لِتَدْميرِ مَكَّةَ على أَهْلِها الكافِرينَ .

الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عَشَرَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا أَبْرَحُ : لا أزالُ أسيرُ .
مَجْمَعُ البَحْرينِ : مُلتقاهُما .
حُقُباً : زَمَناً طويلاً .
سَرَباً : مَسْلَكاً وَمَنْفَذاً .
نَصَباً : تَعَباً وَشِدَّةً .
أَرَأَيْتَ : أَخْبِرني ، تَذَكَّرْ .
أَوَينا : التَجَأْنا .
عَجَباً : أَمْراً يُتَعَجَّبُ مِنْهُ .
نَبْغِ : نَطْلُبُ .

فارْتَدّا	: رَجَعا .
آثارِهِما	: طَريقِهِما الّذي سَلَكاهُ .
قَصَصا	: يَتَتَبّعانِ آثارَهُما .
رَشَداً	: صَواباً .
خُبْراً	: عِلْماً وَمَعْرِفَةً .

التفسيرُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

أيْ اذْكُرْ وَقْتَ أنْ قالَ موسى لِلْفَتى الّذي كانَ يُلازِمُهُ ويَخْدِمُهُ ، واسْمُه : يوشَعُ بنُ نونٍ ، كَما وَرَدَ في الحَديثِ الصَّحيحِ : سَأَسْتَمِرُّ في السَّيْرِ حتّى أبْلُغَ مَكانَ الْتِقاءِ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ في هذا السَّيْرِ أَزْمِنَةً طويلةً .

وسَبَبُ هذهِ الحادِثَةِ ، كما ورَدَ في الحَديثِ ، أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ قامَ خَطيباً في بَني إسْرائيلَ ، فَسُئِلَ : أيُّ النّاسِ أعْلَمُ ؟ فقالَ : أنا ، فَعَتِبَ اللهُ عَلَيْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إليْهِ ، فأَوْحى اللهُ إليْهِ : إنَّ لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ ، قالَ موسى : يا ربِّ فَكَيْفَ لي بِهِ ، قال : خُذْ مَعَكَ حُوتاً فاجْعَلْهُ في مِكْتَلٍ فحيثُما فَقَدْتَ الحُوتَ ، فَهُوَ ثَمَّ . . .[1] فَمَجْمَعُ البَحْرَيْنِ هو المَوْضِعُ الّذي سَيَلْتَقي فيهِ موسى مَعَ العَبْدِ الصّالِحِ . وقَدْ عَزَمَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ على هذا اللِّقاءِ ولَو اسْتَغْرَقَ مِنْهُ زَماناً طَويلاً ، وطَلَبَ موسى مِنْ فَتاهُ أنْ يَحْفَظَ الحوتَ ، ويُبَلِّغَهُ إذا حَدَثَ لَهُ حادِثٌ .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ .

فلمّا وَصَلَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ وفَتاهُ إلى مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ، نامَ موسى عِنْدَ صَخْرَةٍ ، وهُناكَ أحيا اللهُ الحوتَ ودَخَلَ البَحْرَ ، وسَلَكَ طَريقاً في البَحْرِ جَعَلَهُ اللهُ تعالى كالنَّفَقِ ، ولَمْ يَعُدِ الماءُ في المَوْضِعِ الّذي سَلَكَهُ الحوتُ كما كانَ ، بل بَقِيَ كالنَّفَقِ لِيَدُلَّ موسى على مَوْضِعِ لِقائِهِ بالعَبْدِ الصّالِحِ . والمَقْصودُ بالحوتِ : نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ ولَيْسَ أعْظَمَ أنواعِها حَجْماً ، ولكنَّ الفتى نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ لِموسى ما كانَ مِنْ أَمْرِ الحوتِ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢١٧ ، رقم الحديث : ٤٤٥٠ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

وبَعْدَ أنِ اسْتَيْقَظَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ سارَ ومَعَهُ فَتاهُ بَقِيَّةَ اليَوْمِ واللَّيْلِ ، فلمّا كانا في الغَدِ ، وَتَجاوزا المَوْضِعَ المُحَدَّدَ لِلقاءِ موسى بالعَبْدِ الصَّالِحِ شَعَرا بالتَّعَبِ ، وطَلَبَ موسى مِنْ فتاهُ أن يُقدِّمَ لَهُ الطَّعامَ ، وَهُوَ الحوتُ .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

عِنْدَما طَلَبَ موسى مِنْ فَتاهُ الطَّعامَ ، ذَكَّرَهُ الطَّعامُ بالحوتِ ، فَقالَ لِموسىٰ عَلَيْهِ السّلامُ : أَتَذْكُرُ حِينَ نِمْنا على الصَّخْرَةِ بالأمْسِ ، لَقَدْ خَرَجَ الحوتُ مِنَ الوِعاءِ وسارَ في البَحْرِ تاركاً خَلْفَهُ أَثَرَ مَسيرِهِ في الماءِ كالنَّفَقِ ، وهَذا أَمْرٌ عَجيبٌ حَقّاً أَنْ يَحْصُلَ في الماءِ ، ولَقَدْ نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بأَمْرِ ما حَصَلَ لِلحوتِ ، ولمْ ينسِني ذَلِكَ إلاَّ الشَّيْطانُ .

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

قالَ موسى عليهِ السَّلامُ : هذا الَّذي ذَكَرْتَهُ مِنْ أَمْرِ الحوتِ هُوَ ما نَطْلُبُهُ ، لأنَّهُ عَلامةٌ على مَكانِ لِقاءِ الرَّجُلِ الصّالحِ ، فَرَجَعا مِنَ الطَّريقِ الَّذي جاءا مِنْهُ يَتَتَبَّعانِ أَثَرَهُما حتّى وَصَلا إلى الصَّخْرَةِ .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

فَوَجَدا الرّجُلَ الصالحَ الَّذي حَضَرَ موسى ـ عليهِ السّلام ـ لِلقائِهِ ، وَهُو الخَضِرُ كما وَرَدَ في الحديثِ[1] ، وكانَ مُتَغَطِّياً بثوبٍ ، فَسَلَّمَ عليهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فَقالَ : وأَنَّى بأرْضِكَ السَّلامُ ؟ اسْتَغْرَبَ مِنْ سَماعِهِ لَفْظَ السَّلامِ وَهُوَ بأرْضٍ لا يَعْلَمُ وُجودَ مُسْلِمينَ فيها .

ومَدَحَ النَّصُّ الخَضِرَ مُخْبِراً أَنَّ اللهَ وَهَبَهُ نِعْمَةً عَظيمةً وفَضْلاً كَبيراً ، وعَلَّمَهُ عِلْماً امتازَ بِهِ حتّى على النبيِّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُوَ كَرامةٌ مِنَ اللهِ تعالى لِهذا العَبْدِ الصَّالِحِ .

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

اسْتَأْذَنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الخَضِرِ أنْ يُلازِمَهُ لِيَتَعلَّمَ مِنْ عِلْمِهِ الصَّوابَ والخَيْرَ ، وهذا تَواضُعٌ مِنَ النّبيِّ الكَريمِ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ وخِطابٌ فيهِ تلطُّفٌ وتأدُّبٌ ، ولا مانِعَ أنْ يَتَعلَّمَ المَرْءُ مِمَّنْ هُو دونَهُ في المَنْزِلَةِ ، وهذا لا يُنْقِصُ مِنْ قَدْرِهِ وشَرفِهِ .

---

(١) روى البخاريُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنّما سُمِّيَ الخَضِرَ لأنَّهُ جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فإذا هي تَهتَزّ من خَلْفِهِ خضراءَ » ومعناهُ أنَّهُ جلسَ على قطعةِ نباتٍ يابسةٍ فاخضَرَّتْ كرامةً لَهُ . (صحيحُ البخاريِّ ، كتابُ الأنبياءِ ، باب ٢٩ ، رقم الحديث : ٣٢٢١ .

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

قالَ الخَضِرُ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ : إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ الصَّبْرَ على ما تراهُ مِنّي ، وكَيْفَ تَصْبِرُ على أَمْرٍ ظاهِرُهُ مُنْكَرٌ وأَنْتَ لاتعْلَمُ حقيقَتَهُ ؟ ولم تُحِطْ بهِ عِلْماً ومَعْرِفَةً ؟

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ : سَتراني إنْ شاءَ اللهُ صابِراً مَعَكَ ، غَيْرَ مُنْكِرٍ عَلَيْكَ ما تَفْعَلُهُ ، مُطيعاً لأَمْرِكَ وإنْ لمْ يَكنْ موافِقاً لِما أرْغَبُ فيهِ .

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

أَذِنَ لَهُ في الاتِّباعِ مُشْتَرِطاً عَلَيْهِ أنْ لا يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ منْ أَفْعالِهِ ولا يَعْتَرِضَ عَلَيْها ، أَوْ يُناقِشَهُ فيها ، حتى يُعلِمَهُ الخَضِرُ بهِ ، ويُبيِّنَهُ لَهُ بنفسِهِ ، مُبْتَدِئاً بِذلِكَ دونَ سؤالٍ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَقَبِلَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ ذَلِكَ رِعايةً لأدَبِ المُتَعَلِّمِ مَعَ العالِمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحْبابُ الرِّفْقَةِ في السَّفَرِ ، وأنْ يَخْدِمَ التِّلْميذُ أُسْتاذَهُ .

٢ـ مَشْروعيَّةُ الرِّحْلَةِ في طَلَبِ العِلْمِ كما رَحَلَ موسى إلى العَبْدِ الصَّالِحِ .

٣ـ عُروضُ النِّسيانِ لِلْمَرْءِ ولَوْ كانَ صالِحاً .

٤ـ حُسْنُ خُلُقِ نَبيِّ اللهِ موسى ، حيث لَمْ يُبَكِّتْ موسى فَتاهُ على نِسْيانِهِ .

٥ـ نِسْبَةُ الأفْعالِ الذَّميمةِ والقبيحةِ إلى الشَّيْطانِ .

٦ـ الرُّجوعُ إلى الصَّوابِ عِنْدَ تبيُّنِهِ ، فَقَدْ رَجَعَ موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ وفَتاهُ إلى مَكانِ اللِّقاءِ بَعْدَ أنْ تجاوَزاهُ .

٧ـ تَواضُعُ طالِبِ العِلْمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على ماذا يَدُلُّ قولُ موسى عَليْهِ السَّلامُ : ﴿لا أبْرَحُ حتّى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ ؟

٢ـ كَيْفَ تَسْتَنْبِطُ مِنَ الآياتِ أنَّ الفَتى عَلِمَ بأَمْرِ الحوتِ عِنْدما نَزَلَ إلى الماءِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ ثَلاثةً مِنْ آدابِ المُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ .

٤ـ هلْ تَنْقُصُ مَنْزِلَةُ المَرْءِ إذا تَعَلَّمَ مِمَّنْ هو دونَهُ في المَنْزِلَةِ ؟ وما دَليلُ إجابَتِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ تأمَّلْ في الآيَتَيْنِ : ٦١ ، ٦٣ ، واسْتَخْرِجِ الفَرْقَ بَيْنَ التَّعْبيرِ هُنا بـ(عَجَباً) والتعبيرِ في الآيةِ السابقةِ ٦١ بـ(سَرَباً) واكْتُبهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ قَصُّ الأَثَرِ وتَتَبُّعُهُ أَمْرٌ يَحتاجُ إلى فِطْنةٍ وخِبْرَةٍ ، اذكر حادِثَةً مِنَ السِّيرةِ النَّبويَّةِ وَرَدَ فيها حَديثٌ عَنْ قَصِّ الأثَرِ .

* * *

الدَّرسُ الرابِعَ عشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إِمْراً : عَظيماً .

لا تُرْهِقْني : لا تُكلِّفْني .

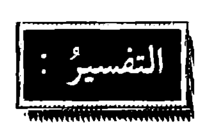
عُسْرا : مَشَقَّةً وصُعوبةً .

زَكيَّةً : بَريئةً مِنَ الذُّنوبِ .

نُكْراً : مُنكَراً .

فأبَوْا : فامْتَنعوا .

يَنْقَضُّ : يَسْقُطُ .



تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ أحْداثَ رِحْلَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ العَبْدِ الصّالِحِ . قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

فانْطَلَقَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والعَبْدُ الصَّالِحُ يَمْشِيانِ عَلى السّاحِلِ ، فَمَرَّتْ سَفينةٌ فَطَلَبا مِنْ أَصْحابِها أنْ يَحْمِلوهُما ، فعَرَفوا الخَضِرَ فَحَملوهُما دونَ أَجْرٍ ، فَعَمَدَ الخَضِرُ ـ على حينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَصْحابِ السَّفينةِ ـ إلى لَوْحٍ مِنْ أَلواحِ السَّفينةِ فاقْتَلَعَهُ بفأسٍ ، فأنْكَرَ عَلَيْهِ موسى ـ عليه السّلامُ ـ فِعْلَهُ ناسياً ما عاهَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الاعْتِراضِ على ما يَفْعَلُ قائِلاً لَهُ : قَوْمٌ حَمَلونا بغيرِ أجْرٍ عَمَدْتَ إلى سفينَتِهِمْ فَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها ، لَقَدْ فَعَلْتَ أَمْراً عَظيماً .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

قالَ الخَضِرُ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُنْكِراً عَلَيْهِ سُؤالَهُ ومُذَكِّراً لَهُ بَوعْدِهِ ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ أَنَّكَ لا تَصْبِرُ على ما تَرى مِنْ صَنيعي .

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ لِلْخَضِرِ : لَقَدْ نَسيتُ ما عاهَدْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الإنْكارِ عَلَيْكَ فلا تُؤاخِذْني بهَذا النِّسيانِ ، ولا تُكَلِّفْني مَشَقَّةً في صُحْبَتي إيَّاكَ ، وعامِلْني باليُسْرِ بِتَرْكِ اللَّوْمِ والمُؤاخَذَةِ ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « كانتِ الأُولى مِنْ موسى نِسْياناً »[1] ، فَقَبِلَ الخَضِرُ عُذْرَهُ .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

فانْطَلَقا بَعْدَ نُزولِهِما مِنَ السَّفينةِ ، فَمَرَّا بغُلامٍ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الرُّشْدِ ، فَقَتَلَهُ الخَضِرُ ، فقالَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مُسْتَنْكِراً ما رَأى : أَقَتَلْتَ نَفْساً طاهِرَةً لَمْ تَرْتَكِبْ جُرْماً تَستَحِقُّ بِهِ أنْ تُقْتَلَ ؟ لَقَدْ فَعَلْتَ شَيْئاً مُنْكَراً عَظيماً لا يُمْكِنُ السُّكوتُ عَنْهُ . وهذا الإنْكارُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ أَشَدُّ مِنَ الإنْكارِ السَّابِقِ ، دَلَّ على ذَلِكَ لَفْظُ ﴿نُكْراً﴾ هُنا ، و﴿إِمْراً﴾ هُناكَ ، فإِنَّ القَتْلَ جَريمةٌ أعْظَمُ مِنْ تَخْريبِ السَّفينةِ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ ، في أحاديثِ الأنبياءِ ، رقم الحديثِ : ٣١٤٩ .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قالَ الخَضِرُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنْتَ يا موسى على التَّعْيينِ والتَّحديدِ أنَّكَ لَنْ تَصْبرَ على ما تَرى مِنِّي .

وهذا الرَّدُّ مِنَ الخَضِرِ أَشَدُّ مِنَ الأَوّلِ ، لإضافةِ (لَكَ) التي أَفادَتْ مُواجَهَةَ موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ بِكافِ الخطابِ ، وتَوْجيهِ الكَلامِ إليْهِ مُباشَرَةً .

ولَمْ تَكُنْ هذهِ المَرَّةُ الثّانيةُ نِسْياناً مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بلْ كانتْ عَمْداً ، إذْ لَمْ يُطِقِ السُّكوتَ على قَتْلٍ لا يَعْرِفُ لَهُ سَبَباً ، فَشَريعَتُهُ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ إليْهِ لا تَأْذَنُ بهذا القَتْلِ .

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مُدْركا أَنَّهُ لا يُمْكُنُه المُكْثُ مَعَ هذا الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَشَريعةُ كُلٍّ مِنْهُما تُخالِفُ شَريعةَ الآخَرِ : إنْ أنْكَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ هَذهِ المَرَّةِ واعْتَرَضْتُ على ما يَصْدُرُ مِنْكَ ، فلا تَصْحَبْني مَعَكَ ، فأنا الآنَ أَعْذُرُكَ إنْ تَرَكْتَ صُحْبتي ، إنْ خالَفْتُ أَمْرَكَ في مَرَّةٍ قادِمَةٍ .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

فانطلقَ الخَضِرُ وموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وسارا حتَّى وَصَلا إلى قَرْيَةٍ فَطَلبا طَعاماً ، وأنَّ أهلُ هَذهِ القَرْيَةِ بُخَلاءُ فَلَمْ يُطعِموهُما ، ورَفَضوا أنْ يُضيِّفوهُما ، فَوَجَدا في القَرْيَةِ جداراً يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فَقامَ الخَضِرُ بإصْلاحِهِ وتَقْويمِهِ ، فأنْكَرَ عَلَيْهِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ صُنْعَ المَعْروفِ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، قائلاً لَهُ : أَهْلُ القَرْيَةِ لَمْ يُطْعِمونا فَلَوْ أَخَذْتَ مِنْهُمْ أَجْراً على إصْلاحِ الجِدارِ لانْتَفَعْنا مِنْهُ وأَنْفَقناهُ في ثَمَنِ الطَّعامِ .

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

قالَ الخَضِرُ مُخاطِباً موسى عَلَيْهِ السّلامُ : حانَ وَقْتُ الفِراقِ بَيْنَنا حَسَبَ قَوْلِكَ ، فإنَّكَ شَرَطْتَ ذَلِكَ على نَفْسِكَ ، ولَمْ يَبْقَ الآنَ عُذْرٌ ، ولا مَوْضِعٌ لِلصُّحْبَةِ ، وسَأُخْبِرُكَ عَنْ حِكْمَةِ الأُمورِ الثَّلاثَةِ الَّتي أَنْكَرْتَها عَلَيَّ ، ولَمْ تَصْبِرْ حتَّى أَشْرَحَها لَكَ .

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ موسى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كانَ صَبَرَ حتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنا مِنْ أَخْبارِهِما »[1] .

---

(١) جزء من الحديث الذي رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، رقم الحديث : ٣١٤٩ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَدْ يَظُنُّ الإنْسانُ قُدْرَتَهُ على فِعْلٍ ما وهُوَ لا يَسْتَطيعُهُ كَما ظَنَّ موسى قُدْرَتَهُ على الصَّبْرِ ، ولَكِنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .

٢ـ دينُ الأَنْبياءِ واحِدٌ وهُو الإِسْلامُ ، أمَّا شَرائِعُهُمْ فَمُخْتَلِفَةٌ ، كَما كانَ حالُ موسى والخَضِرُ .

٣ـ لا حَرَجَ على العالِمِ أَنْ يَرْفُضَ صُحْبَةَ غَيْرِهِ ولَوْ كانَ صالِحاً ، كَما رَفَضَ الخَضِرُ صُحْبَةَ موسى .

٤ـ يَجِبُ على المُؤْمِنِ إنْكارُ المُنْكَرِ ، ولَوْ كانَ فاعِلُهُ صالِحاً ، كما أَنْكَرَ موسى على الخَضِرَ .

٥ـ النَّاسي غَيْرُ مُؤاخَذٍ بِنِسْيانِهِ .

٦ـ وُجوبُ الضِّيافةِ لِمَن اسْتَحَقَّها .

٧ـ جَوازُ التَّبَرُّعِ بِعَمَلِ الخَيْرِ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ وَجْهَ إنكارِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ على الخَضِرِ في أَفْعالِهِ الثَّلاثةِ .

٢ـ اشْتَدَّ إنْكارُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ في المَرّةِ الثّانيةِ ، واشْتَدَّ في مُقابلِهِ رَدُّ الخَضِرِ عَلَيْهِ ، ما الَّذي دَلَّ على ذَلِكَ مِنْ أَلفاظِ الآياتِ الكَريمَةِ ؟

٣ـ ما الَّذي جَعَلَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ يَشْتَرِطُ على نَفْسِهِ عَدَمَ السُّؤالِ بَعْدَ المَرَّةِ الثَّانيةِ ؟

٤ـ هلْ يَصِحُّ التَّصَرُّفُ في أَمْوالِ الآخَرينَ بِقَصْدِ حِمايَتِها وإنْقاذِها مِنْ مُصيبةٍ ؟ أَيِّدْ إجابَتَكَ بما وَرَدَ في الآياتِ الكريمةِ .

٥ـ ما مَوْقِفُكَ لَوْ رَأَيْتَ شَخْصاً يَفْعَلُ مِثْلَ أَفْعالِ الخَضِرِ المَذْكورَةِ في هذهِ الآياتِ ؟ ولماذا ؟

نَشاطٌ :

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : ﴿لا يَحِلُّ دمُ امْرىءٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإحْدى ثَلاثٍ. . .﴾ أَكْمِلْ هذا الحَديثَ الشَّريفَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدرس الخامس عشر

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وكانَ وراءَهُمْ مَلِكٌ : يَتْبَعُهُم بَحْثاً واسْتِقْصاءً .

يُرهِقُهُما : يُوقِعُهُما في الكُفْرِ .

طُغياناً : تَجاوُزاً لِلحَدِّ .

زكاةً : طَهارةً مِنَ الذُّنوبِ والأَخلاقِ السَّيِّئَةِ .

رُحْماً : رَحْمةً وبِرّاً .

يَبْلُغا أَشُدَّهُما : قُوَّتَهُما واكْتِمالَ عَقْلِهِما .

التفسيرُ :

تُبيِّنُ الآياتُ الكَريمةُ الحِكْمَةَ مِنْ وَراءِ أَفْعالِ الخَضِرِ كي يَعْلَمَها موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

بدأ الخَضِرُ بتَعْليلِ تَصرُّفاتِهِ الَّتي أنْكَرَها عَلَيْهِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فالسَّفينةُ الَّتي خَرَقَها كانَتْ لأُناسٍ ضُعَفاءَ لا يَقْدِرونَ على مُدافعَةِ الظَّلَمَةِ ، وهُمْ يَعْمَلونَ بسَفينتِهِمْ في البَحْرِ ويَكْسِبونَ قُوتَهُم مِنْها ، وهِيَ مَصْدَرُ رِزْقِهِمُ الوحيدُ ، فأَرَدْتُ مِنْ خِلالِ إحْداثِ عَيْبٍ فيها حِمايَتَها مِنَ المَلِكِ الظّالِمِ الَّذي كانَ يَسْتولي على كُلِّ سَفينةٍ صالِحَةٍ للاسْتِعْمالِ ويَتْرُكُ المَعيبَةَ ، وبهذا سَلِمَتْ سَفينَتُهُمْ لَهُمْ ، وهذا ظاهِرُهُ الإفْسادُ ، وهو صَلاحٌ لأَصْحابِ السَّفينَةِ .

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ .

وأمّا الغُلامُ الَّذي قَتَلْتُهُ وأنْكَرْتَ عليَّ ذلكَ ، فكانَ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ ، حَسَبَ عِلْمِ اللهِ تعالى بهِ ، أنَّهُ لَوْ بَلَغَ لَحَمَلَ أبوَيْهِ على الطُّغيانِ والكفرِ ، فقَتَلْتُهُ لاطِّلاعي على ذَلِكَ ، سَلامَةً لِدينِ أبوَيْهِ المُؤْمِنَيْنِ ، فَلَيسَ في هذا الفِعْلِ إساءَةٌ إليْهِما بَلْ إحْسانٌ لَهُما ، خاصَّةً أنَّهما سيُعوَّضانِ خَيْراً مِنْهُ ، وسَيَرْزُقُهُما اللهُ وَلَداً بارّاً بِهِما مُحْسِناً إليْهِما طَيِّبَ النَّفْسِ زَكِيّا ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ .

وكانَ ذاكَ الابنُ سَيَجُرُّ والديْهِ إلى الكُفْرِ والطُّغيانِ لَوْ بَقِيَ حَيّاً ، لأنَّهُما كانا يُحبّانِهِ كَثيراً ، وحُبُّهُما هذا لَهُ كانَ سَيُؤَدِّي إلى أَنْ يَسْعَيا لِفِعْلِ أيِّ شَيْءٍ لِتَلْبِيَةِ رَغَباتِهِ وحاجاتِهِ ، وقَدْ يَدْعوهُما إلى الكُفْرِ فَيَسْتَجيبانِ ، فَيَقودُهُما ذَلِكَ إلى بَلاءٍ كَبيرٍ وشَرٍّ مُسْتَطيرٍ ، وفي الحَديثِ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ الغُلامَ الَّذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافِراً ، ولو عاشَ لأَرْهَقَ أبوَيْهِ طُغياناً وكُفْراً »[1] .

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وأمّا الجدارُ الَّذي بَنيتُهُ دونَ أَجْرٍ ، فَهُوَ لِغُلامينِ يَتيمينِ مِنْ أَهْلِ هذهِ القَرْيَةِ ، قَدْ خَبَأَ أبوهُما قَبْلَ مَوْتِهِ تَحتَهُ أَمْوالاً مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ ، وكانَ أبوهُما رَجُلاً صالِحاً تَقيّاً ، فأرادَ اللهُ بهذا الفِعْلِ أن يَكبرا ويَشْتَدَّ عُودُهُما ويَسْتَخْرِجا أَمْوالَهُما مِنْ تَحْتِ الجدارِ ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ لَهُما لِصلاحِ أبيهِما ورِعايةً لِحقِّ اليَتيمِ ، ولَوْ سَقَطَ الجِدارُ لانْكَشَفَ الكَنْزُ ونُهِبَ ما بِهِ مِنْ أموالٍ ، ولَما اسْتَطاعا حِفْظَهُ لِصِغَرِهِما .

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر ، باب ٦ ، رقم الحديث : ٦٧٠٨ .

ثُمَّ بَيَّنَ الخَضِرُ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّ كُلَّ ما فَعَلَهُ مِنْ أفْعالٍ أنْكَرها عَلَيْهِ ، لَمْ يَكنْ بأَمْرِهِ ، إنَّما هُو مِنْ أمْرِ اللهِ تعالى لَهُ ، فَسُبْحانَ الَّذي يَعْلَمُ الغَيْبَ ، ولا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَداً إلا بأَمْرِهِ ومَشيئتِهِ .

ويُلاحَظُ في الآياتِ أنَّ الخَضِرَ نَسَبَ الفِعْلَ الأوَّلَ لِنَفسِهِ حينَ قال : ﴿فأَردتُّ أنْ أَعيبَها﴾ ، لأنَّ هذا الفِعْلَ ظاهِرُهُ شَرٌّ واضِحٌ فنسبَهُ لِنَفْسِهِ ، ولم يَنْسِبْهُ إلى اللهِ ، ونَسَبَ قَتْلَ الغُلام لِنفسِهِ أيضاً بقوله : ﴿فأَردْنا أن يُبْدِلَهُما﴾ لأنَّه عَمَلٌ ظاهِرُهُ الفَسادُ ، لا يَليقُ نِسبتُهُ إلى اللهِ ، مَعَ أنَّ كُلَّ ما فعَلَهُ الخضرُ كانَ بأمرِ اللهِ ، وأسندَ الفِعْلَ الأخيرَ إلى اللهِ ، وهو : ﴿فأَرادَ ربُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما﴾ لأنّهُ إنعامٌ مَحْضٌ ، وهذا هُوَ اللائِقُ بالمُسْلِمِ ، أنْ لا يَنْسِبَ الفِعْلَ الَّذي لا يَليق باللهِ تعالى إليهِ ، وإنْ كانَ سُبْحانَهُ خالِقَ كُلِّ شَيْءٍ أدباً مَعَهُ سُبحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ ارْتِكابِ أخَفِّ الضَّررَيْنِ لِتَفادي أَشَدِّهِما ، فَخَرْقُ السَّفينَةِ ضَرَرٌ يَسيرٌ في مُقابِلِ اسْتيلاءِ المَلِكِ عَلَيْها .

٢ـ انْتِفاعُ الأبناءِ بِصلاحِ الآباءِ .

٣ـ الإساءَةُ مِنْ قَوْمٍ لا تَمْنَعُ تَقْديمَ الخَيْرِ لِبَعْضِهِمْ ، فَبُخْلُ أَهْلِ القَرْيَةِ لَمْ يَمْنعْ مِنْ إصْلاحِ الجِدارِ .

٤ـ عَدَمُ نِسْبَةِ الأفْعالِ الَّتي ظاهِرُها الشرُّ إلى اللهِ تعالى .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كيفَ عَرَفَ الخَضِرُ أنَّ الغُلامَ سَيَكونُ كافِراً لَوْ بَقِيَ حَيّاً ؟

٢ـ كَيْفَ يُمكِنُ لِلغُلامِ أنْ يَقودَ والِدَيْهِ إلى الكُفْرِ ؟

٣ـ إعادةُ بناءِ الجِدارِ إحْسانٌ إلى اليَتيمَيْنِ لا إلى أهْلِ القَرْيةِ ، بَيِّن ذَلِكَ .

٤ـ لماذا نَسَبَ الخَضِرُ العَمَلَ الَّذي ظاهِرُهُ الشَّرُّ لِنَفْسِهِ ، ولم يَنْسِبْهُ إلى اللهِ تَعالى ؟



كلمةُ (تَسْطِع) أصْلُها (تَسْتَطِع) وحُذِفَتِ التّاءُ لِلتّخفيفِ ، وإنّما حُذِفَتْ في المَوْضِع الثّاني وهُوَ ﴿ذلِكَ تأْويلُ ما لَمْ تَسْطِعْ﴾ ولم تُحْذَفْ في المَوْضِعِ الأوّلِ وهو ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتأْويلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ لأنَّ الخَضِرَ قدْ أزالَ مِنْ نَفْسِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ما كانَ فيها مِنْ ثِقَلٍ بِسَببِ عَدَمِ عِلْمِهِ بأسْرارِ أفْعالِهِ ، فَلَمّا عَلِمَها زالَ الثِّقَلُ مِنْ نَفْسِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ فَناسَبَهُ إزالَةُ الثِّقَلِ مِنَ الكَلِمَةِ بِحَذْفِ التّاءِ .

نَشاطٌ :

١ـ ما الفائِدَةُ الَّتي زادَها الحَديثُ عمَّا وَرَدَ في الآيةِ (٨١) ؟ اكْتُبْ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يأْمُرُ بِحُسْنِ مُعامَلَةِ اليَتيمِ .

٣ـ تأَمَّلْ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿حتَّى إذا أتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وقولِهِ : ﴿أمّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ في المَدينةِ﴾ وحاوِلِ اسْتِخْراجَ العِبْرَةِ مِنَ اسْتِخْدامِ لَفْظِ القَرْيَةِ أوّلاً ، والمَدينةِ ثانياً ، مَعَ أنَّ المُتَحَدَّثَ عَنْهُ مَكانٌ واحِدٌ .

* * *

الدرسُ السادسَ عشرَ

سورةُ الكهفِ ـ القِسْمُ السَادِسَ عَشَرَ

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبَباً : طريقاً يُوصِلُ إلى الأَمْرِ المُرادِ .

فأتبعَ سَبَباً : سَلَكَ طَرِيقاً .

حَمِئَةٍ : مُستَنْقَعٍ ذي طينٍ أَسْودَ .

نُكْراً : مُنْكَراً فظيعاً .

خُبْراً : عِلْماً شامِلاً .

التفسيرُ :

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ .

هذهِ القِصَّةُ والّتي قبلَها مِنْ أدلّةِ نبوّتِهِ ﷺ وقدْ ورَدَ أنَّ اليهودَ أوْعزوا إلى كُفّارِ قريشٍ لِيَسْألوا رسولَ اللهِ ﷺ عنْ هذهِ القِصَّةِ ، ظَنًّا منهم أنَّهُ لنْ يتمكَّنَ من الإجابةِ فَيَثْبُتَ عدَمُ نُبوَّتِهِ وتَبْطُلَ دَعْوَتُهُ ،

فأبْطَلَ اللهُ ظَنَّهُمْ ، وخيَّبَ أمَلَهُم ، ونزَلَتِ الآياتُ تُبيِّنُ قِصَّةَ ذي القَرْنَيْنِ[1] .

وذو القَرْنَيْنِ مَلِكٌ صالحٌ عادِلٌ ، مَلَكَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها ، واخْتَلَفَ المُفَسِّرونَ في تَحديدِ شَخصيَّتِهِ ، والأظْهَرُ أنَّهُ أحَدُ مُلوكِ اليَمَنِ القُدَماءِ ، ولَيْسَ الإسكندرَ المَقْدونيَّ ، لأنَّهُ لم يَكنْ مُسلِماً ، ولَيْسَ المُهِمُّ مَعْرِفَةَ شَخصيَّتِهِ بلْ أخْذُ العِبْرَةِ مِنَ القِصَّةِ . ولُقِّبَ بذي القَرْنَيْنِ لأنَّهُ بَلَغَ قَرْنَي الشَّمْسِ مَطْلِعَها ومَغْرِبَها ، وقيلَ لأنَّهُ كانَ في رأسِهِ أو في تاجِهِ ما يشبهُ القَرْنَيْنِ .

وبدأتِ الإجابةُ عَنِ السّؤالِ بأمرِهِ ﷺ أنْ يُخْبِرَهُمْ أنَّهُ سَيتلو عَليْهِم مِنْ أخبارِهِ ما فيهِ العِبْرَةُ والعِظَةُ ممَّا يوحَى بِهِ إليهِ .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تعالى أنَّهُ يَسَّرَ لِذي القَرْنَيْنِ أَسْبابَ المُلْكِ والسُّلطانِ والفَتْحِ والنَّصْرِ ، وأمَدَّهُ بما يَحْتاجُ إليهِ لِلْوُصولِ إلى غَرَضِهِ مِنْ أسْبابٍ كالعِلْمِ والقُدْرَةِ وحُسْنِ التَّدبيرِ والحِكْمَةِ ، وتَدريبِ القادَةِ وحَشْدِ الجُنودِ .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

فَسَلَكَ الطَّريقَ الَّتي تُوصِلُهُ إلى مُرادِهِ ، وبَدأَ بالتَّوجُّهِ نَحْوَ الغَرْبِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

حتَّى إذا وَصَلَ إلى أقْصى ما أمْكَنَهُ الوُصولُ إليهِ مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ ، وَقَفَ على السَّاحِلِ ورَأى الشّمسَ تَغْرُبُ في البَحْرِ ، وكأنَّ مَكانَ غُروبِها عَيْنٌ ذاتُ طينٍ أَسْودَ ، فإنَّ الناظِرَ إلى غُروبِ الشّمسِ في البَحْرِ يَرى مَكانَ غُروبِها مُظْلِماً باهِتاً بعدَ أنْ كانَ مُتَّقِداً ، وهذا بحَسَبِ رأْيِ العَيْنِ ، وإلاَّ فإنَّ الشّمْسَ في السَّماءِ ، وهِيَ أكْبَرُ مِنَ الأرْضِ مَرَّاتٍ كثيرَةً ، وإنَّما يَحْجُبُ الشَّمْسَ دورانُ الأرْضِ ، وكُلّما دارَتِ الأرْضُ اخْتَفَتْ أشِعَةُ الشّمْسِ عَنْ بَعْضِها ، ورأى النّاظِرُ إليْها كأنَّها تَغْطِسُ في البَحْرِ ، أَوْ تَتوارى خَلْفَ الجِبالِ والسُّهولِ .

وَوَجَدَ ذو القَرْنَيْنِ عِنْدَ مَوْقِعِ غُروبِ الشَّمْسِ قَوْماً ، فَخيَّرَهُ اللهُ تعالى بَيْنَ أنْ يُعذِّبَهُمْ بالقَتْلِ إنْ رَفَضوا الإيمانَ وأصَرُّوا على الشِّرْكِ ، أوْ أنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِمْ ، ويُحْسِنَ مُعامَلَتَهُ مَعَهُمْ لَعلَّهم يُؤْمِنونَ .

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

قالَ ذو القَرْنَيْنِ بَعْدَ أنْ خَيَّرَهُ اللهُ تعالى بِشَأْنِ أُولَئِكَ القَوْمِ : إنَّ هَؤلاءِ القَوْمِ سَوْفَ يَنْقَسِمونَ بَعْدَ

---

(١) انظرْ تفسيرَ ابنِ كثيرٍ ٣/ ١٠١ والشوكانيّ ، فتح القدير ٣/ ٣٠٩ .

دَعْوَتِهِمْ إلى فَرِيقَيْنِ : فَرِيقٍ يَبْقى كافِراً ظالِماً لِنَفْسِهِ ، وهذا الفَرِيقُ سَوْفَ نُعَذِّبُهُ بالقَتْلِ ، ثم يُعَذِّبُهُ اللهُ بَعْدَ البَعْثِ والجزاءِ عَذاباً شَديداً عَظيماً .

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

والفريقُ الثّاني هُمُ المُؤمِنونَ الّذينَ سَيَسْتجيبونَ إلى الدّعْوةِ ، ويَعْمَلونَ صالِحاً ، فهؤلاءِ جزاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ النعيمُ المُقيمُ ، وسَنقولُ لَهُمْ قَوْلاً حَسَناً سَهْلاً ذا يسرٍ ، ولا نكلِّفُهُم بما هو شاقٌّ وصَعْبٌ بلْ باليَسيرِ السّهْلِ .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

ثم سارَ في الطّريقِ التي تُوصِلُهُ إلى مَشْرِقِ الشّمْسِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾ .

حتى إذا وَصَلَ إلى أقصى ما أمْكنَهُ الوُصولُ إليْهِ مِنْ جِهَةِ الشّرْقِ ، حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فيما يَرى المَرْءُ ، وَجَدَ في تِلْكَ الأرضِ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مِنَ اللِّباسِ والشَّجَرِ والبناءِ ما يَسْتُرُهُمْ مِنْ أشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وهذا يَدُلُّ على أنَّهُم كانوا قَوْماً بدائِيينَ لا يَعْلَمونَ حِياكةَ المِلابِسِ ولا بِناءَ البُيوتِ ، ولا يَخْتَلِطون بأقوامٍ آخرينَ يَتعلَّمونَ مِنْهُمْ هذهِ الأُمورَ ، وهذا يَدُلُّ على بُعْدِهِم وانْعِزالِهِم عَنْ غَيْرِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ : نَحْنُ مُطَّلِعونَ عَلى جَميعِ أحْوالِ ذي القَرْنَيْنِ وأحْوالِ جَيْشِهِ ، لا يَخْفى عَلَيْنا مِنْهُمْ شَيْءٌ ، فَهُوَ مُحيطٌ بِأَحْوالِهِمْ وأخبارِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الإيمانِ بالغَيْبِ كَخَبَرِ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ ، وموسى والخَضِرِ ، وذي القَرْنَيْنِ ، فالتَّصْديقُ بِذلكَ تَصْديقٌ لله .

٢ـ تَسْخيرُ المَلِكِ الصَّالِحِ قُوَّتَهُ وعِلْمَهُ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، وإِقْرارِ الإيمانِ ، ومُحارَبَةِ الكُفْرِ .

٣ـ صِدْقُ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ إذْ أجابَ السَّائِلينَ عَنْ سُؤالِهِم بوَحْيٍ مِنَ اللهِ لَهُ .

٤ـ الوُصولُ إلى مَعالي الأُمورِ لا يَكونُ إلاّ باسْتِعْمالِ الأَسْبابِ المُوصِلَةِ إليْها .

٥ـ على الحاكِمِ مَهْما بَلَغَتْ قُوَّتُهُ وعَظَمَتُهُ أنْ يَعْدِلَ بَيْنَ الرّعِيَّةِ ولا يَظْلِمَ أحَداً .

٦ـ لا يَقِفُ أمامَ الهِمَّةِ العاليةِ عائِقٌ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا لُقِّبَ ذو القَرْنَيْنِ بهذا اللَّقَبِ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ أبْرزَ صِفاتِ المَلِكِ ذي القَرْنَيْن .

٣ـ ماذا رَأى ذو القَرْنَيْنِ في أَقْصى المَغْرِبِ ؟ وكَيْفَ عامَلَ القَوْمَ الَّذينَ وَجَدَهُمْ هُناكَ ؟

٤ـ ما صِفَةُ ٱلقَوْمِ الَّذين وَجَدَهُمْ في أَقْصى المَشْرِقِ ؟ وكَيْفَ تَعامَلَ مَعَهُمْ ؟

٥ـ اذْكُرْ آيةً مِنْ آياتِ الدّرْسِ تُبَيِّنُ وُجوبَ الأَخْذِ بالأسْبابِ .

٦ـ ما معنى قَوْلِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى : ﴿كَذَلِكَ وقَدْ أحَطْنا بما لَدَيْهِ خُبْراً﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ كيفَ تستدِلُّ مِنْ الآياتِ (٨٣ـ٨٨) أنَّ ذا القَرْنَيْنِ كانَ مُسْلِماً ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ راقِبِ الشَّمْسَ حينَ شُروقِها ، وحينَ غُروبِها مِنْ أماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ ، واكْتُب مُلاحظاتِكَ حَوْلَ هاتَيْنِ الظّاهرتَيْن .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّابِعَ عَشَرَ

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السَّدَّيْنِ : الجبلَيْنِ .

يَأْجوجَ ومَأْجوجَ : اسما قبيلَتيْنِ .

سَدّاً : حاجِزاً .

رَدْماً : حاجزاً حَصيناً مَتيناً .

زُبَرَ الحديدِ : قِطَعَهُ العظيمةَ .

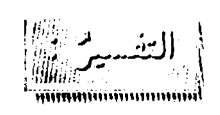
الصَّدَفيْنِ : جانبي الجَبَلَيْنِ .

قِطْراً : نُحاساً مُذاباً .

يَظْهَرُوه : يَتَسَلَّقوهُ ويَصْعدوا على ظَهْرِهِ .

نَقْباً : خَرْقاً .

دَكَّاءَ : أَرْضاً مُسْتويةً .



تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ ما حَدَثَ مَعَ ذي القَرْنَيْنِ في رِحْلَتِهِ :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾ .

ثُمَّ سَلَكَ طَريقاً ثالِثاً ، بَعْدَ أنْ بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ومَشْرِقَها .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

حتَّى إذا وَصَلَ إلى مَنْطَقةٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظيمَيْنِ ، وَجَدَ مِنْ دونِ هَذينِ الجَبَلَيْنِ قَوْماً يَتكلَّمونَ بلُغةٍ لا تَكادُ تُعْرَفُ لِصُعوبَتِها ، ولا يَكادونَ يَفْهمونَ لُغَةَ غَيْرِهِم لِقِلَّةِ فَهْمِهِم ، وبُعْدِهِمْ عَنْ مُخالَطةِ غَيْرِهِم .

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قالَ أُولئك القَوْمُ يَشْكونَ حالَهُمْ لِذي القَرْنَيْنِ لِما عَلِموهُ مِنْ صَلاحِهِ وقُوَّةِ سُلْطانِهِ : إنَّ قَبيلَتَيّ يَأجوجَ ومَأْجوجَ ـ وهُمْ مِنْ بني آدَمَ ، وكانوا يُقيمونَ خَلْفَ الجَبَلَيْنِ ـ مُفْسِدونَ بالقَتْلِ والسَّلْبِ والإيذاءِ ، ونَحْنُ لا نَقْدِرُ على دَفْعِهِمْ عنَّا ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ أجْراً مُقابِلَ أنْ تبنيَ بَيْنَنا وبَيْنَ هؤلاءِ المُفْسِدينِ حاجِزاً عظيماً بَيْنَ هذيْنِ الجَبَلينِ يَمْنَعُهُم مِنَ الإفْسادِ في أَرْضِنا ؟

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ .

ردّ ذو القَرْنَيْنِ عَلَيْهِمْ بِأنَّ ما أَعْطاهُ اللهُ إيّاهُ مِنْ مُلْكٍ وعِلْمٍ وأسْبابٍ ، خَيْرٌ ممّا يُريدونَ بَذْلَهُ لَهُ مِنْ مالٍ ، فَهُوَ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى مالِهِمْ ، ولَكِنَّهُ طَلَبَ مِنْهُمْ أنْ يُساعِدوهُ على بِناءِ السَّدِّ بما يُمْكِنُهُمْ مِنْ رِجالٍ وآلاتٍ وأدَواتٍ ، فإنْ فَعَلوا ذَلِكَ وأَعانوهُ ، بَنى لَهُمْ حاجِزاً حَصيناً وحِجاباً مَتيناً يَمْلأُ بِهِ الفَراغَ الَّذي بينَ الجَبَلَيْنِ بما لا يَقْدِرُ المُفْسِدونَ على صُعودِهِ ولا اختراقِهِ .

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

طَلَبَ مِنْهُم أنْ يَأْتوا بِقِطَعِ الحَديدِ العَظيمةِ ، وأنْ يَجْعلوها في المَكانِ المُرادِ بناءُ السَّدِّ فيهِ بَيْنَ الجَبَلَيْنِ ، حتَّى إذا وَصَلَ الحَديدُ إلى مُستوى جانبي الجَبَلَيْنِ أشْعَلَ فيهِ النّارَ ، وطَلَبَ مِنْهُمْ أنْ يَنفُخوا عَلَيْهِ الهَواءَ بالمَنافيخِ فَفَعلوا ، حتَّى إذا صارَتْ قِطَعُ الحَديدِ مُلْتَهِبَةً كالنَّارِ ، صَبَّ النُّحاسَ

المُذابُ على الحَديدِ المُحَمَّى فالْتَصَقَ بَعضُهُ ببعضٍ ، وَسُدَّتِ الفَجَواتُ الَّتي بَيْنَ الحديدِ ، وصارَ ما بَناهُ سَدّاً مَنيعاً مُتَماسِكاً بَيْنَ الجَبلَيْنِ ، سُدَّت بِهِ الفَتْحةُ الَّتي كانَتْ بيْنَهُما ، وأَمِنَ القَوْمُ شَرَّ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ ، وسَلِموا مِنْ خَطَرِهِم .

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

فما اسْتَطاعَ المُفْسِدونَ أنْ يَعْلوا هَذا السَّدَّ ، وأنْ يَتَسوَّروهُ لِعُلُوِّهِ ومَلاسَتِهِ ، وما اسْتطاعوا خَرْقَهُ مِنْ أسْفلَ لِصَلابَتِهِ وثَخانَتِهِ . وَبِهذا السَّدِّ المَنيعِ أَغْلَقَ ذو القَرْنَيْنِ الطَّريقَ على يَأْجوجَ ومَأْجوجَ وحَمَى القَوْمَ مِنْهُم .

وحَذْفُ التَّاءِ مِنَ (اسْطاعُوا) لِلتَّخفيفِ ، ولِلإشارةِ إلى أنَّ صُعودَ السَّدِّ أيْسَرُ مِنْ خَرْقِهِ ، وأنَّهُ يَحْتاجُ إلى خِفَّةٍ فَناسَبَهُ اللَّفظُ الأخَفُّ .

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَنى ذو القَرْنَيْنِ السَّدّ قالَ مُشيراً إليْهِ : هذا أثَرُ رَحْمَةٍ عَظيمةٍ مِنَ اللهِ بعبادِهِ ؛ إذْ أَقْدَرني على بنائِهِ ، وحَمَى بهِ النَّاسَ مِنْ غَزَواتِ أُولئكَ المُفْسِدينَ ، ولَوْلا مَشيئَةُ اللهِ لَما اسْتَطَعْتُ بناءَهُ ، فإذا جاءُ الوَقْتُ الَّذي أَرادَهُ اللهُ لِتَخْريبِ السَّدِّ ، جَعَلَهُ أَرْضاً مُسْتَويةً كأنْ لَمْ يَكُنْ ، وهُوَ أَمْرٌ كائِنٌ لا مَحالةَ ، لأنَّ وَعْدَ اللهِ تعالى حَقٌّ لا يَتَخَلَّفُ ، وهذا كائِنٌ في آخِرِ الزَّمانِ ، عِنْدَما يُدَكُّ السَّدُّ ويَخْرُجُ يَأْجوجُ ومَأْجوجُ ، كما صَحَّ في الأَحاديثِ . وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ العَليمُ بهذا الوَقْتِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذو القَرْنَيْنِ مِثالٌ لِلْمُلوكِ العادِلينَ الَّذينَ يُصْلِحونَ في الأَرْضِ ، ويُحارِبونَ الفَسادَ .

٢ـ على المُسْلِمينَ أَنْ يَمْتَلِكوا القُوَّةَ الَّتي تُعَمِّرُ وتُثْمِرُ كَما امْتَلَكَ ذو القَرْنَيْنِ تِلْكَ القُوَّةَ .

٣ـ التَّعَرُّفُ على الأَسْرارِ العِلْمِيَّةِ الَّتي تُفيدُ الإِنْسانَ في التَّعْميرِ والإِنْشاءِ مَنْهَجٌ إِسْلاميٌّ أَصيلٌ .

٤ـ التَّبَرُّعُ بالعَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ أَخْذِ الأَجْرِ لِمَنْ لا يَحتاجُ إليهِ .

٥ـ مَشْروعيَّةُ التَّعاونِ على فِعْلِ الخَيْرِ ودَفْعِ الضُّرِ .

٦ـ إضافةُ النُّحاسِ المُذابِ إلى الحديدِ تُضاعِفُ قُوَّتَهُ وصَلابَتَهُ .

٧ـ لَمْ يُخْبِرْنا القُرْآنُ عَنْ مكانِ السَّدِّ فلا داعِيَ لِلْخَوْضِ في ذَلِكَ الأَمْرِ والبَحْثِ فيهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا طَلَبَ القَوْمُ مِنْ ذي القَرْنَين ؟ ولِماذا ؟

٢ـ اذْكُرِ الخُطُواتِ الَّتي سارَ عَلَيْها ذو القَرْنَيْنِ حتَّى أتَمَّ بِناءَ السَّدِّ .

٣ـ ما معنى : ﴿فإذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ ارْجِعْ إلى كِتابِ رياضِ الصّالِحينَ ، واسْتَخْرِجْ منهُ حديثاً فيهِ ذِكْرُ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ .

٢ـ تَخَيَّلْ شَكْلَ السَّدِّ الَّذي بَناهُ ذو القَرْنَيْنِ ، واجْمَعْ مَعلوماتٍ عَنْ سورِ الصِّينِ العَظيمِ ، وَرُدَّ مِنْ خلالِ ذَلِكَ على القائِلينَ بأنَّ السَّدَّ هُوَ سورُ الصِّينِ العَظيمِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَموجُ : يَخْتَلِطُ .

غِطاءٍ : غِشاءٍ ساتِرٍ .

أوْلِياءَ : أرْباباً ومَعْبوداتٍ .

نُزُلاً : مَكاناً مُهَيَّأً لِنُزولِهِمْ .

حَبِطَتْ أعْمالُهُم : ضاعَ ثَوابُها .

وَزْناً : قِيمةً .

التفسيرُ :

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ أَخْبارَ العَبْدِ الصّالِحِ ذي القَرْنَيْنِ ، انْتَقَلَ الحَديثُ في هَذهِ الآيةِ إلى بَيانِ

ما يَحْدُثُ يَوْمَ القيامَةِ ، فَيُخْبِرُ ـ سُبحانَهُ ـ فيها أنّهُ إذا جاءَ يَوْمُ القيامَةِ اخْتَلَطَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ واضْطَّربوا كاضْطِراب مَوْجِ البَحْرِ ، وذَلِكَ قَبْلَ النَّفْخَةِ الأُولى ، حينَ تَحْصُلُ أَحْداثُ بدايةِ اليَوْمِ الآخِرِ ، فالضَّميرُ في (بَعْضَهَم) يَعودُ على جَميعِ الخَلائِقِ . وذَهَبَ عَدَدٌ مِنَ المفسرينَ إلى أنَّهُ يَعودُ على يَأجوجَ ومَأجوجَ ، وأنَّهُم حينَ يَخْرجونَ قُبَيْلَ قيامِ السَّاعَةِ يَموجُ بَعْضُهُم في بَعْضٍ مِنْ كَثْرَتِهِمْ ، ويَخْتَلِطونَ في انْدِفاعِهِمْ ويُفسِدون في الأَرْضِ .

والنَّفْخَةُ المَذْكورةُ في الآيةِ هيَ الثّانيةُ ، حَيْثُ يَقومُ النّاسُ ، ويَجْتَمِعونَ لِلْحِساب والجَزاءِ لا يَتخلَّفُ مِنْهُمْ أحَدٌ ، أمَّا النَّفْخَةُ الأُولى فإنَّها تَصْعَقُ الخَلْقَ وتُميتُهُمْ ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ قولُهُ تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

وأبْرَزْنا جَهَنَّمَ وأظْهَرْناها لِلْكافِرينَ يَوْمَ يُجْمَعُ الخَلائِقُ ، بِحَيْثُ يَروْنَها ويَسْمَعونَ زَفيرَها . وتَخْصيصُ الكافِرينَ بالذِّكْرِ مِنْ أنَّ جَهنَّمَ تُرى مِنَ الجَميعِ ، لأنَّها لأَجلِهِمْ تُعْرَضُ ، ولِيَعْلَموا أنَّهُم صائِرونَ إليْها ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مَزيدُ حُزنٍ وَغَمٍّ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِبَعْضِ صِفاتِ الكافِرينَ الَّتي اسْتَحقُّوا بِسَبَبِها العَذابَ ، فَقَدْ كانتْ أعْيُنُهُم في الدُّنْيا كأنَّها مُغَطَّاةٌ بِغِشاءٍ ساترٍ مُحيطٍ بها ، يَمنَعُها مِنْ رُؤْيةِ آياتِ اللهِ المُنْبَثَّةِ في الأَنْفُسِ والآفاقِ ، والمُؤَدِّيَةِ إلى تَوْحيدِ اللهِ وتَمْجيدِهِ وذِكْرِهِ ، وكانوا لا يَقْدِرونَ على سَمْعِ آياتِ اللهِ المُوصِلَةِ إلى الإيمانِ فَهُمْ كالصُّمِّ الَّذينَ لا يَسْمَعونَ .

وفي هَذهِ الآيةِ تَمْثيلٌ لإعْراضِهِمْ عَنِ الأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ ، وتَعاميهِمْ عَنِ الآياتِ المُشاهَدَةِ بالأَبْصارِ .

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

أظَنَّ الَّذينَ كَفروا بي أنَّه يَجوزُ لَهُمْ أَنْ يَتَّخِذوا عِبادِي مِنَ المَلائِكَةِ وعيسى وعُزَيْرٍ وغَيْرِهِمْ أرْباباً لَهُم يَعْبُدونَهُم مِنْ دوني . إنَّ فِعْلَهُمْ هَذا جَريمةٌ كُبْرى ، وقَدْ هَيَّأْنا لِمَنِ ارْتَكَبَ هَذهِ الجَريمةَ جَهنَّمَ لَهُمْ لِتَكونَ مَكانَ إقامَةٍ وضِيافَةٍ . وإطْلاقُ النُّزُلِ على جَهَنَّمَ تَهَكُّمٌ واسْتِهزاءٌ وسُخْرِيَةٌ بِهِمْ ، لأَنَّها لَيْسَتْ مَكانَ إقامَةٍ حَسَنَةٍ ولا اسْتِقْرارٍ طَيِّبٍ .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

قُلْ يا أيُّها الرَّسولُ لِلْمُشْرِكينَ والكافِرينَ ولِلنَّاسِ جَميعاً : هَلْ أُخْبِرُكُم بأشَدِّ النَّاسِ خُسْراناً لأَعْمالِهِمْ ، وحِرْماناً مِنْ ثوابِها .

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

إنَّهُمُ الَّذينَ اتَّبَعوا أَنْفُسَهُم في أعْمالٍ يَبْغونَ بها ثَواباً وفَضْلاً ، ويَظنُّونَها أعْمالاً صالِحَةً ، ولكنَّها في الحَقيقةِ أعْمالٌ لا ثَوابَ لَهُمْ عَلَيْها ، فَسَعْيُهُمْ في ضَلالٍ ، وَعَمَلُهُم في بُطلانٍ ، لأنَّ شَرْطَ قَبولِ العَمَلِ الإيمانُ .

والآيَةُ عامَّةٌ في كُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً يَظُنُّهُ حَسَناً ، وهُوَ مَرْدودٌ عَلَيْهِ لِعَدَمِ إيمانِهِ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، سَواءٌ أكانَ مِنْ أهْلِ الكتابِ الَّذينَ حَرَّفوا دينَهُمْ أمْ مِنْ غَيْرِهِم ، ويُؤَكِّدُ عُمومَ مَعنى الآيَةِ ما بَعْدَها ، وهُو قَوْلُهُ تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ .

في هذه الآيةِ تَبيينُ سَبَبِ خُسْرانِهِم ، وَهُوَ عَدَمُ إيمانِهِم بآياتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ ، وكُفْرُهُم بالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَبَطَلَتْ أعْمالُهُمْ ، ولَمْ يَعُدْ لَهُمْ عَلَيْها أيُّ ثَوابٍ ، ولَيْسَ لَهُم عندَ اللهِ تعالى أيُّ وَزْنٍ أَوْ قيمَةٍ ، ولا يَسْتَحِقّونَ قَدْراً ولا مَنْزِلَةً ، وهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِهذهِ العُقوبَةِ جَزاءَ أعْمالِهِمْ .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ .

وهذهِ العُقوبةُ لَهُمْ ، وهِيَ تَعْذيبُهُمْ في النّارِ بِسَبَبِ كُفْرِهِم ، واتِّخاذِهِمْ آياتِ اللهِ ورُسُلَهُ ومُعْجِزاتِهِمْ سُخْرِيَةً وَهُزُواً ، فَلَمْ يَكْتَفوا بالكُفْرِ ، بَلْ أَضافوا إليْهِ عَمَلاً سَيِّئاً آخَرَ هُو الاسْتِهْزاءُ بالرُّسُلِ وبالمُعْجِزاتِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَنْ لا يَنْتَفِعُ مِنْ سَمْعِهِ لِلْهِدايَةِ إلى الحَقِّ كَمَنْ لا سَمْعَ لَهُ ولا بَصَرَ .

٢ـ العَمَلُ الَّذي لا يُوافِقُ شَرْعَ اللهِ وَدينَه باطِلٌ ، ولا قيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ .

٣ـ عاقِبَةُ الاسْتِهْزاءِ بآياتِ اللهِ وَرُسُلِهِ العِقابُ الشَّديدُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى : ﴿وتَرَكْنا بَعْضَهُم يومَئذٍ يَموجُ في بَعْضٍ﴾ ؟ ومَتَى يَكونُ ذَلِكَ ؟

٢ـ بِماذا تَسْتَدِلُّ على أنَّ النَّفْخَةَ المَذْكورةَ في الآيةِ التّاسِعَةِ والتِّسْعينَ هِيَ النَّفْخَةُ الثّانيةُ ؟

٣ـ ما فائِدَةُ التّعبيرِ عَمّا أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْكافِرينَ في جَهَنَّمَ بالنُّزُلِ ؟

٤ـ مَنْ هُمُ ﴿الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أنَّهُم يُحْسِنونَ صُنْعاً﴾ ؟

٥ـ كَيْفَ تَكونُ أعْمالُ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ؟ أيِّدْ إجابَتَكَ بِدَليلٍ مِنَ الآياتِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّهُ لَيأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَوْمَ القيامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ ، وقال : اقرؤوا إنْ شِئْتُم : ﴿فلا نُقيمُ لهمْ يومَ القيامَةِ وَزْنا﴾ »[١] .

نَشاطٌ :

اكْتُبِ الآيةَ الَّتي تُبَيِّنُ صِفَةَ الكافِرينَ ، والَّتي ذُكِرَتْ في أَوَّلِ سورَةِ البَقَرَةِ ، وَبَيِّنْ وَجْهَ التوافُقِ بَيْنَها وبَيْنَ الآية (١٠١) مِنْ سورةِ الكَهْفِ .

* * *

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التفسيرِ ، باب رقم ٢١٩ ، رقم الحديث : ٤٤٥٢ ، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ صفاتِ المنافقينَ ، برقم : ٢٧٨٥ ، والمقصودُ في الحديثِ الرّجلُ العظيمُ في جِسْمِهِ ولا إيمانَ في قَلْبِهِ .

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورةَ الكَهْفِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفِرْدَوْسِ : أعلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وأفْضَلِها .

حِوَلاً : تَحَوُّلاً وانْتِقالاً .

مِداداً : ما يُكْتَبُ بِهِ مِنْ حِبْرٍ ونَحْوِهِ .

لَنَفِدَ البَحْرُ : لفنِيَ ماؤُهُ وانتَهى .

مَدَداً : عَوْناً وَزِيادةً .

التفسيرُ :

يَخْتِمُ اللهُ تَعالى سُورَةَ الكَهْفِ بِبَيانِ فَضْلِ المُؤْمِنينَ ومَكانَتِهِمْ يَوْمَ القِيامةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ جَزاءَ الكافِرينَ باللهِ تَعالى المُكَذِّبينَ باليَوْمِ الآخِرِ ، انْتَقَلَتْ هذهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ ثَوابَ المُؤْمِنينَ الطَّائِعينَ ، الَّذينَ جَمَعوا مَعَ الإيمانِ العَمَلَ الصَّالِحَ ، فهؤلاءِ أعدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ عاليةَ المَنْزِلَةِ ، قَدْ هُيِّئَتْ وأُعِدَّتْ لَهُمْ كأحْسَنِ ما يُهَيَّأُ لِلقادِمِ ، وَيُزَيَّنَ مِنْ أَثاثٍ ومَتاعٍ ، فأعَدَّ اللهُ لَهُمُ الفِرْدَوْسَ ، وهُو أَعْلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وأحْسَنُها ، لِما ثَبَتَ في الحَديثِ مِنْ قولِهِ ﷺ :

« إذا سَأَلْتُمُ اللهُ فاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ ، وأَعْلى الجَنَّةِ ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ ، مِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ »[1] ، فَيَكونُ المَقْصودُ بالآيَةِ : مَنْ كانَ في أَعْلى دَرَجاتِ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ؛ وهُم الأَنْبِياءُ والمُقَرَّبونَ مِنَ المُؤْمِنينَ .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

ومِنْ تَمامِ نَعيمِ الجَنَّةِ وكَمالِهِ أنَّهُ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ ولا زائِلٍ ؛ فَأَهْلُ الجَنَّةِ مُقيمونَ فيها إقامَةَ خُلودٍ لا نِهايَةَ لَهُ . ولِعَظيمِ ما فيها مِنَ النِّعَمِ والخَيْراتِ ، لا يَرْغَبُ أَهْلُ الجَنَّةِ في أن يَنْتَقِلوا مِنْها ، أَوْ أَنْ يَتَحَوَّلوا عَنْها ، فَهِيَ دارُ النَّعيمِ المُقيمِ . فيها ما تَشْتَهيهِ الأنْفُسُ ، وتَلَذُّ الأَعْيُنُ مِنَ المَنازِلِ الأَنيقةِ ، والرِّياضِ النَّضِرَةِ ، والأشْجارِ المُثْمِرَةِ ، والأنهارِ الجارِيَةِ ، والمَآكِلِ اللَّذيذةِ ، والمَشارِبِ الشَّهِيَّةِ ، والمناظِرِ الرّائِقَةِ ، فَفيها ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، نَسْأَلُ اللهَ تعالى أنْ يجْعَلَنا مِنْ أهْلِها .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

يأمُرُ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ في هذهِ الآيةِ أنْ يَقولَ لِلنَّاسِ مُخْبِراً إيّاهُمْ أنَّهُ لَوْ جُمِعَتْ مِياهُ البَحْرِ ، وأصْبَحَتْ حِبْراً ومِداداً ، وكُتِبَتْ بها كَلِماتُ اللهِ الَّتي خَلَقَ بها الخَلْقَ ، وأَنْزَلَ بها الشَّرائِعَ ، لَفَنِيَ ماءُ البَحْرِ عَلى كَثْرَتِهِ ، وانْتَهى ، دونَ أَنْ يَنْفَدَ كَلامُ اللهِ ، وأخْبَرَنا في آيَةٍ أُخْرى أنَّهُ لَوْ زيدَ في مِياهِ البَحْرِ سَبْعَةُ أَمْثالِها ، لَنَفِدَ المِدادُ ، ولم تَنْفَد كَلِماتُ اللهِ . قالَ تَعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] ، وهذا مِنْ بابِ تَقْريبِ المَعْنى إلى الأَذْهانِ ، لأنَّ هَذهِ الأشْياءَ مِنَ البِحارِ والأشْجارِ مَخْلوقَةٌ ، وجَميعُ المَخْلوقاتِ مُنْقَضِيَةٌ مُنْتَهِيَةٌ ، وأمّا كلامُ اللهِ فإنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ صِفاتِهِ ، وصِفاتُهُ غَيْرُ مَخْلوقةٍ ، ولا حَدَّ لها ، ولا مُنْتَهى .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

ويَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يُخْبِرَ الخَلْقَ أنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ مِنْ بَني آدَمَ ، لا عِلْمَ عِنْدَهُ إلاّ ما عَلَّمَهُ رَبُّهُ بالوَحْيِ ، ومِمّا أوْحى إليْهِ أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ إلهٌ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ ، فَمَنْ كانَ يَأْمُلُ بثوابِ اللهِ وحُسْنِ الجَزاءِ عِنْدَ لِقائِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً مُوافِقاً لِشَرْعِ اللهِ ، لا يَبْتَغي بعَمَلِهِ هذا سِوى وَجْهِ اللهِ ، وهَذانِ هُما الرُّكْنانِ اللَّذانِ لا بُدَّ مِنْهُما لِكُلِّ عَمَلٍ مُتَقَبَّلٍ : أن يَكونَ خالِصاً للهِ ، وأنْ يَكونَ صَواباً وَفْقَ ما شَرَعَ اللهُ ورسولُهُ ﷺ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الجِهادِ ، باب : درجاتُ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ ، رقم الحديثِ : ٢٦٣٧ ، ومعنى أوسطِ الجَنَّةِ : أفضَلُها وخيرُها .

والشِّرْكُ الّذي يَجِبُ الخَلاصُ مِنْهُ نَوْعانِ : الشِّرْكُ الجَلِيُّ بأنْ يَعْبُدَ المَرْءُ إلٰهاً آخَرَ سِوى اللهِ ، والشِّرْكُ الخَفِيُّ ، وَهُوَ الرياءُ أيْ أنْ يَعْمَلَ العَمَلَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ وغَيْرَهُ ، فلا يَكونُ العَمَلُ خالِصاً للهِ ، والرِّياءُ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ ، ومُذْهِبٌ لأجرِهِ . وَقدْ ورَدَ في التنفيرِ مِنْهُ أحاديثُ ، مِنْها :

عَنْ أبي هُرَيْرةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ : أنا أغنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيهِ غَيْري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »[1] .

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بهِ ، ومنْ يُرائي يُرائي اللهُ بهِ »[2] ، أيْ مَنْ أَرادَ أنْ يُسَمِّعَ النّاسَ بِعَمَلِهِ ، وأنْ يَحْمَدوهُ ويُثْنوا عَلَيهِ ، أَظْهَرَ اللهُ سَريرَتَهُ لَهُمْ ، وفَضَحَ نيّتَهُ ، ولم يَظْفَرْ بما أرادَهُ مِنْ حُسْنِ الذِّكْرِ بَيْنَ النّاسِ والمَنْزِلَةِ بَيْنَهُم مَعَ اسْتحقاقِهِ غَضَبَ اللهِ تعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أعَدَّ اللهُ لِمَنْ أطاعَهُ أَعْلى الدَّرَجاتِ ، وأعْظَمَ النَّعيمِ جَزاءً على طاعَتِهِ .

٢ـ لا يَرْغَبُ أهْلُ الجَنَّةِ في أنْ يَنْتَقِلوا مِنْها ، ولا أنْ يَتَحوَّلوا عَنْها ؛ لِما فيها مِنْ نَعيمٍ عَظيمٍ .

٣ـ كَلِماتُ اللهِ غَيْرُ مُتناهيةٍ ، وعِلْمُ اللهِ لا حَدَّ لَهُ .

٤ـ جِماعُ ما أَنْزَلَهُ اللهُ التَّوْحيدُ ، وأَنَّهُ هُوَ الإلهُ الّذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ دونَ سِواهُ .

٥ـ الرَّسولُ ﷺ مِنَ البَشَرِ ، وإنَّما فُضِّلَ بالنُّبُوَّةِ والرِّسالةِ .

٦ـ الإخْلاصُ واتِّباعُ أحْكامِ الشَّرْعِ شرطانِ لِقَبولِ العَمَلِ .

٧ـ الرِّياءُ مِنَ الشِّرْكِ ، ويَجِبُ تَجَنُّبُهُ وَتَرْكُهُ .

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الزُّهْدِ ، بابُ مَنْ أشركَ في عَمَلِهِ ، رقم الحديثِ : ٧٤٠٠ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الرّقاق ، بابُ الرياءِ والسُّمْعَةِ ، رقم الحديثِ : ٦١٣٤ ، ومسلمٌ في كتابِ الزُّهدِ ، بابُ مَنْ أشركَ في عمَلِهِ ، رقم الحديثِ : ٧٤٠٢ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالفِرْدَوْسِ ؟ وَمَنْ هُمْ أَهْلُهُ ؟

٢ـ لِماذا لا يَرْغَبُ أهْلُ الجَنَّةِ في أنْ يَتحوَّلوا عَنْها ؟

٣ـ ما مَعنى المِدادِ ؟ وما مَعنى المَدَدِ ؟

٤ـ لماذا لا تَنْفَدُ كَلِماتُ اللهِ ؟

٥ـ ما الشَّرْطانِ اللَّذانِ لا بُدَّ مِنْهُما لِقَبولِ العَمَلِ ؟

٦ـ لِماذا يُعَدُّ الرياءُ نَوْعاً مِنَ الشِّرْكِ ؟

نَشاطٌ :

ارْجِعْ إلى مُعْجَمٍ في اللّغَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ الفَرْقَ بينَ (نَفِدَ) بالدَّالِ و(نَفَذَ) بالذَّالِ ، وَدَوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ العشرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ مَرْيَمَ مكيّةٌ ، غَرَضُها تَثْبيتُ عَقيدةِ التَّوْحيدِ ، وتَنْزيهُ اللهِ تَعالى عمّا لا يَليقُ بِهِ ، وتَثْبيتُ عَقيدةِ البَعْثِ والجَزاءِ .

عَرَضَتِ السّورَةُ لِقَصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأنبياءِ ، وبخاصةٍ قِصّةُ عيسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ ، وما فيها مِنْ دَلائِلِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ ، كما عَرَضتْ بَعْضَ مَشاهِدِ يَوْمِ القيامَةِ ، وخَتَمَتْ بِتَنْزيهِ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

نِداءً خَفيّاً : مَسْتوراً عَنِ النّاسِ .

وَهَنَ العَظْمُ : ضَعُفَ العَظْمُ .

اشْتَعَلَ الرّأسُ شَيْباً : كَثُرَ فيهِ الشَّيْبُ .

شَقِيّاً : خائِباً .

المَوالِيَ : الأقاربُ مِنْ جِهَةِ الأَبِ كالعمِّ وابنِ العَمِّ .

وَليّاً : مَنْ يلي الأَمْرَ بعدَ مَوْتِ الرَّجُلِ .

رَضِيّاً : مَرْضِيّاً عِنْدَكَ .

سَمِيّاً : شبيهاً بالاسْمِ والصِّفَةِ .

التفسيرُ :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ .

افتُتِحَتِ السورةُ بهذهِ الحُروفِ الخَمْسَةِ ، كَما افتُتِحَت سُوَرٌ أُخْرى بِحُروفٍ مُقَطَّعَةٍ كَذَلِكَ ، مثل : ﴿ألم﴾ ﴿حم﴾ ﴿طه﴾ ﴿المص﴾ وذَلِكَ لِلتّنبيهِ إلى إعْجازِ القُرْآنِ ، ولِلإشارَةِ إلى أنَّ الُّلغةَ الَّتي نَزَلَ بها القُرْآنُ مُكَوَّنَةٌ مِنْ هَذهِ الحُروفِ الّتي تَتَكلَّمونَ بها ، وفي هذا تَحَدٍّ لِلْعَرَبِ أَهْلِ الفَصاحةِ أنْ يَأْتوا بِمِثْلِهِ ، فَهاهِيَ الحُروفُ أمامَكُم لِتنظِموا مِنْها مِثْلَهُ ، فإنْ عَجِزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ وَجَبَ التَّسْليمُ بأنَّه كلامُ اللهِ ولَيْسَ كلامَ بشرٍ .

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾ .

أي : هَذا الَّذي سَنَقُصُّهُ عَليْكَ ونُفَصِّلُهُ إخْبارٌ عَنْ رِعايةِ اللهِ وإكْرامِهِ وإجابَةِ دعُاءِ عَبْدِهِ ونَبيِّهِ زَكَرِيّا الدَّالَّةِ على رَحْمَتِهِ إيّاهُ .

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾ .

أيْ إنَّ رَحْمَةَ اللهِ أحاطتْ بعبدِهِ زَكَرِيّا ، حينَ دَعا ربَّهُ دُعاءً مَسْتوراً عنِ النَّاسِ ، وإنَّما أخفى نَبيُّ اللهِ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السّلامُ دُعاءَهُ ، وأَسَرَّ بِهِ ، وهُوَ يَتَضَرَّعُ إلى رَبِّهِ ، لأنَّ الإسْرارَ بالدُّعاءِ أَقْرَبُ إلى الإخْلاصِ ، وأَبْعَدُ عَنِ الرِّياءِ ، ولِئَلاّ يَلومَهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ على طَلَبِ الوَلَدِ بَعْدَ الكِبَرِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ ﴾ .

قالَ زَكَرِيّا في دُعائِهِ مُنادِياً رَبَّهُ ، وَمُبَيِّناً ما طَرَأَ لَهُ بِسَبَبِ تَقَدُّمِ سِنِّهِ مِنْ ضَعْفِ العِظامِ الَّتي هِيَ عِمادُ الجِسْمِ ، وأَشَدُّ أَعْضائِهِ صَلابَةً ، فإذا أَصابَها الضَّعْفُ كانَ ما سِواها أَضْعَفَ ، و مِمّا قَدَّمَ بِهِ لِدُعائِهِ لإِظْهارِ ضَعْفِهِ ، ذِكْرُهُ انْتشارَ الشَّيْبِ في رَأْسِهِ كانْتِشارِ النّارِ في الهَشيمِ . وفي هذا التَّعْبيرِ اسْتِعارةٌ بَليغَةٌ ، فَقَدْ شَبَّهَ انْتِشارَ الشَّيْبِ وكَثْرَتَهُ باشْتِعالِ النّارِ في الحَطَبِ ، وأَسْنَدَ الفِعْلِ إلى الرَّأْسِ الّذي هُوَ مَحَلُّ انْتِشارِ الشّيْبِ لِلْمُبالَغَةِ .

﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ : وقَدْ كُنْتُ فيما مَضَى مُسْتَجابَ الدَّعْوةِ ، كُلّما دَعَوْتُكَ أَجَبْتَني ؛ فَلَمْ تُخيِّبْ دُعائِي في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ ، بَلْ عَوَّدْتَني الإحْسانَ والجَميلَ ، فاسْتَجِبْ دُعائِي هَذا كَما كُنْتَ تَسْتَجيبُهُ فيما مَضَى .

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمّةِ الدُّعاءِ ، أرادَ بهِ تَبْيينَ شِدّةِ الحاجَةِ إلى الوَلَدِ ، فَيَقولُ : وإنّي خَشيتُ مِنْ أَقاربي الّذينَ يَلُونَ الأَمْرَ بَعْدَ مَوْتي أَنْ لا يُحْسنوا خِلافَتي ، ولا يَقوموا مَقامي في الدَّعْوَةِ إلى دِينِكَ كَما كُنْتُ أَفعَلُ . ومِمَّا أَطْمَعَهُم في خِلافَتي أَنَّ امْرَأَتي عاقِرٌ لا تَلِدُ ، فاسْتَجِبْ دُعائي وامْنَحْني مِنْ عَطْفِكَ وكرَمِكَ وَلَداً صالِحاً .

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ .

يَكونُ وارِثاً لي ولأَجْدادِهِ مِنْ أَبْناءِ يَعقوبَ في النُّبُوَّةِ والعِلْمِ ، ويَقودُ بني إسْرائيلَ بالعَدْلِ ، وَيكونُ مَرْضِيّاً عِنْدَكَ وعِنْدَ خَلْقِكَ ، فالمُرادُ بالوِراثَةِ النُّبُوَّةُ والدِّينُ لا المالُ وعَرَضُ الدُّنيا .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ نَبيِّهِ زكريّا ـ عَلَيْهِ السَّلامَ ـ الّذي أَحْسَنَ في دُعائِهِ ، حينَ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ إظْهارَ ضَعْفِهِ وحاجَتَهُ ، وأنّ اللهَ تَعالى لَمْ يَرُدَّ دُعاءً لَهُ مِنْ قَبْلُ ، وأنّ في هذا الدُّعاءِ مَصْلَحةً لِلدِّينِ ، فاسْتَجابَ اللهُ لَهُ وبَشَّرَهُ بأَنَّهُ سَيَرْزُقُهُ وَلَداً يُسَمِّيهِ اسْما لَمْ يَسْبِقْ لأَحَدٍ أَنْ تَسَمّى بهِ مِنْ قَبْلِهِ وهو : يحيى ، عَلَيْهِ السّلامُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مِنْ إكرامِ اللهِ لِرُسُلِهِ وَأَنْبيائِهِ ورَحْمَتِهِ لَهُمْ التَّنْويهُ بِهِمْ وذِكْرُ أَخْبارِهِمْ في هذا القُرْآنِ العَظيمِ ، ومِنْ ذَلِكَ ما قَصَّهُ عَلَيْنا مِنْ خَبَرِ زَكريّا عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ إخْفاءُ الدُّعاءِ والتّذَلُّلُ للهِ تعالى أَفْضَلُ مِنْ إظْهارِهِ ، وأَقْرَبُ للإخْلاصِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ أن يُظْهِرَ الدّاعي قَبْلَ دُعائِهِ حاجَتَهُ وضَعْفَهُ .

٤ـ الحِرْصُ على الدِّينِ ، وَعلى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ النّاسِ مَنْ يَعْدِلُ بَيْنَهُم ، وَيقومُ بِحَقِّ اللهِ تَعالى فيهِمْ .

٥ـ فَضْلُ يَحيى عَلَيْهِ السَّلامُ ، بأَنْ سَمّاهُ اللهُ تعالى باسْمٍ لم يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا افْتَتَحَ اللهُ عَدَداً مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ الكَريمِ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ مَزايا إخْفاءِ الدُّعاءِ عَنِ النّاسِ .

٣ـ بيِّنِ البَلاغةَ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ .

٤ـ ماذا قَدّمَ زَكريّا ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ قَبْلَ دُعائِهِ ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعْنى ما يلي : وَهَنَ العَظْمُ ، وَليّاً ، سَمِيّاً .

٦ـ جاءَ في الآياتِ ما يَدُلُّ على حِرْصِ زَكريّا عَليْهِ السَّلامُ على الدَّعْوَةِ إلى اللهِ . وضِّحْ ذلكَ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ . .

نَشاطٌ :

- أمَرَنا رَسولَ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْزِمَ في الدُّعاءِ . اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يَدُلُّ على ذَلِكَ .

* * *

الدرسُ الحادي والعشرون

سورةُ مرْيمَ ـ القِسْمُ الثّاني

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَنّى يَكونُ : كَيْفَ يَكونُ .

عِتِيّا : غايةَ الكِبَرِ والشَّيْخوخةِ .

سَويّاً : سَليماً لا عِلَّةَ بكَ مِنْ خَرَسٍ أو مَرَضٍ .

المِحْرابِ : مَكانِ العِبادَةِ .

فأَوْحى إليْهِمْ : أَشارَ إليْهِمْ .

بُكْرَةً وعَشِياً : أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ .

حَناناً : رَحْمَةً وعَطْفاً .

جَبّاراً عَصِياً : مُتكبِّراً مُخالِفاً لِرَبِّهِ .



لَمَّا أخْبرَ اللهُ زَكريَّا أنَّهُ أجابَ دُعاءَهُ وَقَبِلَ رَجاءَهُ ، وأنَّهُ سَيَهَبُهُ ولَداً لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً ، كانَ ذَلِكَ لِزكريّا عَجَباً .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ .

قالَ زَكريّا عَلَيْهِ السَّلامُ : يا ربِّ كَيْفَ يَكونُ لي وَلَدٌ ، وامْرَأَتي عاقِرٌ لا تَلِدُ ، وأنا قَدْ كَبِرْتُ ، وبَلَغْتُ في الشَّيْخوخةِ نِهايةَ العُمْرِ ، والإنسانُ في هذهِ الحالُ يَتَأَتّى منه الإنجابُ .

وهذا السُّؤالُ مِنْ زَكريّا لَيْسَ اسْتبعاداً لِقُدْرَةِ اللهِ ، وكَيْفَ يَسْتَبعِدُهُ وهُوَ قد دعا بِهِ ، ولَكنَّهُ أرادَ أنْ يَطْمَئِنَّ ويَعْرِفَ الوَسيلةَ التي سَيُرْزَقُ بها هذا الغَلامَ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تعالى لِزكريّا : الأَمْرُ كَما بَشَّرْتُكَ بِهِ ، وإنَّ إيجادَ الوَلَدِ مِنْكَ ومِنْ زَوجَتِكَ سَهْلٌ يَسيرٌ عَليَّ ، فَكما خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ، ولمْ تكنْ شَيْئاً مَذْكوراً ، فأنا قادِرٌ على تَحْقيقِ ما بَشَّرْتُكَ بِهِ ، وإنْ كانَ في العادَةِ مُسْتَحيلاً وغَيْرَ مألوفٍ ، والتَّعْبيرُ عَنْ هذا الأمْرِ بأنَّهُ هَيِّنٌ بالنِّسْبَةِ إلى مِقْياسِ النَّاسِ ، وَإلاَّ فَلَيْسَ في الخَلْقِ هَيِّنٌ وصَعْبٌ على اللهِ تعالى .

وَفي الآيةِ الْتِفاتٌ مِنَ الغَيْبةِ إلى التَّكَلُّمِ ، وذلكَ في قولِهِ ﴿قالَ ربُّكَ هُوَ عليَّ هَيِّنٌ﴾ لِئلاّ يُظَنَّ خُصوصيَّةُ كونهِ هَيِّناً على اللهِ بهذهِ الحالةِ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾ .

طَلَبَ زَكريّا عَلامةً تَدُلُّ على تَحقيقِ ما وُعِدَ بِهِ ، لِتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ ، فأَخْبَرَهُ اللهُ أنَّ عَلامةَ ذَلِكَ أنْ يَحْبِسَ لِسانَهُ عَنِ الكَلامِ مَعَ الآخَرينَ ثلاثَ ليالٍ مُتَواليةً مَعَ أَيّامِها ، مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ أوْ خَرَسٍ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ .

فَخَرَجَ زَكريّا مِنَ المَكانِ الَّذي كانَ يَتعبَّدُ فيهِ ، وأَشارَ إلى قَوْمِهِ أنْ سَبِّحوا اللهَ تعالى ، واذْكُروهُ في أوّلِ النَّهارِ وآخِرِه .

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ .

يُلاحَظُ ما في الكَلامِ مِنْ حَذفٍ دَلَّ عليهِ ما ذُكِرَ ، أي فَوُلِدَ يَحْيى ، وبَلَغَ السِّنَّ الَّذي يُؤْمَرُ فيهِ ،

وقالَ اللهُ لَهُ : يا يَحيى خُذِ التَّوْراةَ بِجِدٍّ وَحَزْمٍ ، ولِكَيْ يَكونَ كَذلكَ ، فَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ الحِكْمَةَ ، والفِقْهَ في الدِّينِ ، والاجتهادَ في الخَيْرِ ، وهُو ما يزالُ صَبِيّاً صَغيراً لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الرُّشْدِ .

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾ .

ورزَقَهُ اللهُ رَحْمَةً وشَفَقَةً على النّاسِ وعَطْفاً عَلَيْهِم ، ورزَقَهُ بَرَكَةً عظيمةً ، وجَعَلَهُ طائِعاً لَهُ مُجْتَنِباً المعاصيَ وما يُغْضِبُ اللهَ ، فلمْ يَقَعْ في مَعْصيةٍ بَلْ لَمْ يَهِمَّ بِفِعْلِ مَعْصِيةٍ قطُّ .

﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ .

ورزَقَ اللهُ يَحيى البِرَّ بِوالدَيْهِ ، فَكانَ طائِعاً لَهُما مُحْسِناً إلَيْهِما ، ولمْ يَكُنْ مُتَكَبِّراً مُخالِفاً لأَمْرِ اللهِ أوْ لأَمْرِ والديْهِ .

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ .

وسَلامٌ وأَمانٌ لِيَحْيى مِنَ اللهِ مِنْ حينِ مَوْلِدِهِ إلى وَقْتِ مَوْتِهِ ثُمَّ مَبْعَثِهِ . وخُصَّتْ هذهِ الأَوْقاتُ الثلاثَةُ بالذِّكْرِ لأنَّ الإنسانَ فيها يكونُ في غايةِ الضَّعْفِ والحاجةِ إلى اللهِ ، فأَمَّنَ اللهُ تعالى فيها يَحْيى مِنَ الوَحْشَةِ والأَهْوالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قُدْرَةُ اللهِ على جَعْلِ المَرْأَةِ تَلِدُ بَعْدَ أنْ كانَتْ عاقِرا لا تُنْجِبُ .

٢ـ لا حَرَجَ في طَلَبِ مَعْرِفةِ كيفيَّةِ حُصولِ الفِعْلِ للاطْمِئْنانِ .

٣ـ وُجوبُ أَخْذِ شَرْعِ اللهِ والعَمَلِ بِهِ بجدٍّ وحَزْمٍ .

٤ـ وُجوبُ بِرِّ الوالدينِ وطاعَتِهما والحَنانِ عَلَيْهِما .

٥ـ ذِكْرُ الصِّفاتِ العالِيَةِ الّتي طُبِعَ عَلَيْها نَبيُّهُ يَحيى عَلَيْهِ السَّلامُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا طَلَبَ زَكريّا آيةً على حُصولِ ما بَشّرَهُ اللهُ بِهِ ؟

٢ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنْ صِفاتِ يَحْيى عَلَيْهِ السّلامُ المَذْكورةِ في الآياتِ .

٣ـ لِمَ خُصَّتِ الأَوْقاتُ الثّلاثةُ (الولادةُ ـ المَوْتُ ـ البَعْثُ) بِحُصولِ الأَمانِ والسَّلامِ فيها مِنَ اللهِ تعالى لِيَحْيى عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٤ـ صِلْ بينَ كلِّ لفظٍ ومَعناهُ ممّا يلي :

وَحَناناً مِنْ لَدُنّا	بَرَكَةً عظيمةً
زكاةً	مُحْسِناً لوالِدَيْهِ
وكانَ تَقِيّاً	رَحْمةً وَعَطْفاً
وبَرّاً بوالدَيْهِ	طائِعاً للهِ مجتنباً لِمَعاصيهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الآيَةَ الدّالَّةَ على أنَّ اللهَ إذا أَرادَ شَيْئاً قالَ لَهُ كُنْ فيكونُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى المُصْحَفِ ، واقْرَأ الآيَةَ الحادية والأَرْبعينَ مِنْ سورَةِ آلِ عِمْرانَ ، وَوازِنْ بَيْنَ ألفاظِها وألفاظِ الآيةِ (١٠) مِنْ هذهِ السّورَةِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ في قَصَصِ الأَنْبياءِ ، واقْرَأْ مِنهُ قِصّةَ وَفاةِ يحيى عَلَيْهِ السّلامُ . واسْتَخْرِجِ العِبْرَةَ مِنْها .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

انْتَبَذَتْ	: اعْتَزَلَتْ وانفَرَدَتْ .
حِجاباً	: سِتْراً .
روحَنا	: جِبْريلَ عليهِ السَّلامُ .
سَوِيّاً	: كامِلَ البُنْيَةِ .
زَكِيّاً	: طاهِراً مِنَ الذُّنوبِ .
ولَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ	: وَلَمْ أَتزوَّجْ .
بغيّاً	: فاجِرَةً .

التفسيرُ :

القِصَّةُ الثانيةُ في سورةِ مَرْيَمَ هِيَ قِصَّةُ وِلادةِ المَسيحِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في قِصَّةِ مَرْيَمَ وابنِها عيسى عَليْهِما السَّلامُ ، بَعْدَ انتهاءِ قِصَّةِ زَكَرِيّا وابنِهِ يَحْيى عَلَيْهِما السَّلامُ . وبَيْنَ القِصَّتينِ تَشابُهٌ كَبيرٌ ، وإنْ كانَتْ هذهِ أغْرَبَ وأعْجَبَ .

والخِطابُ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يَذْكُرَ لِلنّاسِ قِصَّةَ مَرْيَمَ كما ورَدَتْ في القُرْآنِ الكَريم . وتَبْدَأُ القِصَّةُ باعْتِزالِ مَرْيَمَ قَوْمِها إلى مَكانٍ يَقَعُ في الجِهَةِ الشَّرْقيّةِ مِنَ البَلْدَةِ ، بِقَصْدِ الابتعادِ عنهُمْ لِلتفرُّغِ لِلْعِبادَةِ دُونَ أنْ يُشْغِلَها أَحَدٌ .

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾ .

جَعلَتْ مَرْيَمُ بَيْنَها وبَيْنَ النّاسِ سِتْراً وحاجزاً ، وبَيْنَما هِيَ في خَلْوَتِها أَتاها جِبْريلُ عليْهِ السَّلامُ بِصورَةِ رَجُلٍ تامِّ الخِلْقَةِ جَميلِ الصُّورَةِ ، وذلِكَ لِتأْنَسَ بكلامِهِ ولا تَفْزَعُ مِنْهُ لَوْ ظَهَرَ لها بِصورَتِهِ المَلَكِيّةِ ، وكانَ جِبْريلُ ـ عَليْهِ السّلامُ ـ إذا تَمثّلَ بِصورَةِ بَشَرٍ يَتَمثَّلُ بِصورةٍ حَسَنَةٍ جَميلةٍ ، كما ثَبَتَ في السِّيرةِ النَّبوِيةِ .

وأَضافَ سُبْحانَهُ الرُّوحَ إليهِ في قَوْلِهِ (روحَنا) لِلتَّشْريفِ ، وسُمِّيَ جِبْريلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ روحاً لأنَّ الدِّين يَحْيا بِوَحْيِهِ .

﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ .

لَمّا ظَهَرَ لها جِبْريلُ ـ عَليْهِ السّلامُ ـ بِهَيئَةِ رَجُلٍ ، وهِيَ في مَكانٍ مُنْعَزِلٍ عَنْ قَوْمِها ، وبَيْنَها وبَيْنَهم حِجابٌ ، خافَتْ مِنْهُ وخَشِيَتْ أنَ يَكونَ يُريدُ بها سُوءاً ، فاسْتعاذَتْ باللهِ تَعالى مِنْهُ أنْ يَحْفَظَها بِرَحْمَتِهِ ، ولِذا ذَكَرَتِ اسْمَهُ تَعالى الرَّحْمنَ ، وذَكَّرتْ هذا الآتي بِتَقوى اللهِ ، وأَخْبَرَتْهُ بالْتِجائِها إلى الرَّحْمنِ سُبْحانَهُ ، فإنْ كانَ تَقِيّاً تَرَكَها وشَأْنَها ، ولَمْ يَمَسَّها بِسُوءٍ ، فَجَوابُ الشَّرْطِ مَحذوفٌ ، والتَّقْديرُ : إنْ كُنْتَ تَتَّقي اللهَ فلا تُؤْذِني .

﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ .

قالتْ مَرْيَمُ : كَيْفَ يكونُ لي غُلامٌ ، وعلى أيِّ صِفَةٍ يُوجَدُ هذا الغُلامُ مِنّي ، ولَسْتُ مُتَزوِّجَةً ولا زانيةً ، ولا يَكونُ الوَلَدُ إلاّ مِنْ إحدى هاتَيْنِ الطّريقتَيْنِ .

والبَغِيُّ المَرأَةُ الفاجِرَةُ يَبْغيها ، أيْ يَطْلُبُها الرِّجالُ لِلْفاحِشَةِ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ .

قالَ جِبْريلُ عَليْهِ السّلامُ مُجيباً مَرْيَمَ ، ومُزيلاً دَهْشَتَها وعَجَبَها : الأَمْرُ كما قالَ ربُّكِ ، أنّكِ

سَتَحْملينَ بهذا الوَلَدِ مِنْ دونِ أنْ يَمَسَّكِ بَشَرٌ ، وهُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ ويَسيرٌ على اللهِ ، وإنْ كانَ مُسْتَحيلاً في عُرْفِ النّاسِ ومَألوفِهم ، وفي إيجادِ الغُلامِ بهذهِ الطّريقةِ آيةٌ عَظيمةٌ تَدُلُّ على قُدْرَةِ اللهِ سُبحانَهُ ، فإنّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ولا أُمّ ، وخَلَقَ عيسى مِنْ أمٍّ دونَ أبٍ ، وفي هذا وذاكَ دَليلٌ واضِحٌ على عَظَمتِهِ سُبحانَهُ ، كما أنَّ في خَلْقِ النّاسِ مِنْ ذَكَرٍ وأنثى آيةً عَظيمةً على قُدْرَةِ اللهِ تعالى وحِكْمَتِهِ .

﴿ورحمةً مِنَّا﴾ لِلْبَشرِ ، لِمَنْ يَهْتَدي مِنْهُم بهدْيِهِ ، ويَتّبِعُ دِينَهُ الحَقَّ المُرْسَلَ بهِ منَ اللهِ ، وهذا أَمْرٌ مَفْروغٌ مِنْهُ ، لا بدَّ مِنْ جَرَيانِهِ وحُصولِهِ ؛ لِتَقْديرِ اللهِ تَعالى إيَّاهُ ؛ فَكُلُّ ما قدّرَهُ اللهُ تعالى سَيكونُ ولا رادَّ لِقضائِهِ .

دروس وعبر

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قُدْرَةُ المَلائِكَةِ على التَّشَكُّلِ بِصورَةِ بَشَرٍ بإِذْنِ اللهِ تعالى .

٢ـ فَضْلُ مَرْيَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْها .

٣ـ لَيْسَ كُلُّ مَنْ جاءَه المَلائِكَةُ فَهُو نَبيٌّ ، فَقَدْ جاء جِبْريلُ مَرْيَمَ ولَيْسَتْ نَبيَّةً .

٤ـ الإيمانُ باللهِ ، وحُسْنُ عِبادَتِهِ يُوصِلان إلى العِفَّةِ والحَياءِ .

٥ـ مَشْروعيةُ الاسْتِعاذَةِ باللهِ مِمَّا يُخافُ مِنْهُ .

٤ـ التَّقْوى تَرْدَعُ عَنْ إيذاءِ الآخَرينَ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا ابْتَعدتْ مَرْيَمُ عَنْ قَوْمِها ؟

٢ـ لِماذا فَزِعَتْ مَرْيَمُ عِنْدَما رَأَتْ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ماذا قالَ جِبْريلُ ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ لِمَرْيَمَ لِيُطَمْئِنَها ويُزيلَ خَوْفَها ؟

٤ـ لماذا اسْتَغْرَبَتْ مَرْيَمُ مِمَّا بَشَّرَها بِهِ جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ اذْكُرْ بلُغَتِكَ الحِوارَ الَّذي دارَ بَيْنَ مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ وجِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورةِ آلِ عِمْرانَ الدّالَّةَ على صَلاحِ مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كتابِ السِّيرةِ النَّبويّةِ لابنِ كَثيرٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ حادِثَةً تَمَثَّلَ فيها جِبْريلُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ بِصورةِ رَجُلٍ حَسَنِ المَنْظَرِ ، وَدَوِّنْها في دفتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشرونَ

سورةُ مَرْيمَ - القِسْمُ الرَّابِعُ

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَصِيّاً : بَعيداً .

فَأَجاءَها : أَلْجأَها .

المَخاضُ : آلامُ الوِلادَةِ وبِدايتُها .

نَسْياً مَنْسِيّاً : شَيْئاً حَقيراً مَتْروكاً .

سَرِيّاً : جَدْوَلَ ماءٍ .

جَنِيّاً : غضّاً طَرِيّاً .

وَقَرّي عَيْناً : طِيبي نَفْساً ولا تَحْزَني .

فَرِيّاً : مُنْكَراً عَظيماً .

المَهْدِ : الفِراشِ الّذي يُهيّأُ للصّبيِّ .



ذَكَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ السّابقِ بِشارةَ جِبْريلَ لِمَريمَ عَلَيْهما السَّلامُ . وَفي هَذهِ الآياتِ تَتمَّةُ أَمْرِ حَمْلِها وَوِلادَتِها . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

في الكلامِ مَحذوفٌ مَفْهومٌ مِنَ السِّياقِ ، وهُوَ أَنَّ جِبْريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ نَفَخَ في جَيْبِ دِرْعِها أيْ : فَتْحَةِ ثَوْبِها فَدَخَلَتِ النَّفْخَةُ إلى جَوْفِها فَحَمَلَتْ بِعيسى ، ولمَّا شَعَرَتْ بالحَمْلِ ، وقَرُبَ مَوْعِدُ الوِلادَةِ ابْتَعدتْ عَنْ قَوْمِها حتَّى لا يُعيِّرَها أَحَدٌ .

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

أَلْجأَها أَلَمُ الوِلادَةِ ، وبِدايةُ الوَضْعِ إلى أَنْ تَسْتَنِدَ إلى جِذْعِ نَخْلَةٍ ، وتَمنَّتْ ـ في هذه الحالِ ـ أنْ تَكونَ قَدْ ماتَتْ قَبْلَ أَنْ تَرى هذا الشَّيْءَ ، وأنّها لَمْ تكنْ شَيْئاً يُذْكَرُ ، خَشْيَةَ ما سَيقولُهُ النّاسُ فيها ، ويَتَّهِمونَها بهِ مِنْ زِنىً وفُجورٍ ، وهِيَ المَعْروفَةُ بَيْنَهم بِعبادَتِها وتَقْواها .

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

فَناداها ابْنُها الَّذي لَمْ يُولَدْ إلاّ مِنْ لَحظاتٍ مُثَبِّتاً إيّاها ، مُزِيلاً هَمَّها ، داعِيا إيَّاها أَنْ تُفكِّرَ بما سَيقولُهُ النّاسُ ، ولَفَتَ نظَرَها إلى أنَّ اللهَ قَدْ أجْرى لَها مِنْ تَحْتِها جَدْوَلاً مِنَ الماءِ ، آيةً باهِرَةً وكَرامةً لها .

﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وطَلَبَ مِنْها أنْ تَهُزَّ جِذْعَ النَّخْلَةِ ، فَفَعَلَتْ فَتساقَطَ عَلَيْها تَمْرٌ ناضِجٌ وَرُطَبٌ شَهِيٌّ ، والرُّطَبُ مِنْ أَحْسَنِ أنْواعِ الطّعامِ لِلْمَرْأةِ النُّفَساءِ الحَديثةِ الوِلادَةِ . وكانَ سُقوطُ الرُّطَبِ عَلَيْها آيةً أُخْرى ؛ فَقَدْ ذَكَرَ المُفسِّرونَ أَنَّ النَخْلَةَ كانَتْ يابِسَةً غَيْرَ مُثْمِرَةٍ قَبْلَ أنْ تَهُزَّها ، وأنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ رُطَبٍ ناضجٍ جَنِيٍّ ، وكلُّ هذا لِتَسْكينِ نَفْسِها ، وإذْهابِ ما عَرَضَ لها مِنْ ضيقٍ ، وتخفيفِ آلامِ الوِلادَةِ عَنْها .

﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

فَكُلي مِنَ الرُّطَبِ واشْرَبي مِنْ ماءِ الجَدْولِ ، واهْنَئِي ، وطيبي نَفْساً ، وإذا رَأَيْتِ أَحداً أيّاً كانَ مِنَ البَشَرِ ، فَقولي لَهُ ﴿إنّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً﴾ عَنِ الكلامِ . والصَّوْمُ في اللُّغةِ هُوَ الامْتِناعُ عَنِ

الشَّيْء طَعاما أوْ كَلاماً أوْ غَيْرِهما ، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾ أُمِرَتْ أنْ تُفْهِمَ مَنْ تراهُ مَعنى هذا القَوْلِ بالإشارَةِ لا بالكَلام ، وعَدمُ كلامِها تَخَلُّصٌ مِنْ مُجادَلَةِ السُّفَهاءِ ، واكْتِفاءٌ بكلامِ وَليدِها نِيابةً عَنْها ، فَيَكونُ ذَلِكَ آيَةً باهِرَةً .

وقَدْ أَلْقى كَلامُ وَليدِها في نَفْسِها الهُدوءَ والطُّمَأْنينةَ ، فَقَدِ اسْتَيْقَنَتْ أنَّ اللهَ سَيَدْفَعُ بِهِ عَنْها كُلَّ ما يُمْكِنُ أنْ تُواجِهَهُ مِنْ صِعابٍ ، وكذلكَ كانَ .

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ .

بَعْدَ أنِ اطْمَأَنَّتْ مَرْيَمُ لِما رأتْ مِنْ آياتٍ ، وعَلِمَتْ أنَّ اللهَ سَيُدافِعُ عَنْها ، رَجَعَتْ إلى قَوْمِها حامِلَةً ابْنَها الوليدَ على يَدِها ، قادِمَةً مِنَ المَكانِ القَصِيِّ الّذي كانتْ فيهِ ، فَلمّا رَأَوْها قالوا لَها : لَقَدْ فَعَلْتِ أَمْراً مُنْكَراً عَظيماً ، وزادوا تَوْبيخَهُمْ لها بقَوْلِهِمْ :

﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

أيْ يا شَبيهةَ هارونَ في الصَّلاحِ والتَّقْوى ، وَهُوَ رَجُلٌ صالِحٌ مِنْ قَوْمِها كانتْ تُشَبَّهُ بِهِ في صلاحِهِ ، كَيْفَ تَأْتينَ هَذا الأَمْرَ المُنْكَرَ العَظيمَ ، وأَنْتِ المَعْروفَةُ بالتَّقْوى كما عُرِفَ بها هارونُ ، وأنتِ ابنةُ أبويْنِ صالِحيْنِ ؛ فأبوكِ لَمْ يُعرَفْ عَنْهُ سُوءٌ ، ولَمْ يَتَّصفْ بِشَرٍّ أَوْ فَسادٍ ، وأُمُّكِ لم تَكُنْ امْرَأَةً فاجِرَةً مُنْحَرِفةً . فَأَنْتِ مِنْ بيئةٍ صالِحَةٍ طيِّبَةٍ . فإتيانُ المُنْكَرِ مِنْكِ أَفْظَعُ وأَشَدُّ ؟

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾

لَمْ تُجِبْهُمْ مَعَ عَظيمِ حاجَتِها إلى رَدِّ كلامِهِمْ ، وتَبيينِ حَقيقةِ أمْرِها ، الْتِزاماً مِنْها بما أُمِرَتْ بِهِ مِنْ عَدَمِ الكلامِ ، وأشارَتْ إلى ابنِها الطِّفْلِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ ليَسْأَلوهُ ـ فاسْتَغْرَبوا مِنْها ، فقالوا : كَيْفَ نُكَلِّمُهُ ، ولَمْ نعْهَدْ صَبِيّاً تَكَلَّمَ في مَهْدِهِ ، وظَنُّوا أنّها تَسْخَرُ مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُسْلِمُ الصّالِحُ يَرى أنَّ المَوْتَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أنْ يَشْتَهِرَ بَيْنَ النّاسِ بِمَعْصِيَةٍ ، لأنَّ ارْتِكابَ المَعْصِيةِ مِنْه أَشَدُّ سُوءاً مِنْ غيرِهِ .

٢ـ في عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ آياتٌ عِظامٌ حَيْثُ حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ، وكَلَّمَ النَّاسَ وهُوَ في المَهْدِ صَبِيّاً .

٣ـ كانَتْ مَرْيَمُ امْرَأَةً صالِحَةً تَقِيَّةً ، فَحَفِظَها وَرَعاها وَبَرَّأَ ساحَتَها .

٤ـ إثباتُ كَراماتِ الأَوْلياءِ حَيْثُ أَجْرى اللهُ لِمَرْيَمَ عَيْنَ ماءٍ تَشْرَبُ مِنْها ، وأَسْقَطتِ النَّخْلَةُ اليابسةُ عَلَيْها الرُّطَبَ الجَنَّي .

٥ـ إنَّ اللهَ تعالى يَصْنَعُ لِعبادِهِ الصَّالِحينَ مِنَ الكَراماتِ ما يُثَبِّتُهُمْ على الحَقِّ ، ويُنْسيهِمُ الحُزْنَ .

٦ـ الالْتِزامُ بأَمْرِ اللهِ مِفْتاحٌ لِلْفَرَجِ وذَهابِ الضُّرِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا تَمَنَّتْ مَرْيَمُ المَوْتَ ؟

٢ـ مَنِ الّذي نادى مَرْيَمَ ؟ وبماذا بَشَّرَها ؟

٣ـ ما الأُمورُ الخارِقَةُ الَّتي حَصَلَتْ مَعَ مَرْيَمَ حينَ ولادَتِها ؟ وما فائِدَتُها ؟

٤ـ مَنْ هارونُ المَقْصودُ في الآيةِ ؟ وهَلْ مَرْيَمُ أُخْتُهُ حَقيقةً ؟

٥ـ ما فائِدَةُ ذِكْرِ صَلاحِ أُمِّ مَرْيَمَ وأَبيها في مَقامِ تَوْبيخِها ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ (التّحريمِ) التي تَحدّثتْ عَنْ مَرْيمَ عَلَيْها السَّلامُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ في الأَغْذِيةِ والنَّباتاتِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهُ فَوائِدَ الرُّطَبِ ومَزاياهُ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جَبَّاراً شقيّاً : مُتَكَبِّراً بَعيداً عَنِ الخَيْرِ .

يَمْتَرونَ : يَخْتَلِفونَ .

سُبْحانَهُ : تَنْزيهاً للهِ تعالى عَنِ النَّقائِصِ .

الأَحْزابُ : الحِزْبُ : الفِرْقَةُ المُنْفَرِدَةُ بِرَأْيِها عَنْ غيرِها .

نَرِثُ الأَرْضَ : ننفردُ بِمِلكِيَّتِها حَيْثُ لا يَمْلِكُها أَحَدٌ .

التفسيرُ :

وتَمْضي الآياتُ في بَيانِ حَقيقةِ عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَبْدِ اللهِ ورَسولِه . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أَنْطَقَ اللهُ تعالى عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَهُوَ طِفْلٌ في المَهْدِ فَقالَ : ﴿إِنّي عَبْدُ اللهِ﴾ فكانَ أَوَّلَ

ما خاطَبَ بِهِ النَّاسَ الاعترافُ بِعُبودِيّتِهِ للهِ تَعالى ، وتَقْديمُهُ على غَيْرِهِ لإبطالِ زَعْمِ ربوبيّتِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ اللهَ قَدَّرَ لَهُ أنَّهُ سَيكونُ نَبيّاً ، وأنَّهُ سيُنَزِّلُ عليْهِ كِتاباً هُو الإنجيلُ ، وَعَبَّرَ عَنِ المُسْتَقْبَلِ بالماضي لإفادَةِ تَحَقُّقِهِ . وهَكذا بَرّأَ اللهُ تعالى مَرْيَمَ مِمَّا اتُّهِمَتْ بهِ ، على لِسانِ وَلَدِها عيسى عَبْدِ اللهِ ورسولِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ .

أي : وَجَعَلَ فيَّ البَرَكةَ والخَيْرَ والنَّفْعَ لِلْعِبادِ أيْنما كُنْتُ ، وأَمَرَني بأداءِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حيّاً في هذهِ الدُّنْيا ، وخُصَّتِ الصَّلاةُ والزَّكاةُ بالذِّكرِ لأهميّتِهِما .

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وجَعَلَني بارّاً بِوالِدَتي مُحْسِناً لَها ، ولمْ يَجْعَلْني مُتَكَبِّراً على أَحَدٍ ، ولا بَعيداً عَنِ الخَيْرِ . وخَصَّ البِرَّ بِوالِدَتِهِ لأنَّهُ لا أَبَ لَهُ يَبَرُّهُ . وفي هَذهِ العِبارَةِ مِنْهُ تَبْرِئَةٌ لأُمِّهِ ، وتَأْكيدٌ لِطهارَتِها وعَدَمِ ارْتِكابِها الفاحِشَةَ ، كما أنَّ في عِباراتِهِ السَّابِقَةِ ما يُشيرُ إلى ذَلِكَ ، فاللهُ تَعالى لا يَصْطَفي نبيّاً ، ويُنَزِّلُ عَلَيْهِ كِتاباً ، وهُوَ مَطْعونٌ في نَسَبِهِ ، وغَيْرُ مُعْتَرَفٍ بِهِ في قَوْمِهِ .

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وخصَّني اللهُ تعالى بالسَّلامِ والسَّلامَةِ ، والأَمْنِ في يَوْمِ وِلادتي ، وفي يَوْمِ مَماتي ، ويَوْمِ خُروجي حَيّاً مِنْ قَبْري يَوْمَ القيامَةِ .

وفي كلام عيسى ـ عَلَيهِ السَّلامُ في مَهْدِهِ ـ إعْلانُ عُبوديّتِهِ للهِ ، ونَفْيُ كَوْنِهِ إلَهاً ، أوِ ابنَ إلهٍ ، إنّما هُوَ عَبْدٌ للهِ يُولَدُ ويَموتُ كَسائرِ البَشَرِ .

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

ذَلِكَ هُوَ القَوْلُ الحَقُّ في عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، الَّذي اخْتَلَفَ النَّاسُ في شَأْنِهِ ، وتَنازَعوا في أَمْرِهِ ، فَقالَ اليَهودُ عَنْهُ : إنّهُ ساحِرٌ ، وابنُ زِنا ، وقال النَّصارى عَنْه : إنّهُ إلهٌ أوابنُ إلهٍ أو ثالِثُ ثَلاثةٍ ، وقَدْ كَذّبَهُمُ اللهُ تَعالى بما سَبَق ، وبقولِهِ :

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

هذا تَنْزيهٌ للهِ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ ، فإنّهُ لا يَسْتَقيمُ ، ولا يَصِحُّ أنْ يُنْسَبَ الوَلَدُ إليهِ ، وهُوَ المُنَزَّهُ عَنْ كلِّ النَّقائِصِ ، وَوجودُ الوَلَدِ صِفَةُ نَقْصٍ لا صِفَةُ كَمالٍ . ومِنْ مَظاهِرِ كَمالِ قُدْرَتِهِ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّه إذا أَرادَ إيجادَ أَمْرٍ مِنَ الأُمورِ يَقولُ لَهُ : ﴿كنْ فيكونُ﴾ . فَمَنْ كانَ هذا شَأْنَهُ لا يَحْتاجُ إلى وَلَدٍ .

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وممَّا بيَّنَهُ عيسى ابن مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ عِنْدما تَحَدّثَ في المَهْدِ ، إخْبارُ قَوْمِهِ أنَّ اللهَ ربُّهُ وربُّهُم ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادةِ . والإيمانُ باللهِ تعالى ، والإقْرارُ لَهُ بالرُّبوبيّةِ ، وعِبادَتُهُ وَحْدَهُ ، هُوَ الطَّريقُ المُسْتَقيمُ ، والدّينُ الحَقُّ الَّذي يَجِبُ اتِّباعُهُ ، والسَّيْرُ فيهِ .

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

اخْتَلَفَتْ فِرَقُ أَهْلِ الكتابِ في عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَطَعَنَ اليَهودُ فيهِ ، وزَعَمَ بَعْضُ النَّصارى أنّهُ إلهٌ ، أو ابنُ إلهٍ ، ويَوْمَ القيامةِ حينَ يَتَيقّنونَ الحَقَّ في شَأْنِهِ ، وأنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ سَيُعَذّبونَ على كُفْرِهِم باللهِ ، وإشْراكِهِمْ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وادِّعائِهِمْ أنّ عيسى ابنُ اللهِ ، فالوَيْلُ والهَلاكُ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

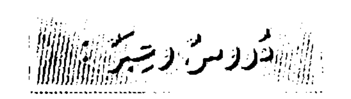
هذا تَعْجيبٌ مِنْ قُوّةِ سَمْعِهِم وبَصَرِهِم يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ تَكونُ أبْصارُهُمْ حادَّةً وأسْماعُهُمْ قويّةً ، بِخلافِ ما كانتْ عَلَيْهِ في الدُّنْيا ، حَيْثُ أَصَمَّوا أسْماعَهُمْ عَنِ الحَقِّ ، وأَعْمَوْا عُيونَهُمْ عنْ رُؤيتِهِ ، فكانوا في ضَلالٍ واضِحٍ ظاهِرٍ ، أيْ أنّهمُ في الآخِرَةِ سَيَعْلَمونَ حَقيقةَ ما كانوا عَلَيْهِ مِنْ ضَلالٍ في الدُّنْيا ، فَلمّا لَمْ يَنْفَعْهُمْ سَمْعُهُمْ وبَصَرُهُمْ في الدّنْيا فلا يَنْفَعُهُمْ كُلُّ هذا في الآخِرَةِ .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

وأنذِرْ أيُّها النّبيُّ الخلائِقَ كُلَّها ، وخَوِّفْهُمْ مِنْ يَوْمِ القيامَةِ ، الّذي يَتَحَسَّرُ فيهِ المُسيءُ على ما فَرَّطَ ، حِينَ يَعْلَمُ سُوءَ عاقِبَةِ أمْرِهِ ، ويَتَحسَّرُ فيهِ المُقَصِّرُ على عَدَمِ ازْدِيادِهِ مِنَ الخَيْرِ . وقدْ كانوا في الدُّنْيا غافِلينَ عمَّا سيُفْعَلُ بِهِمْ في الآخِرَةِ ، وغَيْرَ مُصَدِّقينَ بهِ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّ الخَلائِقَ سَتَفْنى وتَهْلِكَ ، ولا يَبْقى مُلْكٌ في الأرْضِ لأَحَدٍ سِواهُ ، وسَيَرْجِعُ الخَلْقُ إليهِ ـ سُبحانَهُ ـ لا إلى غَيْرِهِ ، وهذا تَخْويفٌ عَظيمٌ ، وَوعيدٌ شديدٌ .



تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَقْريرُ عُبودِيةِ عيسى ـ عَليْهِ السّلامُ ـ وأنَّهُ لَيْسَ إلَهاً ولا ابنَ إلهٍ .

٢ـ تَحَسُّرُ النَّاسِ جَميعاً يَوْمَ القيامَةِ ، فالكافِرُ يَتَحَسّرُ على سوءِ عَمَلِهِ ، والمُقَصِّرُ على عَدَمِ ازْدِيادِهِ ، والمُحْسِنُ على قِلّةِ إحْسانِهِ .

٣ـ الصِّراطُ المُسْتَقيمُ هُوَ عبادةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٤ـ الإخْبارُ بما عَلَيْهِ النَّصارى مِنَ اخْتِلافٍ في شَأْنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سِرُّ بدءِ كلامِ عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِتَقْرِيرِ عُبوديّتِهِ للهِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ اخْتِلافِ أهْلِ الكِتابِ في شَأْنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ما مَعْنى ﴿أسْمِعْ بِهِم وأبْصِرْ يَوْمَ يَأْتونَنا﴾ وما سَبَبُ التَّعْجيبِ مِنْ حالِهِمْ ؟

٤ـ لِماذا يُسمَّى يَوْمُ القيامةِ : يَوْمَ الحَسْرَةِ ؟

٥ـ ما مَعنى وِراثةِ اللهِ تَعالى الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها ؟

نَشاطٌ :

ـ جاءَ في سورَةِ (الإخْلاصِ) نَفْيُ الوَلَدِ والوِلادَةِ عَنِ اللهِ تعالى ، اكْتُبْ ما يَدُلُّ على ذَلِكَ في دفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الكِتابِ : القُرْآنِ .

صِدِّيقاً : مُلازِماً لِلصِّدْقِ .

عَصِيّاً : عاصِياً .

واهْجُرْني مَلِيّاً : زَمَناً طَويلاً .

حَفِيّاً : مُحيطا بالرِّعايَةِ والإِكْرامِ .

التَّفسيرُ :

ذَكَرَتْ آياتُ السّورَةِ خَبَرَ نَبِيِّ اللهِ زَكَرِيّا ، وَخَبَرَ نَبِيِّ اللهِ عيسى عَلَيْهِما السَّلامُ ، وَهَذهِ الآياتُ تَذْكُرُ خَبَرَ خَليلِ اللهِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) ﴾ .

واتْلُ أيُّها النَّبيُّ على النّاسِ قِصّةَ إبْراهيمَ ، فإنَّ أهْلَ الكِتابِ يَدَّعونَ أنَّهُم على مِلَّتِهِ ، فَلَعَلَّهُمْ باسْتِماعِ قِصَّتِهِ يَتْرُكونَ ما هُمْ فيهِ مِنْ شِرْكٍ وافْتِراءٍ . لَقَدْ كانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُلازِماً لِلصِّدْقِ ، في كُلِّ شُؤونِهِ ، مُصَدِّقاً لِمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأنْبياءِ ، وَكانَ نَبيّاً كَريماً ، وَهُوَ أحَدُ أُولي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ .

سَلَكَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ أَبيهِ أحْسَنَ مِنهاجٍ ، والْتَزَمَ غايَةَ الأدَبِ ؛ فَبَدأَ بِمُناداتِهِ بالأُبوَّةِ لِيُحَرِّكَ في نَفْسِهِ عاطِفَةَ الأُبُوَّةِ لَعَلَّهُ يُقْبِلُ عَلى كَلامِهِ ، بَلْ لا تَسْمَعُ وَلا تُبْصِرُ شَيْئاً ، وَلا تَقْدِرُ عَلى جَلْبِ نَفْعٍ وَلا دَفْعِ ضُرٍّ ، وَفي هذا السُّؤالِ تَنْبيهٌ إلى عَدَمِ اسْتِحْقاقِ الأصْنامِ أنْ تُعْبَدَ لِعَجْزِها ، وَأنَّ العِبادَةَ لا يَسْتَحِقُّها إلاّ الخالِقُ المُنْعِمُ الغَنِيُّ .

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) ﴾ .

كَرَّرَ نِداءَهُ وَنُصْحَهُ بِلُطْفٍ مُبَيِّناً أنَّهُ يَمْلِكُ عِلْماً أكْثَرَ مِنْهُ ، دونَ أنْ يَصِفَهُ بالجَهْلِ ، وَدَعاهُ إلى اتِّباعِهِ لِيوصِلَهُ إلى الطَّريقِ المُنَجّي مِنَ المَهالِكِ ، وَهُوَ دينُ اللهِ الذي لا عِوَجَ فيهِ وَلا نَقْصَ .

﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) ﴾ .

أرادَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِكَلامِهِ هذا تَنْفيرَ أَبيهِ مِمّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ الأصْنامِ ، فَإنَّ الدّاعِيَ لِعِبادَتِها هُوَ الشَّيْطانُ ، الَّذي عَصى أمْرَ رَبِّهِ الرَّحمنِ المُنْعِمِ عَلَيْهِ وَعَلى غَيْرِهِ ، فَقابَلَ الرَّحْمَةَ بِالمَعْصِيَةِ مَعَ الإصْرارِ عَلَيْها ، فَهَلْ يَليقُ بِالإنْسانِ أنْ يَعْبُدَ عَدُوَّ الرَّحمنِ ؟

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾ .

وَمِنْ فَرْطِ الإشْفاقِ عَلَيْهِ خَتَمَ كَلامَهُ بِتَحذيرِهِ مِنْ عاقِبَةِ عِبادَهِ الشَّيْطانِ ، وَأنَّهُ يَخْشى عَلَيْهِ أنْ يَقودَهُ إلى عَذابِ اللهِ تعالى ، فَيكونَ مُقارِناً وَمُصاحِباً لِلشَّيْطانِ في العَذابِ واللَّعْنِ .

أَمّا رَدُّ الأَبِ عَلى ابْنِه فَقَدْ بيَّنَهُ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) ﴾ .

قالَ أبو إبْراهيمَ لَهُ : أَمُعْرِضٌ أنْتَ عَنْ عِبادَةِ آلِهَتي يا إبْراهيمُ ؟ وَصَدَّرَ كَلامَهُ بالاسْتِفهامِ الَّذي يُنْكِرُ بِهِ عَلى إبْراهيمَ إعْراضَهُ عَنْ آلِهَتِهِ ، وَدَعْوَتَه أباهُ لِتَرْكِ عِبادَتِها . وَأَخَّرَ الأَبُ مُناداةَ ابْنِهِ باسْمِهِ بَعْدَ هذِهِ الجُمْلَةِ ، بِخِلافِ ما فَعَلَهُ إبْراهيمُ حَيْثُ قَدَّمَ نِداءَهُ ، وَوَصَفَهُ بالأُبوَّةِ .

ثُمَّ هدَّدَ الأبُ ابْنَهُ بِأَنَّهُ إنْ لَمْ يَكُفَّ عَنِ الحَديثِ عَنْ آلِهَتِهِ ، وَذِكْرِ عُيوبِها فَإنَّه سَيَرْجُمُهُ

بِالحِجارَةِ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أن يَتْرُكَهُ ، ويَبتَعِدَ عَنْهُ زَمَناً طَويلاً ، فَكَيفَ كانَ رَدُّ إبْراهيمَ عَلى هذا التَّهديدِ الصَّريحِ ؟ قالَ اللهُ تعالى مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

قالَ إبْراهيمُ لِأَبيهِ : أَمّا أَنا فَلا يَنالُكَ مِنّي ما تَكْرَهُ ، وَلا أُقابِلُ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِها ، وَسَأَطْلُبُ مِنْ رَبّي أَنْ يُوَفِّقَكَ لِلتَّوْبَةِ ، ويَهْديَكَ إلى الإيمانِ . ويُؤْخَذُ مِنْ هذا جَوازُ الدُّعاءِ لِلكافِرِ بِالهِدايَةِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، إنّ رَبّي كانَ بَليغاً في اللُّطْفِ بي والبِرِّ ، وَمُجيباً لِدُعائي ، وَمُحيطاً لي بِالرِّعايَةِ والإكْرام .

﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وَأَتْرُكُكُمْ وَأَرْتَحِلُ عَنْ دِيارِكُمْ ، وأتبرَّأُ مِنْ آلِهَتِكُمُ التي تَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ وَأَعْبُدُ اللهَ تعالى وَحْدَهُ ، وَأَرْجو ، بِسَبَبِ إخْلاصي في العِبادَةِ للهِ ، أَنْ لا يَجْعَلَني خائِباً ضائِعَ السَّعْيِ .

وَفي اسْتِعمالِ (عَسى) التي تُفيدُ التَرَجّي عَلَى تَواضُعِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَعَلى أنَّ الإنابَةَ والإجابَةَ تَفَضُّلٌ مِنَ اللهِ تعالى .

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فَلَمّا تَرَكَ إبْراهيمُ أَرْضَ قَوْمِهِ ، وهاجَرَ بِدينِهِ بَعيداً عَنْهُم أَبْدَلَهُ اللهُ تَعالى خَيْراً مِنْهُمْ ، وَعَوَّضَهُ خَيراً ، فَوُلِدَ لَهُ إسْحقُ ، وَوُلِدَ لإسْحَقَ يَعْقوبُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وَخَصَّ إسْحقَ وَيَعْقوبَ هُنا بِالذِّكْرِ لإرْسالِ أَنْبِياءَ كَثيرينَ في بَني إسْرائيلَ مِنْ ذُرِّيَتِهِما ، وَقَدْ كانا نَبِيَّيْنِ في حَياةِ إبْراهيمَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فَأَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ بِنُبُوَّةِ ابْنِهِ وَحَفيدِهِ قَبْلَ وَفاتِهِ .

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وَأَعْطَيْنا إبْراهيمَ وَإسْحقَ وَيَعقوبَ كُلَّ الخَيْرِ الدِّينِيِّ والدُّنْيَوِيِّ ، وَجَعَلْنا لَهُمْ ذِكْراً حَسَناً في النّاسِ ، فَأَهْلُ جَميعِ المِلَلِ والأَدْيانِ يُثْنونَ عَلَيْهِمْ ، وَيُصَلّونَ عَلى إبْراهيمَ وَآلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَلى الدّاعي اتِّباعُ الأُسْلوبِ الحَسَنِ اللَّطيفِ في الدَّعْوَةِ ، وَبِخاصَّةٍ مَعَ مَنْ لَهُ فَضْلٌ عَلَيهِ كالأب والأُم .

٢ـ مُشْروعِيَّةُ اعْتِزالِ أَهْلِ الكُفْرِ والفَسادِ بَعْدَ إقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم بِدَعْوَتِهِم .

٣ـ مَنْ تَرَكَ شَيْئاً للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُ .

٤ـ عِبادَةُ الأَوْثانِ والأَصْنام تُعَدُّ عِبادَةً لِلشّيطان ، لأَنَّهُ الآمِرُ بِها ، والدَّاعي إِلَيْها .

٥ـ كانَ الرُّسُلُ السَّابِقونَ يَعْلَمون عَنِ الشَّيْطانِ ما نَعْلَمُهُ وَيَسْتَعيذون باللهِ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ أـ كَمْ مَرّةً نادى إبْراهيمُ أَباهُ في الآياتِ ؟

ب ـ ما فائِدةُ تَكْرارِ النِّداءِ ؟

ج ـ ما الصِّيغَةُ الَّتي خاطَبَهُ بِها ؟

٢ـ تَدَرَّجَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في دَعْوَةِ أَبيهِ إلى الإسْلامِ في خُطُواتٍ عِدَّةً ، بيِّنها بإيجازٍ .

٣ـ كَيْفَ قابَلَ والِدُ إبْراهيمَ دَعْوَتَهُ ؟ وَماذا قالَ لَهُ ؟

٤ـ مَتى يَجوزُ الدُّعاءُ لِلمُشرِكِ بِالهِدايَةِ ؟ وَهَلْ يَجوزُ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَغْفِرَ لَهُ ؟

٥ـ بِماذا عَوَّضَ اللهُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ قَوْمَهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسْماءَ أُولي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

٢ـ اذكُرْ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ عَلى دُعاءِ الرَّسولِ ﷺ لِلكُفّارِ بِالهِدايَةِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى قِصَّةِ إبْراهيمَ في سورَةِ (الصّافاتِ) واسْتَخْرِجْ مِنْها اسْمَ الابْنِ الآخَرِ لإبْراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ ، وَأيُّ الوَلَدَينِ وُلِدَ قَبْلَ الآخَرِ ، واكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدرس السادس والعشرون

سورة مريم ـ القسم السابع

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُخْلصاً : اصْطَفاهُ اللهُ واخْتارَهُ .

وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً : مُناجِياً لَنا ، مِنَ المُناجاة وَهِيَ المُسارَّةُ بِالكَلامِ .

خَرُّوا : سَقَطوا عَلَى الأرْضِ .



﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ .

بَعْدَ انْتِهاءِ قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَذْكُرَ للنّاسِ نَبَأَ الكليمِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَياناً لِقَدْرِهِ وَثَناءً عَلَيْهِ ، وَقُدِّمَ في الذِّكْرِ على إسْماعيلَ مَعَ تَأَخُّرِهِ عَنْهُ في الزَّمَنِ ، لِئَلاّ يَنْفَصِلَ ذِكْرُهُ عَنْ جَدِّهِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ . وَوُصِفَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنَّهُ : مُخْلَصٌ ، اصْطَفاهُ اللهُ واخْتارَهُ لأَنَّهُ أَخْلَصَ عِبادَةَ اللهِ مِنَ الشِّرْكِ والرِّياءِ ، وَكانَ رَسولاً نَبِيّاً ، مُرْسَلاً

إلى قَوْمِهِ لِتَبْليغِ رسالَةِ رَبِّهِ ، وَتَبْليغِ دينِهِ ، وَمُنْبأً عَنِ اللهِ . وَفي الجَمْعِ لَهُ بَيْنَ الوَصْفِ بِالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ تَشْريفٌ وَتَكْريمٌ .

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ .

نادى اللهُ تعالى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكَلَّمَهُ ، مِنْ جانِبِ جَبَلِ الطُّورِ الأَيْمَنِ بِالنِّسْبَةِ لِموسى ؛ أيْ مِنْ جِهَةِ يَمينِ موسى عَلَيهِ السَّلامُ ، وَقَرَّبَ اللهُ تعالى موسى ، وَشَرَّفَهُ بِأَنْ كَلَّمَهُ دونَ وَساطَةٍ ، واخْتارَهُ لِمُناجاتِهِ وَتَكْليمِهِ . وَكانَ ذلِكَ في أَثْناءِ عَوْدَةِ موسى مِنْ مَدْيَنَ إلى مِصْرَ . وَيَقَعُ جَبَلُ الطّورِ في شِبْهِ جَزيرَةِ سيناءَ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ .

رَحْمَةً مِنَ اللهِ تعالى بِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَرَأفَةً بِهِ ، واسْتِجابَةً لِدُعائِهِ حَيْثُ دَعا قائِلاً ﴿واجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أَهْلي هارونَ أَخي﴾ . وَهَبَ لَهُ أَخاهُ هارونَ ، وَجَعَلَهُ نَبِيّاً مَعَهُ يُؤازِرُهُ ، وَيُعاضِدُهُ ، وَيُعينُهُ ، وَكانَ هارونُ أَكْبَرَ مِنْ موسى عَلَيْهِما السَّلامُ .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ .

واذْكُرْ أَيُّها النَّبِيُّ في القُرْآنِ للنّاسِ خَبَرَ جَدِّكَ إِسْماعيلَ . وَفُصِلَ ذِكْرُهُ عَنْ ذِكْرِ أبيهِ وَأَخيهِ لإِبْرازِ كَمالِ الاعْتِناءِ بِأَمْرِهِ . وَكانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَشْهوراً بِصِدْقِ الوَعْدِ ، وَبَلَغَ في الوَفاءِ بِهِ دَرَجَةً عَظيمَةً ، وَمِنْ ذلكَ أَنَّهُ وَعَدَ بِالصَّبْرِ عَلى أَمْرِ الذَّبْحِ فَوَفى وَصَدَق . وَكانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً إِلى قَبيلَةِ جُرْهُمَ الَّتي سَكَنَتْ مَكَّةَ ، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِشَريعَةِ أَبيهِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَكانَ نَبِيّاً يُبَلِّغُ أَوامِرَ اللهِ . والجَمْعُ بَيْنَ وَصْفِهِ بِالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ دَليلٌ عَلى عَظَمَةِ مَكانَتِهِ عِنْدَ اللهِ .

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ .

وَكانَ إِسْماعيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَحُثُّ أَهْلَهُ ، وَذَوي قُرْباهُ ، وَعشيرَتَهُ ، عَلى طاعَةِ اللهِ ، بِإقامِ الصّلاةِ المَفْروضَةِ عَلَيْهِمْ ، وأداءِ الزَّكاةِ المَطْلوبَةِ مِنْهُمْ ، وَهذا مَدْحٌ لَهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقَدِ اشْتَغَلَ بِتَكْميلِ غَيْرِهِ بَعْدَ تَكْميلِ نَفْسِهِ . وَلِذا نالَ رِضوانَ اللهِ ، فَقَدِ اسْتَقامَتْ أَقْوالُهُ وَأَفْعالُهُ ، واتّصَفَ بِأَفْضَلِ صِفاتِ الكَمالِ وَأَطْيَبِها .

وَخَتَمَ اللهُ تعالى أَخْبارَ الأَنْبِياءِ بِخَبَرِ إِدْريسَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقالَ :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ .

واذْكُرْ أَيُّها النّبِيُّ في القُرآنِ خَبَرَ إِدْريسَ ، الَّذي كانَ مُلازِماً لِلصِّدْقِ في جَميعِ أَقْوالِهِ ، وَكانَ نَبِيّاً

كَرِيماً . وَلَمْ تُبَيِّنِ الآياتُ شَيْئاً كَثيراً مِنْ أَحْوالِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بَلِ اكْتَفَتْ بِذِكْرِ هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ : الصِّدْقِ والنُّبُوَّةِ ، ثُمَّ بَيَّنَتْ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَتَكْرِيمَهُ لَهُ ، فقالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

أَيْ أَعْلَيْنا قَدْرَهُ بِشَرَفِ النُّبُوَّةِ ، وَإِنْزالِهِ المَكانَ العالِيَ في الجَنَّةِ ، وَجَعْلِهِ في السَّماءِ الرّابعةِ ، حَيْثُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ فيها .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

اسْمُ الإشارَةِ للأَنْبياءِ المَذْكورينَ في هذهِ السُّورَةِ ، والإشارَةُ إِلَيْهِمِ باسْمِ الإشارَةِ الدّالِّ عَلَى البَعيدِ [أُولئِكَ] لِلتَّنْبيهِ عَلَى عُلُوِّ مَراتِبِهِم ، وَبُعْدِ مَنازِلِهِم في الفَضْلِ والشَّرَفِ ، وَهُمْ جَميعاً مِنْ ذُرِّيَّةِ آدمَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ نَجا مَعَ نوحٍ ، ومِنهم مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ ، واخْتَصَّ بَعْضُهُمْ بِكَوْنِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسْرائيلَ وَهُوَ يَعْقوبُ ، وَهُمْ جَميعاً مِنْ جُمْلَةِ مَنْ هَدَيناهُمْ إلى الحَقِّ ، واخْتَرْناهُمْ لِلنُّبُوَّةِ ، وَكانوا إذا سَمِعوا كَلامَ اللهِ أَسْرَعوا لِلسُّجودِ إلى رَبِّهِمْ خُضوعاً وَخُشوعاً لَهُ ، تَذْرِفُ عُيونُهُم الدَّمْعَ مهابَةً مِنْهُ ، وَفي هذا الوَصْفِ لَهُمْ حَثٌّ عَلَى الاقْتِداءِ بِهِم . وَفي وَصفِ سُجودِهِم بالخُرورِ دَليلٌ عَلَى سُرْعَةِ اسْتِجابَتِهِم لأَمْرِ اللهِ ، فَلَفْظُ الخُرورِ يَعني : السُّقوطَ عَنْ غَيْرِ اتِّزانٍ ، كَما يَعني مُرافَقَةَ صَوْتٍ للسُّجودِ ، وَهُوَ صَوْتُ التَّسبيحِ والذِّكْرِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِّيَّةُ الصِّدْقِ في الوَعْدِ .

٢ـ فَضيلَةُ السُّجودِ الذي يُرافِقُهُ البُكاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ وجُودِ الرِّفْقَةِ الصّالِحَةِ في المَهامِّ الصَعْبَةِ لِتَشُدَّ الأَزْرَ ، وَتُقَوِّيَ عَلَى الصُّمودِ .

٤ـ ثَناءُ اللهِ على أَنْبيائِهِ موسى وَهارونَ واسْماعيلَ وَإِدرِيسَ ، وَذِكْرُ ما اخْتَصَّ بِهِ كُلاًّ مِنْهُمْ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ وَصْفِ موسى وَإِسْماعيلَ بِالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِجانِبِ الطُّورِ الأيمَنِ ؟ وَأينَ يَقَعُ جَبَلُ الطُّورِ ؟

٣ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تعالى إسْماعيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ أ ـ ما مَعْنى ﴿وَرَفَعْناهُ مكاناً عَلِيّاً﴾ ؟

ب ـ مَنِ الذي رَفَعَهُ اللهُ مَكاناً عَلِيّاً ؟

٥ـ ما فائِدَةُ الإشارَةِ إلى الأنْبياءِ المَذْكورينَ في السُّورَةِ بِأُولئِكَ ؟

٦ـ بِماذا وَصَفَتِ الآيَةُ الأنْبياءَ المَذكورينَ في السُّورَةِ ؟

٧ـ ذَكَرَتِ الآياتُ ما امْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . اذْكُرْ ذلِكَ مَعَ الدّليلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً تَدُلُّ عَلى أنَّ المُناجاةَ كانَتْ في سيناءَ .

٢ـ اكْتُبِ الآياتِ من سورةِ الصّافّاتِ التي تُبَيِّنُ صَبْرَ إسْماعيلَ وَتَسْليمَهُ لأَمْرِ اللهِ عِنْدَما أَخْبَرَهُ أبوهُ أنَّهُ أُمِرَ بِذَبْحِهِ .

٣ـ اكْتُبْ أَسْماءَ الأنْبِياءِ المَذْكورينَ في هذهِ السُّورَةِ ، وَحاوِلِ اسْتِخْراجَ عَلاقَةِ القَرابَةِ بَيْنَهُم ، كَما فَهِمْتَ مِنَ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ مريمَ - القِسْمُ الثّامِنُ

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَلْفٌ : قَوْمٌ جاءوا بَعْدَ مَنْ سَبَقوهُم .

الشَّهَواتِ : مَلاذُّ النُّفوسِ .

غَيًّا : سوءاً وَهَلاكاً .

مَأْتِيّاً : مُنْجزاً .

لَغْواً : مالا فائِدَةَ فيهِ مِنَ الكلامِ .

بُكْرَةً وَعَشِيّاً : أَوَّلَ النَّهارِ وَآخِرَهُ .

التفسيرُ :

بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ ما كانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الصَّلاحِ مِنْ بني البَشَرِ ، وَهَذِهِ الآياتُ تُبَيِّنُ حالَ مَنْ جاءَ بَعْدَهُم ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

فَجاءَ بعدَ هؤلاءِ الأنْبياءِ المَوْصوفينَ بِأَحْسَنِ صِفاتِ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، ذُرِّيَّةٌ سَيِّئَةٌ ، فَرَّطوا في الصَّلاةِ فَتَهاوَنوا في أَدائِها في أَوْقاتِها ، أَوْ تَرَكوا بَعْضَ أَرْكانِها ، وَقَصَّروا في هَيبَتِها التَّامَّةِ ، واتَّبَعوا الشَّهَواتِ ، فَهؤلاءِ سَيَجِدونَ في الآخِرَةِ عَذاباً عَظيماً في جَهَنَّمَ ، وبُعْداً عَنِ الجَنَّةِ . وَتَدُلُّ الآيَةُ عَلى أَنَّ الأُمَمَ بَعْدَ زَمانِ الرُّسُلِ تَنْحَرِفُ ، ويَضِلُّ مِنْها كَثيرونَ ؛ يَتْرُكونَ الواجِباتِ وَيَقعونَ في السَّيِّئاتِ .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تعالى بِالنَّاسِ أَنْ فَتَحَ لَهُمْ بابَ التَّوْبَةِ ؛ فَمَنْ تابَ مِنْ هَؤلاءِ الَّذين انْحَرَفوا عَنْ مَنْهَجِ الأَنْبياءِ أنابَ إلى رَبِّهِ ، وَآمَنَ بِهِ إيماناً صادِقاً ، وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً ، فَأُولئِكَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ ، وَلا يُعاقِبُهُم عَلَى ما سَبَقَ من كُفْرٍ وَتَقْصيرٍ ، فالإيمانُ يَمْحوما قَبْلَهُ ؛ والتَّوْبَةُ تَمْحو ما قَبْلَها . وَكُفْرُهُمُ السّابِقُ لا يَضُرُّهُمْ ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجورِهِم .

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ ﴾ .

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى وَصْفِ الجَنَّةِ التي أَعَدَّها لِلمُتَّقينَ ، وَوُصِفَت في هذهِ الآياتِ بِأَنَّها جَنَّاتُ عَدْنٍ ؛ أيْ جَنَّاتُ إقامَةٍ دائِمَةٍ لا تَنقَطِعُ ، آمَنَ بِها المُتَّقونَ قَبْلَ أَنْ يَرَوْها تَصديقاً بِوَعْدِ اللهِ ، وَوَعْدُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ آتٍ وَمُنْجَزٌ لا مَحالَةَ . وَمِنْ صِفاتِها أَنَّها :

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

لا يَسْمَعُ أَهْلُها فيها شَيْئاً مِنْ فُضولِ الكَلامِ ، وَلا أَلْفاظاً قَبيحَةً ، وَإِنَّما يَسْمعونَ التَّحِيَّةَ والسَّلامَ ، وَلَهُمْ فيها ما يَشْتَهونَ مِنْ أَنْواعِ النِّعَمِ دونَ تَعَبٍ وَلا انْقِطاعٍ . والتَّعبيرُ بالبُكْرَةِ والعَشِيِّ يُقْصَدُ بِهِ دَوامُ حُصُولِ النِّعَمِ ، وَرَفاهِيَّةِ العَيْشِ ، إذْ لَيسَ في الجَنَّةِ صُبْحٌ وَمَساءٌ ، إنَّما هُمْ في النُّورِ أَبَداً .

﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

وَهذِهِ الجَنَّةُ أَعَدَّها اللهُ لِمَنْ كانَ تَقِيّاً ، يَخْشى رَبَّهُ ، وَيُبادِرُ إلى فِعْلِ الطَّاعَةِ ، وَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ دُخولَها كَما يَسْتَحِقُّ الوارِثُ مالَ مُوَرِّثِهِ ، والوِراثَةُ مِنْ أَقْوى أَسْبابِ التَّمْليكِ وَأَثْبَتِها .

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : يا جبريلُ ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزورَنا أَكْثَرَ مِمّا تَزورُنا ؟ فَنَزَلَتْ هذهِ الآيةُ[1] .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التَّفسيرِ ، رقم الحديثِ : ٤٣٦٢ .

وَهِيَ حِكايَةُ قَوْلِ جِبْريلَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ لا يَنْزِلُ إلى الأَرْضِ ، وَلا يَتَحَرَّكُ إلى أيِّ شَيْءٍ إلاّ بأَمْرِ اللهِ ـ تَعالى ـ الَّذي لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ ، وَبِيَدِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ مالِكُ ما بَيْنَ أيْدينا ، أيِ المُسْتَقْبَلِ ، وَما خَلْفَنا أيِ الماضي ، وَما بَيْنَهُما مِنَ الحاضِرِ . وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ مُنزَّهٌ عَنِ السَّهْوِ والنِّسْيانِ ؛ فَلَنْ يَغْفُلَ عَنْكَ ، وَهُوَ المُتَفَضِّلُ عَلَيْكَ بالرِّسالَةِ ، وَإنْ حَصَلَ تَأَخُّرٌ في نُزولِنا فَذلِكَ بِأَمْرِ اللهِ وَتَقديرِهِ ، وَلِحِكْمَةٍ أرادَها اللهُ تَعالى . وَفي إعادَةِ لَفْظِ الرَّبِ مُضافاً إلى النَّبِيِّ ﷺ تَشْريفٌ لَهُ .

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ رَبُّ الكائِناتِ كُلِّها ، مِنْ سَماواتٍ ، وَأَرْضٍ ، وَما بَيْنَهُما مِنْ عَوالِمَ ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ ، فَعَلَيْكَ أيُّها النَّبِيُّ ، وَعَلى مَنْ تَبِعَكَ التَّوَجُّهُ إلَيْهِ بِها ، والصَّبْرُ عَلى ما تَقْتَضيهِ هذِهِ العِبادَةُ مِنْ تَكاليفَ وَمَشاقَّ .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أيْ أَنَّكَ لا تَعْلَمُ للهِ شَبيهاً وَلا مَثيلاً ، فَلَيْسَ للهِ مَنْ يُشارِكُهُ أو يُماثِلُهُ في أُلوهِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ وَجَبَروتِهِ ، وَلا في اسْمِهِ : (اللهُ) ، فَقَدِ اخْتُصَّ بِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

يَنْتَقِلُ سِياقُ الآياتِ إلى بَيانِ حالِ الكافِرينَ الَّذينَ كَذَّبوا بِالبَعْثِ والنُّشورِ ، إذِ المُرادُ بالإنسانِ هُنا الكافِرُ الذي لا يُصَدِّقُ بِالبَعْثِ ، وَيَقولُ مُنكِراً لَهُ : أَبَعْدَ أَنْ أَموتَ وَأُصْبِحَ تُراباً سَأُخْرَجُ مِنْ قَبْري حَيّاً ؟

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وَلَوْ تَذَكَّرَ هذا الإنْسانُ الكافِرُ أَوَّلَ خَلْقِهِ لَما أَنْكَرَ البَعْثَ ، وَلَعَلِمَ أَنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَهُ مِنَ العَدَمِ قادِرٌ أَنْ يُعيدَهُ بَعْدَ الفَناءِ ، فَلَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ مِنَ العَدَمِ ، وَأوجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّرْهيبُ مِنْ تَرْكِ الصَّلاةِ أوِ التَّقْصيرِ في أَدائِها والاشْتِغالِ عَنْها بِالشَّهَواتِ .

٢ـ التَّوْبَةُ تَمْحو ما قَبْلَها .

٣ـ كلُّ ما في الجَنَّةِ طَيِّبٌ وَحَسَنٌ .

٤ـ تَقْريرُ سُلْطانِ اللهِ عَلَى كُلِّ الخَلْقِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ مَهْما عَظُمَتْ قُوّتُهُم ، وارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُمْ .

٥ـ فَضْلُ المَلائِكَةِ في وُقوفِهِم مَعَ أَمْرِ اللهِ .

٦ـ الاسْتِدلالُ عَلَى البَعْثِ بِبَدْءِ الخَلْقِ ، فالإعادَةُ أَهْوَنُ مِنَ الإيجادِ بِالنِّسْبَةِ لِلبَشَرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى إضاعَةُ الصَّلاةِ ؟

٢ـ ما جَزاءُ مَنْ يَتوبُ عَنِ اتِّباعِ الشَّهَواتِ وَيَعْمَلُ صالِحاً ؟

٣ـ ما سِرُّ التَّعبيرِ عَنْ حُلولِ أهلِ الجَنَّةِ فيها بالوِراثَةِ ؟

٤ـ أ ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ قَولِهِ تعالى ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمرِ ربِّكَ . . . . .﴾

ب ـ وَما مَعنى الآيةِ ؟

٥ـ ما الدّليلُ الَّذي ذَكَرَتْهُ الآيةُ الكَريمَةُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ عَلَى البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٦ـ ماذا طَلَبَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟



يُقالُ للذُّرِيَّةِ الصّالِحَةِ : (خَلَفٌ) بِفَتْحِ اللاّمِ ، وَلِلذُّرِيَّةِ الطّالِحَةِ السَّيِّئَةِ (خَلْفٌ) بِسُكونِ اللاّم .



اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ عَلَى أنَّ التَّوبَةَ تَمْحو ما قَبْلَها .

* * *

الدَّرسُ الثَّامنُ والعِشرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جِثِيّاً : جَمْعُ جاثٍ ، وَهُوَ الجالِسُ على رُكْبَتَيْهِ .

شيعةٍ : جَماعةٍ مُتَقارِبَةٍ في الرّأيِ والمَيْلِ .

عِتِيّاً : عِصْياناً وَطُغياناً .

صِلِيّاً : دُخولاً واحْتِراقاً .

وارِدُها : مارٌّ عَلَيْها .

حَتْماً مَقْضِيّاً : قَضاءً نافِذاً مُبْرَماً .

نَدِيّاً : مَجْلِساً .

أثاثاً وَرِئْياً : مَتاعاً وَمَنْظَراً .

فَلْيَمْدُدْ لَهُ : فَلْيُمْهِلْهُ اسْتِدْراجاً .

وَخَيْرٌ مَرَدّاً : مَرْجِعاً وَعاقِبَةً .



التفسير :

تَتَحَدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ الأهوالِ التي تُحيطُ بِالكافِرينَ المُعانِدينَ ، وَما يُلاقونَهُ مِنْ عَذابٍ شَديدٍ في يَوْمِ القِيامَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

هذا قَسَمٌ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِرُبوبِيَّتِهِ ، مُضافاً إلى ضَميرٍ عائِدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِتَأْكيدِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، حَيْثُ سَيُحْشَرُ المُكَذِّبونَ بِهِ مَعَ شَياطينِهِمُ الَّذينَ صَرَفوهُمْ عَنِ الهِدايَةِ ، وَجَذَبوهُم إلى الغِوايَةِ ، ثُمَّ سَيُحْضَرونَ حَوْلَ جَهَنَّمَ ، وَهُمْ قُعودٌ عَلَى رُكَبِهِم مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والهَوْلِ ، لا يَسْتَطيعونَ القِيامَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الأَمْرِ .

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ يَحْشُرَ اللهُ الكَفَرَةَ المُجْرِمينَ مَعَ الشَّياطينِ الَّذينَ أَضَلّوهُمْ ، يَنْزِعُ اللهُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْ فِرَقِ الكُفْرِ والضَّلالِ أَشَدَّهُمْ ضَلالاً وَكُفْراً ، وَهُمُ السَّادَةُ والقادَةُ وَأَهْلُ الرَّأْيِ ، لِيَقْذِفَ بِهِمْ في النَّارِ ، وَهكَذا يَبْدَأُ العَذابُ بِالأَعْصى فَمَنْ دونَهُ .

وَلَفْظُ (لَنَنْزِعَنَّ) يُفيدُ القَسْوَةَ والعُنْفَ في أَخْذِ الكُبَراءِ والقادَةِ ، فَهؤلاءِ لَمْ يَعُدْ لَهُمْ احْتِرامٌ وَلا مَكانَةٌ ؛ فَهُمْ يُنْزَعونَ مِنْ أَماكِنِهِم نَزْعاً ، وَيُقْذَفونَ في جَهَنَّمَ قَذْفاً .

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

ثُمَّ لَنَحْنُ نَعْلَمُ ، أَتَمَّ العِلْمِ وَأَكْمَلَهُ ، مَنْ هُمْ أَشَدُّ اسْتِحقاقاً لِلتَّعذيبِ في نارِ جَهَنَّمَ ، كَرُؤساءِ الشِّيَعِ الضَّالَّةِ ، فَإِنَّ عَذابَهُمْ مُضاعَفٌ لِضلالِهِمْ وَإِضْلالِهِمْ .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ .

المُخاطَبُ بِهذِهِ الآيَةِ البَشَرُ جَميعاً ، فَإِنَّهُ ما مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم بَرٍّ وَلا فاجِرٍ إلا سَيَمُرُّ عَلَى النَّارِ ، المُؤْمِنُ لِلعُبورِ والكافِرُ لِلقَرارِ . وَهذا أَمْرٌ مَحتومٌ مَقطوعٌ بِهِ أَوْجَبَهُ اللهُ تعالى عَلَى ذاتِهِ ، وَقَضى بِهِ فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ كَما أَمَرَ اللهُ تعالى .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

أي نُنَجِّي مِنْ جَهَنَّمَ المُتَّقينَ فَيَمُرُّونَ عَلَيْها مُروراً سَريعاً ، وَيَبْقى الظّالمونَ الَّذين ظَلَموا أَنفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ ، وَتَكْذيبِ رُسُلِهِ ، هؤلاءِ يَبْقَوْنَ في جَهَنَّمَ جاثينَ عَلَى رُكَبِهِمْ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ الآيَةُ حالَ المُشْرِكينَ عِنْدَما تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ القُرآنِ البَيِّنَةِ المَعْنى ، الواضِحَةِ الدَّلالَةِ ، فَهُمْ يُكَذِّبونَ بِها ، وَيَتَفاخَرونَ عَلَى المُؤْمِنينَ فَيقولونَ لَهُم : مَنْ أَحْسَنُ ؟ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ ؟ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنفُسَهُم في مَكانِ إقامَةٍ أَفْضَلَ ، وَعَيْشٍ أَطْيَبَ ، وَمَجْلِسٍ أَحْسَنَ ، مِنْ فُقَراءِ المُؤْمِنينَ ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذِهِ الظَّواهِرَ تَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِمْ عِنْدَ اللهِ ، فَرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهِم بِقَولِهِ :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

أَوَلَمْ يَتَدَبَّروا أَحْوالَ كَثيرٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، الَّذينَ كَفروا بآياتِنا أَهْلَكْناهُم بِكُفْرِهِمْ ، عِلْماً أَنَّهُمْ كانوا أَحْسَنَ مَتاعاً وَأَجْمَلَ صورَةً وَمَنْظَراً مِنْ هَؤلاءِ ، وَكَما أَهْلَكْنا السّابِقينَ نُهلِكُ اللاّحِقينَ ، فَلا يَغْتَرَّ هَؤلاءِ بما لَدَيْهِم مِنَ النَّعيمِ والمَتاعِ ، فَلَيْسَتْ بَسْطَةُ الرِّزْقِ ، وَعُلُوُّ المَنْزِلَةِ في الدُّنيا ، دَليلاً عَلَى رضى اللهِ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قُلْ أَيُّها النَّبيُّ لِهؤُلاءِ الزَّاعِمينَ أَنَّهُمْ عَلَى الحَقِّ : مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَإِنَّ اللهَ يَمُدُّ لَهُمْ في طُغيانِهِم ، وَيُمْهِلُهُمْ حَتى يَحِلَّ بِهِمُ العَذابُ الدُّنْيَوِيُّ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِمْ وَإِيذائِهِمْ بِالقَتْلِ أَوِ الأَسْرِ ، أَوْ حَتى يَنْقَضِيَ أَجَلُهُمْ ، وَيُشاهِدوا السَّاعَةَ ، وَسَيَعْلَمونَ حينَما يَرَوْنَ العَذابَ المُعَدَّ لَهُمْ أَنَّ مُوازينَهُمْ كانَتْ خاطِئَةً ، وَأَفكارَهُمْ ضالَّةً ، وَأَنَّهُمْ أَصْحابُ المَكانِ السَّيِّيءِ ، والأَضْعَفُ جُنْداً وَأَعْوَاناً .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

هذا بَيانُ حالِ المُهْتَدينَ بَعْدَ بَيانِ حالِ الضَّالِّينَ ، فاللهُ تعالى يَزيدُهُمْ هِدايَةً وَتَأْييداً وَتَثْبيتاً ، وَيُعينُهُمْ عَلَى أَداءِ الأَعْمالِ الصَّالحةِ التي تَبْقَى لِصاحِبِها ذُخْراً عِنْدَ اللهِ وَهِيَ أَحْسَنُ بما يَتَباهى بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ نِعَمٍ فانِيَةٍ زائِلَةٍ ؛ فالأَعْمالُ الصَّالِحَةُ هِيَ أَفضَلُ ما يُثيبُ اللهُ بِهِ عَبْدَهُ ، وَهِيَ أَفضَلُ ما يَرْجِعُ بِهِ الإِنْسانُ إلى رَبِّهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رؤوسُ الضَّلالِ والغِوايَةِ أَشَدُّ عَذاباً مِنْ غَيْرِهِمْ .

٢ـ التَّقوى سَبَبٌ لِلنَّجاةِ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ ، كَما أَنَّ الكُفْرَ سَبَبٌ لِعَذابِها .

٣ـ سِعَةُ الرِّزْقِ وَعُلُوِّ المَنْزِلَةِ ، وَحُصولُ الجاهِ في الدُّنيا ، لَيْسَ دَليلاً عَلَى رِضى اللهِ ، بَلْ قَدْ يَكونُ اسْتِدراجاً وإِمْهالاً مِنَ اللهِ .

٤ـ عَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ ؛ فَإِنَّها أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ ، وَأَكْرَمُ ، وأبْقى أَثَراً مِمَّا يَنْغَمِسُ فيهِ المُتْرَفونَ والمُتَنَعِّمونَ مِنْ مَتاعٍ زائِلٍ زائِفٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا يُحْشَرُ المُجرمونَ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ؟

٢ـ ما سَبَبُ اغْتِرارِ المُشْرِكينَ بِحالِهِمْ ؟

٣ـ ما مَعنى ﴿الباقياتُ الصالحاتُ﴾ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْ فَوائِدِ هَذا الدَّرْسِ .

٥ـ صِلْ بَيْنَ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعناهُ في القائِمَةِ التَّالِيَةِ :

جِثِيّاً :	احْتِراقاً
عِتِيّاً :	نافِراً مُبْرَماً
صِلِيّاً :	جالِساً عَلَى رُكْبَتَيْهِ
مَقْضِيّاً :	عِصْياناً وَطُغياناً

نَشاطٌ :

ـ في الآيةِ (٦٨) تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَتَهديدٌ لِلْكافِرينَ ، بَيِّنْ ذلِكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ مَرْيَمَ - القِسْمُ العاشِرُ

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أفَرَأيت : أخْبِرْني .

أطَّلَعَ الغَيْبَ : هَلْ شاهَدَ أُمورَ الآخِرَةِ الغائِبَةَ عَنْهُ .

عَهْداً : ميثاقاً .

عِزّاً : شُفَعاءَ وأَنْصاراً .

ضِدّاً : أَعْداءً لَهُمْ .

تَؤُزُّهم أزّاً : تَدْفَعُهُمْ دفْعاً .

وَفْداً : رُكْباناً .

وِرْداً : عِطاشاً يُساقونَ إلى جَهَنَّمَ كَما تُساقُ البهائِمُ إلى الماءِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عنْ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ قالَ : كانَ لي عَلَى العاصِ بَنِ وائِلٍ دَيْنٌ فأَتيتُهُ أتقاضاهُ مِنْهُ ، فقالَ :

لا أُعْطيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، فَقُلْتُ : لا أكْفُرُ بِهِ حَتى يُميتَكَ اللهُ ، ثُمَّ تُبْعَثُ ، قالَ : فَإني لَمَبعوثٌ بَعْدَ المَوتِ ؟ دَعْني حَتَّى أَموتَ ثُمَّ أُبْعَثُ ، فَإني إذا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ ، جِئْتَني وَلِيَ مالٌ وَوَلَدٌ فَأَعْطَيْتُكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿أفرأيتَ الذي كفرَ. . . .﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ويأتينا فَرْداً﴾[1] .



﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

الهَمْزَةُ لِلتَّعجيبِ والإنْكارِ أيْ : أنَظَرْتَ فَرَأيْتَ الَّذي كَفَرَ بآياتِنا ، وَجَحَدَ بِها ، وَزَعَمَ أنَّ اللهَ سَيُعْطيهِ في الآخِرَةِ أمْوالاً وَبَنينَ ، وَرَدَّ اللهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِ بِقَولِهِ :

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

هَلْ انْكَشَفَ الغَيْبُ أَمامَهُ فاطَّلَعَ عَلَى حالِهِ في الآخِرَةِ ، وَعَلِمَ مَآلَهُ ، أَمْ أَعْطاهُ اللهُ عَهْداً بِذلِكَ ، فإنَّه لا يَتَوَصَّلُ إلى مِثْلِ هذا العِلْمِ إلاَّ بِأحَدِ هذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ .

﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

رَدْعٌ لَهُ عَنِ التَّفَوُّهِ بِمِثْلِ هذا ، وَتَنْبيهٌ لَهُ عَلَى خَطَئِهِ ، وَسَنُظْهِرُ افْتِراءَهُ في زَعْمِهِ ، وَنَنْتَقِمُ مِنْهُ بِزيادَةِ عَذابِهِ لافْتِرائِهِ عَلَى اللهِ ، واسْتِهْزائِهِ بِآياتِهِ ، وَبَدَلَ أَنْ يَمُدَّ اللهُ لَهُ بِالمالِ والوَلَدِ كَما ادّعى ، سَوْفَ يَمُدُّ لَهُ في العَذابِ الشَّديدِ في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ .

وَمِنْ مَكْرِ اللهِ بِهِ أَنَّ اللهَ سَيُعْطيهِ في الدُّنيا ما يُريدُهُ مِنْ مالٍ وَوَلَدٍ ، وَلكنَّهُ سَيُخَلِّفُ ذلِكَ كُلَّهُ وَراءَ ظَهْرِهِ عِنْدما يَموتُ ، وسَيُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً بلا مالٍ وَلا وَلَدٍ ، فَحالُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى عَكْسِ زَعْمِهِ .

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآياتُ مَصيرَ ذلِكُمُ الكافِرِ تَنْتَقِلُ لِتُبيِّنَ حالَ مَنْ كَفَرَ باللهِ ، وَأشْرَكَ بِهِ فَلَقَدِ اتَّخَذَ المُشْركونُ الأَصْنامَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ، كَما عَبَدوا أشْياءَ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ لِيَسْتَمِدّوا مِنْها العِزَّةَ فِي الدُّنيا ، وَلِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ في الآخِرَةِ . وَلكِنْ لَيْسَ الأَمْرُ كَما زَعَموا .

---

(١) رواه البُخاريُّ في كتابِ الخصوماتِ ، رقم الحديثِ ٢٢٤٧ ، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ صفةِ القيامةِ والجنّةِ والنارِ ، رقم الحديث : ٥٠٠٣ .

﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ ذلِكَ الاعْتِقادِ الباطِلِ ، فَإِنَّ الأَصْنامَ وَكُلَّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ سَتَجْحَدُ يَوْمَ القِيامَةِ عِبادَتَهُمْ بِأَنْ يُنطِقَها اللهُ ، وَتَكونَ هَذِهِ الآلِهَةُ المَزْعومَةُ أَعْداءً لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّها النَّبيُّ أَنّا سَلَّطْنا الشّياطينَ عَلَى الكُفّارِ ؛ تَدْفَعُهُمْ إلى الكُفْرِ دَفْعاً شَديداً ، وَتُغريهِمْ عَلَى الشَّرِ وَتُحَرِّضُهُمْ عَلَيْهِ . وَذَلِكَ ابْتِلاءٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، فَلَمْ يُقاوِموا هَؤلاءِ الشَّياطينَ ، وانْساقوا مَعَهُمْ في الضَّلالِ ، وَإِنَّ تَسْليطَ الشَّياطينَ عَلَى الكافِرينَ بِسَبَبِ اتِّباعِهِمْ لَهُمْ ، وَبُعْدِهِم عَنِ اللهِ خالِقِهِمْ .

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ .

فَلا تَتَعَجَّلْ حُصولَ العَذابِ لَهُمْ جزاءَ كُفْرِهِمْ ، فإِنَّنا نَعُدُّ عَلَيْهِمْ أَيامَهُمْ وَأَنفاسَهُمْ ، وَنُحصي لهَمْ أَعْمالَهَمْ لِنُجازِيَهُمْ عَلَيْها يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

في هذا اليَوْمِ يَحْشُرُ اللهُ المُتَّقينَ ، وَيُساقونَ وَفْداً مُكرّماً مُنَعَّماً ، راكِبينَ مُنْتَظِرينَ الإنْعامَ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وَيَسوقُ اللهُ الكافِرينَ إلى جَهَنَّمَ عِطاشاً ، يُساقونَ إليها سَوْقاً ، كَما تُساقُ البَهائِمُ إلى الماءِ ، وَلكِنّهُمْ لا يَرِدونَ ماءً بَلْ ناراً حامِيَةً .

﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الكافِرونَ لا يَجِدونَ في ذلكَ اليَوْمِ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ ، وَلا يَسْتَطيعونَ أَنْ يَشْفَعوا لِغَيْرِهِمْ ، لَكِنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وعَمِلَ صالِحاً ، فَهذا يَمْلِكُ أَنْ يَشْفَعَ أَوْ يُشْفَعَ لَهُ بِإذنِ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ القُرآن يَكْشِفُ شُبُهاتِ أهْلِ الباطِلِ وَيَدْحَضُها كَما رَدَّ عَلَى العاصِ بْنِ وائِلٍ .

٢ـ قَدْ يُعطي اللهُ الكُفَّارَ الدُّنْيا لا لِكَرامَتِهِمْ ، بَلْ مَكْراً بِهِمْ ، وَيَحْرِمُ مِنْها الأخْيارَ لِيَدَّخِرَ لَهُمُ الأَجْرَ والثَّوابَ .

٣ـ التَجَرُّؤُ عَلَى ادِّعاءِ عِلْمِ الغَيْبِ أمْرٌ خَطيرٌ عَواقِبُهُ وَخيمَةٌ .

٤ـ لا عَجَبَ مِمّا يُشاهَدُ مِنْ مُسارَعَةِ أهْلِ الفَسادِ إلَيْهِ ، لِوُجودِ شَياطينَ تَدْفَعُهُمْ إلَيْهِ .

٥ـ إكْرامُ اللهِ لِلمُؤْمنينَ يَوْمَ القِيامَةِ بِسَبَبِ حُسْنِ عَمَلِهِمْ ، وَإهانَةُ الكافِرينَ بِسَبَبِ سوءِ أفْعالِهِمْ .

٦ـ يُقيمُ الكُفَّارُ الاحْتِفالاتِ والرُّموزَ الشِّرْكِيَّةِ ، لِتَكونَ رَمْزَ عِزَّتِهِمْ وَوَحْدَتِهِمْ ، وَلكِنَّ الحَقيقةَ أنَّها سَتَكونُ سَبَبَ عَذابِهِمْ وَهَلاكِهِمْ .

٧ـ الشَّفاعَةُ يَوْمَ القِيامَةِ تُعْطى لِمَنْ يَسْتَحِقُّها بِإذْنِ اللهِ وَرِضاهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تعالى : ﴿أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتِنا. . . .﴾ ؟

٢ـ ما مَعْنى (كَلاّ) في آياتِ الدّرْسِ ؟

٣ـ ما عِلَّةُ اتِّخاذِ الكافِرينَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ؟ وَهَلْ سَتُحَقِّقُ لَهُمُ الآلِهَةُ ما أَرادوا ؟

٤ـ وازِن بَيْنَ حالِ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ خِلالِ ما جاء في الآيَتَيْنِ الخامِسَةِ والثَّمانينَ والسَّادسَةِ والثَّمانينَ .

٥ـ ما شُروطُ جَوازِ أنْ يَشْفَعَ المَرْءُ أوْ يُشْفَعَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

* * *

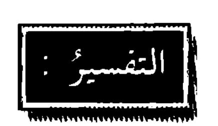
الدرس الثلاثون

سورة مريم - القسم الحادي عشر

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إدّاً	: مُنْكراً عظيماً .
يَتَفَطَّرْنَ	: يَتَشَقَّقْنَ .
تَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً	: تَسْقُطُ وتَنْهَدُّ .
وَدّاً	: مَحَبَّةً .
قَوْماً لُدّاً	: شَديدي الخُصومَةِ بِالباطِلِ .
قَرْنٍ	: أُمَّةٍ .
تُحِسُّ	: تَجِدُ أَوْ تَعْلَمُ .
رِكْزاً	: صَوْتاً خَفِيّاً .



التفسير :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

افْتَرى طَوائِفُ مِنَ النَّاسِ عَلَى اللهِ ، فزَعَموا أنَّهُ اتَّخذَ وَلَداً ، فَقالَ المُشْرِكونَ : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ . وَقالَ اليَهودُ : عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ . وَقالَتِ النَّصارى : المَسيحُ ابنُ اللهِ ، وَرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ بِقَولِهِ :

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

هذا زَعْمٌ باطِلٌ وافْتِراءٌ عَظيمٌ عَجيبٌ مِنْكُمْ ، وَمُنْكَرٌ فَظيعٌ قَبيحٌ ، وَيُلاحَظُ انْتِقالُ الآيَةِ مِنَ الغَيْبَةِ في (قالوا) إلى الخِطابِ في (جِئْتُمْ) تَهْويلاً لِلأَمْرِ ، وَبَياناً لِعَظيمِ غَضَبِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلَيْهِمْ .

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ .

تُوشِكُ السَّمواتُ ـ عَلَى عَظَمَتِها وَإِحْكامِ خَلْقِها ـ أَنْ تَتَصَدَّعَ وَتَتَشَقَّقَ مِنْ فَظاعَةِ هذا القَوْلِ ، وَأَنْ تَسْقُطَ الجِبالُ وَتَنْهَدِمَ وَتَزولَ ، وَذلِكَ مِنْ هَوْلِ هذهِ الكَلِمَةِ وَشَناعَتِها ، وَهِيَ نِسْبَةُ الوَلَدِ للهِ سُبْحانَهُ ، وَذلِكَ لأَنَّ هَذهِ المَخْلوقاتِ تُسَبِّحُ للهِ ، وَتَأْتَمِرُ بِأَوامِرِهِ ، وَتَسْجُدُ لَهُ ، وَتُطيعُهُ ، وَلِذا يَكادُ يَحْصُلُ لَها ما وُصِفَ لِفَظاعَةِ هذا القَوْلِ .

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّه لا يَليقُ باللهِ تعالى أَنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنَّ وُجودَ الوَلَدِ يَقْتَضي أَنْ يَكونَ مِنْ جِنْسِهِ ، أَيْ إِلهاً مِثْلَهُ ، وَيَكونَ الوَلَدُ عَنْ حاجَةٍ ، واللهُ سُبْحانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبيهِ والنَّظيرِ ، وَغَنِيٌّ عَنِ المُعينِ والنَّصيرِ .

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

وَما مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السّمواتِ والأَرْضِ ، مِنَ المَلائِكَةِ والجِنِّ والإِنْسِ وَسائِرِ الخَلْقِ ، إلا هو مَمْلوكٌ للهِ ، عَبْدٌ لَهُ خاضِعٌ لأَمْرِهِ ، وَهذا رَدٌّ عَلَى مَنْ نَسَبَ الوَلَدَ للهِ ، فَلا خالِقَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ ، وَكُلُّ ما عَداهُ مَخْلوقٌ مُنْقادٌ لأَمْرِهِ خاضِعٌ لإِرادَتِهِ .

﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

أَيْ حَصَرَهُم وَأَحاطَ بِهِمْ ، فَعِلْمُ اللهُ تعالى شامِلٌ مُحيطٌ بِكُلِّ خَلْقِهِ ، يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ ، وَسَكَناتِهِمْ وَأَنْفاسَهُمْ وَحَرَكاتِهِمْ .

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وَكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ ، سَيَأتي يَوْمَ القِيامَةِ وَحيداً ، دونَ أَهْلٍ وَلا مالٍ وَلا أعْوانٍ ، فَكَيْفَ تَوَهَّمَ المُشْرِكونَ أنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ وَلَداً ، وَهُوَ سُبْحانَهُ لا يُجانِسُهُ شَيءٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ ذِكْرِ أَحْوالِ المُجرِمينَ التي اسْتَحقُّوا بِسَبَبِها غَضَبَ اللهِ وَإبعادَهُمْ مِنْ رَحْمتِهِ ، ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَحْوالَ المُؤْمِنينَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ، وَعَمِلَ صالِحاً مَحَبَّتَهُ في قُلوبِ عِبادِهِ المُؤْمِنينَ ، فَأَهْلُ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ مُتَوادّونَ مُتَحابّونَ ، وَهذا مِنْ ثِمارِ مَحَبَّةِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، فَهُوَ ـ سُبْحانَهُ وَتعالى ـ يُحِبُّهُمْ ويُحَبِّبُهُمْ إلى النّاسِ .

وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : « إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وَتَعالى ـ إذا أَحَبَّ عَبْداً نادى جِبْريلُ : إنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبَّهُ جِبْريلُ ، ثُمَّ يُنادي جِبْريلُ في السَّماءِ إنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبّوهُ ، فَيُحِبَّهُ أَهْلُ السَّماءِ ، وَيوضَعُ لَهُ القَبولُ في أَهْلِ الأرضِ »[1] .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ جَعَلَ القُرْآنَ الكَريمَ مُيَسَّراً ، سَهْلاً لِمَنْ يُريدُ قِراءَتَهُ وَحِفْظَهُ وَفَهْمَهُ ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ ، لِيَكونَ بِشارَةً لِلمُتَّقينَ وَمُخَوِّفاً لِلقَوْمِ المُعانِدينَ ، الشَّديدي الخُصومَةِ بالباطِلِ ، وَفي هذا حَثٌّ عَلَى الْتِزامِ التَّقْوى ، والبُعدِ عَنِ العِنادِ والخُصومَةِ بِالباطِلِ فَإنَّها لَيْسَتْ مِنَ الأخْلاقِ المَحْمودَةِ .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وَتُخْتَمُ السُّورَةُ بِبَيانِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في الظّالِمينَ ، أَنَّهُ يُهْلِكُهُمْ وَيُبيدُهُمْ بِسَبَبِ تَكذيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَلا يَبْقى مِنْهُمْ أَحَدٌ يُسْمَعُ صَوْتُهُ أَوْ يُرى أَوْ يُشْعَرُ بِهِ ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ كَثيراً مِنَ الأُمَمِ السّابِقَةِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ادِّعاءُ الوَلَدِ للهِ مُنْكَرٌ فَظيعٌ ، وَفِعْلٌ قَبيحٌ .

---

(١) رواه البخاريُّ في كتابِ التّوحيدِ ، بابِ رقم ٣٣ ، رقم الحديثِ : ٧٠٤٧ .

٢ـ الكُفْرُ بِاللهِ وَنِسْبَةُ السُّوءِ إلَيْهِ تُفْسِدُ الكَوْنَ وَقَدْ تُدَمِّرُهُ ، كَما أخْبَرَنا ﴿تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأرْضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا﴾ .

٣ـ لا يَجوزُ لِلمُؤْمِنَ أَنْ يَوادَّ وَيُحِبَّ الَّذينَ يُجْرِمونَ في حَقِّ اللهِ هَذِهِ الجَريمَةَ النَّكْراءَ ، بَلْ هُوَ أعْظَمُ الجَرائِمِ التي يَرْتَكِبُها البَشَرُ .

٤ـ كُلُّ المَخْلوقاتِ مَمْلوكَةٌ للهِ خاضِعَةٌ لأَمْرِه .

٥ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مُحيطٌ بخَلْقِهِ ؛ لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

٦ـ تَعريفُ اللهِ الناسَ بِالحالَةِ التي يُبْعَثونَ عَلَيْها في يَوْمِ القِيامَةِ .

٧ـ مَصيرُ المُؤْمِنينَ في الآخِرَةِ حَيْثُ يُحْشَرونَ إلى الرَّحْمنِ وَفْدا ، وَمَصيرُ الكافِرينَ حَيْثُ يُساقونَ إلى النَّارِ وِرْدا .

٨ـ الإيمانُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يُؤَدِّيانِ إلى مَحَبَّةِ اللهِ وَمَحَبَّةِ المُؤْمِنينَ .

٩ـ يَسَّرَ اللهُ تعالى القُرْآنَ لِعِبادِهِ لِيُقبِلوا عَلَيْهِ ، وَيَعمَلوا بِهِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ أَسْماء بَعْضْ الطَّوائِفِ الذينَ زَعموا الوَلَدَ للهِ .

٢ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أنَّ الادِّعاءَ بِوُجودِ وَلَدٍ للهِ أمْرٌ خَطيرٌ عَظيمٌ . وَضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ في الآياتِ الكَريمةِ أكْثَرُ مِنْ رَدٍّ عَلَى مَنْ زَعَمَ الوَلَدَ للهِ . بَيِّنْ هذِهِ الرُّدودَ .

٤ـ ما مَعنى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحمنُ وُدّاً﴾ ؟

٥ـ ما فائِدَةُ تَيْسيرِ القُرآنِ ؟

٦ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ الثَّابِتَةِ في خَلْقِه . وَضِّحْ هَذِهِ السُّنَّةَ مَعَ الدَّليلِ .

٧ـ ما السُّورَةُ التي تَرَدَّدَ فيها قَوْلُهُ تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرْ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ الكُرْسِيِّ ، وَبَيِّن النَّصَّ الَّذي يَتَّفِقُ مَعَ الآيَةِ (٩٤) .

٢ـ اقْرَأْ سورَةَ القَمَرِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها آيَةً تَدُلُّ عَلَى تَيْسيرِ القُرآنِ لِمَنْ أرادَ الخَيْرَ والفائِدَةَ .

الدَّرسُ الحادي والثلاثون

سورةُ طه ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ (طه) مَكِّيَّةٌ ، وَمَوْضوعُها الرَّئيسُ تَثْبيتُ النَّبيِّ ﷺ في مُواجَهَةِ المُشْرِكينَ ، مِنْ خِلالِ الأمْرِ المُباشِرِ بذلِكَ ، والقِصَصِ . وَمُعْظَمُ السُّورَةِ عَرْضٌ لِقصَّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَبَيانُ رعايَةِ اللهِ لَهُ ، ثُمَّ قِصَّةِ آدَمَ ، وَما فيها مِنَ العِبْرَةِ . وَفي ثَنايا السُّورَةِ تَبْرُزُ مَشاهِدُ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَتُخْتَمُ بِتَوْجيهاتٍ رَبّانِيَّةٍ لِلنَّبيِّ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ وَيَحْتَمِلَ الأذى حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

طه	: الطّاءُ والهاءُ حَرْفانِ مِنَ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ التي افْتُتِحَتْ بِها هَذِهِ السُّورَةُ لِلتَّنبيهِ عَلَى إعْجازِ القُرآنِ .
لِتَشْقى	: لِتَتْعَبَ .
الثَّرى	: التُّرابِ النَّدِيِّ .
وَأَخْفى	: حَديثَ النَّفْسِ وَخَواطِرَها .
الحُسْنى	: مُؤَنَّثُ الأحْسَنِ ، وَهِيَ في غايَةِ الحُسْنِ .



التفسيرُ :

﴿ طه ۝١ ﴾ .

بَدَأتِ السُّورَةُ بهذَيْنِ الحَرْفَيْنِ : طا ، ها ، وَهُما مِثْلُ سائِرِ الحُروفِ المُقَطَّعِةِ في فواتِحِ السُّوَرِ ، تُبيِّنُ لِلنّاسِ أنَّ القُرآنَ مُؤلَّفٌ مِنْ جِنْسِ هذهِ الحرُوفِ ، وَمَعَ ذلِكَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ مِنْهُمْ أنْ يُعارِضَهُ أوْ يَأتِيَ بِسورَةٍ مِثْلِهِ ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمُ الإيمانُ بِهِ .

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ ﴾ .

هذا خِطابٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ لِتَسْلِيَتِهِ عَمَّا أصابَهُ مِنْ أذى المُشْرِكينَ ، وَإخْبارِهِ أنَّ اخْتِيارَهُ لِلرِّسالَةِ وَإنْزالَ القُرآنِ عَلَيْهِ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ أجْلِ شَقائِهِ ، وَإنَّما القَصْدُ مِنْ وَراءِ ذلِكَ أنْ يُبَلِّغَ دَعْوَةَ اللهِ إلى العالَمين ، فالتَّعَبُ والمُعاناةُ والجُهْدُ المَبْذولُ مِنَ الرَّسولِ ﷺ لَيْسَ مَقْصوداً بِهِ الشَّقاءُ ، وَإنَّما إقامَةُ الحُجَّةِ .

وَتَخْصيصُ التَّذْكِرَةِ بِمَنْ يَخْشى لأنَّهُ الَّذي يَنْتَفِعُ بِهِداياتِ الآياتِ كَما في قَوْلِهِ تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] .

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ﴾ .

هذا تَبيينٌ أنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ الَّذي خَلَقَ الأرْضَ ، وَخَلَقَ السَّماواتِ العالِيَةَ ، المُتْقَنَةَ الصُّنْعِ ، وَفي هذا لَفْتٌ لِنَظَرِ الإنْسانِ أنْ يَتَأمَّلَ في المَخْلوقاتِ حَوْلَهُ ، وَيَسْتَدلَّ بِها عَلى عِظَمِ خالِقِها .

والعُلى جَمْعُ العُليا ، وَهِيَ مُؤَنَّثُ الأعْلى ، وَوَصْفُ السَّماواتِ بِها لِتَأْكيدِ فَخامَتِها وَعَظَمَتِها وَعُلُوِّها .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ .

وَصَفَ نَفْسَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بالرَّحْمَةِ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ خَلْقَهُ الأرْضَ والسَّماواتِ ، لِلإشارَةِ إلى أنَّ خَلْقَهُما مِنْ آثارِ رَحْمَتِهِ . والاسْتِواءُ على العَرْشِ صِفَةٌ للهِ تعالى ، يَجِبُ الإيمانُ بِها كما وَرَدَتْ ، وَتَفْويضُ العِلْمِ بِحَقيقَتِها إلى اللهِ تعالى ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكَريمةُ شُمولَ مُلْكِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيءٍ ، فالمَخلوقاتُ التي في السَّمواتِ كالمَلائِكَةِ ، والتي في الأرْضِ كالحَيَواناتِ والإنْسانِ والنَّباتِ ، والتي في الجَوِّ كالطُّيورِ والسَّحابِ

والهواءِ ، والتي في جَوْفِ الأرْضِ كالمَعادِنِ والمِياهِ ، كُلُّها للهِ أحاطَ بِها مُلكُهُ وعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ ، وَللهِ كَذلِكَ ما تَحْتَ الثَّرى ، والثَّرى هُوَ التُّرابُ النَّدِيُّ ، يُقالُ ثَرِيَتِ الأرْضُ ، إذا نَدِيَتْ وَلانَتْ بَعْدَ الجُدوبَةِ واليَبَسِ ، وَما تَحْتَ الثَّرى هُوَ طَبَقاتُ الأرْضِ المُخْتَلِفَةُ إلى نِهايَتِها ، وَخَصَّهُ اللهُ تعالى بِالذِّكْرِ مَعَ دُخولِهِ في لَفْظِ الأرْضِ ، لِتَأْكيدِ شُمولِ مُلْكِيَّتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لِكُلِّ شيءٍ .

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِشُمولِ عِلْمِ اللهِ تعالى ، بَعْدَ بَيانِ شُمولِ مُلْكِهِ ، والجَهْرُ بِالقَوْلِ : رَفْعُ الصَّوْتِ بِهِ ، والسِّرُّ : ما حَدَّثَ الإنْسانُ بِهِ غَيْرَهُ في خَفاءٍ ، وَأَخْفى مِنَ السِّرِّ ما يُحدِّثُ بِهِ الإنسانُ نَفْسَهُ دونَ أنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ أحداً .

وَفي الآيَةِ تَنْبيهٌ عَلَى اسْتِواءِ الجَهْرِ والسِّرِّ في عِلْمِ اللهِ ، وَأَنَّ الجَهْرَ بالذِّكْرِ والدُّعاءِ لَيْسَ لإعْلامِ اللهِ تعالى ، بَلْ يُشْرَعُ ذلِكَ لِهَدَفٍ آخَرَ كالتَّعليمِ وَتَذْكيرِ الآخَرينَ ، وَقَطْعِ الوَسْوَسَةِ ، وَإبْعادِ النَّفْسِ عَنِ الشَّواغِلِ الأُخْرى ، وَحينَ يَسْتَشْعِرُ المَرْءُ قُرْبَ اللهِ مِنْهُ بِسِرِّهِ وَنَجواهُ يَطْمَئِنُّ وَيَأْنَسُ وَيَبْتَعِدُ عَنِ المَعاصي والسَّيِّئاتِ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ بِحَقٍّ ، وَأَنَّ لَهُ الأسْماءَ الحُسنى الَّتي لا تَكونُ إلاَّ لَهُ ، وَلا تَكونُ لِغَيْرِهِ ، فَذاتُهُ واحِدَةٌ وَأسْماؤُهُ وَصِفاتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ ، كَما قالَ في آيَةٍ أُخْرى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وَفي هذا البيانِ رَدٌّ عَلَى المُشْرِكينَ الَّذينَ كانوا يَقولونَ : ما بالُ مُحمّدٍ يَدعونا إلى إلهٍ واحِدٍ ، وَهُوَ يَدْعو إلهَيْنِ : اللهَ ، والرَّحْمنَ ، فَهِيَ أَسْماءٌ لَهُ سُبْحانَهُ ، وَهِيَ حُسْنى لِدَلالَتِها عَلَى أشْرَفِ المَعاني وَأَفْضَلِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الغايَةُ مِنْ إرْسالِ الرُّسُلِ وَإنْزالِ الكُتُبِ تَعريفُ النَّاسِ بِرَبِّهِمْ ، وَتَعَبُّدِهِمْ لَهُ ، وَإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَلَيْسَ المُرادُ بِذلِكَ جَلْبُ الشَّقاءِ لِلرُّسُلِ والدُّعاةِ .

٢ـ القُرآنُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً .

٣ـ تَعْريفُ العِبادِ بِاللهِ فَهُوَ مُنَزِّلُ القُرآنِ ، خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، لَهُ كُلُّ ما في الأرْضِ والسَّماءِ ، وَهُوَ عَليمٌ بِكُلِّ شَيءٍ .

٤ـ اللهُ عالٍ عَلَى عَرْشِهِ بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، والواجِبُ عَلَى المُؤْمِنِ إثْباتُ الصِّفاتِ الَّتي أَثْبَتَها اللهُ تعالى لِنَفْسِهِ .

٥ـ القُرآنُ كِتابُ الهِدايَةِ والسَّعادَةِ .

٦ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيءٍ ، وَإحاطَةُ مُلْكِهِ بِكُلِّ شَيءٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى (طَهَ) ؟ وَما الحِكْمَةُ مِنِ افْتتاحِ بَعضِ السُّوَرِ بِالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؟

٢ـ بَيَّنَتِ الآياتُ حِكْمَةَ نُزولِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَما هيَ ؟

٣ـ ما مَعنى (العَلِيّ) ؟ وَما سِرُّ وَصْفِ السّماواتِ بِها ؟

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ الثَّرى بَعْدَ ذِكْرِ الأَرْضِ مَعَ انْدِراجِهِ فيها ؟

٥ـ أـ ما الفَرْقُ بَيْنَ السِّرِّ والجَهْرِ ؟

ب ـ هَلْ هُناكَ أَخْفى مِنَ السِّرِّ ؟ ما هُوَ ؟

٦ـ بَيِّنِ الحالاتِ التي يُشْرَعُ فيها الجَهْرُ بِالذِّكْرِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ الإمامُ مالِكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عِنْدَما سُئِلَ عَنْ تَفْسيرِ الآيَةِ (٥) .

٢ـ كَمْ عَدَدُ أَسْماءِ اللهِ تعالى ؟ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَشَرَةً مِنْها .

٣ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ في السِّيرَةِ ، واقْرَأْ مِنْهُ قِصّةَ إسْلام عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَتَأَمَّلْ في مَعنى الآياتِ التي قَرَأَها ، وَكانَتْ سَبَباً لإسْلامِهِ ، وَهِيَ هَذهِ الآياتُ (١ ـ ٨) ، وَدَوِّنْ ذِلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الثّاني

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

امْكُثوا : أقيموا في مَكانِكِمْ .

آنَسْتُ : أبصَرْتُ بِوُضوحٍ .

بِقَبَسٍ : بِشُعْلَةِ نارٍ عَلَى رَأْسِ عودٍ ، أَوْ ما يُشْبِهُهُ .

هُدىً : هادِياً يَهديني الطَّريقَ .

المُقَدَّسِ : المُطَهَّرِ المُبارَكِ .

طُوى : اسْمُ الوادي .

فَتَرْدى : فَتَهْلِكَ .

التفسيرُ :

القِصَّةُ الأُولى في هَذِهِ السُّورَةِ قِصّةُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وابْتَدأَتِ الآياتُ بِذِكْرِ البِعْثَةِ والتَّكْليفِ بِالرِّسالَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾ .

هذا شُروعٌ في قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَبَدَأَتِ القِصَّةُ بالاسْتِفهام لِتَقريرِ الخَبَرِ ، وَتَثْبيتِهِ في النَّفْسِ ، وَهذا أَبْلَغُ مِنْ مَجيئِهِ بصورَةِ الخَبَرِ المُجَرَّدِ ، لأنَّ المَسْؤولَ يَشْتاقُ لِسَماعِ الخَبَرِ ، فَإذا سَمِعَهُ تَقرَّرَ في نَفْسِهِ . وَحَديثُ موسى : خَبَرُهُ وَقِصَّتُهُ ، وَفيها إثْباتُ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَتَسْلِيَةٌ لِلرّسولِ ﷺ عَمَّا أَصابَهُ مِنْ قَوْمِهِ .

﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾ .

هَذا أَوّلُ مَشاهِدِ القِصَّةِ ، يَظْهَرُ موسى عَلَيْهِ وَهُوَ سائِرٌ مَعَ أَهْلِهِ في لَيْلَةٍ ظَلْماءَ بارِدَةٍ ، أَضَلَّ فيها الطَّريقَ ، وَكانَ عائِدا مِنْ أَرْضِ مَدْيَنَ إلى مِصْرَ ، بَعْدَ أَنْ أَقامَ في أَرْضِ مَدْيَنَ عَشْرَ سَنَواتٍ ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ ، فَرَأى ناراً اسْتَأْنَسَ بها ، وَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ أَيْ زَوْجَتِهِ ، أَنْ تَبْقى في مَكانِها حَتّى يَصِلَ إلى المَكانِ الَّذي رَأى فيهِ النّارَ ، وَيَأْتِيَ مِنْه بِشُعْلَةٍ أو يَجِدَ في المَكانِ مَنْ يدُلُّهُ عَلَى الطّريقِ .

والتَّعبيرُ عَنْ إبْصارِ النّارِ بـ(آنَسْتُ) لأنَّ مَنْ كانَ في مِثْلِ حالِ موسى ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ يَسيرُ في الصَّحراءِ لَيْلاً بلا هادٍ وَلا ضَوْءٍ ، إذا أَبْصَرَ ما يدُلُّ عَلَى وُجودِ مَنْ يُعينُهُ سُرَّ واستَأْنَسَ . وَمُخاطَبَةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِزَوْجَتِهِ بالجَمْعِ في قَوْلِهِ (امْكُثوا) تَفخيمٌ لِشَأْنِها ، وَطَلَبُهُ مِنْها أَنْ تَبْقى في مَكانِها ، إراحَةٌ لَها وَحَذَرٌ عَلَيْها .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ ﴾ .

فَلَمَّا وَصَلَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى مَكانِ النّارِ ، نوديَ مِنَ اللهِ تعالى .

﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ ﴾ .

أيْ خالِقُكَ وَرازِقُكَ وَمُدَبِّرُ أَمْرِكَ ، وَأَمَرَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ لِيُباشِرَ بِقَدَمَيْهِ الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ ، وَلأنَّ الحَفاءَ أَظْهَرُ لِلتَّواضُعِ ، وَحُسْنِ الأَدَبِ ، فَفي الآيَةِ أَمْرٌ وَبَيانٌ ، أَمْرٌ بِخَلْعِ النَّعْلِ ، وَبَيانُ فَضْلِ المَكانِ ؛ فَهُوَ الوادي المُقَدَّسِ طوى .

وَيَسْتَمِرُّ الخِطابُ الإلهِيُّ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ :

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ ﴾ .

إنّي اصْطَفَيْتُكَ لِلنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ ، فَأَصِغْ سَمْعَكَ لِما يُوحَى إلَيْكَ ، فَإنَّهُ أَمْرٌ عَظيمٌ هائِلٌ يَحْتاجُ إلى التّأَهُّبِ وَكَمالِ الانْتِباهِ والإصْغاءِ .

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلُ ما أَوْحاهُ اللهُ تعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ : عَرَّفَهُ بأَنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ الإلهُ الواحِدُ المَعْبودُ بِحَقٍّ ، فَلا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ والطَّاعَةَ سِواهُ ، والعِبادَةُ : غايَةُ التَّذَلُّلِ والانْقِيادِ لَهُ في كُلِّ ما يُكَلَّفُ بِهِ .

ثُمَّ خَصَّ ـ سُبْحانَهُ ـ الصَّلاةَ بِالذِّكْرِ ، وَأَفْرَدَها بِالأَمْرِ مَعَ انْدِراجِها ضِمْنَ الأَمْرِ بِالعِبادَةِ ، لِمَزيدِ فَضْلِها عَلَى سائِرِ العِباداتِ ، وَلاشْتِمالِها عَلَى أَلْوانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ صُوَرِ الطَّاعَةِ . وَمَعنى (لِذِكْري) أَيْ لِتَذْكُرَني بها ، وَتَبْقى دائِمَ الصِّلَةِ بِرَبِّكَ .

ثُمَّ أَخْبَرَهُ عن قِيامِ السَّاعَةِ ، وَحُصولِ الأَجْرِ والثَّوابِ .

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ .

أَيْ إِنَّ السَّاعَةَ التي هِيَ وَقْتُ البَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ كائِنَةٌ وَحاصِلَةٌ لا شَكَّ فيها ، وَإِني أُخْفيها فَلا أُعْلِمُكُمْ أَيَّ شَيْءٍ عَنْها ، وَلَوْلا ما في الإِخْبارِ بِإِتيانِها دونَ تَحديدِ وَقْتِها مِنَ المَصْلَحَةِ لَما أَخْبَرْتُ بِهِ ، فَهِيَ آتِيَةٌ في وَقْتٍ اللهُ أَعْلَمُ بِهِ ، لِتَنالَ كُلُّ نَفْسٍ جَزاءَ عَمَلِها مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ .

والحِكْمَةُ مِنْ إِخْفاءِ وَقْتِ السّاعَةِ ، وَوَقْتِ المَوْتِ أَنَّ اللهَ تعالى حَكَمَ بِعَدَمِ قَبولِ التَّوْبَةِ عِنْدَ حُصولِهِما ، وَلَوْ عَرَفَ النَّاسُ وَقْتَ السَّاعَةِ أَوْ وَقْتَ المَوْتِ لاشْتَغَلوا بِالمَعاصي ، ثُمَّ تابوا قَبْلَ ذلِكَ ، فَإِخْفاؤُهُما لِيَظَلَّ الإِنْسانُ عَلَى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ واسْتِعْدادٍ مِنْ أَنْ تَبْغَتَهُمُ السَّاعَةُ أَوِ المَوْتُ .

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ .

فَلا يَصْرِفَنَّكَ ، وَيَشْغَلَكَ عَنِ الإِيمانِ بِالسَّاعَةِ ، وَمُراقَبَتِها ، والاسْتِعْدادِ لَها بِالعَمَلِ الصّالِحِ ، مَنْ كانَ كافِراً بِها ، غَيْرَ مُعْتَقِدٍ بِوُقوعِها اتِّباعاً لِهَواهُ ، فَتَهْلِكَ مَعَهُ إِنْ فَعَلْتَ ذلِكَ ، والخِطابُ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ مَعْصومٌ .

وَفي الآيَةِ إِشارَةٌ إِلى أَنَّ كُلَّ داعِيَةٍ إِلى الخَيْرِ لا بُدَّ لَهُ مِنْ وُجودِ مَنْ يَعوقُهُ ، وَيَكْفُرُ بِهِ وَيُحاوِلُ حَرْفَهُ عَنِ الخَيْرِ ، وَفيها تَحْذيرٌ مِنْ كُلِّ داعٍ إِلى الباطِلِ ، فَإِنَّهُ يَقودُ إِلى العَذابِ والهَلاكِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مِنَ الغَيْبِ الصَّادِقِ الَّذي يَجِبُ الإِيمانُ بِهِ ما أُخْبِرْنا بِهِ في هذِهِ السُّورَةِ عَنْ قِصَّةِ موسى .

٢ـ اللهُ تَبارَكَ وَتعالى يَتَكَلَّمُ كَما يَشاءُ ، كَيْفَ شاءَ ، وَقْتَ ما يَشاءُ ، كَما كَلَّم موسى عَلَيْه السَّلامُ .

٣ـ كُلُّ الرُّسُلِ جاؤوا بِتَوْحيدِ الخالِقِ وَعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ ، بِذلِكَ أُمِروا ، وَبِهِ أُرْسِلوا .

٤ـ كُلُّ الرُّسُلِ أُمِروا بِالصَّلاةِ ، وَأُعْلِموا بِوُقوعِ السَّاعَةِ .

٥ـ العاقِلُ الفَطِنُ يَبْحَثُ عَمَّن يَهْديهِ وَيَدُلُّهُ عَلَى مُرادِهِ ، وَيُساعِدُهُ عَلَى قَضاءِ مَصالِحِهِ .

٦ـ إخْفاءُ وَقْتِ السَّاعَةِ عَنِ الخَلْقِ لِيَسْتَعِدُّوا لَها ، وَيَعْمَلوا مِنْ أَجْلِها .

٧ـ اتِّباعُ دُعاةِ الباطِلِ يَقودُ إلى الهَلاكِ والتَّرَدِّي .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا بَدَأَتْ قِصَّةُ موسى بالاسْتِفهامِ ؟

٢ـ بَيِّنْ وَجْهَ التَّعبيرِ في (آنَسْتُ) بَدَلاً مِنْ : رَأَيْتُ .

٣ـ لِماذا أُفرِدَتْ إقامَةُ الصَّلاةِ بِالأَمْرِ مَعَ اندِراجِها في الأَمْرِ بِالعِبادَةِ ؟

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إخْفاءِ وَقْتِ السَّاعَةِ ؟

٥ـ لِمَنِ الخِطابُ في ﴿فلا يَصُدَّنَّكَ﴾ ؟ وَما مَعْنى الآيَةِ .

٦ـ اذكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلَى كُلٍّ مِمّا يَأْتي :

أـ اللهُ تعالى رَبُّ الخَلْقِ أَجْمَعينَ .

ب ـ لا مَعْبودَ بِحَقٍّ إلاّ اللهُ .

ج ـ السَّاعَةُ حاصِلَةٌ لا مَحالَةَ .

د ـ هُناكَ مَنْ يَصُدُّ النَّاسَ عَنِ الإيمانِ بِالسَّاعَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً أُخْرى غير الآيَةِ (١٠) تَدُلُّ عَلَى هذا المَشْهَدِ مِنْ قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ.

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ جَوابَ الرَّسولِ ﷺ عِنْدَما سَأَلَهُ جِبْريلُ عَنِ السَّاعَةِ .

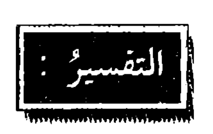
الدَّرسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أتوكَّأُ عليْها	أعْتَمِدُ عَلَيْها عِنْدَ السَّيْرِ .
وَأَهُشُّ بِها	أضْرِبُ بِها عَلَى وَرَقِ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ .
مَآرِبُ	مَنافِعُ ومَصالِحُ .
سيرَتَها الأُولى	حالَتَها الَّتي كانَتْ عَلَيْها .
جَناحَكَ	جَنْبَكَ .
طَغى	جاوَزَ الحَدَّ في التَّمَرُّدِ .
وَزيراً	مُعيناً وَظَهيراً .
أزْري	قُوَّتي .



التفسيرُ :

بَعْدَ بَيانِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، وَأَنَّهُ رَبُّ موسى ، والإلهُ الذي يَجِبُ أن يُعْبَدَ ، يَأْتي الإخْبارُ عَنِ التَّأييدِ والتَّزويدِ بالأَدِلَّةِ والبَراهينِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ .

الاسْتِفهامُ لِلتَّقْريرِ . فاللهُ تعالى عَليمٌ بِما في يَمينِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، والمَقصودُ مِنَ السُّؤالِ التَّنبيهُ عَلَى أنَّها عَصاً عاديةٌ ، فَإذا قَلَبَها اللهُ تعالى حَيَّةً ، عَلِمَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّها مُعْجِزَةٌ عَظيمَةٌ فازْدادَ يَقيناً وَطُمأنينَةً وَأُنْساً .

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ .

أَجابَ موسى بِنِسْبَةِ العَصا إلى نَفْسِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَ وَظيفَتَها ، وَأَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْها لِتُساعِدَهُ حالَ السَّيْرِ ، وَيَضْرِبُ بِها وَرَقَ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ فَتَأْكُلَهُ الغَنَمُ ، وَأَنَّ لِلعَصا حاجاتٍ وَمَنافِعَ أُخْرى .

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ .

طَلَبَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يُلْقِيَ عَصاهُ ، لِيَرى ما يَكونُ بَعْدَ ذلِكَ .

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

فَلَمَّا أَلْقاها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فُوجِىءَ بِأَنَّها حَيَّةٌ عَظيمةٌ تَمشي عَلَى الأَرْضِ بِخِفَّةٍ وَسُرْعَةٍ ، والحَيَّةُ : اسْمٌ عامٌ يُطلَقُ عَلَى الصَّغيرِ والكَبيرِ والذَّكَرِ والأُنْثى .

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ .

لَمَّا انْقَلَبَتِ العَصا حَيَّةً بِقُدْرَةِ اللهِ تعالى ، خافَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وتَمَلَّكَهُ ما يَحْصُلُ لِلبَشَرِ عِنْدَ مُشاهَدَةِ الأَهْوالِ والمَخاوِفِ ، فَثَبَّتَهُ اللهُ تعالى ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَها دونَ خَوْفٍ مِنْها . فَإنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ سَيُعيدُها إلى حالَتِها السَّابِقَةِ الَّتي كانَتْ عَلَيْها ، وَهِيَ العَصا .

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وَأَدْخِلْ يَدَكَ في فَتْحَةِ قَميصِكَ ، واجْعَلْها إلى جَنْبِكَ تَحْتَ إبطِكَ ، ثُمَّ أَخْرِجْها تَخْرُجُ بَيْضاءَ لامِعَةً ، لَها نورٌ ساطِعٌ ، وَهذِهِ مُعجِزَةٌ أُخرى لَكَ ، وَلَيْسَتْ عَيْباً وَلا مَرَضاً وَلا بَرَصاً .

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ .

أيْ فَعَلْنا هذا لِنُرِيَكَ بِهاتَيْنِ المُعْجِزَتَيْنِ بَعْضَ آياتِنا العَظيمَةَ ، الدَّالَّةَ عَلَى صِحّةِ رِسالَتِكَ ، فَيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ وَلا تَضْطَرِبَ حينَ تَتَحوَّلُ العَصا إلى حَيَّةٍ أمامَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، ، وَلِتَكونَ هَذِهِ دَلائِلَ وَبَراهينَ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكَ .

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ .

وَهُنا يَأْتي التَّكْليفُ الإلهِيُّ لِموسى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ بِتَبْليغِ دينِ اللهِ ، فَأَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَذْهَبَ إلى فِرْعَونَ مَلِكِ مِصْرَ ، لِيَدْعُوَهُ إلى الاسْتِقامَةِ ، والخَيْرِ ، وَرَفْعِ الظُّلْمِ عَنِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّه قد تجاوَزَ الحَدَّ في التَّجَبُّرِ والطُّغيانِ وادّعى الرُّبوبِيَّةَ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ .

عَلِمَ موسى أنَّه قَدْ كُلِّفَ بِأَمْرٍ عَظيمٍ . فَدَعا رَبَّهُ أن يَشْرَحَ صَدْرَهُ ، وَيَهدِيَ قَلْبَهُ ، لِيَتَحَمَّلَ ما يُتَوَقَّعُ من الشَّدائِدِ ، وَأنْ يُسَهِّلَ لَهُ أمْرَهُ في تَبليغِ الدَّعْوَةِ وَإيصالِ الرِّسالةِ ، فإنّهُ أَجَلُّ الأُمورِ وَأَعْظَمُها .

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ .

وَسَألَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ كَذلِكَ أنْ يُعينَهُ على حُسْنِ الإفْصاحِ والبَيانِ المُقْنِعِ ، وَأنْ يُطْلِقَ لِسانَهُ بِالنُّطْقِ ، وَيَدرأَ عَنْهُ صُعوبَةَ الإفْصاحِ ، وَثِقَلَ الكلامِ ، حَتى يَفْهَمَ النَّاسُ كَلامَهُ الواضِحَ المُبينَ .

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ﴾ .

وَطَلَبَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ أنْ يُرْسِلَ مَعَهُ مُعيناً مِنْ أهْلِهِ ، وَناصِراً لَهُ يَحْمِلُ مَعَهُ أعْباءَ الرِّسالَةِ ، وَهُوَ أَخوهُ هارونُ ، واخْتارَ أخاهُ لأنَّهُ أقْرَبُ إلى البِرِّ وَأدْعى لِلأُلْفَةِ .

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ .

بَيَّنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّهُ طَلَبَ مِنَ اللهِ أنْ يُرْسِلَ مَعَهُ أخاهُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيُعينَهُ عَلَى الشَّدائِدِ ، وَيُقَوِّيَ بِهِ نَفْسَهُ ويَحْمِلَ مَعَهُ أعْباءَ الرِّسالةِ ، وَيَكُونَ شَريكاً لَهُ فيها حَتّى يُؤَدِّياها عَلَى الوَجْهِ الأكْمَلِ .

﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ .

في هذهِ الآياتِ تَعليلُ طَلَبِ موسى إرْسالَ هارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ مَعَهُ ، وَهُوَ أنْ يَتَعاوَنا عَلَى طاعَةِ اللهِ ، بِتَنْزيهِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ عَمَّا لا يَليقُ بِهِ ، والمُداوَمَةِ عَلَى ذِكْرِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ والثَّناءِ عَلَيْهِ بِما يَليقُ بِجَلالِهِ ، فَإنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِما عالِمٌ بِأحْوالِهِما وَحاجاتِهِما .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يُرْسِلُ اللهُ رُسُلَهُ بالآياتِ العَظيمَةِ التي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ ، كَما أُرْسِلَ موسى بالعَصا واليَد .

٢ـ دَعا موسى رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَهُ ما يُؤَهّلَهُ لِتَحمُّلِ الرِّسالَةِ وَعِبْءِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أنْ يُؤَهَّلَ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ فَعَلَيْهِ أنْ يُحقق دَعْوَةَ موسى مِنْ شَرْحِ الصّدْرِ ، وَتَيْسيرِ الأمْرِ ، وَفَصاحَةِ القَوْلِ ، وَوُجودِ الوَزيرِ. . .

٣ـ اسْتِحْبابُ مُباشَرَةِ الأُمورِ المَحْمودَةِ ، وَعَمَلُ الأشْياءِ الحَسَنَةِ باليَمينِ .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ الدُّعاءِ قَبْلَ مُزاوَلَةِ العَمَلِ ، وَطَلَبُ الإعانَةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ .

٥ـ الاسْتِعدادُ لِلعَمَلِ قَبْلَ الشُّروعِ فيهِ .

٦ـ اسْتِحبابُ طَلَبِ الرَّفيقِ المُعينِ عَلَى الخَيْرِ والطّاعَةِ ، وَبِخاصَّةٍ عِنْدَما يَقومُ المُسْلِمُ بِأَمْرٍ عَظيمٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ رُؤيَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُعْجِزَةَ العَصا واليَدِ قَبْلَ مُقابَلَتِهِ فِرْعَونَ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ وُجودِ هارونَ مَعَ موسى عَلَيْهِما السَّلامُ ؟

٣ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنَ العِبَرِ المُسْتَخْلَصَةِ مِنْ آياتِ هذا الدَّرْسِ .

٤ـ اذْكُرِ الأَشْياءَ الَّتي طَلَبَها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ بَعْدَ أَمْرِهِ بالسَّيْرِ إلى فِرْعَوْنَ مُرَتَّبَةً حَسْبَ وُرودِها في الآياتِ .

٥ـ ما الآيتانِ اللَّتانِ زَوّدَ اللهُ تعالى بِهِما موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عندما أُمِرَ بِتَبْليغِ دينِ اللهِ تعالى ؟



اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ حاجاتٍ يُمْكِنُ تَوظيفُ العَصا فيها .

الدَّرسُ الرَّابعُ والثَّلاثونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الرّابِعُ

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُؤْلَكَ : ما سَأَلْتَهُ وَطَلَبْتَهُ .

اقْذِفِيهِ : أَلْقيهِ .

التَّابوتُ : صُنْدوقٌ مِنَ الخَشَبِ .

اليَمِّ : البَحْرِ أَوِ النَّهْرِ الكَبيرِ .

يَكْفُلُهُ : يُرَبِّيه .

فَتَنَّاكَ : خَلَّصناكَ مِنَ المِحَنِ مِراراً .

لا تَنِيا : لا تُقَصِّرا .

يَفْرُطَ عَلَيْنا : يُعَجِّلَ بعقوبَتِنا .



التفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ ما طَلَبَهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ عِنْدَما كَلَّفَهُ بِتَبليغِ الدَّعْوَةِ ، يَأْتي تَبيينُ النِّعَمِ الَّتي أنعمَها اللهُ تَعالى عَلَى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أنْ دَعاهُ : قَدْ حَقَّقْنا لَكَ ما طَلَبْتَ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ ، وَتَيْسيرِ الأَمْرِ ، وَإِطْلاقِ اللِّسانِ ، وَإِرْسالِ هارونَ مَعَكَ مُعيناً وَوَزيراً ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللهُ بِها عَلَى موسى عَلَيْه السَّلامُ .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وَهذا تَذْكيرٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِبَعْضِ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ دُعاءٍ مِنْهُ ، وَقَبْلَ أنْ يَكونَ رَسولاً ، فَإِذا كانَ اللهُ قَدْ رَعاهُ مِنْ قبلُ فَسَيَرْعاهُ مِنْ بَعْدُ فَلْيَطْمَئِنَّ .

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

هَذا بِدايَةُ التَّفصيلِ لِما أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِذْ أَلْهَمَ اللهُ تعالى أُمَّ موسى في شَأْنِهِ تَدْبيراً اقْتَنَعَتْ بِهِ تَماماً ، واسْتَقَرَّ في نَفْسِها قَوِيّاً وَأَبْهَمَ هذا الشَّيءَ أَوَّلاً في قَولِهِ ﴿ما يُوحى﴾ تَهْويلاً لِشَأْنِهِ ، وَتَعظيماً لأَمْرِهِ ، ثُمَّ فَسَّرَ لِيَكُونَ أَقَرَّ في النَّفْسِ .

والوَحْيُ : الإِعْلامُ في خَفاءٍ ، والوَحْيُ الذي أَوْحى بِهِ إِلى أُمِّ موسى كانَ عَنْ طَريقِ المَنامِ ، أَوْ أَنَّ جِبْريلَ قَذَفَ في رَوْعِها ما أَرادَهُ اللهُ مِنْها مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحِسَّهُ وَتَراهُ .

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَلْهَمَ اللهُ تَعالى أُمَّ موسى أَنْ تَضَعَهُ في صُندوقٍ مِنْ خَشَبٍ ، ثُمَّ تُلْقِيَهُ في نَهْرِ النِّيلِ ، وَسَيَتَوَلّى النَّهْرُ إيصالَهُ إِلى السَّاحِلِ بِأَمْرِ اللهِ ، لِيَتَناوَلَهُ فِرْعَوْنُ الَّذي هُوَ عَدُوٌّ للهِ وَعَدُوٌّ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَقَدْ أَلْقى اللهُ حُبَّ الطِّفْلِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في قَلْبِ المَلِكَةِ عِنْدَما رَأَتْه ، وَبِذلكَ حَفِظَ اللهُ موسى مِنَ القَتْلِ ، وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَفْتِكَ فِرْعَوْنُ بِهِ وَيَقْتُلَهُ ، كَما كانَ يَفْعَلُ بِسائِرِ أَطْفالِ بَني إِسْرائيلَ رَعاهُ وَحَفِظَهُ ، اسْتِجابَةً لِرَغْبَةِ زَوْجَتِهِ المَلِكَةِ ، وَهكَذا تَرَبّى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ تَحوطُهُ عِنايَةُ اللهِ تعالى وَرِعايَتُهُ .

﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ .

وَمِنْ مَظاهِرِ رِعايَةِ اللهِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ أُخْتَهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَتْها أُمُّهُ بِمَعْرِفَةِ خَبَرِهِ ، سارَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ وَتَتَبَعُ أَثَرَهُ ، فَعَلِمَتْ أَنَّ أخاها ـ بِقَدَرٍ مِنَ اللهِ ـ امْتَنَعَ عَنْ قَبولِ المَراضِعِ اللاّتي أَحْضَرَتْهُنَّ المَلِكَةُ لإِرْضاعِهِ ، فَأَخَذوا يَبْحَثونَ لَهُ عَنْ مُرْضِعٍ يَقْبَلُ ثَدْيَها ، فَعَرَضَتْ أُخْتُهُ عَلَيْهِمْ إِرْشادَهُمْ إِلى امْرَأَةٍ تُرْضِعُهُ وَتَرْعاهُ وَتَعْتَني بِهِ ، فَوافَقوا عَلَى ما عَرَضَتْهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوَلَّتْ أُمُّهُ إِرْضاعَهُ ، وَقَرَّتْ عَيْنُها بِلِقائِهِ ، وَذَهَبَ عَنْها الحُزْنُ لِفِراقِهِ .

وَمِنْ مَظاهِرِ رِعايَةِ اللهِ تعالى ، وَحِفْظِهِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ أَنْجاهُ مِنَ الغَمِّ ، وَهُوَ الخَوْفُ مِنَ القِصاصِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رَجُلاً دونَ قَصْدٍ ، فَفَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلى مَدْيَنَ ، وَأَقامَ سَنَواتٍ تَزَوَّجَ خِلالَها ، ثُمَّ انْطَلَقَ عائِداً إِلى مِصْرَ في الوَقْتِ الذي أَرادَهُ اللهُ لِيُكَلِّمَهُ ، وَيَخْتارَهُ لِلرِّسالَةِ ، وَهكَذا كانَ موسى يَنْتَقِلُ مِنَ ابْتِلاءٍ إِلى آخَرَ ، واللهُ سُبْحانَهُ يُنَجِّيهِ وَيُخَلِّصُهُ مِنْها .

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ .

أَيِ اخْتَرْتُكَ لِرِسالَتي وَوَحْيي .

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ .

اذْهَبْ مَعَ هارونَ بِحُجَجي وَبَراهيني وَمُعْجِزاتي ، وَلا تُقَصِّرا في ذِكْري وَتَسْبيحي ، لِيَكونَ عَوْناً لَكُما في مُواجَهَةِ الطّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ .

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ .

تَبْيينٌ لِلمَقْصَدِ والوِجْهَةِ الَّتي سَيَذْهَبانِ إِلَيْها ، وَهِيَ الوُصولُ إِلى فِرْعَوْنَ الذي تَجاوَزَ الحَدَّ في ظُلْمِ الخَلْقِ ، وَفي الغُرورِ فادَّعى الرُّبوبِيَّةَ ، وَأَفْسَدَ في الأَرْضِ .

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ .

هذا إِرْشادٌ مِنَ اللهِ تعالى لِموسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ أَنْ يَسْتَعْمِلا أُسْلوبَ اللِّينِ في دَعْوَةِ فِرْعَوْنَ إِلى الهُدى ، لَعَلَّهُ بِهذا الاسْلوبِ اللَّيِّنِ البَعيدِ عَنِ الخُشونَةِ يَتَذَكَّرُ عَظَمَةَ اللهِ ، أَوْ يَخافُ سوءَ المَصيرِ الَّذي يَنْتَهي إِلَيْهِ أَهْلُ الطُّغْيانِ ، فَيُؤْمِنَ بِرَبِّهِ وَيَكُفَّ عَنْ غُرورِهِ وَطُغْيانِهِ .

وَفي الآيَةِ دَليلٌ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعروفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ ، يَنْبَغي أَنْ يَكونَ بِأُسْلوبٍ لَيِّنٍ ، وَبِكَلامٍ رَقيقٍ سَهْلٍ ، فَهذا أَوْقَعُ في النُّفوسِ ، وَأَبْلَغُ وَأَنْجَحُ وَأَبْعَدُ أَثَراً مِنَ الدَّعْوَةِ بِالخُشونَةِ

والقَسْوَةِ ، فإنَّها قَدْ تأتي بِعَكْسِ المَقْصودِ . واللِّينُ في الدّعْوَةِ مَطلوبٌ حتى مَعَ أَشَدِّ النَّاسِ قَسْوَةً وَعِناداً وأطْغاهُمْ فكَيْفَ بِمَنْ سِواهُ ؟

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ .

أظهَرَ موسى وَهارونُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ خَوْفَهُما مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ بِهِما لِما عَرَفاهُ عَنْهُ مِنَ الظُّلْمِ والبَطْشِ ؛ فَقَدْ يُعَجِّلِ بِعُقوبَتِهِما قَبْلَ أنْ يَسْمَعَ تَمامَ الدَّعْوَةِ ، أوْ أنْ يَزدادَ طُغْياناً فَيَقولَ في حَقِّ اللهِ تعالى ما لا يَنْبَغي لِجُرْأتِهِ وَقَساوَتِهِ .

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ .

طَمْأَنَهُما اللهُ تعالى ، وَبَيَّنَ لَهُما أنَّهُ سَيَرْعاهُما وَيَحْفَظُهُما ، وَيُحيطُهُما بِعِنايَتِهِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَسْمَعُ ما يَقولانِ لِفِرْعَوْنَ ، وَما يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِما ، وَيَرى ما يَصْدُرُ مِنْهُما وَمِنْهُ ، رِعايَةً مِنْهُ لأَمْرِهِما ، لِيَطْمَئِنّا وَيُقْدِما على ما أُمِرا بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لُطْفُ اللهِ في قَدَرِهِ وَتَقْديرِهِ ، فَقَدْ أمَرَ أُمَّ موسى أنْ تُلْقي ابْنَها في اليَمِّ ، لِيَصِلَ إلى قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَيَقَعَ حُبُّهُ في قَلْبِ المَلِكَةِ ، فَيَكونَ ذلِكَ سَبَباً في حِفْظِهِ وَرِعايَتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنَ الرَّضاعِ مِنْ غَيْرِ أمِّهِ ، لِيَكونَ سَبَباً في إعادَتِهِ إلى أُمِّهِ .

٢ـ البَلاءُ يَحُلُّ بالأخْيارِ كَما وَقَعَ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، لِيُهَيِّئَهُمْ إلى عَظائِمِ الأُمورِ .

٣ـ عَلَى الدُّعاةِ مُواجَهَةُ الطُّغاةِ والوُقوفُ في وُجوهِهِمْ .

٤ـ رِعايَةُ اللهِ تعالى تُحيطُ بِالصَّالِحينَ مِنْ عِبادِهِ .

٥ـ مَحَبَّةُ اللهِ تعالى لِعَبْدِهِ تَسْتَدْعي مَحَبَّةَ الخَلْقِ لَهُ .

٦ـ ذِكْرُ اللهِ مُعينٌ للإنْسانِ في الشَّدائِدِ والمَواقِفِ الحَرِجَةِ .

٧ـ وُجوبُ مُراعاةِ الحِكْمَةِ واللِّينِ في دَعْوَةِ النّاسِ إلى رَبِّهِمْ .

٨ـ عَدَمُ المُؤاخَذَةِ عَلَى الخَوْفِ إذا وُجِدَتْ أَسْبابُهُ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ أوْجُهِ رِعايَةِ اللهِ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ ما فائِدَةُ التَّفْصيلِ بَعْدَ الإبْهامِ في الآياتِ ؟

٣ـ ما الفَرْقُ في المَعنى بَيْنَ ﴿فاقْذِفيهِ في التّابوتِ﴾ وَ﴿فاقْذِفيهِ في اليَمِّ﴾ ؟

٤ـ ما العِبْرَةُ التي تَأخُذُها مِنْ قَوْلِهِ تعالى : ﴿وفتنّاكَ فُتونا﴾ ؟

٥ـ ما أهَمِّيَةُ لينِ القَوْلِ لِلدّاعِيَةِ ؟

٦ـ ما الذي تَخَوَّفَهُ موسى وهارونُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ مِنْ فِرْعَوْنَ ؟ وَبِماذا رَدَّ اللهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِما ؟

٧ـ ما دَوْرُ كُلٍّ مِنْ أُمِّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَأُخْتِهِ في حِفْظِ اللهِ لَهُ ؟ أيِّدْ إجابَتَكَ بِالدَّليلِ مِنَ الآياتِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ قَتْلِ فِرْعَوْنَ لأبْناءِ بَني إسْرائيلَ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثون

سورةُ طه - القِسْمُ الخامِسُ

فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَلْقَهُ	: صورتَهُ وَشَكْلَهُ .
القُرونِ	: الأُمَمِ .
لا يَضِلُّ	: لا يغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ .
مَهداً	: مُمَهَّدَةً كالفِراشِ لِيَحْسُنَ العَيْشُ عَلَيْها .
سَلَكَ	: جَعَلَ .
أَزْواجاً	: أَصْنافاً .
لأُولي النُّهى	: لِذَوي العُقولِ السَّليمةِ .

التفسيرُ :

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ في بَيانِ أَحْداثِ قِصَّةِ موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - مَعَ فِرْعَوْنَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ .

في هذهِ الآيَةِ أمْرٌ لِموسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ أَنْ يَأْتيا فِرْعَوْنَ ، وَأَنْ يُخاطِباهُ بما أُمِرا بِهِ ، وَأَنْ يُخاطِباه قائِلينَ : ﴿إنّا رسولا رَبِّكَ﴾ . وَفي هَذِهِ الجُمْلَةِ تَوْضيحٌ لِرِسالَتِهِما ، وَتَبْيينٌ لِحَقيقَتِهِما ، وَأَنَّهُما مُرْسَلانِ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ لِدَعْوَتِهِ إلى الدّينِ الحَقِّ ، فَلَمْ يَأْتِيا بِدافِعٍ شَخْصيٍّ إنّما بِتَكْليفٍ مِنْ رَبِّ العالَمينَ ، وَأُمِرا أَنْ يَقولا لَهُ بَعْدَ ذلِكَ : ﴿فأَرْسِلْ مَعَنا بني إسرائيلَ ولا تُعَذِّبْهُم﴾ أَيْ أَطْلِقْ سَراحَهُمْ مِنَ الاسْتِعْبادِ ، وَكُفَّ عَنْ قَهْرِهِمْ ، وَقَتْلِ أَبْنائِهِم ، وَتَسْخيرِ نِسائِهِمْ لِلخِدْمَةِ .
والجُمْلَةُ الثّالِثَةُ الَّتي أُمِرا أَنْ يَقولاها لَهُ هِي : ﴿قد جئناكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ أيْ مَعَنا مُعْجِزَةٌ تُثْبِتُ صِدْقَنا ، وَتَشْهَدُ أنّا مُرْسَلانِ مِنْ رَبِّكَ لِهِدايَتِكَ ، وَفي هذِهِ الجُمْلَةِ تَأْكيدٌ لِرِسالَتِهِما ، والجُمْلَةُ الرّابِعَةُ : ﴿والسَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهدى﴾ أيْ أَنَّ السَّلامَةَ لِمَنِ اتَّبَعَ الهُدى ؛ بِأَنْ آمَنَ بِاللهِ ، وهذا تَرْغيبٌ لِلدُّخولِ في الدِّينِ الحَقِّ ، وَتَبِعَهُ التَّرْهيبُ في قَوْلِهِ :

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

هَذِهِ الجُمْلَةُ الخامِسَةُ ، وَهِيَ تَرْهيبٌ مِنَ التَّكْذيبِ والإعْراضِ عَنِ الاسْتِجابَةِ لِدَعْوتِهما .

وَفي هذِهِ الجُمَلِ الخَمْسِ وَتَرْتيبِها ، حِكْمَةٌ عَظيمَةٌ ، حَيْثُ بَدَأَتْ بِالأَساسِ الَّذي قامَتْ عَلَيْهِ الرِّسالَةُ ، وَثَنَّتْ بِأَهَمِّ ما أُرْسِلا بِهِ ، وَثَلَّثَتْ بِإقامَةِ الدَّليلِ عَلَى صِدْقِهِما ، ثُمَّ رَغَّبَتْ وَخُتِمَتْ بِالتَّحذيرِ مِنَ المُخالَفَةِ ، وَهذا تَدَرُّجٌ حَكيمٌ وارْتِقاءٌ في الدَّعوةِ .

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾

يُفْهَمُ مِنَ السِّياقِ أَنَّهُما ذَهبا إلى فِرْعَوْنَ وَقالا لَهُ ما أُمِرا بِقَوْلِهِ ، وَفي هذهِ الآيَةِ بَدَأَ بِحِوارِهِما سائِلاً عَنْ رَبِّهِما ، وَأَضافَهُ إلَيْهِما وَلَمْ يُضِفْهُ إلى نَفْسِهِ مَعَ أَنَّهما قالا لَهُ : ﴿إنّا رسولا ربِّكَ﴾ ، فَفِرْعَوْنُ لا يُريدُ الاعْتِرافَ بِرُبوبيَّةِ غَيْرِهِ ، وَخَصَّ موسى بِالنِّداءِ لأَنَّهُ المُتَكَلِّمُ ، أَوْ لِتَذْكيرِهِ بِأَنَّهُ رَبّاهُ وَهُوَ صَغيرٌ ، فَكَيْفَ يَنْسُبُ لِنَفسِهِ رَبّاً غَيْرَهُ .

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ .

رَدَّ عَلَيْهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ قائِلاً : رَبُّنا هُوَ الذي أَبْدَعَ كُلَّ شَيْءٍ خَلقَهُ ، وَأَعطى كُلَّ مَخْلوقٍ صورَتَهُ وَشَكْلَهُ اللائِقَ ، والمُناسِبَ لِوَظيفَتِهِ ، ثُمَّ هُدِيَ إلى طريقِ الانْتِفاعِ بِما أَعْطاهُ ، وَعَرَّفَهُ كَيْفَ يَتَوصَّلُ إلى بَقائِهِ وَكَمالِهِ .

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ .

خَشِيَ فِرْعَوْنُ أنْ يَتَأثّرَ الحاضِرونَ بِكَلام موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَوَجَّهَ إلَيْهِ سُؤالاً في مَوضوعٍ آخَرَ ظَنَّ أنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَنْ يَسْتَطيعَ الإجابَةَ عَنْهُ ، فَسَألَهُ عَنْ أحْوالِ الأُمَمِ الماضيةِ ، وَما جَرى عَلَيْهِم مِنَ الحَوادِثِ ، وَلِماذا لَمْ يَعْبُدوا رَبَّكَ الذي أَرْسَلَكَ ؟

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ .

أَجابَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بإسْنادِ عِلْمِ حالِ هذِهِ الأُمَمِ إلى اللهِ ، فَهِيَ عِنْدَهُ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَلا يَنْسى شَيْئاً مِمّا عَلِمَهُ ، فَقَدْ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَحاطَ بِهِ عِلْماً .

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ جَوابِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أرادَ بِهِ إثْباتَ عَظَمَةِ اللهِ ، وَأَنَّهُ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلتَّعْظيمِ والخُضوعِ ، فَهُوَ الذي جَعَلَ الأَرْضَ مُمَهَّدَةً مُهَيّأةً لِلمَعاشِ ، صالِحَةً لِلانْتِفاعِ بِها ، وَجَعَلَ فيما بَيْنَ جِبالِها وَوِدْيانِها طُرُقاً يَسْلُكُها النّاسُ لِيَسْتَكْمِلُوا مَنافِعَهُم ، وَيُحقِّقوا مآرِبَهُم بالانْتِقالِ بَيْنَ البِلادِ ، وَأَنْزَلَ المَطَرَ مِنَ السَّماءِ عَذْباً فُراتاً ، فَأَنْبَتَ بهذا الماءِ أصْنافَ الزُّروعِ والثِّمارِ ، بِأَلْوانِها العَديدَةِ ، وَأَشْكالِها الكَثيرَةِ وَمَنافِعِها المُتَعَدِّدَةِ ، وَطُعومِها المُتَنَوِّعَةِ .

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

عَقَّبَ اللهُ عَلى إجابَةِ موسى لِفِرْعَوْنَ آمِرا عِبادَهُ أَنْ يَأْكُلوا مِنْ هذِهِ النَّباتاتِ والثِّمارِ ، وَأَنْ يَتْرُكوا أَنْعامَهُمْ تَرعى في الكَلأ الذي أَخْرَجَهُ اللهُ ، إنّ في هذا الَّذي ذَكَرناهُ لَكُمْ مِنْ نِعْمَةِ تَمْهيدِ الأَرْضِ ، وَجَعْلِ الطُّرقِ فيها ، وَإنْزالِ المَطَرِ عَلَيْها ، وإخْراجِ النَّباتِ مِنْها ، عِبَراً وَعِظاتٍ لأَصْحابِ العُقولِ السَّليمَةِ .

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

في هذِهِ الآيَةِ إِخْبارٌ مَن اللهِ أَنَّهُ مِنْ تُرابِ الأَرْض خَلَقَهُمْ بِخَلْقِ أَبيهِمْ ، وَهُمْ تَبَعٌ لَهُ وَفَرْعٌ مِنْهُ ، وَفي الأَرْضِ نُعيدُكُمْ عِنْدَ مَوْتِكُمْ ، حَيْثُ تَكونُ مَوْضِعَ دَفْنِكُمْ واسْتِقرارِ أَجْسادِكُم ، وَمِنَ الأَرْضِ نُخْرِجُكُمْ مَرَّةً أُخرى أَحْياءً يَوْمَ القِيامَةِ لِلحِسابِ والجَزاءِ .

بِهذا أَنْهى موسى جَوابَهُ لِفِرْعَوْنَ ، وَفيهِ أَوْضَحَ الأَدِلَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تعالى وَعَظَمَتِهِ ، وَأَنَّهُ الخالِقُ المُحيي المُميتُ سُبْحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَلَى الدَّاعِيَةِ أنْ يُحْسِنَ أُسْلوبَ الدَّعْوَةِ وَخِطابَ المَدْعُوِّينَ .

٢ـ عَلَى الدَّاعِيَةِ أنْ يَفْقَهَ السُّؤالَ وَيُحْسِنَ الجَوابَ ، وَذلِكَ فَنٌّ راقٍ أتْقَنَهُ الرُّسُلُ .

٣ـ التَّعريفُ باللهِ يَكونُ بالتَّعريفِ بِصفاتِهِ وَبِأَفْعالِهِ في مَخلوقاتِهِ .

٤ـ تَذْكيرُ العِبادِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، لِتَرقيقِ القُلوبِ ، وَإلانَةِ النُّفوسِ .

٥ـ ظُهورُ كَمالِ عَظَمَةِ اللهِ في إبْداعِ الخَلْقِ وَهِدايَتِهِ ، وَتَنَزُّهِهِ عَنِ الخَطَأ والنِّسيانِ .

٦ـ أصْحابُ العُقولِ السَّليمَةِ هُمُ الذينَ يَنْتَفِعونَ بِالآياتِ الدّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ وَجْهَ الحِكْمَةِ في تَرتيبِ الجُمَلِ التي أَجابَ بِها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ أَسْئِلَةِ فِرْعَوْنَ .

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ إضافَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَفْظَ الرَّبِّ إلى فِرْعَوْنَ ، وَإضافَةِ فِرْعَوْنَ لَفْظَ الرَّبِّ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ لِماذا سَأَلَ فِرْعَوْنُ عَنِ القُرونِ الأُولى ؟ وَبِماذا أَجابَهُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ اذْكُرْ أنواعَ النِّعَمِ الَّتي عَدَّدَها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في الآياتِ .

٥ـ ما عَلاقَةُ الإنْسانِ بِالأَرْضِ مِنْ خِلالِ آخِرِ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٦ـ اكْتُبْ في الفَراغِ ما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ لِكُلٍّ مِمّا يَأتي :

أـ والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ . . . . . .

ب ـ أنّ العَذابَ عَلَى مَنْ . . . . . وَتَوَلّى .

ج ـ الَّذي أعْطى كُلَّ شَيْءٍ . . . . . ثُمَّ هَدى .

د ـ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لأُولي . . . . . .

نَشاطٌ :

بَيِّنْ مَدى مُلاءَمَةِ تَكْوينِ الأعْضاءِ التّالِيَةِ لِوَظائِفِها : العَيْنِ ، الأُذُنِ ، اليَدِ ، اللِّسانِ ، الأَسْنانِ ، القَلْبِ ، جَناحِ الطّائِرِ .

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَبى : امْتَنَعَ .

سُوى : مُستَوِياً .

يَوْمُ الزِّينَةِ : يَوْمُ العيدِ .

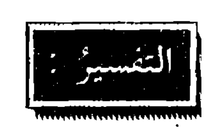
فَجمَعَ كَيْدَهُ : فَجمَعَ سَحَرَتَهُ الَّذينَ يَكيدُ بِهِم .

فَيُسْحِتَكُمْ : فيُبيدَكُمْ .

وَأَسَرُّوا النَّجوى : أَخْفَوا التَّناجِيَ بَيْنَهُم .

فَأَجْمِعوا كَيْدَكُمْ : فَأَحْكِموا سِحْرَكُمْ .

أَفْلَحَ : فازَ بِالمَطْلوبِ .


التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ قِصَّةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنُ ، وَفي هذا الدَّرْسِ بيانٌ لِما حَصَلَ بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والسَّحَرَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ .

في هذِهِ الآيَةِ إجْمالُ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ . وَقَدْ فُصِّلَ في سُوَرٍ أُخْرى . وَصُدِّرَتِ الآيَةُ هُنا بِالقَسَمِ لِلاعْتِناءِ بما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الآياتِ الدّالّةِ عَلى صِدْقِ موسى ، وَقَدْ رَآهُ فِرْعَوْنُ بِعينِهِ ، وَلكِنَّهُ بَدَلَ أَنْ يَسْتَجيبَ إلى الحَقِّ سارَعَ إلى التَّكذيبِ بِالآياتِ ، وامْتَنَعَ عَنِ الإيمانِ .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ .

خافَ فِرْعَوْنُ مِنْ تَأْثيرِ مُعْجزاتِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ في قَوْمِهِ ، وَخَشِيَ أَنْ يُؤْمِنوا بِاللهِ فَقالَ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ : أَجِئْتَنا بَعْدَ أَنْ غِبْتَ عَنّا طامِعاً في مُلْكِ مِصْرَ والاسْتيلاءِ عَلَيْها لِتُصْبِحَ مَلِكاً لِبني إسْرائيلَ ، مُسْتَخْدِماً لِتَحقيقِ مُرادِكَ السِّحْرَ .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ .

فَما دامَ ما جِئْتَ بِهِ يا موسى سِحْراً فَإِنّا سَنُواجِهُكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَنُثْبِتُ لِلنّاسِ أَنَّكَ ساحِرٌ ، وَلَسْتَ بِرَسولٍ ، وَطَلَبَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُحَدِّدَ اللِّقاءَ ، عَلى أَنْ يَكونَ في مَكانٍ بارِزٍ فَسيحٍ مِنَ الأَرْضِ ، يَرَى فيهِ النّاسُ ما سَيَحْدُثُ بِوُضوحٍ وَجَلاءٍ ، وَإِنّما فَوَّضَ فِرْعَوْنُ تَحْديدَ المَوْعِدِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيُظْهِرَ الوُثوقَ بِالغَلَبَةِ ، والتَّمَكُّنَ مِنَ القُدْرَةِ عَلى المُواجَهَةِ ، وَإِرْهابَ موسى عَلَيْهِ السَّلامَ مِنْ سَحَرَتِهِ ، وَلكِنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ فاجَأَهُ بِالاسْتِجابَةِ لِما طَلَبَ .

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ .

اخْتارَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَوْعِداً لِمُلاقاةِ السَّحَرَةِ ، في يَوْمِ العيدِ الذي يَجْتَمِعُ فيهِ النّاسُ ، يَمْرَحُونَ ، ويَتَزَيَّنونَ فَرَحاً وَسُروراً ، وَمَقْصِدُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذا أَنْ يَشْهَدَ المَوْقِفَ أَكْبَرُ عَدَدٍ مِنَ النّاسِ ، لِيَكونَ انْتِصارُ الحَقِّ مَشْهوداً ، وَلِذا طَلَبَ أَنْ يَكونَ التَّحَدِّي في وَقْتِ الضُّحى ، وَهُوَ وَقْتُ ارْتِفاعِ الشَّمْسِ لِيَكونَ مُناسِباً لِحُضورِ النّاسِ واجْتِماعِهِم ، وَمُتَّسعاً لِلسَّحَرَةِ أَنْ يَأْتوا بِجَميعِ ما عِنْدَهُمْ فَيَكونَ إِبْطالُهُ لِسِحْرِهِم قاطِعاً ظاهِراً ؛ في مَكانٍ مُسْتَوٍ مَكشوفٍ وَوَقْتٍ مُحَدَّدٍ مَعْلومٍ ، شَمْسُهُ ساطِعَةٌ ، وَبَيْنَ جَمْعٍ كَبيرٍ مِنَ النّاسِ .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

أيْ سارَعَ فِرْعَوْنُ إلى الإعْدادِ لِلأَمْرِ ، فانْصَرَفَ مِنَ المَجْلِسِ ، وَبَدَأَ يَجْمَعُ السَّحَرَةَ لِلاسْتِعانَةِ بِهِمْ عَلَى مُواجَهَةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلَمَّا حانَ المَوْعِدُ المُحدَّدُ أَتى فِرْعَوْنُ وَسَحَرَتُهُ .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلسَّحَرَةِ ناصِحاً لَهُمْ ، وَمُحَذِّراً مِنَ التَّمادي في الباطِلِ : إنَّ الوَيْلَ سَيَلْحَقُكُمْ وَإِنَّ العَذابَ المُبيدَ المُهْلِكَ سَيُحيقُ بِكُمْ إنْ افتَرَيْتُمْ عَلى اللهِ الكَذِبَ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّ ما أَتَيْتُ بِهِ مِنَ المُعْجِزاتِ سِحْرٌ ، وَقَدْ خَسِرَ كُلُّ مَنْ قالَ عَلى اللهِ تعالى قَوْلاً باطِلاً لا حَقيقَةَ لَهُ .

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

لما سَمِعَ ٱلسَّحَرَةُ كلامَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَكَّروا فيهِ ، واخْتَلَفوا في أمْرِهِ : هَلْ هُوَ ساحِرٌ أمْ رَسولٌ ؟ وَتَشاوَروا في إعْدادِ الخُطَّةِ النَّاجِحَةِ لِلانْتِصارِ عَلَيْهِ ، وَأَخْفَوْا حَديثَهُم عَنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَتّى لا يَعْلَمَ شَيْئاً مِنْهُ فَيَسْتَعِدَّ لِمُواجَهَتِهِم ، واتَّفَقوا ـ بَعْدَ الاخْتِلافِ والتَّنازُعِ ـ عَلى أنْ يَكونَ قَوْلُهُم فيهِ واحِداً ، لِيَكونَ مَوْقِفُهُم أقْوى وَتَأْثيرُهُمْ في النَّاسِ أمْكَنَ ، وَقَدْ بَيَّنَتِ الآيَةُ التَّالِيَةُ ما أَخْفاهُ السَّحَرَةُ وَتَناجَوا بِهِ :

﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

اتَّفقَ السَّحَرَةُ عَلى هذا القَوْلِ ، وَهُوَ اتِّهامُ موسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بِالسِّحْرِ وَأَنَّهُما خَبيرانِ فيهِ ، يُريدانِ إخْراجَكُمْ مِنْ أرْضِ مِصْرَ التي هِيَ أرْضُكُمْ ، وَأَنْ تَكونَ غَلَبَتُهُما بِالسِّحْرِ الَّذي أتْقَناهُ ، وَأنْ يُبْطِلا مَذْهَبَكُمُ الَّذي هُوَ أَفْضَلُ المَذاهِبِ وَأحْسَنُها ، وَهذا الرَّأْيُ مِنْهُمْ مُوافِقٌ لِرَأْيِ فِرْعَوْنَ فيهِ .

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

أَوْصى السَّحَرَةُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً أنْ يُحْكِموا أمْرَهُمْ وَيُجْمِعوا عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُواجِهوا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في صَفٍّ واحِدٍ ، لِيَكونَ حالُهُمْ أكْثَرَ هَيْبَةً في النُّفوسِ ، وَأَعْظَمَ وَقْعاً في القُلوبِ ، وَأَدْعى إلى الثَّباتِ والتَّرابُطِ . وَحَثُّوا أنْفُسَهُم عَلى بَذْلِ المَجْهودِ في المُغالَبَةِ ، فَإِنَّهُمْ إنْ فازوا اليَوْمَ عَلى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كانَتْ لَهُمُ المَنْزِلَةُ العالِيَةُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ ، وَظَفِروا بِما وُعِدوا بِهِ مِنَ الهَدايا والجَوائِزِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ انْقِلابُ الانْتِفاعِ مِنَ الآياتِ إلى التَّكذيبِ والامْتِناعِ بِسَبَبِ الكِبْرِ والغُرورِ والطُّغيانِ .

٢ـ مِنْ مَنْطِقِ الطُّغاةِ تَحويلُ الحَقائِقِ ، واخْتِلاقُ الأَكاذيبِ عَلَى الدُّعاةِ لِتَنْفيرِ النَّاسِ مِنْهُمْ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ المُباراةِ والمُبارَزَةِ لإظهارِ الحَقِّ .

٤ـ تَأْثيرُ أَهْلِ الباطِلِ في المُتَرَدِّدِ أَعْظَمُ مِنْ تَأثيرِهِم في المُتَمَكِّنِ مِنْ رَأْيِهِ .

٥ـ الاجْتِماعُ والاتِّحادُ وَمُقابَلَةُ العَدُوِّ صَفّاً واحِداً مِنَ الأسْبابِ المُؤَدِّيَةِ لِلْغَلَبَةِ والنَّصْرِ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا افْتَرى فِرْعَوْنُ عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّهُ يُريدُ إخْراجَهُمْ مِنْ أرْضِهِمْ ؟

٢ـ لِماذا طَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تَحديدَ مَوْعِدِ المُقابَلَةِ ؟

٣ـ طَلَبَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ اجْتِماعَ ثَلاثَةِ أُمورٍ وَقْتَ المُقابَلَةِ مَعَ السَّحَرَةِ ، ما هِيَ ؟

٤ـ هَلْ أَثَّرَتْ نَصيحَةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في السَّحَرَةِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

٥ـ ما أَسْبابُ النَّصْرِ والغَلَبَةِ التي حاوَلَ السَّحَرَةُ الأَخْذَ بِها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأ الآياتِ المُتَعَلِّقَةَ بهذا المَوْقِفِ (مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ) مِنْ سورَةِ الأَعْرافِ . وَقِفْ مِنْها عَلَى تَفْصيلِ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ .

٢ـ ما عَلاقَةُ ما تَوَصَّلَ إلَيْهِ السَّحَرَةُ في أَمْرِ موسى وَأخيهِ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وَما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُما ، اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ طه - القِسْمُ السابِعُ

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَأَوْجَسَ : سَرى الخَوْفُ إلى نَفْسِهِ في خَفاءٍ .

تَلْقَفْ : تَبْتَلِعْ .

مِنْ خِلافٍ : أي : اليدُ اليُمنى مَعَ الرِّجْلِ اليُسرى أَوِ العَكْسُ .

فَطَرَنا : خَلَقَنا .

التفسيرُ :

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ أمرِ المُبارَزَةِ مَعَ السَّحَرَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أجْمَعَ السَّحَرَةُ أمْرَهُمْ وَأَتَمُّوا اسْتِعدادَهُمْ ، خيَّروا موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَيْنَ أنْ يَبْدَأَ هُوَ ، أوْ يَبْدَؤوا هُمْ ، وَهذا التَّخييرُ مِنْهُمْ إظهارٌ للقُوَّةِ والثِّقَةِ بالانتصارِ عليهِ سَواءٌ تقَدَّمَ أمْ تأخَّرَ .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

اخْتارَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يَتَأَخَّرَ عَنْهُمْ وَيَتْرُكَ لَهُمْ فُرْصَةَ البَدْءِ ، لِيُظْهِرَ لَهُمْ عَدَمَ اكْتِراثِهِ بِسِحْرِهِمْ ، وَلِيَعْرِفَ أقْصى ما عِنْدَهُمْ مِنْ وَسائِلِ التَّمويهِ والخِداعِ ، لِثِقَتِهِ بِنَصْرِ اللهِ لَهُ ، فَسارَعَ السَّحَرَةُ إلى إلْقاءِ ما بأيْدِهِم مِنْ حِبالٍ وَعِصِيٍّ ، فَخُيِّلَ إلى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّها حَيَّاتٌ تَسْعى وَتَمْشي ، لِقُوَّةِ سِحْرِهِمْ وَمَهارَتِهِمْ فيهِ .

﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

فَأَحَسَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الخَوْفَ في نَفْسِهِ بِمُقْتَضى الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الأمْرِ المُخيفِ ، وَلَكِنَّهُ أضْمَرَ هذا الخَوْفَ في نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ ؛ فَهُوَ واثِقٌ مِنْ نَصْرِ اللهِ لَهُ .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

أوْحى اللهُ تَعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ لا تَخَفْ مِمّا رَأيْتَهُ ، فَأنْتَ المُنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ بِرِعايَةِ اللهِ وَتَأْييدِهِ لَكَ .

﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وَأَوْحى إلَيْهِ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ الَّتي هِيَ في يَدِكَ اليُمْنى لِتَبْتَلِعَ ما صَنَعوهُ مِنْ سِحْرٍ ، فإنَّ ما صَنَعوهُ كَيْدٌ وَبُهْتانٌ وَتَمْويهٌ ، لا يُمْكِنُ أنْ يُواجِهَ المُعْجِزَةَ الرَّبانِيَّةَ الباهِرَةَ ، وَإنَّ السّاحِرَ لا يَفوزُ أيْنَما ذَهَبَ ، وَمَهْما فَعَلَ ، لأنَّهُ يَصْنَعُ لِلنّاسِ التَّخْييلَ والتَّمويهَ والتَّزويرَ .

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

الفاءُ تَدُلُّ عَلَى سُرْعَةِ حُصولِ سُجودِهِم ، ذلِكَ أنَّهُمْ حينَ رَأَوْا ما حَدَثَ ، عَلِموا يَقيناً أنَّهُ لَيْسَ سِحْراً ، بَلْ هُوَ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ بِمَقدورِ البَشَرِ فِعْلُها ، فَهُمْ يَعْرِفونَ السِّحْرَ وَقَدْ مَهَروهُ وَحَذَقوا فيهِ ، وَلِذا سارَعوا إلى السُّجودِ مُعْلِنينَ إيمانَهُمْ بِاللهِ ، وَبِرِسالَةِ هارونَ وَموسى عَلَيْهِما السَّلامُ ، فَظَهَرَ الحَقُّ وَبَطَلَ السِّحْرُ والكَيْدُ .

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ .

أمّا فِرْعَوْنُ فَقَدْ تَمادى في عِنادِهِ وَمُكابَرَتِهِ ، وَفاجَأَهُ إيمانُ السَّحَرَةِ الَّذينَ أَتى بِهِمْ لِيَنْصُروهُ عَلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَإذا بِهِمْ يُؤْمِنونَ بِهِ أَمامَ حُشودِ النّاسِ ، فَأَعْلَنَ بُطْلانَ إيمانِهِم لِصُدورِهِ مِنْهُم قَبْلَ أنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِهِ ، فَهُوَ رَبُّهُمُ الَّذي يَنْبَغي عَلَيْهِمْ أنْ يَسْتَأْذِنوهُ قَبْلَ فِعْلٍ كَهذا ، ثُمَّ زَعَمَ أنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هُوَ مُعَلِّمُهُمْ ، وَلِذا تَواطَأوا مَعَهُ عَلَى ما حَدَثَ ، أرادَ فِرْعَوْنُ بهذا أنْ يُشيعَ بَيْنَ النّاسِ

الشَّكَّ في صِدقِ إيمانِ السَّحَرَةِ ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ التَّأثُّرِ بما شاهَدوا لِئَلاَّ يَتَّبِعوا السَّحَرَةَ في إيمانِهِم ، وَإلاّ فهُوَ يَعْلَمُ أنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يُعَلِّمْهُمُ السِّحْرَ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ السِّحْرَ قَبْلَ أنْ يَروْا موسى وَيَعرِفوهُ .

ثُمَّ أقْسَمَ فِرْعَوْنُ أنْ يَقْطَعَ أيْديَ السَّحَرَةِ وَأرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ ، اليَدَ اليُمْنى مَعَ الرِّجْلِ اليُسرى لِزيادَةِ التَّنْكيلِ بِهِمْ ، وَأنْ يُصَلِّبَهُمْ في جُذوعِ النَّخْلِ لِيُرِيَهُمْ وَيُرِيَ النّاسَ أنَّ تعذيبَهُ أشَدُّ وَأدْوَمُ مِنْ غَيْرِهِ ، أرادَ بِهذا إرْهابَ السَّحرَةِ وَصَرْفَهُمْ عَنِ الإيمانِ .

وَقَوْلُهُ (في جُذوعِ) لِلمُبالَغَةِ في التّهديدِ ، واخْتِيارُ النّخْلِ دونَ غَيرِهِ لأنَّ جُذوعَهُ أخْشَنُ مِنْ غَيْرِها ، والتَّصْليبُ عَلَيْها أشَقُّ مِنَ التّصْليبِ عَلى غَيْرِها ، وَأظْهَرُ لِلرّائي لِعُلُوِّها عَلى سِواها .

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

قالَ السَّحَرَةُ في رَدِّهِم عَلى تَهديدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ ، لَنْ نُقَدِّمَكَ عَلى ما ظَهَرَ لَنا مِنْ دَلائِلِ صِدْقِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَنُبُوَّتِهِ ، وَلَنْ نَخْتارَكَ عَلى الَّذي خَلَقَنا وَأوْجَدَنا في هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيا ، وَهذا الرَّدُّ مِنْهُمْ دَليلٌ عَلى تَمَكُّنِ الإيمانِ في قُلوبِهِمْ ، وَقُوَّةِ عَزْمِهِمْ عَلى الاسْتِمرارِ فيهِ ، وَلِذا تَحَدَّوْا قَرارَ فِرْعَوْنَ بِتَعْذيبِهِمْ بِقَولِهِمْ : فافْعَلْ ما أنْتَ فاعِلُهُ ، ونَفِّذْ تَهْديدَكَ لَنا ، فَإنَّهُ لا يَتَجاوَزُ هذِهِ الحَياةَ الدُّنيا ، وَيَنْتَهي بانْتِهائِها .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنَّ مُواجَهَةَ العِبادِ لِلحَقِّ وَمُصارَعَتَهُمْ لَهُ عَبَثٌ لا يَثْبُتُ في مَجالِ الصِّراعِ .

٢ـ ثِقَةُ الدّاعي إلى اللهِ بِنَفْسِهِ وَإفْساحِهِ المَجالَ لِلآخَرينَ أنْ يُقَدِّموا ما عِنْدَهُمْ حتى يُبْطِلَهُ .

٣ـ ما يُظْهِرُهُ السَّحَرَةُ مِنْ تَحويلِ حَقائِقِ الأشْياءِ مُجَرَّدُ تَخْييلاتٍ لا حَقيقَةَ لَها .

٤ـ حُرْمَةُ السِّحْرِ ؛ لأنَّهُ تَزويرٌ وَخِداعٌ وَتَضْليلٌ .

٥ـ تَوْبَةُ السّاحِرِ مَقْبولَةٌ إذا كانَتْ صادِقَةً .

٦ـ قَدْ يَتَحَوَّلُ أعْتى النّاسِ كُفْراً إلى الإيمانِ كَما وَقَعَ لِلسَّحَرَةِ .

٧ـ مُحاوَلَةُ الطّاغِيَةِ تَغْييرَ الحَقائِقِ والتّلبيسَ عَلى النّاسِ لِصَرفِهِمْ عَنِ الإيمانِ .

٨ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ لا يُبالي بِالتَّهديدِ والوَعيدِ ، وَيَثْبُتُ عَلَى إيمانِهِ مَهْما عَظُمَتِ المُغرياتُ أَوِ التّهديداتُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا خَيّرَ السَّحَرَةُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في البَدْءِ بِالمُواجَهَةِ ؟

٢ـ لِماذا اخْتارَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ التّأَخُّرَ عَنْهُمْ في إلْقاءِ ما بِيَدِهِ ؟

٣ـ هَلْ يَتَعارَضُ ما أَحَسَّ بِهِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ خَوْفٍ مَعَ إيمانِهِ ، وَثِقَتِهِ بِنَصْرِ اللهِ لَهُ ؟

٤ـ لِماذا آمَنَ السَّحَرَةُ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مُعْجِزَةَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ ما مَوْقِفُ فِرْعَوْنَ مِنْ إيمانِ السَّحَرَةِ ؟ وَما الزّعْمُ الَّذي أَطْلَقَهُ ؟ وَكَيْفَ تُبْطِلُ هذا الزَّعْمَ ؟

٦ـ بِماذا هَدّدَ فِرْعَوْنُ السَّحَرَةَ إنْ ثَبَتوا عَلَى إيمانِهِم ؟ وَبِماذا رَدّوا عَلَيْهِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في صَفْحَةٍ تُبَيِّنُ فيهِ الفَرْقَ بَيْنَ السِّحْرِ والمُعْجِزَةِ ، وَعَلِّقْهُ عَلَى مَجَلَّةِ الحائِطِ في مَدْرَسَتِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تزَكَّى	: تَطَهَّرَ مِنَ الكُفرِ والمَعاصي .
أسْرِ	: سِرْ لَيْلاً .
يَبَساً	: يابساً .
دَرَكاً	: إدْراكاً وَلَحاقاً .
فَغَشِيَهُمْ	: فَغَمَرَهُمْ .
المَنَّ	: طَعامٌ حُلْوٌ طَيِّبُ المَذاقِ .
والسَّلْوى	: طائِرٌ يُعْرَفُ بالسُّمانِيِّ .
وَلا تَطْغَوْا	: لا تَكفُروا النِّعْمَةَ .
فَيَحِلَّ	: حُلولُ غَضَبِ اللهِ بِهِمْ وَنُزولُهُ بِهِمْ .
هَوى	: هَلَكَ .



التفسيرُ :

وَتَستَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ ما حَصَلَ لِلسَّحرَةِ الَّذينَ آمَنوا بِاللهِ واتَّبَعوا نَبِيَّهُ ، فَإِنَّ التَّهديدَ والوَعيدَ الشَّديدَ مِنْ فِرْعَوْنَ ما زادَهُم إلاّ إيماناً وَثَباتاً ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كَلامِ السَّحرَةِ لِفِرْعَوْنَ ، بَعْدَ أنْ أعْلَموهُ أنَّهُمْ لَنْ يَتَراجَعوا عَن إيمانِهِمْ مَعَ تَهديدِهِ لَهُمْ ، فَقَدْ آمَنوا لِيَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذُنوبَهُمُ الَّتي اقْتَرَفوها ، وَمِنْها ما أَلْزَمَهُمْ بِهِ فِرْعَوْنُ مِنْ مُعارَضَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومُقابَلَتِهِ ، واللهُ تعالى خَيْرٌ مِنْكَ يا فِرْعَوْنُ ثَواباً ، وَأبْقى جَزاءً وَعَطاءً لِمَنْ أطاعَهُ ، وَعَذاباً لِمَنْ عَصاهُ ، وَهذا رَدٌّ مِنْهُم على قَوْلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ولتعلَمُنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى﴾ .

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

إنَّ مَنْ يَلقى رَبَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَهُوَ مُجْرِمٌ باقْتِرافِهِ المَعاصِيَ وَمَوْتِهِ عَلَى الكُفْرِ ، فَإِنَّهُ سَيَدْخُلُ جَهَنَّمَ ، لا يَموتُ فيها فَيَنْتَهي عَذابُهُ ، وَلا يَحيى حَياةً هَنيئَةً طَيِّبَةً .

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

وَمَنْ يَلْقَ رَبَّهُ مُؤْمِناً مُوَحِّداً قَدْ عَمِلَ الطّاعاتِ ، فَأُولئِكَ المَوْصوفونَ بِهذِهِ الصِّفاتِ ، لَهُمْ بِسَبَبِ إيمانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصّالِحِ الدَّرَجاتُ العالِيَةُ والمَكانَةُ السّامِيَةُ .

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بَيانٌ لِلدَّرَجاتِ العُلى التي اسْتَحَقَّها المُؤْمِنونَ ، وَهِيَ جَنّاتٌ يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً ، تَجْري مِنْ تَحتِ غُرَفِها وَأَشْجارِها الأَنْهارُ التي تَمْلأُ النُّفوسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً ، ماكِثينَ فيها دَوْماً ، لا يَخْرُجونَ مِنْها أَبَداً ، وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي ، وَآمَنَ وَأَصْلَحَ العَمَلَ . وَبهذا انْتَهى كَلامُ السَّحَرَةِ بِما فيهِ مِنْ وَعْظٍ نافِعٍ ، وَتَرْغيبٍ في الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ، وَهُوَ مِمّا تَعَلَّموهُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَوْ أَلهَمَهُمُ اللهُ إيّاهُ .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

لَمّا ظَهَرَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالبَراهينِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، مَكَثَ في مِصْرَ يَدْعوهُمْ إلى الإسْلامِ ، حَتَّى أَوْحى اللهُ تَعالى إليهِ أَنْ يَسيرَ لَيْلاً بِالمُؤْمِنينَ مِنْ قومِهِ ، حِفاظاً عَلَيْهِم حَتَّى

لا يَتَعَرَّضوا لأذى فِرْعَوْنَ وَتَعذيبهِ ، وَأنْ يَتَّجهَ بِهِمْ نَحْوَ البَحْرِ ، فَإذا وَصَلوهُ ضَرَبَهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِعَصاهُ فانْشَقَّتْ لَهُمْ فيهِ طَريقٌ يابِسَةٌ لَيْسَ فيها ماءٌ وَلا طينٌ ، فاجْتازوها غَيْرَ خائِفينَ مِنْ أنْ يُدرِكَهُمْ فِرْعَوْنُ ، وَلا يَخْشَوْنَ مِنَ الغرَقِ .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

لَمّا عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُروجِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والمُؤْمِنينَ ، سارَ خَلْفَهُمْ وَمَعَهُ جُنودُهُ ، وَلَمّا انْفَلَقَ البَحْرُ بِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ وَعَبَروهُ سالِمينَ ، اقتَحَمَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ ظَنّاً مِنْهُمْ أنَّهُ سَيَبْقى عَلَى هَذِهِ الحالِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أنِ اجْتازَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ إلى الجِهَةِ الأخْرى مِنَ البَحْرَ ، عادَ كَما كانَ ، فَعلا الماءُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ وَغَمَرَهُم حَتَّى أغْرَقَهُمْ ، وَكانَ أمْراً هائِلاً مُرَوِّعاً ، يَعْجَزُ البَيانُ عَنْ وَصْفِهِ .

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أيْ أنَّهُ أضَلَّ قَوْمَهُ عَنِ الرُّشْدِ وَما هَداهُمْ إلى الخَيْرِ ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ مَسْلَكاً أوْصَلَهُمْ إلى الهَلاكِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

خاطَبَ اللهُ تعالى بَني إسْرائيلَ بَعْدَ أنْ أنْجاهُمْ ، مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنودِهِ ، مُذَكِّراً إيّاهُمْ عَظيمَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ ، وَما جَرى فيهِ مِنْ مُعْجِزَةِ انْفِلاقِ البَحْرِ لَهُمْ ، ﴿وواعدناكُم جانبَ الطُّور الأيْمَنَ﴾ أيْ وَعَدْنا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلمُناجاةِ وَإنْزالِ التَّوْراةِ عَلَيْهِ جِهَةَ الطُّورِ الأيْمَنِ في سيناءَ ، وَنُسِبَتْ المُواعَدَةَ لَهُمْ لِكَوْنِ مَنْفَعَتِها راجِعَةٌ إلَيْهِمْ ، إذْ في نُزولِ التَّوراةِ صَلاحُ دينِهِمْ وَدُنياهُمْ . ﴿ونزّلْنا عليكُمُ المَنّ والسّلوى﴾ وَأنْعَمْنا عَلَيْكُمْ نِعْمَةً أُخْرى ؛ فَأطْعَمْناكُمْ طَعاماً طَيِّباً يَسَّرْناهُ لَكُمْ ، وَجَعَلْناهُ في مُتَناوَلِ أيْديكُمْ ، تَأخُذون مِنْهُ ما تَحْتاجونَ دونَ عَناءٍ ، وَأنْتُمْ في صَحراءَ قاحِلَةٍ . والمَنُّ : مادَّةٌ حُلْوَةٌ طَيِّبَةٌ كانوا يَجِدونَها عَلَى الشَّجَرِ . والسَّلْوى : طائِرٌ طَيِّبُ اللَّحْمِ هُوَ الطّائِرُ المَعْروفُ السّمانيّ أَو طائرٍ يُشْبِهُهُ .

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ .

كُلوا يا بَني إسْرائيلَ مِنَ الطَّيِّباتِ التي رَزَقَكُمُ اللهُ إيّاها ، واشْكُروهُ عَلَيْها ، وَلا تَتَجاوَزوا الحُدودَ التي شَرَعَها اللهُ لَكُمْ ، فإنَّكُمْ إذا فَعَلْتُمْ ذلِكَ لزِمَكُمُ العَذابُ ، وَحَلَّ بِكُمْ سَخَطُ اللهِ ، وَمَنْ كانَ هذا حالُهُ هَلَكَ وَشَقِيَ الشَّقاءَ الدّائِمَ .

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وَإِنِّي لَكَثيرُ المَغْفِرَةِ لِمَنْ تابَ مِنْ شِرْكِهِ وَمَعاصيهِ ، وَآمنَ بي ، وَعَمِلَ صالِحاً ، واسْتَمَرَّ عَلى الاهْتِداءِ ، وَلَمْ يُخالِفِ الحَقَّ في اعْتقادِهِ أوْ عَمَلِهِ ، وَفي الآيَةِ تَرْغيبٌ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ العِصيانُ أنْ يَتوبَ وَيُصْلِحَ عَمَلَهُ وَيُداوِمَ على الاسْتِقامَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإيمانُ يُثَبِّتُ الإنسانَ عَلَى البَلاءِ وَمُواجَهَةِ الأهْوالِ كَما وَقَعَ لِلسَّحَرَةِ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ لِنَفْسِهِ شَيْئاً مِنْ صِفاتِ الرَّبِّ بِما يُبْطِلُ دَعواهُ وَيَرُدُّها .

٣ـ إكْرامُ اللهِ لِلصّالِحينَ مِنْ عِبادِهِ بِخَرْقِ العاداتِ كَفَلْقِ البَحْرِ ، وَإيجادِ الطَّعامِ الطَّيِّبِ كالمَنِّ والسَّلْوى في الصَّحراءِ المُقْفِرَةِ .

٤ـ وُجوبُ شُكْرِ نِعَمِ اللهِ .

٥ـ مَغْفِرَةُ اللهِ يَسْتَحِقُّها مَنْ سَعى لَها وَعَمِلَ لِلوُصولِ إلَيْها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الَّذي دَعا السَّحَرَةَ لأنْ يُؤْمِنوا باللهِ ؟

٢ـ ما مَعنى ﴿لا يَموتُ فيها ولا يَحيى﴾ ؟

٣ـ ما الَّذي دَعا فِرْعَوْنَ أنْ يَخوضَ البَحْرَ ؟ وَماذا حَصَلَ مَعَهُ بَعْدَ ذلكَ ؟

٤ـ عدِّدِ النِّعَمَ الَّتي خاطَبَ اللهُ تعالى بِها بَني إسْرائيلَ في هذِهِ الآياتِ .

٥ـ ما الأَعْمالُ التي يُطْلَبُ فِعْلُها مِمّنْ يَسْعى لِمَغْفِرَةِ ذنبِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأ الآياتِ المُتَعَلِّقَةَ بهذا المَوْقِفِ (مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ) مِنْ سورَةِ الأَعْرافِ . وَقِفْ مِنْها عَلَى تَفْصيلِ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ .

٢ـ ما عَلاقَةُ ما تَوَصَّلَ إِلَيْهِ السَّحَرَةُ في أَمْرِ موسى وَأخيهِ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وَما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُما ، اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اذْكُرْ آيَةً أُخْرى غير الآيةِ (٨٢) تُبَيِّنُ لُزومَ تَأْكيدِ التَّوْبَةِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ طهَ - القِسْمُ التاسِعُ

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ما أعْجَلَكَ	: ما حَمَلَكَ عَلَى العَجَلَةِ والسُّرْعَةِ .
فَتَنّا قَوْمَكَ	: ابْتَلَيْناهُمْ .
أَسِفاً	: حَزِناً .
بِمَلْكِنا	: بِقُدْرَتِنا .
أوْزاراً	: أثْقالاً .
جَسَداً	: مُجَسَّداً .
لَهُ خُوارٌ	: صَوْتٌ كَصوتِ البَقَرِ .
عاكِفينَ	: مُقيمينَ .



التفسيرُ :

بَعْدَ نَجاةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَبَني إِسْرائيلَ ، وَهلاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، واعدَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَسارَعَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيَنالَ شَرَفَ اللِّقاءِ والمُناجاةِ . قال اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

ذَهَبَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِمُناجاةِ رَبِّهِ ، وَغَلَبَهُ الشَّوْقُ إِلى مُناجاةِ رَبِّهِ ، فَأَسْرَعَ إِلى مَكانِ المُناجاةِ سابِقاً أَصْحابَهُ ، فَسَأَلَهُ رَبُّهُ سُبْحانَهُ ـ وَهُو أَعْلَمُ بِهِ ـ عَنْ سَبَبِ عَجَلَتِهِ فَقالَ :

﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

هُمْ قادِمونَ خَلْفي يَتْبَعونَ أَثَري ، وَسَيَلْحَقونَ بي قَريباً ، وَأَنا أَسْرَعْتُ إِلى مُناجاتِكَ طَلَباً لِرِضاكَ ، وَتَلْبِيَةً لأَمْرِكَ .

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تعالى لِموسى عَلَيْهِ السّلامُ : إِنّا قَدِ ابْتَلَيْنا قَوْمَكَ بَعْدَ خُروجِكَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَحُضورِكَ إِلى المُناجاةِ ، والابْتِلاءُ والفِتْنَةُ : الاخْتِبارُ والتَّمْحيصُ ، وَكانَ هذا الابْتِلاءُ بِأَنْ دَعاهُمُ السَّامِرِيُّ ، وَهُوَ مِنْ قبيلَةِ السَّامِرَةِ ، وَكانَ مُنافِقاً ، دَعاهُمْ إِلى عِبادَةِ العِجْلِ الذي صَنَعَهُ لَهُمْ مِنَ الحُلِيِّ ، لِيَعبُدوهُ مِنْ دونِ اللهِ . فاتَّبَعَهُ مُعظَمُهُمْ .

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ .

فَلَمّا سَمِعَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ذلِكَ ، وَكانَ قَدْ أَتَمَّ المُناجاةَ ، وَقَضى أَرْبَعينَ يَوْماً ، وَتَلَقّى التَّوراةَ ، رَجَع إِلى قَوْمِهِ وَهُوَ في أَشَدِّ الغَضَبِ والحُزْنِ على ما صَنَعوهُ مِنْ العِجْلِ ، وَبَدَأَ يَلومُهُمْ عَلَى ذلِكَ ، وَقالَ لَهُمْ : أَلَمْ يَعِدْكُمْ ربُّكُمْ وَعْداً حَسَناً بِأَنْ يُعْطيكُمُ التَّوْراةَ فيها هُدىً وَنورٌ ، فَكَيْفَ تَعودونَ إِلى الشِّركِ بَعْدَ أَنْ أَنقذَكُمُ اللهُ مِنْهُ ، هَلْ طالَ عَلَيْكُمُ الزَّمَنُ فَنسيتُمُ العَهْدَ ، أَمْ أَرَدْتُمْ بِصَنيعِكُمْ هذا أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ ، فَأَخْلَفتُمْ ما وَعَدْتُموني بِهِ بِالثَّباتِ عَلَى ما أَمَرْتُكُمْ بِهِ إِلى أَنْ أَرْجِعَ مِنَ الميقاتِ والمُناجاةِ .

﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

قال بَنو إسْرائيلَ لِنَبيِّهِمْ عَلَى سَبيلِ الاعْتِذارِ الذي هُوَ أقْبَحُ مِنَ الذَّنْبِ : ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ فَعَبَدْنا العِجْلَ بأمْرِنا وَطاقَتِنا واختِيارِنا ، فَقَدْ كانَ الأمْرُ أكْبَرَ مِنْ أنْ يَدْخُلَ تَحتَ سُلْطانِنا ، وَلَوْ خُلِّينا بَيْنَنا وَبَيْنَ أنْفُسِنا ، وَلَمْ يُسَوِّلْ لَنا السَّامِرِيُّ ما سَوَّلَ لَبَقينا عَلَى العَهْدِ الَّذي عاهَدْناكَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ عِبادَةُ اللهِ تعالى .

وَلكِنَّا كُنَّا نَحْمِلُ أثْقالاً وَأحْمالاً مِنْ ذَهَبِ القِبْطِيِّينَ ، الَّذي كُنّا قَدِ اسْتَعَرْناهُ مِنْهُم في عيدِنا لِنَرُدَّهُ إلَيْهِمْ وَلَمْ نفعَلْ ، وَشَعَرْنا بِالذَّنْبِ عَلَى فِعْلِنا هذا ، وَأَرَدْنا التَّوْبَةَ مِنْهُ ، فَوَجَّهَنا السَّامِرِيُّ إلى أنْ نَجْمَعَ هذا الحُلِيَّ وَنُلْقِيَهُ في النَّارِ حتى نَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، وَفَعَلَ هُوَ أيضاً الفِعْلَ نَفْسَهُ .

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

فَصاغَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنْ تِلْكَ الحُليِّ المُذابَةِ جَسَدَ عِجْلٍ ، أيْ تِمْثالاً مُجسَّداً عَلَى هَيْئَةِ العِجْلِ ، وَهُوَ صَغيرُ البَقَرِ ، وَأتْقَنَ صُنْعَهُ ، وَجَعَلَ فيهِ ثُقوباً وَمَنافِذَ ، فإذا هَبَّتِ الرِّيحُ صَدَرَ مِنْهُ صَوْتٌ يُشْبِهُ خُوارَ البَقَرِ ، فَلَمّا رَأى هذا العَمَلَ الَّذي افْتُتِنوا وَبُهِروا بِهِ قالوا : هذا إلهُكُمْ وَإلهُ موسى فاعْبُدوهُ ، وَإنَّ موسى نَسِيَ إلهَهُ هُنا ، وَذَهَبَ لِيَبْحَثَ عَنْهُ في الطُّورِ ، وَيُناجيهِ هُناكَ .

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

هذا إنْكارٌ عَلَيْهِمْ وَتَوبيخٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ تعالى لِعِبادَتِهِمُ العِجْلَ . أَبَلَغَ عمى البَصيرَةِ عِنْدَهُمْ أنْ يَعْبُدوا هذا التِّمثالَ المَصنوعَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَتَّخِذوهُ إلهاً ، وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أنْ يُجيبَهُمْ إذا سَألوهُ أوْ خاطَبوهُ ، وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئاً مِنَ الضُرِّ أوِ النَّفعِ ؟ فَكَيْفَ يَكونُ إلَهاً يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ والتَّقْديسَ ؟

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ .

وَلَقَدْ قالَ هارونُ لِبَني إسْرائيلَ ناصِحاً إيَّاهُمْ قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ موسى : يا قَوْمُ إنَّما ابْتُليتُمْ وأُضْلِلْتُمْ بهذا العِجْلِ ، وإنَّ رَبَّكُمُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ هُوَ الرَّحمنُ ، فارْجِعوا إلى دِينِكُمُ القَويمِ ، واقْتَدوا بي فيما أدْعوكُمْ إليهِ مِنْ عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ .

وَهذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أنَّ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قامَ بواجِبِهِ في نُصْحِهِمْ وَإرْشادِهِمْ وَمُحاوَلَةِ إبْعادِهِمْ عَمّا فَعَلوهُ ، وَلكِنَّ هَذِهِ النَّصيحَةَ القَيِّمَةَ مِنْهُ لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ أُذُناً صاغِيَةً ، بَلْ رَدُّوا عَلَيْهِ رَدّاً قَبيحاً .

﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ .

قالوا رَدّاً عَلَى نَصيحَةِ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَنَسْتَمِرُّ مُواظِبينَ عَلَى عِبادَةِ العِجْلِ مُقيمينَ حَوْلَهُ نَعْبُدُهُ حتَّى يَعودَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلَيْنا فَيُخْبِرَنا الحَقيقةَ ، وَفي هَذِهِ الآياتِ دَلالَةٌ واضِحةٌ عَلَى سَفاهَةِ بَني إسْرائيلَ وَبلادَتِهِمْ وَخِفّةِ عُقولِهِمْ ، وَتَعَلُّقِهِمْ بِالذَّهَبِ والمالِ حتى دَرَجَةِ العِبادَة ، واتِّهامِهِمْ لِنَبيِّهِمْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالضَّلالِ والنِّسْيانِ ، وَعِصيانِهِمْ أَمْرَ نَبيِّهِمْ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكُلُّها ضَلالاتٌ عَظيمَةٌ اسْتَحَقُّوا مَعَها سَخَطَ اللهِ وَعِقابَهُ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يَبْتَلِي اللهُ عِبادَهُ لِيَعْلَمَ مَنْ يَثْبُتَ عَلَى الحَقِّ أَوْ يَضِلَّ عَنْهُ كَما ابْتَلى قَوْمَ موسى .

٢ـ قابِلِيَّةُ البَشَرِ لِلشِّرْكِ وَعِبادَةِ غَيْرِ اللهِ ، وَإِنْ كان فيهِمْ أَنْبِياءٌ .

٣ـ عِبادَةُ الأَصْنامِ مِنْ أَعْظَمِ الضَّلالِ الذي يُواجِهُ البَشَرَ .

٤ـ اسْتِحبابُ المُسارَعَةِ لِفِعْلِ الخَيْرِ دونَ إِخْلالٍ بِالواجِباتِ الأُخْرى .

٥ـ لا يَثْبُتُ في الفِتَنِ والابْتِلاءاتِ إلاَّ أَصْحابُ الإيمانِ الرَّاسِخِ القَوِيِّ .

٦ـ مَشْروعِيَّةُ الغَضَبِ مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ ، إذا انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ .

٧ـ الاعْتِذارُ بِإِلْقاءِ اللَّوْمِ عَلَى الغَيْرِ مِنْ أَقْبَحِ الأُمورِ ، وَفي ذلِكَ دَليلٌ عَلَى خِفَّةِ العَقْلِ .

٨ـ وُجوبُ الأَمرِ بِالمَعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلَوْ لَمْ يَسْتَجِبِ المُخاطَبونَ .

٩ـ قُوَّةُ موسى في مُواجَهَةِ الانْحِرافِ ، وَتَأْديبِ المُخالِفين .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما السَّبَبُ الذي حَمَلَ موسى عَلَى الإسْراعِ في مُلاقاةِ اللهِ ؟

٢ـ ما مَعنى الفِتْنَة ؟

٣ـ لِماذا غَضِبَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَوْمِهِ ؟ وَماذا قالَ لَهُمْ ؟

٤ـ لِماذا جَمَعَ بَنو إسْرائيلَ الحُلِيَّ وَألقَوْها ؟ وَماذا فَعَلَ السَّامِرِيُّ بِها ؟
٥ـ بماذا عابَ اللهُ تعالى فِعْلَ بَني إسْرائيلَ حينَ عَبَدوا العِجْلَ ؟
٦ـ ما مَوْقِفُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ مِنْ فِعْلِ قَوْمِهِ ؟ وَما رَدُّهُم عَلَيْهِ ؟

نَشاطٌ :

اقْرأْ قِصَّةَ بَني إسْرائيلَ في سورَةِ البَقَرَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الآياتِ التي تَدُلُّ عَلَى :
أـ سَفاهَةِ بَني إسْرائيلَ وَخِفَّةِ عُقولِهِمْ .
ب ـ تَعَلُّقِ بَني إسْرائيلَ بالدُّنْيا والمالِ إلى دَرَجَةٍ عَظيمَةٍ .
ج ـ جُرْأَةِ بَني إسْرائيلَ عَلَى اللهِ تعالى وَعَلَى أَنْبيائِهِمْ .
د ـ العُقوبَةِ التي أُنْزِلَتْ بِهِمْ بِسَبَبِ سوءِ أَعْمالِهِمْ .
واكْتُبْ ذلِكَ في مَجلّةِ المَدْرَسة .

* * *

الدَّرسُ الأربعونَ

سورةُ طه - القِسْمُ العاشِرُ

قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَرْقُبْ قَوْلي : تُطِعْني .

خَطْبُكَ : شأنُكَ الخطيرُ .

بَصُرْتُ : عَلِمْتُ .

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسولِ : عَلِمْتُ شَيْئاً مِنْ دينِ الرّسولِ .

فنبَذْتُها : ألقَيْتُها .

سَوَّلَتْ : حَسَّنَتْ وَزَيَّنَتْ .

لا مِساسَ : لا يَمَسُّني أحَدٌ ولا أَمَسُّ أَحَداً .

لَنَنْسِفَنَّهُ : نُعَرِّضُهُ لِلرِّيحِ لِتُبَعْثِرَهُ وَتُلْقِيَهُ في البَحْرِ .



التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ قِصّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ بَني إسْرائيلَ ، وَهذا هُوَ المَشْهَدُ الأَخيرُ في هذِهِ القِصَّة .

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ .

قالَ موسى لأَخيهِ هارونَ ـ عَلَيْهما السَّلامُ ـ عَلَى سَبيلِ اللّومِ والمُعاتَبَةِ : أيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ وَقْتَ أنْ رَأيْتَ ضَلالَهُمْ بِعِبادَةِ العِجْلِ مِن اتّباعي في الغَضَبِ للهِ ، والإنكارِ عَلَيْهِم وَزَجْرِهِم ، هَلْ عَصَيْتَ أمْري لَكَ بِأنْ تُصْلِحَ شأنَهُمْ وَأنْ لا تَتّبِعَ سَبيلَ المُفْسِدينَ ، فإنَّ سُكوتَكَ عَلى فِعْلِهِمْ هذا يُعَدُّ تَهاوُناً مِنْكَ مَعَهُمْ ، وَكانَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ قد أمْسَكَ بِلِحْيَةِ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَشَعْرِ رَأسِهِ يشُدُّهُ بِهِما .

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قالَ هارونُ لِموسى ـ عَلَيْهما السَّلامُ ـ مُحاولاً التَّهْدِئَةَ مِنْ غَضَبِهِ ، بَعْدَ أنْ طَلَبَ مِنْهُ تَرْكَ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، وَذَكَّرَهُ بِصِلَةِ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُما ، وَخَصَّ الأُمَّ بالذِّكْرِ اسْتِعطافاً واسْتِرْقاقاً لِقَلْبِهِ : إنّي خِفْتُ أنْ أقْسُوَ عَلَى بَني إسْرائيلَ فَيَنْقَسِموا إلى فريقَينِ فَأكونَ سَبَباً في تَمزيقِ وَحْدَتِهِم ، وَتفريقِ كَلِمَتِهِمْ ، فَتَقولَ لي يا موسى : أنْتَ فَرَّقْتَ بَيْنَ القَوْمِ وَلَمْ تُطِعْ أمْري بِالإصْلاحِ بَيْنَهُمْ ، وَلِذا حاوَلْتُ أنْ أرُدَّهُمْ إلى رُشْدِهِمْ بِالنُّصْحِ والإرْشادِ واللّينِ .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

ثمَّ انْتَقَلَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالحَديثِ إلى السَّامِرِيِّ ، يَلومُهُ ، وَيُعاتِبُهُ قائِلاً لَهُ : ما شَأْنُكَ ؟ وَما هذا الأَمْرُ الخَطيرُ الَّذي صَدَرَ مِنْكَ ؟

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ .

قال السَّامِرِيُّ لِموسى : رَأَيْتُ أَثَرَ الرَّسولِ المَلائِكِيِّ جِبريلَ ، وَكَيْفَ كانَتْ الحَياةُ تَهْرُبُ في أَثَرِهِ الذي يَسيرُ عَلَيْهِ ، فَأخَذْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِهِ ، ثُمَّ صَنَعَ العِجْلَ ، وَرَمَى بِتِلْكَ القَبْضَةِ فيهِ ، فَأخَذَ يَخورُ خُوارَ العِجْلِ ، فَزَيَّنَ السامِرِيُّ لِقَومِهِ عِبادَتَهُ مِنْ دونِ اللهِ .

﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ ﴾ .

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلسَّامِرِيِّ بَعْدَ اعْتِرافِهِ بسوءِ صَنيعِهِ : اذْهَبْ عَنّا مَنْفِيّاً مِنْ بينِنا ، لا تُخالِطْ أحَداً ، وَلا يُخالِطْكَ أحَدٌ ، مَنْبوذاً مِنَ المُجْتَمَعِ لا يُلاقيكَ أحَدٌ وَلا يُكَلِّمُكَ ، وَهذا عَذابُكَ في الدُّنيا ما دُمْتَ حَيّاً ، وَلَكَ في الآخِرَةِ عُقوبَةٌ عَظيمَةٌ لَنْ يَخْلِفَكَ اللهُ إيّاها ، وَسَيُعاقِبُكَ عِقاباً عَظيماً عَلى ضَلالِكَ وَإضْلالِكَ .

وانظُرْ إلى العِجْلِ الذي عَبَدْتَهُ أنْتَ وَأتْباعُكَ ، وَلازَمْتُمُ الإقامَةَ عِنْدَهُ ، لَنُحَرِّقَنَّهُ بالنّارِ أمامَ أعيُنِكُمْ حتى يَصيرَ رَماداً ، ثُمَّ نُذَرّيهِ لِتُلْقِيَهُ الرِّيحُ في البَحْرِ ، فَلا يَتَبَقّى مِنْهُ عَيْنٌ وَلا أثَرٌ ، لِتَعْلَمَ أنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ أنَّهُ لَيْسَ إلٰهاً ، وَلا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، فَهُوَ عاجِزٌ عن حِمايَةِ نَفسِهِ ، فَضْلاً عَنْ حِمايَةِ مَنْ يَعْبُدُهُ .

وَهذا يَدُلُّ عَلَى أن العِجْلَ المَصنوعَ مِنْ ذَهَبٍ قَدْ تَحَوَّلَ إلى شَيْءٍ آخَرَ بَعْدَ القَبْضَةِ التي أُلْقِيَتْ فيهِ مِنْ أَثَرِ الرَّسولِ ، وَلِذلِكَ فإنَّ النّارَ أحْرَقَتْهُ حتى أصْبَحَ رَماداً ، وَلَوْ كانَ بَقِيَ ذَهَباً خالِصاً لَما أثَّرَتْ فيهِ النّارُ هذا التَّأثيرُ .

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨ ﴾ .

هذهِ الآيَةُ الكَريمَةُ مِنْ تَتِمَّةِ كَلامِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أنْ بَيَّنَ لِبَني إسْرائيلَ أنَّ العِجْلَ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، يُبيِّنُ لَهُمْ فيها أنَّ المُسْتَحِقَّ لِلعبادَةِ بِحَقٍّ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ أنْ يُشارِكَهُ شَيْءٌ مِنْ مَخلوقاتِهِ ، بِوَجْهٍ مِنَ الوجُوهِ ، وَلا يُدانيهِ في كَمالِ العِلْمِ والقُدْرَةِ ، وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ ما مِنْ شَأنِهِ أن يَعْلَمَ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اخْتِلافُ مَنْهَجِ الإصْلاحِ بَيْنَ الدُّعاةِ بِسَبَبِ اخْتِلافِ طَبائِعِهِمْ وَتَقْديرِهِمْ لِلمَواقِفِ .

٢ـ قُوَّةُ شَخْصِيَّةِ موسى حَيْثُ سَيْطَرَ عَلَى المَوْقِفَ ، وَأَوْقَفَ الانْحِرافَ ، وَحاسَبَ القِياداتِ التي تَسَلَّمَتْ زِمامَ الأُمورِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعاقَبَ المُنْحَرِفينَ .

٣ـ اتِّباعُ الهَوى والاغْتِرارُ بِالنَّفسِ يَقودُ إلى المَهالِكِ .

٤ـ عِقابُ المُجْرِمِ بِضِدِّ قَصْدِهِ ، فَقَدْ قَصَدَ السَّامِرِيُّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النّاسُ وَيَتَّبِعوهُ ، فَعوقِبَ بِالطَّرْدِ والنَّبْذِ ، وَعَدَمِ مُخالَطَةِ النَّاسِ لَهُ .

٥ـ مَشْروعِيَّةُ هَجْرِ المُفْسِدِ الضَّالِ وَطَرْدِهِ وَنَفْيِهِ .

٦ـ وجُوبُ تَدْميرِ الأَصْنامِ والأَوْثانِ لأَنَّها تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا عَتِبَ موسى عَلَى هارونَ عَلَيْهِما السّلامُ ؟ وَبِماذا اعْتَذَرَ هارونُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ عَدَمِ شِدَّتِهِ مَعَ بَني إِسْرائيلَ .

٢ـ بِماذا أَجابَ السَّامِرِيُّ عَنْ سُؤالِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُ ؟ وَعَلَى ماذا يَدُلُّ جوابُهُ ؟

٣ـ أ ـ ما العُقوبَةُ التي نَزَلَتْ بالسَّامِرِيِّ في الدُّنيا ؟

ب ـ ما العُقوبَةُ الأُخْرَوِيَّةُ التي تَنْتَظِرُهُ ؟

٤ـ ما مَصيرُ العِجْلِ الذي عَبَدَهُ السَّامِرِيُّ وَأَتباعُهُ ؟

٥ـ كَيْفَ دَلَّلَ موسى عَمَلِيّاً عَلَى عَدَمِ اسْتِحقاقِ العِجْلِ العِبادَةَ ؟

٦ـ دَلِّلْ عَلَى قُوَّةِ شَخْصِيَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في مُواجَهَةِ المُشْكِلاتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدّالّةَ عَلَى اسْتِنكارِ هارونَ لِما فَعَلَهُ قَوْمُهُ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الدَّرْسِ ما يَدُلُّ عَلَى طَبيعَةِ شَخْصِيَّةِ كُلٍّ مِنْ : موسى وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ والسَّامِرِيِّ وَأَتْباعِهِ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والأربَعونَ

سورةُ طه ـ القِسمُ الحادي عشَرَ

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وِزْراً : إثْماً عَظيماً .

زُرْقاً : عُمياً .

يَتَخافَتونَ : يَتَهامَسونَ .

أَمْثَلُهُمْ طَريقَةً : أَعْدَلُهُم رَأْياً .

يَنْسِفُها : يَقْتَلِعُها ويُفَرِّقُها بالرِّيحِ .

قاعاً : أَرْضاً مُسْتَوِيَةً .

صَفْصَفاً : مَلْساءَ .

أَمْتاً : مُرْتَفِعاً .

لا عِوَجَ لَهُ : لا يَنْصَرِفُ عَنْهُ أحدٌ .

هَمْساً : صَوْتاً خَفِيّاً .



التفسيرُ :

بَعْدَ إتْمام قِصّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُخاطِبُ اللهُ تعالى رَسُولَهُ ﷺ كَيْ يَتَدَبَّرَ هُوَ وَقَوْمُهُ ما حَلَّ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

كَما أخْبَرْناكَ خَبَرَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعَوْنَ وَبَني إسْرائيلَ ، نُخْبِرُكَ أخْبارَ الأُمَمِ الماضِيَةِ ، تَبْصِرَةً لَكَ ، وَزِيادَةً في عِلْمِكَ ، وَتَذْكيراً لِلمُسْتَبْصِرينَ مِنْ أُمَّتِكَ ، وَقَدْ أعْطيناكَ مِنْ عِنْدِنا كِتاباً مُذكِّراً ، فيهِ هذِهِ القِصَصُ والأَخْبارُ .

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

مَنْ أعْرَضَ عَنْ هذا الذِّكْرِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بما فيهِ مِنْ عَقائِدَ وأحْكامٍ ، فَإنَّهُ بِسَبَبِ هذا الإعْراضِ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيامَةِ إثْماً عَظيماً ثَقيلاً ، وَسَيَكونُ مَصيرُهُ النَّارَ .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وَسَوْفَ يَخْلُدونَ وَيُقيمونَ في العَذابِ بِسَبَبِ الوِزْرِ الذي حَمَلوهُ ، وَبِئْسَ ذلِكَ الحِمْلُ الثَّقيلُ الذي حَمَلوهُ بإعْراضِهِمْ عَنْ هِدايَةِ القرآنِ الكَريمِ .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ الآياتُ الكَريمَةُ بِبَيانِ بَعْضِ أحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَأوَّلُ هذِهِ المَشاهِدِ يَوْمَ يَنْفُخُ إسْرافيلُ في البوقِ العَظيمِ النَّفْخَةَ الثّانِيَةَ ، وَهِيَ نَفْخَةُ البَعْثِ والحَشْرِ ، وَنَسوقُ المُكَذِّبينَ والكافِرينَ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ عُمْيٌ لا يَرَوْنَ طَريقَهُمْ ، كَما في قَولِهِ : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] ، والتَّعبيرُ عَنِ العَمى بِالزُّرْقَةِ ، لأنَّ مَنْ يَذْهَبُ نورُ عَيْنَيْهِ تَزْرَقُّ حَدَقَةُ عَيْنِهِ .

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

يَتَحَدَّثُ هؤُلاءِ المُجرِمونَ بِصَوْتٍ خافِتٍ هامِسٍ فيما بَيْنَهُمْ يَسْألُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْ مِقدارِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا ، فَيَقولُ بَعْضُهُمْ : ما لَبِثْتُمْ في الدُّنيا إلا عَشْرَ لَيالٍ ، اسْتِقصاراً مِنْهُمْ لِمُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا بَعْدَ أنْ تَحَقَّقَ لَدَيْهِمُ البَعْثُ الَّذي أنْكَروهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلِشِدَّةِ ما يَرَوْنَ مِنَ الهَوْلِ والعَذابِ .

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

اللهُ تعالى هُوَ الأَعْلَمُ بما يَقولُهُ هؤُلاءِ المُتَحَسِّرونَ عَلَى الدُّنيا ، حَيْثُ يَقولُ أعْدَلُهُمْ رَأْياً وَأَحْسَنُهُمْ

طَريقَةً في القِياسِ بَيْنَ ما كانوا فيهِ ، وَما هُمْ مُقبلونَ عَلَيْهِ : ما لَبِثْتُمْ إلاّ يَوْماً واحِداً .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

وَمِنْ مَشاهِدِ يَوْمِ القِيامَةِ ، تغيُّرُ وَجْهِ الأرْضِ ، وَهذا بَيانٌ لِحالِ الجبالِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فإنْ سُئِلْتَ عَنْها فقُلْ : يَجْعَلُها اللهُ كالرَّمْلِ ، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْها الرِّيحَ فَتَذْروها وتُفرِّقها .

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

فَتُصْبحُ أَرْضاً مُسْتَوِيَةً مَلْساءَ ، لا نَباتَ فيها وَلا بِناءَ .

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

لا انْخِفاضَ فيها وَلا ارْتِفاعَ ، وَلا اعْوِجاجَ وَلا مَيْلَ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

أيْ في اليَوْمِ الذي تُنْسَفُ فيهِ الجبالُ ، يَتَّبِعُ النّاسُ داعِيَ اللهِ إلى المَحْشَرِ ، فَيأْتونَهُ سِراعاً ، لا يَزيغونَ عَنْهُ ، وَلا يَنْحَرفونَ ، وَخَفَتَتْ أَصْواتُ الخَلائِقِ هَيْبَةً للهِ ، وَرَهْبَةً مِنَ المَوْقِفِ العَظيمِ ، فَلا يُسْمَعُ إلاّ صَوْتٌ خافِتٌ خَفِيٌّ .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

في ذلِكَ اليَوْمِ الرَّهيبِ ، لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ أَحَداً إلاّ مَنْ أَذِنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وَتعالى ـ أنْ يُشْفَعَ لَهُ ، وَهُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الشَّفاعةَ مِمَّنْ آمَنَ باللهِ ، وَمَنْ رَضِيَ اللهُ شَفاعَةَ الشَّافِعِ فيهِ . وَهذِهِ الآيَةُ كَقَولِهِ تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

يَعْلَمُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أحْوالَ الخَلائِقِ كُلِّها ، ما سَيَأْتي مِنْها وَما مَضى ، وَلا تَخْفى عَلَيْهِ مِنْها خافِيَةٌ ، وَلا تُحيطُ عُلومُهُمْ بِمَعْلوماتِهِ جَلَّ وَعَلا ، كَما قالَ في آيَةٍ أخْرى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيْءٍ .

٢ـ سوءُ حالِ المُجْرِمينَ الَّذينَ أعْرَضوا عَنِ القُرآنِ الكَريمِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٣ـ يَظُنُّ المرءُ بَعْدَ بَعْثِهِ أنَّ مُدَّةَ لُبْثِهِ في البَرْزَخِ أيَّاماً أو يَوْماً .

٤ـ عِظَمُ أهْوالِ يَوْمِ القِيامَةِ في حَشْرِ النَّاسِ ، وَفي نَسْفِ الجِبالِ وَجَعْلِ الأَرْضِ قاعاً صَفْصَفاً .

٥ـ إنّ الشَّفاعَةَ تَكونُ لِمَنْ آمنَ باللهِ ، وَرَضِيَ اللهُ تعالى شَفاعَتَهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما عُقوبَةُ مَنْ يُعْرِضُ عَنِ القُرْآنِ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٢ـ لِماذا يَتَحَدَّثُ أَهْلُ المَحْشَرِ هَمْساً ؟

٣ـ ما السَّبَبُ في تَقديرِ المُجْرِمينَ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا بِأَيَّامٍ أوْ بِيَوْمٍ واحِدٍ ؟

٤ـ بيِّنْ مَصيرَ الجِبالِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكريمةِ شُروطَ الشَّفاعَةِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٦ـ صِفْ كُلاً مِمّا يَلي يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ مِنَ الآياتِ :

أـ المُجْرِمينَ . ب ـ الجِبالَ . ج ـ الدّاعِي . دـ الأَصْواتَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَحْشُرُ اللهُ تعالى المُعْرِضينَ عَنْ ذِكْرِه ، مَعَ الآيةِ الدّالَّةِ عَلَى ذلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدّالّةَ عَلَى حالِ الجِبالِ يَوْمَ القِيامَةِ كَما جاءَ في سورَةِ القارِعَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثّاني والأَرْبَعونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الثاني عشَرَ

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَعَنَتِ الوُجوهُ : ذَلَّتْ وَخضَعَتْ .

هَضْماً : نَقْصاً مِنْ ثَوابِهِ .

وَصَرَّفْنا فيهِ : كَرَّرْنا فيهِ بِأَساليبَ شَتّى .

يُقْضى إلَيْكَ : يَتِمَّ .

لا تَضْحى : لا تُصيبُكَ شَمْسُ الضُّحى .



تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَتَبْدأُ بِبَيانِ صِفَةِ الوُجوهِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ .

أيْ ذَلَّتْ وَخَضَعَتِ الخَلائِقُ للهِ الحَيِّ الذي لا يَموتُ ، القائِمِ عَلَى أُمورِ عِبادِهِ بِتَدْبيرِها وَحِفْظِها ، وَقَدْ خَسِرَ كُلُّ مَنْ كَسَبَ ظُلْماً في دُنْياهُ ، وَخَيْبَةُ كُلِّ ظالِمٍ بِقَدْرِ ما كَسَبَ مِنَ الظُّلْمِ .

والتَّعبيرُ عَنْ خُضوعِ المَرْءِ بِخُضوعِ الوَجْهِ لأنَّهُ أَشْرَفُ الأَعْضاءِ ، وَأوّلُ ما تَبدو عَلَيْهِ آثارُ الخُضوعِ والذُّلِّ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيَةِ بَيانٌ لأَمْرِ العَمَلِ الصّالحِ ؛ فَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئاً مِنَ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ ، فَإنَّهُ ، في هذِهِ الحالةِ ، لا يَخافُ أنْ يَحْمِلَ أوْزاراً لَمْ يَرْتَكِبْها ، وَلا أنْ يَنْقُصَ شَيْءٌ مِنْ ثَوابِهِ ، بَلْ سَيُوَفَّى أَجْرَهُ كامِلاً .

بَعْدَ ذلِكَ يَنْتَقِلُ السِّياقُ لِبَيانِ حَقيقةِ هذا الكِتابِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ .

هذهِ الآيَةُ مَعْطوفَةٌ عَلَى قَولِهِ تعالى : ﴿كذلكَ نَقُصُّ عليكَ مِنْ أنباءِ ما قَدْ سَبَقَ﴾ أي : وَمِثْلَ ما أنْزَلْنا الآياتِ السَّابقَةَ المُشْتَمِلَةَ عَلَى القَصَصِ أنْزَلْنا القُرآنَ كُلَّهُ ، فَما نَزَلَ مِنْهُ مُتَأَخِّراً يُشْبِهُ ، في هِدايَتِهِ وإعْجازِهِ ، ما نَزَلَ مِنْهُ مُتَقَدِّماً . وَلِذا وَصَفَ اللهُ كِتابَهُ بأنَّهُ مُتَشابِهٌ (مُتَشابِهاً مَثاني) أيْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً في الجودَةِ والإتْقانِ والإحْكام والإعْجازِ . لَقَدْ أنزلَهُ اللهُ بلُغَةِ العَرَبِ لِيَعْرفوا أنَّهُ في الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ خارِجٌ عَنْ طَوْقِ البَشَرِ ، وَلَقَدْ جاءَ فيهِ صُوَرُ الإعْجازِ والتَّخويفِ بِأَساليبَ مُتَعَدِّدةٍ لِكَيْ يَبْتَعِدَ النَّاسُ عَنِ الكُفْرِ والمَعاصي ، أَوْ تُحْدِثَ لَهُمُ الآياتَ مَوْعِظَةً في القُلوبِ تُؤَدِّي إلى امْتِثالِ الأَوامِرِ واجْتِنابِ النَّواهي .

والتَّعبيرُ في الآيةِ الكَريمَةِ عَنِ القُرآنِ بِالضّميرِ في (أنْزَلْناهُ) مَعَ عَدَمِ سَبْقِ ذِكْرِهِ لِكَوْنِهِ مُسْتَقِرّاً في العُقولِ ، حاضِراً في الأذْهانِ والقُلوبِ .

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ .

أيْ تَنَزَّهَ وتَقَدَّسَ وَجَلَّ وَعَظُمَ شَأنُ اللهِ سُبْحانَهُ ، المُتَصَرِّفِ في شُؤونِ خَلْقِهِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ الإلهُ الحَقُّ الَّذي أنْزَلَ هذا القُرآنَ .

ثُمَّ أرْشَدَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ إلى كَيْفِيَّةِ تَلَقِّي القُرآنِ مِنْ جِبْريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قائلاً لَهُ : لا تَتَعَجَّلْ بِقِراءَةِ القُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَنْتَهِيَ جِبْريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ تِلاوَتِهِ عَلَيْكَ ، فَقَدْ كانَ الرّسولُ ﷺ يَقْرَأُ الآياتِ في أثْناءِ قِراءَةِ جِبْريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِها .

ثُمَّ أَمَرَهُ أنْ يَطْلُبَ المَزيدَ مِنَ العِلْمِ مِنْ رَبِّهِ ، وَفي هذا بَيانٌ لِشَرَفِ العِلْمِ ، وَعَظيمِ مَنْزِلَتِهِ .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ .

في هذِهِ الآيَةِ وَما بَعْدَها ذِكْرٌ لِقِصَّةِ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفيها تَأْكيدُ عَداوَةِ الشَّيْطانِ لِلبَشَرِ ، وَكَيْفَ أغْوى الشَّيْطانُ أَبانا آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَأغْراهُ بِالمَعْصِيَةِ ، وَمَعنى الآيَةِ : وَلَقَدْ وَصَّيْنا آدَمَ وَأمَرْناهُ أنْ لا يَقْرَبَ الشَّجَرَةَ ، فَغَفَلَ عَمّا وَصَّيْناه بِهِ ، وَلَمْ يَحْفَظْهُ ، وَفتَرَتْ هِمَّتُهُ بِسَبَبِ خَديعَةِ الشَّيْطانِ لَهُ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَمّا نَهَيْناهُ عَنْهُ .

ثُمَّ فَصَّلَتِ الآياتُ في كَيْفِيَّةِ حُصولِ ذلِكَ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

واذْكُرْ وَقْتَ أنْ أمَرْنا المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ تَشْريفاً وَتَكْريماً لَهُ ، فامْتَثلوا لِلأَمْرِ إلاَّ إبْليسَ ، فَإنَّهُ امْتَنعَ عَنِ السُّجودِ تَكَبُّراً وَغُروراً وَحَسَداً على هذا التَّكْريمِ ، لِظَنِّهِ أنَّهُ أفْضَلُ مِنْ آدَمَ .

وَإبْليسُ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَهُوَ مِنَ الجِنِّ كما جاءَ في آيَةٍ أخْرى : ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] وَدَخَلَ في الأمْرِ مَعَ المَلائِكَةِ لأنَّهُ كانَ يَصْحَبُهُم ، وَيَعْبُدُ اللهَ مَعَهُم ، فالاسْتِثْناءُ في الآيَةِ مُنْقَطِعٌ .

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

فَقُلْنا لآدمَ عَقِبَ امْتِناعِ إبْليسَ عَنِ السُّجودِ لَهُ ، تَحذيراً لآدَمَ وَإرْشاداً لَهُ : إنَّ هذا الَّذي امْتَنَعَ عَنِ السُّجودِ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزوجِكَ بِسَبَبِ حَسَدِهِ لَكُما ، فَإيّاكُما أنْ تُطيعاهُ ، فَيَكونَ سَبَباً لإخْراجِكُما مِنَ الجَّنة ، فَتَشْقى يا آدَمُ وَتَتْعَبَ في طَلَبِ المَعاشِ والرِّزقِ .

وَإسْنادُ الشَّقاءِ إلى آدَمَ وَحْدَهُ ، لأنَّهُ المَقصودُ بِالحَديثِ مِنْ أوّلِ القِصَّةِ ، وَلأنَّ شَقاءَ الرَّجُلِ يَدْخُلُ فيهِ شَقاءُ أَهْلِهِ ، وَلأنَّهُ هُوَ المُكَلَّفُ في رِعايَةِ زَوْجِهِ والإنفاقِ عَلَيْها .

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تعالى لآدَمَ أنَّ طاعَتَهُ لإبْليسَ سَتُؤَدّي بِهِ إلى الخُروجِ مِنَ الجَنَّةِ والشَّقاءِ ، بَيَّنَ لَهُ شَيْئاً مِنْ مَزايا الجَنَّةِ تَرغيباً لَهُ فيها ، وَتَحذيراً لَهُ مِنْ طاعَةِ إبْليسَ ، ففي الجَنَّةِ عَيْشٌ رَغيدٌ هَنيءٌ فَلا تَعَبَ وَلا مَشَقَّةَ ، فالغِذاءُ يَأْتيكَ بِمُجَرَّدِ الرَّغْبَةِ فَلا تَجوعُ فيها أَبَداً ، والكِساءُ الفاخِرُ فيها يَأْتيكَ حَسَبَ رَغْبَتِكَ فلا تَعرى ، وَلا يُصيبُكَ الظَّمأُ ، وَلا حَرُّ الشَّمْسِ ، فَأَنْتَ فيها مُتَمَتِّعٌ بِكُلِّ مَطالِبِ الحَياةِ الهَنيئَةِ ، وَهذِهِ الأرْبَعَةُ : الشِّبَعُ والرِّيُّ والكِسْوةُ والسَّكَنُ ، هِيَ أَهَمُّ مَطالِبِ الإنْسانِ واحْتِياجاتِهِ ، فَهِيَ في الجَنَّةِ مَضْمونَةٌ مُتَوافِرَةٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُسْلمُ بَعيدٌ عَنِ الظُّلْمِ بِصُوَرِهِ وَأَشْكالِهِ وَدَرَجاتِهِ كافَّةً .

٢ـ أهَمِيَّةُ التَّنويعِ في وَسائِلِ الدَّعْوَةِ

٣ـ اسْتِحْبابُ التَّرَيُّثِ والتَّأنّي في تِلاوَةِ القُرآنِ وَتَعَلُّمِهِ .

٤ـ التَّرغيبُ في طَلَبِ العِلْمِ والاسْتِزادَةِ مِنْهُ .

٥ـ أسْبابُ عَداءِ الشَّيطانِ للإنْسانِ .

٦ـ تَحْذيرُ ٱلرَّحمنِ لَنا مِنَ الشَّيْطانِ .

٧ـ تَكْريمُ اللهِ لآدَمَ وَأمْرُ المَلائِكَةِ بِالسُّجودِ لَهُ .

٨ـ مَعْصِيَةُ اللهِ تُوقِعُ الإنسانَ في الشَّقاءِ والبَلاءِ .

٩ـ التَكَبُّرُ والغُرورُ مِنَ الأَسْبابِ المُؤَدِّيَةِ إلى المَعْصِيَةِ .

١٠ـ الجَنَّةُ دارُ النَّعيمِ المُقيمِ الدّائِمِ والرَّفاهِيَةِ وَرَغَدِ العَيْشِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى (وَعَنَتِ الوُجوهُ) ؟ وَما سَبَبُ تَخْصيصِ الوُجوهِ بِالذِّكْرِ ؟

٢ـ عَلَى أيِّ شَيْءٍ عُطِفَتْ جُمْلَةُ (وَكَذلِكَ أَنزَلْناهُ) ؟ وَما مَعنى الآيَةِ ؟

٣ـ لِماذا رَفَضَ إبْليسُ السُّجودَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ الشَّقاءِ بآدَمَ دونَ زَوجِهِ مَعَ ذِكْرِها مَعَهُ في الآيَةِ ؟

٥ـ اذكرْ بَعْضَ ما في الجَنَّةِ مِنْ نِعَمٍ حَسْبَما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ .

٦ـ هَلْ عَداوةُ إبْليسَ خاصَّةٌ بِالرِّجالِ دونَ النِّساءِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

نشاطٌ :

ـ اذْكُرْ آيَةً أخْرى غيرَ الآيةِ (١١٤) تُبَيِّنُ فَضْلَ العِلْمِ وَشَرَفَ تَعَلُّمِهِ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأرْبَعونَ

سورَةُ طه ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَوَسْوَسَ	أوْقَعَ في نَفْسِهِ الخاطِرَ السَّيِّءَ .
يَبْلى	يَزولُ .
سوءاتُهُما	عَوْراتُهُما .
طَفِقا يَخْصِفانِ	أخذا يُلْصِقانِ وَيُغَطِّيانِ .
اجْتَباهُ	اصْطَفاهُ .
ضَنْكاً	ضَيِّقَةً شَديدَةً .

التفسيرُ :

في هَذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

فأَوْقَعَ إبْليسُ في نَفْسِ آدمَ الخاطِرَ السّيِّءَ ، وَأَوْصَلَ كَيْدَهُ إليْهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الأكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ التي نَهاهُ اللهُ عَنِ الأكْلِ مِنْها ، وَأَوْقَعَ في نَفْسِهِ أَنَّ مَنْ أكَلَ مِنْها عاشَ مُخَلَّداً لا يَموتُ ، وَصارَ صاحِبَ مُلْكٍ لا يَزولُ ولا يَفْنى .

وَجَعَلَ إبْليسُ عَرْضَهُ هذا بِطَريقةِ الاسْتِفْهام ؛ لِيُشْعِرَهُ بأَنَّهُ ناصِحٌ لَهُ ، وَحَريصٌ على مَنْفَعَتِهِ ومَصْلَحَتِهِ ، وَناداهُ باسْمِهِ لِيَكونَ أكْثَرَ إقْبالاً عَلَيْهِ .

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ آدمُ لِخِداعِ إبْليسَ وَمَكْرِهِ ، وتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ضَعْفُهُ ، وَنَسِيَ تَحْذيرَ اللهِ لَهُ مِنْ إبْليسَ ، وَمِنْ طاعَتِهِ ونَهْيِهِ إيّاهُ أنْ يَأْكُلَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، فَأَكَلَ مِنْها هُوَ وَزَوْجُهُ ، فَظَهَرتْ لَهُما عَوْراتُهُما ، وكانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَسْتورَةً عَنْهُما ، وَسُمِّيَتِ العَوْرَةُ : سَوْأَةً ، لأنَّ انْكِشافَها يَسوءُ صاحِبَها ، وأَخَذا يُلْصِقانِ على جَسَدَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ لِيَسْتُرا عَوْراتِهِما .

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

نَدِمَ آدمُ على ما فَعَلَ ، فَأَلْهَمَهُ اللهُ التَّوْبَةَ ، فَتابَ واسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَقَبِلَ اللهُ تعالى تَوْبَتَهُ ، وَهَداهُ إلى الثَّباتِ عَلَيْهِما والتَّمَسُّكِ بِأَسْبابِ العِصْمَةِ .

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ تعالى آدَمَ ومَعَهُ زَوْجَهُ وإبْليسَ أنْ يَنْزِلا إلى الأَرْضِ مُتَعادينَ مُتَباغِضينَ ، وبَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ العَداوةَ بَيْنَ آدمَ وزَوْجِهُ وذرِّيَّتِهِما وبَيْنَ إبْليس وَذُرِّيَّتِهِ سَتَبْقى مُسْتَمِرَّةً على الأَرْضِ ، كَما سَتَنْشَأُ عَداوةٌ بَيْنَ بني آدَمَ بِسَبَبِ التَّخاصُمِ والتَّنازُعِ والتَّدافُعِ عَلى حُطامِ الدُّنيا . وهذا يَسْتَدْعي إرْسالَ الرُّسُلِ وتَبْيينَ الهُدَى مِنَ الضَّلالِ ، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدى اللهِ فلا يَضِلُّ في الدُّنْيا ولا يَشْقى بالعَذابِ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

ومَنِ انْصَرَفَ عَنِ الهُدى المُرْشِدِ إلى ذِكْرِ اللهِ ، فإنَّ لَهُ مَعيشةً ضَيِّقَةً شَديدةً في حَياتِهِ ، مَهْما كانَ في سَعَةٍ مِنَ العَيْشِ ، فإنَّهُ سَيَكونُ شَديدَ الحِرْصِ على الدُّنْيا مُتَهالِكاً عَلى الازْدِيادِ مِنْها خائِفاً مِنَ انْتِقاصِها ، لا بَرَكَةَ لَهُ فيها ، ويُحْشَرُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمى البَصَرِ ؛ لأنَّهُ تَعامى عَنْ آياتِ اللهِ في الدُّنْيا .

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

قالَ ذاكَ الكافِرُ المُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ : يا ربِّ لأيِّ سَبَبٍ حَشَرْتَني أعْمى ، وقَدْ كُنْتُ في الدّنيا بَصيراً أرى الأَشْياءَ بعينيَّ ؟

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى مُبَيِّناً لِلْكافِرِ سَبَبَ ما أصابَهُ : مِثْلَ ما فَعَلْتَ أَنْتَ فَعَلْنا بِكَ ، فَقَدْ جاءَتْكَ الأدِلَّةُ والبَراهينُ الَّتي تَدْعوكَ إلى طاعَةِ اللهِ ، فَأَعْرَضْتَ وتَعامَيْتَ عَنْها وتَرَكْتَها كالشَّيءِ المَنْسِيِّ الَّذي لا يَخْطُرُ عَلى البالِ ، فاليَوْمَ نُجازيكَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ ، فَنَجْعَلُكَ أَعْمى عَنِ الاهْتِداءِ إلى ما يَنْفَعُكَ ، ونَتْرُكُكَ في عَماكَ وحَيْرَتِكَ كَما يُتْرَكُ المَنْسِيُّ ، وَنَدْفَعُ بِكَ إلى النَّارِ لِتَصْلَى عَذابَها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

وَبِمِثْلِ هذا الجَزاءِ العادِلِ نُجازي كُلَّ مَنْ تَجاوَزَ الحَدَّ في ارْتِكابِ المَعاصي ، وتَرَكَ الإيمانَ بِرَبِّهِ ، وَلَمْ يَنْظُرْ في الآياتِ الَّتي تَدُلُّ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ ، وهذا العَذابُ في الآخِرَةِ أَعْظَمُ وأَدْوَمُ مِنْ أيِّ عَذابٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أُسْلوبُ الشَّيْطانِ في إِضْلالِ الإِنْسانِ يَقومُ عَلى تَزْيينِ المَعاصي لَهُ .

٢ـ الارْتِباطُ بَيْنَ المَعاصي وانْكِشافِ العَوْرَةِ .

٣ـ الحَذَرُ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ ، فإنَّها تَقودُ إلى المَعْصِيَةِ والشَّقاءِ .

٤ـ وُجوبُ التَّوْبَةِ فَوْراً مِنْ جَميعِ المَعاصي والسَّيِّئاتِ .

٥ـ التَّنْفيرُ مِنَ المَعْصِيَةِ بِتَبْيينِ أنَّها تَقودُ إلى الضَّلالِ والغِوايَةِ .

٦ـ الإعْراضُ عَنْ آياتِ اللهِ والتَّعامي عَنْها يُورِثُ العَمى في الآخِرَةِ ، فالجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ زَيّنَ إبْليسُ لآدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ؟

٢ـ أ ـ لِماذا سارَعَ آدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجُهُ إلى سَتْرِ عَوْرَتَيْهِما ؟

ب ـ لماذا تُسَمّى العَوْرَةُ : سَوْأَة ؟

٣ـ ما جَزاءُ مَنِ اتّبَعَ هُدى اللهِ ؟ وما جَزاءُ مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ ؟

٤ـ ما مَعْنى نِسْيانُ الآياتِ ؟

٥ـ اكْتُبْ في الفَراغِ الكَلِماتِ القُرْآنيَّةَ الَّتي تُناسِبُ كُلاً مِمَّا يلي :

أ ـ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا . . . .

ب ـ وعصى آدَمُ ربَّهُ . . . .

ح ـ ثُمّ . . . . ربُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وهَدى .

د ـ فَمَنِ اتَّبَعَ . . . . فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقى .

هـ ـ وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإنَّ لَهُ مَعيشَةً . . . .

و ـ وَكَذلِكَ اليَوْمَ . . . .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَلاقَةَ المَعاصي بِكَشْفِ السِّتْرِ عَنِ العاصينَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأَرْبعونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَهْدِ لَهُمْ : يَتَبيَّنْ لَهُمْ .

لِأُولي النُّهى : لأَصْحابِ العُقولِ .

لِزاماً : لازِماً .

آناءَ اللَّيْلِ : ساعاتُهُ .

أَزْواجاً : أَصْنافاً .

زَهْرَةَ الحَياةِ : زينَتُها .

نَخْزَى : نُفْضَحَ .

الصِّراطِ السَّوِيِّ : الطَّريقِ المُسْتَقيمِ .



التفسير :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ الَّتي خُتِمَتْ بِها السُّورَةُ تَوْجيهاتٌ رَبَّانِيَّةٌ ، تَبْدَأُ بِتَوْبيخِ الَّذينَ لَمْ يَنْتَفِعوا بآياتِ اللهِ :

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

أَبَلَغَتِ الغَفْلَةُ والجَهالَةُ بِهؤلاءِ المُشْرِكينَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ ، أَنَّنا أَهْلَكْنا كَثيراً مِنْ أَهْلِ القُرونِ الماضِيَةِ ، الَّذينَ كانوا يَمْشونَ آمِنينَ لاهينَ في مَساكِنِهِمْ . إِنَّ في هَذا الَّذي أَخْبَرناهُم بِهِ ، وأَطْلَعْناهُم عَلَيْهِ مِنْ إِهْلاكِ المُكَذِّبينَ السَّابِقينَ لآياتٌ عَظيمةٌ ودَلائِلُ واضِحَةٌ لأَصْحابِ العُقولِ السَّليمَةِ الَّتي تَنْهى أَصْحابَها عَنِ القَبائِحِ والمُنْكَراتِ .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

ولولا الوَعْدُ السَّابِقُ مِنَ اللهِ لِهذِهِ الأُمَّةِ بِتَأْخيرِ العَذابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ إلى يَوْمِ القيامَةِ ، وَلَوْلا الأجلُ المُسَمَّى المُحَدَّدُ في عِلْمِهِ لانْتِهاءِ أَعْمارِهِمْ ، لَما تَأَخَّرَ عَنْهُمُ العذابُ ، بَلْ لَكانَ العَذابُ لازِماً لَهُمْ نازِلاً بِهِمْ كما نَزَلَ بالسَّابقينَ مِنْ أَمْثالِهِمْ .

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

فاصْبِرْ أَيُّها الرَّسولُ على ما يَقولُهُ المُشْرِكونَ ، فإِنَّ عَذابَهُمْ آتٍ في يَوْمٍ لا رَيْبَ فيهِ ، ونَزِّهْ رَبَّكَ ، وَعَظِّمْهُ ، واحْمَدْهُ في أَوْقاتِكَ كُلِّها قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ في أَوَّلِ النَّهارِ ، وَقَبْلَ غُروبِها في آخِرِ النَّهارِ ، وفي ساعاتِ اللَّيلِ ، وَفي وَسَطِ النَّهارِ رَجاءَ أَنْ تَصِلَ بهذا التَّسْبيحِ والذِّكْرِ إلى ما يُرْضي نَفْسَكَ الصَّابِرَةَ على أَذاهُمْ ، وَيَمْنَحُكَ مَزيدَ الثَّوابِ وَعظيمَ الأَجْرِ .

وفي هذهِ الآيةِ إشارَةٌ إلى مَواقيتِ الصَّلَواتِ الخَمْسِ ؛ فَقَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ صَلاةُ الفَجْرِ ، وقبلَ غُروبِها صَلاةُ العَصْرِ ، ومِنْ آناءِ اللَّيْلِ صَلاةُ العِشاءِ ، وأَطْرافَ النَّهارِ صَلاةُ المَغْرِبِ والظُّهْرِ ، لأَنَّ الظُّهْرَ في آخِرِ طَرَفِ النَّهارِ الأَوَّلِ ، وغُروبُ الشَّمْسِ في آخِرِ طَرَفِ النَّهارِ الأخيرِ .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

هذا نَهْيٌ عَنِ الإعْجابِ بالدُّنْيا وَزينَتِها ، يَأْتي بَعْدَ الأَمْرِ بالتَّسْبيحِ والحَمْدِ ، أَيْ : لا تُطِلِ النَّظَرَ

بِقَصْدِ الرَّغْبَةِ والمَيْلِ ، إلى ما مَنَحَهُ اللهُ تَعالى أصْنافاً مِنَ المُشركينَ ، مِنَ الجاهِ والوَلَدِ والمالِ والزِّينَةِ والبَهْجةِ ، لِيَتَمَتَّعوا بهِ فَتْرَةَ وُجودِهِمْ في هَذهِ الحَياةِ الدُّنْيا ، ولِنَبْتَلِيَهُم بِهَذا العَطاءِ وَنَخْتَبِرَهُم بِهَذا النَّعيمِ ، حتَّى يَسْتَوجِبوا العَذابَ بِكُفْرِهِمْ ، وَجُحودِهِمْ ، ولِيَظُنُّوا أنَّ ما هُمْ فيهِ هُوَ الحالُ الصَّحيحُ ، وَلَكنَّ ثَوابَ اللهِ في الآخِرَةِ ، وَرِزْقَهُ في الدُّنْيا خَيْرٌ وأَحْسَنُ وأَدْوَمُ مِنْ هذا النَّعيمِ الفاني .

والخِطابُ في هَذهِ الآيَةِ لِلنَّبيِّ ﷺ وأُمَّتُه تَبَعٌ لَهُ فيما خاطَبَهُ اللهُ فيهِ إلاَّ ما دَلَّتِ النُّصوصُ على خُصوصِيَّتِهِ فيه ، وإنْ كانَ الرَّسولُ ﷺ أبْعَدَ النّاسِ عَنْ إطالةِ النَّظَرِ إلى أهْلِ الدُّنْيا وَزينَتِها ، وأزْهَدَ النَّاسِ فيها .

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .

وَهَذا إرْشادٌ مِنَ اللهِ تعالى لِنَبيِّه ﷺ أنْ يَأْمُرَ أهْلَهُ وَهُمْ : أَزْواجُهُ وَبَناتُهُ وأَقْرِباؤُهُ بالمُداوَمَةِ عَلى أَداءِ الصَّلاةِ ، والمُحافَظَةِ عَلَيْها في أوْقاتِها ، وأنْ يُداوِمَ على أدائِها ومُلازَمَتِها ؛ فإنَّها مِنْ أعْظَمِ العِباداتِ الَّتي أَمَرَ اللهُ بها ، ولا يَصِحُّ أنْ يَشْغَلَنا عَنْها أيُّ شاغِلٍ مِنْ طَلَبِ رِزْقٍ أَوْ غَيْرِهِ ، واللهُ تَعالى لَمْ يُكَلِّفْنا أنْ نَرْزُقَ أنْفُسَنا ولا أهْلَنا ، بَلْ تَكَفَّلَ ـ سُبْحانَهُ ـ بالرِّزْقِ ، وعَلَيْنا أنْ نَأْخُذَ بالأَسْبابِ ، ونَبْحَثَ عَنِ الرِّزْقِ دُونَ أنْ يَعوقَنا عَنِ العِبادَةِ ، والعاقِبةُ المحمودةُ لأهلِ التَّقوى والعبادَةِ .

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ إخْبارٌ عَمَّا طَلَبَهُ المُشْركونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ ، وَهُوَ أنْ يأتِيَهُم بِمُعْجزَةٍ تَدُلُّ على صِدْقِهِ في دعوى الرِّسالَةِ ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بأنَّ القُرْآنَ هُوَ أعْظَمُ مُعْجزَةٍ لِنَبيِّهِ ﷺ ، فَفيهِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، فَضْلاً عمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلى دَرَجاتِ الفَصاحَةِ الَّتي يَعْجَزُ عَنْها البَشَرُ ، أَفَلا تَكْفيهِمْ هَذهِ المُعْجِزَةُ الباهِرَةُ .

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

وَلَوْ أنَّا أهْلَكْناهُمْ بِشْرِكِهِمْ قَبْلَ إرْسالِ مُحَمّدٍ ﷺ وإنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ لَقالوا مُحْتَجِّينَ : ربَّنا هَلاَّ أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسولاً يَدْعونا إلى الهُدى والخَيْرِ فَنَتَّبِعَهُ قَبْلَ أنْ نَذِلَّ في الدُّنْيا بالهَلاكِ العَظيمِ ، ونُفْتَضَحُ في الآخِرَةِ .

وَهَذا الإخْبارُ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِعلْمِهِ بما سَيقولُهُ المُشْرِكونَ يَوْمَ القِيامَةِ لَوْ لَمْ يُرسِلْ إلَيْهِمْ رَسولاً ، وَلِذا أَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ بإرْسالِ الرَّسولِ ﷺ وقَطَعِ عُذْرِهِمْ بِعَدَمِ الإيمانِ بِهِ .

﴿ قُلۡ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِهؤُلاَءِ الكافِرينَ : كُلُّ واحِدٍ مِنّا وَمِنْكُمْ مُتَرَبِّصٌ بالآخَرِ ، ومُنْتَظِرٌ ما سَيؤولُ إِلَيْهِ أَمْرُ صاحِبِهِ ، وَما دامَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فتَرَبَّصوا ، وانْتَظِروا ، فَسَتَعْلَمونَ مَنْ هُمْ أَصْحابِ الطّريقِ المُسْتَقيمِ الَّذينَ تَجَنّبوا الضَّلالَةَ ، واهْتَدوْا إلى ما يُسْعِدُهُمْ في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ .

وَبِهذا التَّهْديدِ لِلْمُشْرِكينَ بِسُوءِ العاقِبَةِ تُخْتَتَمُ سُورةُ طَه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الاتِّعاظُ بِمَصارِعِ الغابِرينَ كَيْ لا يُصيبَنا ما أَصابَهُمْ .

٢ـ اللهُ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

٣ـ وُجوبُ الصَّبْرِ عَلى دَعْوَةِ اللهِ ، والاسْتِعانَةُ عَلى ذَلِكَ بالتَّسْبيحِ والصَّلاةِ .

٤ـ عَدَمُ التَّعَلُّقِ بالدُّنْيا وزينَتِها ، فإنَّها إلى زَوالٍ سَريعٍ ، والرِّضى بما قَسَمَ اللهُ تعالى .

٥ـ وُجوبُ أَمْرِ الأَهْلِ بالصَّلاةِ والمُحافَظَةِ عَلَيْها في أَوْقاتِها .

٦ـ القُرْآنُ مُعْجِزَةُ النَّبيِّ ﷺ الخالِدَةُ ، وفيهِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّابِقَةِ .

٧ـ لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ ، ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ لِيُقيمَ الحُجَّةَ على العبادِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالكَلِمةِ الَّتي سَبَقَتْ مِنَ اللهِ ، وبالأَجَلِ المُسَمّى ؟

٢ـ عَدِّدْ ما في آياتِ الدَّرْسِ مِنْ أَوامِرَ وَنَواهٍ مُرَتَّبَةً كَما جاءَتْ في الآياتِ وَفْقَ قائمتينِ :

أـ الأَوامِرُ .

ب ـ النَّواهي .

٣ـ لِماذا نَهى اللهُ تَعالى عَنِ الاغْتِرارِ بِزينَةِ الدُّنيا والتَّعَلُّقِ بها ؟

٤ـ ما المُرادُ بـ(أَهْلَكَ) ؟ وما مَعْنى (واصْطَبِرْ عَلَيْها) ؟
٥ـ ماذا اقْتَرَحَ المُشْرِكونُ ؟ وبماذا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟
٦ـ بِماذا أَبْطَلَ اللهُ حُجَّةَ المُشْرِكينَ الَّتي كانوا سَيَحْتَجُّونَ بها لَوْ لَمْ يُرسِلْ إِلَيْهِم رَسولاً ؟
٧ـ ما مَعْنى الآيةِ الأَخيرةِ في السُّورَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ كانَ اللهُ تَعالى يَفْعَلُ بالأَقْوامِ السَّابِقينَ بَعْدَ تَكْذيبِهِمْ لِرُسُلِهِمْ .
٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَلاقَةَ ذِكْرِ اللهِ تعالى وَعِبادَتِهِ بِتَأْييدِ اللهِ وَمَعونَتِهِ لِلإِنْسانِ .

* * *

الدرس الخامس والأربعون

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هَذهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ مِائةٌ واثنتا عَشْرَةَ آيةً ، مَوْضوعُها الرَّئيسُ إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَصِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، وعَلى أنَّ يَوْمَ القيامةِ حَقٌّ ، كما رَدَّتْ على شُبهِ المُشْركينَ ، واحْتَوتْ على جُمْلَةٍ مِنْ قَصَصِ الأَنْبياءِ تُبَيِّنُ جِهادَهُم وَصَبْرَهُم وَتَفانِيهِمْ في إبْلاغِ الدَّعْوَةِ لإسْعادِ البَشَرِيَّةِ ، وَلِذا سُمِّيتْ : سورةَ الأنبياءِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

اقْتَرَبَ : دَنا .

أَسَرُّوا النَّجْوى : بالَغوا في إخْفاءِ كَلامِهِم .

أضغاثُ : أخْلاطُ .



افْتُتِحَتْ هذهِ السُّورَةُ الكَرِيمَةُ بالإِخْبارِ عَنْ يَوْمِ الحِسابِ لِتَنْبيهِ النَّاسِ الغافِلينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

قَرُبَ ودنا الوقتُ الذي يُحاسِبُ اللهُ النَّاسَ فيهِ عَلى أَعْمالِهِمْ ، وَمُعْظَمُ النَّاسِ في غَفْلَةٍ تامَّةٍ عَنْ هذا الحِسابِ ، وَفي إِعْراضٍ مُسْتَمِرٍّ عَن الاسْتِعْدادِ لَهُ .

وعَبَّرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ حُصولِ السَّاعةِ بالقُرْبِ لأنَّ كُلَّ آتٍ ، وإنْ طالَ وَقْتُ اسْتِقْبالِهِ وَتَرَقُّبِهِ ، قريبٌ ، كَما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] وقالَ : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النَّحل : ١] .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ الغافِلينَ المُعْرِضينَ عَنِ الاسْتِعْدادِ لِيَوْمِ الحِسابِ ، لا يَسْمَعونَ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ مِمّا يُنَزِّلُهُ اللهُ على رَسولِهِ ﷺ ، إلاّ اسْتَمَعوا إلى هَذا القُرْآنِ المُنَزَّلِ حَديثاً ، وَهُمْ مُعْرِضونَ ، وَمُسْتَمِرُّونَ في لَعِبِهِمْ وَلَهْوِهِمْ .

وَلَمّا كانَ اللَّعِبُ صِفَةً لِلأَجْسادِ أَتْبَعَهُ سُبْحانَهُ بوصفِ قُلوبِهِمْ .

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

اسْتِماعَهُمْ إلى القُرْآن لاعِبينَ بِأَجْسادِهِمْ ، فإِنَّهُمْ مَعَ ذَلكَ لاهونَ غافِلونَ ، وهَذهِ حالُ القُلوبِ ، وكانَ حَقُّها أَنْ تَسْتَقْبِلَهُ بالتَّدبُّرِ والتَّذَكُّرِ .

ولَمْ يَكْتَفِ هَؤلاءِ بالإعْراضِ والغَفْلَةِ عَنْ سَماعِ القُرْآنِ ، بَلْ زادوا عَلى ذَلِكَ المُبالَغَةَ في إخْفاءِ ما يَتَحَدَّثونَ بهِ مِنْ أَمْرِ النَّبيِّ ﷺ ، كَيْداً مِنْهُم لَهُ ، ومُبالغةً مِنْهُم في المَكْرِ والمُعاداةِ ، إلاّ أنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ العالِمَ بِكُلِّ سِرٍّ وَنَجْوى أَخْبَرَ رَسولَهُ ﷺ بما يُحاوِلُ هَؤلاءِ الظَّالِمونَ إخْفاءَهُ فأَطْلَعَ اللهُ نَبيَّهُ ﷺ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : إنَّ هذا الرَّجُلَ الَّذي يَدَّعي الرِّسالةَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، فلا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ رَسولاً ، وَلا بُدَّ مِنْ أنْ يَكونَ ساحِراً فيما أَتى بِهِ مِنْ خَوارِقَ وَكَلامٍ مُعْجِزٍ ، فَهَلْ تَقْبَلونَ السِّحْرَ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمونَ أَنَّهُ سِحْرٌ ؟ قالوا هَذا وَهُمْ يَعْرِفونَ مُحَمَّداً ﷺ حَقَّ المَعْرِفَةِ ، وأنَّه لَيْسَ بساحِرٍ ، وأنَّه الصَّادِقُ الأَمينُ .

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ كَشَفَ اللهُ تعالى لِرَسولِهِ ﷺ سِرَّ المُشْرِكينَ ، وما حاولوا إخْفاءَهُ مِنْ تَناجيهِمْ ، قالَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ : إنَّ رَبِّي لا يَخْفى عَلَيْهِ شيْءٌ فَهُوَ يَعْلَمُ قَوْلَ كُلِّ قائِلٍ سِرّاً كانَ أوْ جَهْراً ، سَواءٌ أكانَ القائِلُ في السَّماءِ أمْ في الأَرْضِ ، وَهُوَ السَّميعُ لأَقْوالِكُمْ ، وَلِكُلِّ ما يُسْمَعُ وما لا يُسْمَعْ ، العَليمُ بأحْوالِكُمْ ، وبِكُلِّ ما في هذا الكَوْنِ .

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

تَدُلُّ هَذهِ الآيَةُ عَلى ما كانَ يُعانيهِ المُشْرِكونَ مِنْ تَرَدُّدٍ وتَخَبُّطٍ في شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ ، فَبَعْدَ أنْ أَسَرُّوا النَّجوى ، وَقالوا إنَّهُ ساحِرٌ ، أعْرَضَ عَدَدٌ مِنْهُمْ عَنْ هذا الرأيِ ، وقالوا : بَلْ ما أتى بِهِ مِنْ كَلامٍ لا يَعْدو أنْ يَكونَ أضْغاثَ أحْلامٍ ، أيْ أَباطيلَ وأَخْلاطاً كالّتي يَراها النّائِمُ في مَنامِهِ ، وقالَ بَعْضُهُمْ أَتى بِالقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، فَهُوَ الَّذي اخْتَرَعَهُ ، واخْتَلَقَهُ ، وَنَسَبَهُ إلى اللهِ ، وَقالَ جَماعةٌ مِنْهُمْ : بَلْ هُوَ شاعِرٌ ، يَقولُ كَلاماً يُخَيِّلُ لِلنّاسِ مَعانِيَ لا حَقيقَةَ لَها . فإنْ لَمْ يَكُنْ كَما قُلْنا ، وَكانَ رَسولاً حَقّاً فَلْيَأْتِنا بِأَمْرٍ خارِقٍ يَدُلُّ على صِدْقِهِ كَما كانَ حالُ المُرْسَلينَ مِنْ قَبْلِهِ ، وقَدْ نَفى اللهُ تَعالى عَنْ رَسولِهِ ﷺ كُلَّ ما اتَّهَمَهُ بِهِ الكافِرونُ مِنْ سِحْرٍ أَوِ افْتِراءٍ أو شِعْرٍ ، وَتَحدّاهُمْ أنْ يَأْتوا بِمِثْلِهِ أَوْ بِسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، لَكِنَّهُمْ عَجزوا عَنْ ذلكَ .

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

تَدُلُّ هذهِ الآيَةُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ بِهَؤلاءِ المُشْرِكينَ ، الّذينَ طَلَبوا مِنَ الرَّسولِ ﷺ آيةً كَوْنِيَّةً ، ذَلِكَ أنَّ الأَقْوامَ السَّابِقينَ طَلَبوا مِنْ رُسُلِهِمْ مُعْجِزاتٍ وَخَوارِقَ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا بِها بَعْدَ أنْ رَأَوْها ، فاسْتَحَقُّوا عَذابَ اللهِ الشَّديدَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَلَوْ أَنَّ مِثْلَ هذهِ الخَوارِقِ حَصَلَتْ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِها قَوْمُهُ لأَهْلِكوا كَما أُهْلِكَ السَّابِقونَ ، وَلِذا اقْتَضَتْ رَحْمَةُ اللهِ وَحِكْمَتُهُ أنْ لا يَسْتَجيبَ لِطَلَبِهِمْ ، فَهُمْ بَشَرٌ كالسَّابِقينَ ، وَما دامَ السَّابِقونَ لَمْ يُؤْمِنوا بِهذِهِ الخَوارِقِ ، فَهَؤُلاءِ لَنْ يُؤْمِنوا بِها كَذلِكَ ، فَهُمْ لا يَقِلُّونَ عُتُوّاً وعِناداً عَمَّنْ سَبَقَهُمْ واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بما في قُلوبِهِمْ مِنْ إصْرارٍ عَلى الكُفْرِ والتَّكْذيبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ ذَمُّ النّاسِ المُعْرِضينَ عَنِ العَمَلِ لِيَوْمِ القيامَةِ مَعَ شِدَّةِ قُرْبِها .

٢ـ أهَمِّيةُ اسْتِحْضارِ قُرْبِ السَّاعَةِ لإتْقانِ العَمَلِ وإحْسانِه .

٣ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِكُلِّ ما في الكَوْنِ مِنْ دَقائِق وَخَفايا .

٤ـ اخْتِلافُ المُشْرِكينَ في شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ دَليلٌ واضِحٌ على بُطْلانِ كَلامِهِمْ .

٥ـ تَقومُ الحُجَّةُ عَلى مَنْ يَرى الآيَةَ الكَوْنِيَّةَ ، فإنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِها اسْتَحقَّ العَذابَ الفَوْرِيَّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ تَعددتِ الآياتُ الَّتي تُبَيِّنُ قُرْبَ حُصولِ السّاعةِ ، فَما الحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ ؟

٢ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ المُشْرِكينَ حالَ اسْتِماعِهِمْ لِلآياتِ المُنَزَّلَةِ ؟

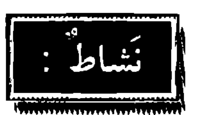
٣ـ لِماذا أَسَرَّ الكُفّارُ ما تَناجَوْا بِهِ ؟

٤ـ على ماذا يَدُلُّ تَعَدُّدُ أَقْوالِ المُشْرِكينَ في النَّبيِّ ﷺ ؟

٥ـ هَلْ مُنِعَتِ الآيَةُ الكَوْنيَّةُ عَنِ المُشْرِكينَ رَحْمَةً بِهِمْ ، أَوْ عُقوبَةً لَهُمْ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

فائدةٌ :

لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْبياءِ قالَ بَعْضُ الصَّحابَةِ : نَزَلَتِ اليَوْمَ سورَةٌ أَذْهَلَتْنا عَنِ الدُّنيا[1] .



١ـ تأمَّلْ في الآياتِ الثّلاثِ الأُولى ، مُبَيِّناً وَجْهَ افْتِتاحِ السُّورَةِ بِها ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، كما جاءَ في سورَةِ طَه .

* * *

(١) ابن كثيرٍ ، تفسيرُ القرآنِ العظيمِ ، ٣/ ٢٣٣ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فيهِ ذِكْرُكُمْ : شَرَفُكُمْ وَرِفْعَتُكُم .

قَصَمْنا : أَهْلَكْنا .

بأسَنا : عَذابَنا الشَّديدَ .

أُتْرِفْتُمْ فيهِ : نَعِمْتُمْ فيهِ .

حَصيداً : كالنَّباتِ المَحْصودِ .

خامِدينَ : كالنَّارِ الَّتي سَكَنَ لَهيبُها ،

التَّفْسيرُ :

في آياتِ هَذا الدّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ شُبَهِ المُشْرِكينَ ، والإِخْبارُ بِأَنَّ الرُسُلَ مِنَ البَشَرِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ رَدٌّ عَلى المُشْرِكينَ حِينَ طَلَبوا مِنَ النَّبيِّ ﷺ آيةً كَوْنِيَّةً كما فَعَلَ الأَوَّلونَ ،

وَهُنا يُخاطِبُهُ ربُّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِقَوْلِهِ : وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ أيُّها الرَّسولُ إِلى الأُمَمِ السَّابِقَةِ إلاَّ رُسُلاً مِنَ البَشَرِ لِيَتَمَكَّنوا مِنَ التَّخاطُبِ والتَّفاهُمِ مَعَ مَنْ هُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ ، واخْتَرْناهُمْ مِنَ الرِّجالِ لِيَكونوا أَقْدَرَ عَلى التَّبْليغِ وَتَحَمُّلِ الأَذَى ، واخْتَرْنا لَهُمْ وَسيلَةَ الوَحْيِ لِتَبْليغِهِمْ ما نُكَلِّفُهُمْ بِهِ ، وإِنْ كُنْتُم أيُّها المُشْرِكونَ لا تَعْلَمونَ ذَلِكَ فاسْأَلوا عُلَماءَ أَهْلِ الكِتابِ : هَلْ كانَ الرُّسُلُ الَّذينَ جاؤوهُمْ بَشَراً أَمْ مَلائِكَةً ؟

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

هذا تَأْكيدٌ لِكَوْنِ الرُّسُلِ السّابِقينَ مِنَ البَشَرِ ، وَلَيْسوا مَلائِكَةً ، أَوْ كالمَلائِكَةِ لا يَأْكلونَ ولا يَشْرَبونَ ، وَيَعيشونَ الآمادَ الطَّويلَةَ مِنْ دُونَ قُوتٍ ، وَلَكِنْ جَعَلْناهُمْ مِنَ البَشَرِ يَأْكلونَ وَيَشْربونَ ، وَيَعْتَريهِمْ ما يَعْتَري البَشَرَ مِنْ سُرورٍ وَحُزْنٍ وَنَوْمٍ ويَقَظَةٍ ، وَيَموتونَ عِنْدَ انْقِضاءِ آجالِهِمْ .

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

ثُمَّ صَدَقْنا الأَنْبياءَ ما وَعَدْناهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِهِمْ ، وإِهْلاكِ مُكَذِّبيهِمْ ، ونَجَّيناهُمْ مَعَ أَتْباعِهِمُ المُؤْمِنينَ ، وأَهْلَكْنا المُكَذِّبينَ لَهُمْ ، المُتَجاوِزينَ الحَدَّ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، وَفي هَذا تَخْويفٌ لِمَنْ كَذَّبَ الرَّسولَ ، وَبُشْرى لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ تَعالى لأُولئِكَ المُشْرِكينَ المُطالِبينَ بِالآياتِ الَّتي قَدْ تَكونُ سَبَبَ هَلاكِهِم : لَقَدْ أَنْزَلْنا لِهِدايَتِكُمْ وإِصْلاحِكُمْ كِتاباً عَظيمَ الشَّأْنِ ، فيهِ ما تَتَّعِظونَ بِهِ ، وَفيهِ ذِكْرٌ لَكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ ؛ لأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِكُمْ ، فَهُوَ شَرَفٌ لَكُمْ ، وَرَفْعٌ لِمَكانَتِكُمْ ، وَذِكْرٌ حَسَنٌ لَكُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، أَفَلا تَتَدَبَّرونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ فَتُؤْمِنونَ بِما جاءَكُم بِهِ رَسُولُكُمْ ؟

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

في هَذِهِ الآياتِ تَفْصيلٌ لِما أُجْمِلَ في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ : ﴿وأَهْلَكْنا المُسْرِفينَ﴾ . وَبَيانٌ لِكَيْفِيَّةِ إِهْلاكِهِمْ ، فإِنَّ كَثيراً مِنَ القُرى الظَّالِمَةِ الَّتي تَجاوَزَ أَهْلُها حُدودَ الحَقِّ ، أَبَدْناها وأَهْلَها بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ ، وَأَوْجَدْنا بَعْدَهُمْ قَوْماً آخَرينَ لَيْسوا مِثْلَهُمْ . وفي اسْتِعْمالِ الفِعْلِ (قَصَمْنا) ، وَهُوَ قَطْعُ الشَّيْءِ عَنْ أَصْلِهِ حَتَّى يَنْفَصِلَ عَنْهُ ، دَلالَةٌ عَلى شِدَّةِ الغَضَبِ المُناسِبِ لِحالِ هَؤلاءِ الظَّالِمينَ .

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَصْويرٌ لِحالِ القَوْمِ المُهْلَكينَ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ ، فإِنَّهُمْ عِنْدَما شَعَروا بِما يَتَهَدَّدُهُمْ مِنَ العَذابِ ، وَأَيْقنوا نُزولَهُ بِهِمْ ، سارَعوا إلى الخُروجِ والهَرَبِ مِنْ قُراهُم بِسُرْعَةٍ

وذُعْرٍ ، ظَنّاً مِنْهُمْ أنَّ ذَلِكَ الفِعْلَ سيُنْجيهِم مِنَ العَذابِ .

﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ .

فيُقالُ لَهُمْ عَلى سبيلِ التَّهَكُّمِ والاسْتِهْزاءِ : لا تَهْرُبوا ، وَعودوا إلى ما نَعِمْتُمْ بِهِ مِنَ العَيْشِ الهنيءِ ، وَإِلى مَساكِنِكُمُ الَّتي كُنْتُمْ تَسْكُنونَها ، وَتَتَفاخَرونَ بها ، لعلَّ غيرَكمْ مِنَ النَّاسِ يَقْصِدُكُمْ لِيَسْأَلَكُمْ عَمَّا نزَلَ بِكُمْ فتُجيبوهُ عَنْ عِلْمٍ وَمُشاهَدَةٍ ، أَوْ بلسانِ حالِكُمْ ، وأنَّى لَهُمْ أنْ يَرْجِعوا ، وَقَدْ حَلَّ بِهِمُ العَذابُ ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ عِزُّهُمْ وَشَرَفُهُمْ وَدُنياهُمْ ، وَحَضَرَ نَدَمُهُمْ وَتَحَسُّرُهُم ، ولذا :

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ .

وَذَلِكَ حِينَ رَأَوُا العَذابَ مُطْبِقاً عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطيعوا الهَرَبَ ، وَيَئِسوا مِنَ النَّجاةِ ، فَدَعَوْا على أنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ والوَيْلِ ، وأقَرُّوا على أنْفُسِهِم بالظُّلْمِ .

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ .

وما زالوا يُرَدِّدونَ هَذِهِ المَقالَةَ ، ويَدْعونَ عَلى أنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ والهَلاكِ ، حَتّى عَمَّهُمُ العَذابُ ، وأَصْبَحوا كالنّباتِ المَحْصودِ بالمَناجِلِ ، وَكالنَّارِ الخامِدَةِ بَعْدَ اشْتِعالِها ، جَزاءَ كُفْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ ، وَجَزاءَ ما كَسَبَتْ أَيْديهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الأَنْبياءُ والرُّسُلُ بَشَرٌ يَأْكلونَ وَيَشْرَبونَ وَلَهُمْ أَزْواجٌ وَذُرِّيَّةٌ وَلَيْسوا مَلائِكَةً .

٢ـ الرُّجوعُ إلى أَهْلِ العِلْمِ والفِقْهِ بما يَشْكُلُ ويَحْتاجُ إلى جَوابٍ .

٣ـ كِتابُ اللهِ عِزُّ هذهِ الأُمَّةِ ومُعْلِي شَأْنِها .

٤ـ صِدْقُ وَعْدِ اللهِ لِلأَنْبياءِ وأَتْباعِهِمْ بِنَصْرِهِمْ وإهْلاكِ المُكَذِّبينَ .

٥ـ قَدْ يَحِلُّ العَذابُ بالكُفَّارِ في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ .

٦ـ جَوازُ الاسْتِهْزاءِ بالمُشْرِكِ الظَّالِمِ إذا حَلَّ بِهِ العَذابُ تَوْبيخاً لَهُ .

٧ـ شِدّةُ الهَوْلِ تُفْقِدُ المَرْءَ رُشْدَهُ وَصَوابَهُ فَيَتَصَرَّفُ على غَيْرِ هُدىً .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ الرُّسُلَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في هَذهِ الآياتِ ؟

٢ـ ما مَعْنى ﴿فيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ ؟

٣ـ ما سَبَبُ رَكْضِ الظَّالمينَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمُ العَذابَ ؟ وَهَلْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ ؟

٤ـ لِماذا يَدْعوا الظَّالِمونَ عَلى أَنْفُسِهِم بالوَيْلِ ؟

٥ـ بِماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكَريمَةُ حالَ المُهْلَكِينَ بالعَذابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ جاءَ في الآيةِ الكَريمَةِ (٧) الحَثُّ عَلى السُّؤالِ لِطَلَبِ العِلْمِ ، وَضِّحْ ذَلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سورةِ إبْراهيمَ الآياتِ الَّتي فيها الوَعْدُ لِلرُّسُلِ بإنْجائِهِمْ ، وإهْلاكِ أَعْدائِهِمْ .

٣ـ تَخَيَّلْ مَنْظَرَ قَوْمٍ مِنَ الظَّالِمينَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ العَذابُ . كَيْفَ يَكونُ تَصَرُّفُهُمْ وَكلامُهُمْ ، وَدَوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ والأَرْبعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَهْواً	: ما يُتَلَهَّى بِهِ .
نَقْذِفُ	: نَرْمي .
فَيَدْمَغُهُ	: يَمْحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ .
زاهِقٌ	: زائِلٌ ذاهِبٌ .
الوَيْلُ	: العَذابُ .
لا يَسْتَحْسِرونَ	: لا يَتْعَبونَ .
لا يَفْتُرونَ	: لا يضْعُفونَ .
يُنشِرونَ	: يُحيونَ المَوْتى .


التفسيرُ :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ أنَّ خَلْقَ السَّماءِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما مِنْ عَجائِبِ الكَوْنِ ، ومِنْ مَخْلوقاتٍ لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ لَمْ يَكُنْ عَبَثاً ولَعِباً ، وإِنَّما خَلَقَهُما لِيُعْبَدَ ويُطاع ، ولِيَعْرِفَ العِبادُ الخالِقَ المَعْبودَ .

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

وأنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَوْ أَرادَ ـ عَلى سَبيلِ الفَرَضِ والتَّقْديرِ ـ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مِمّا يُتَلَهَّى بِهِ أوْ أنْ يَتَّخِذَ زَوْجَةً أوْ وَلَداً ، لاتّخَذَهُ مِمّا يَليقُ بِمَقامِهِ العَليِّ ، لا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلكَ أحَدٌ ، وَلَكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَمْ يُرِدْ مِثْلَ هذا الأَمْرِ لِمُنافاتِهِ الحِكْمَةَ ، فَهُو واحِدٌ أحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ نَفى اللهُ سُبْحانَهُ عَنْ ذاتِهِ إرادَةَ اللَّهْوِ أوِ اتِّخاذِهِ ، بَيَّنَ ما يَقْتَضيهِ شَأْنُهُ وحِكْمَتُهُ ، وَهُوَ أنْ يُلْقِيَ بالحَقِّ الَّذي أُرْسِلَ بِهِ الرُّسُلُ عَلى الباطِلِ الَّذي تَشَبَّثَ بِهِ الفاسِقونَ فَيَقْهَرَهُ ويُهْلِكَهُ ويُزيلَهُ إزالَةً تامَّةً ، والوَيْلُ لِلْكافِرينَ الَّذينَ نَسَبوا إلى اللهِ ما لا يَليقُ بِهِ .

والتَّعبيرُ القُرْآنيُّ البَليغُ يَرْسُمُ هَذهِ السُّنَّةَ الرَّبانِيَّةَ في صورَةٍ حَيَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ ، فَكأَنَّ الحَقَّ قَذيفَةٌ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ ، فَتَهْوي عَلى الباطِلِ وَتَشُقُّ دِماغَهُ ، فإذا هُوَ هالِكٌ ذاهِبٌ ، فإنَّ الدَّمْغَ هُوَ شَجُّ الرَّأْسِ حَتَّى يَبْلُغَ الدماغَ .

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَلَهُ تعالى جَميعُ مَنْ في السّماواتِ والأَرْضِ ، خَلْقاً ومُلْكاً وتَدْبيراً وَتَصْريفاً وإحياءً وإماتَةً ، لا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُم عَنْ قُدْرتِهِ وعِلْمِهِ سُبْحانَهُ ، ومَنْ عِنْدَهُ مِنْ مَخْلوقاتِهِ وَهُمُ المَلائِكَةُ ، لا يَسْتَكبِرونَ عَنْ عِبادَتِهِ بلْ يَخْضَعونَ لَهُ خُضوعاً تامّاً ، ولا يَتْعَبونَ في عِبادَتِهِ ولا يَكِلُّونَ .

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المَلائِكَةُ يَذْكُرونَ اللهَ تَعالى وَيُنَزِّهونَهُ طَوالَ اللَّيلِ والنَّهارِ مِنْ دونَ أنْ يَضْعُفوا عَنْ ذلكَ ، أوْ يَمَلُّوا مِنْهُ ، فقدْ خُلِقوا لِلْعِبادَةِ والطَّاعَةِ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ دَلائِلَ وحدانِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، وأنَّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِلْكٌ لَهُ ، وأنَّ المَلائِكَةَ في طاعتِهِ ، عادَ إلى تَوْبيخِ المُشْرِكينَ وَذَمِّهِمْ وَتَسْفيهِ أحْلامِهِمْ ، وَأَتى التَّوْبيخُ في هَذهِ الآيَةِ على هَيْئَةِ الاسْتِفْهام : هَل اتّخَذَ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ آلِهَةً مِنْ مَوادِّ الأرضِ كالحِجارةِ والذّهَبِ والخَشَبِ قادِرَةً على بَعْثِ المَوْتى ؟ كَلاَّ ، إنّها لَيْسَتْ آلِهَةً ، وَلَيْسَتْ قادِرَةً على شَيْءٍ ، فَضْلاً عَنْ قُدْرَتِها على الإحْياءِ . فَكَيْفَ عَبَدوها ؟ إنَّ هذا لَمِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ على سَفاهَتِهِمْ وجَهْلِهِم وسوءِ تَفْكيرِهِمْ .

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

هذا بُرْهانٌ على وَحْدانيَّةِ اللهِ ، إذْ لَوْ كانَ في الوُجودِ آلِهَةٌ غَيْرُ اللهِ لَفَسَدَ نِظامُ الكَوْنِ كُلُّهُ ، لِما يَحْدُثُ بَيْنَ الآلِهَةِ مِنَ الاخْتلافِ والتَّنازُعِ في الخَلْقِ والتَّدْبيرِ ، فَلَمَّا كانَ هذا الكَوْنُ يَسيرُ بِنظامٍ بَديعٍ مُحْكَمٍ دَلَّ على أنَّ لَهُ خالِقاً واحِداً قادِراً حَكيماً ، وَهُوَ خالِقُ العَرْشِ العَظيمِ ، المُنَزَّهُ عَنْ صِفاتِ النَّقْصِ ، والَّذي لا يَحْتاجُ إلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وهوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ ، وَعَنْ أنْ يكونَ لهُ زَوْجَةٌ وَوَلَدٌ ، كما يَصِفُهُ بِذلكَ الجاهِلونَ المُلْحِدونَ .

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

ولا يُسْأَلُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَمَّا يَفْعَلُ لأنَّهُ مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، ولأَنَّهُ حَكيمٌ في أَفْعالِهِ ، فلا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ عمّا يفْعَلُهُ بِعِبادِهِ مِنْ إعْزازٍ وإذْلالٍ ، وهِدايةٍ وإضْلالٍ ، وصِحَّةٍ ومَرَضٍ ، وَهُمْ : أَيِ الخَلْقُ ، جَميعاً يُسْأَلونَ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ أَعْمالِهِمْ وأَقْوالِهِمْ لأنَّهُمْ عَبيدٌ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

أَعادَ اللهُ تعالى الإنكارَ على المُشْرِكينَ اتّخاذَهُمْ آلهةً مِنْ دونِ اللهِ تَقْريعاً لَهُمْ ، وإظْهاراً لِجَهْلِهِمْ ، وَوَجَّهَ نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُطالِبَهُمْ بِالدَّليلِ على ما يَزْعُمونَهُ مِنْ جِهَةِ العَقْلِ والنَّقْلِ ، فإنَّهُ لا صِحَّةَ لِقَوْلٍ لا دَليلَ عَلَيْهِ ، ولا سِيَّما في هذا الأمْرِ الخَطيرِ . وَهذا الوَحْيُ الإلهيُّ المُنَزَّلُ على النَّبيِّ ﷺ وهُوَ القُرْآنُ الكَريمُ ، وَهذهِ الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ التي أُنْزِلَتْ على مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ كالتَّوراةِ والإنْجيلِ ، انْظُروا فيها لِتَجِدوا الأَمْرَ بالتَّوْحيدِ والنَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ .

ثُمَّ انْتَقلَ ـ سُبْحانَهُ ـ مِنَ الأَمْرِ بِتَبكيتِهِمْ وَمُناقَشَتِهِم إلى الأَمْرِ بالإعْراضِ عَنْهُمْ ، فإنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ الحَقَّ ، وَلِذا هُمْ مُنْصَرِفونَ عَنْهُ إلى الباطلِ والضّلالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الكَوْنُ مَخْلوقٌ لِيَكونَ مُعَبِّداً للهِ ، وَلَيْسَ لَهْواً وَلَعِباً .

٢ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّهوِ واللَّعِبِ والزَّوْجَةِ والوَلَدِ والشَّريكِ .

٣ـ كُلُّ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ مَخْلوقٌ مَمْلوكٌ للهِ ، وَخَلْقُهُمْ جَميعاً يَنْفي أَنْ يَكونَ فيهِمْ أَبْناءٌ للهِ .

٤ـ الباطِلُ لا يَقْوى على مُغالَبَةِ الحَقِّ ، وَهُوَ أَمامَهُ مَهْزومٌ لا مَحالَةَ .

٥ـ الاجْتِهادُ في العِبادَةِ مِنْ دونِ كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ تَشَبُّهاً بالمِلائِكَةِ الكرام .

٦ـ سَفاهَةُ مَنْ عَبَدَ مَنْ لا يُحيي ويُميتُ ، ولا يَمْلِكُ نَفْعاً ولا ضَرّاً .

٧ـ اسْتِقْرارُ الكَوْنِ ونِظامُهُ دَليلٌ على وَحْدَةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٨ـ اسْتِحبابُ طَلَبِ الدَّليلِ على الأمْرِ ، فلا صِحَّةَ لِقَوْلٍ لا دَليلَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ خَلْقُ السّماءِ والأَرْضِ لَمْ يَكُنْ عَبَثاً ، إنَّما كانَ لِحِكْمَةٍ أَرادَها اللهُ. . . وضِّحْ ذلكَ .

٢ـ بَيِّنْ جَمالَ صُورَةِ غَلَبَةِ الحَقِّ على الباطِلِ كَما ذُكِرَتْ في الآيةِ الكريمةِ .

٣ـ صِفْ عِبادَةَ الملائِكَةِ .

٤ـ في الآياتِ أَدِلَّةٌ نَقْلِيَّةٌ وعَقْلِيَّةٌ على تَوْحيدِ اللهِ ، وَنَفْيِ الشَّريكِ عَنْهُ ، بَيِّنْها .

فائدةٌ :

سُئِلَ أَحَدُ العُلَماءِ عَنِ المَلائِكَةِ : كَيْفَ يُسَبِّحونَ اللَّيلَ والنّهارَ لا يَفْتُرونَ ؟ أَلا يَشْغَلُهُمْ شأْنٌ أَوْ حاجةٌ عَنْهُ ؟ فَقالَ لِلسَّائِلِ : أَلَسْتَ تأكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَقومُ وتَجْلِسُ وتجيءُ وَتَذْهَبُ وأَنْتَ تَتَنفَسُ ؟ فَكذلِكَ جُعِلَ لَهُم التَّسْبيحُ كَما جُعِلَ لَنا النَّفَسُ[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورَةَ الإِخْلاصِ وَتَفْسيرَها .

٢ـ اكْتُبْ في حُدودِ الصَّفْحَةِ مَوْضوعاً حَوْل (عِمارَةِ الكَوْنِ دَليلُ وَحْدانيةِ اللهِ) واقْرَأْهُ على زُمَلائِكَ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

---

(١) ابنُ الجَوْزِيِّ ، زادُ المسيرِ ٥/ ٣٤٥ .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والأَرْبَعونَ

سورةُ الأنبياءِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُشْفِقونَ : خائِفونَ .

رَتْقاً : مُلْتَصِقَتَيْنِ .

فَفَتَقْناهُما : فَصَلْناهُما عَنْ بَعْضِهِما .

رَواسيَ : جِبالاً ثابِتَةً .

تَميدُ : تَضْطَرِبُ .

فِجاجاً سُبُلاً : طُرُقاً واسِعَةً .

مَحْفوظاً : مَصوناً مِنَ الوُقوعِ أَوِ التَّغيُّرِ .

يَسْبَحونَ : يَدورونَ .



تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ بَشَرِيَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وَوَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ وَتَنَزُّهِهِ عَنِ الشِّرْكِ ، قال اللهُ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ بيانٌ أَنَّ جَميعَ الرُّسُلِ قَدْ أَمَروا أَقْوامَهُمْ بإخلاصِ العِبادَةِ للهِ ، وَنَبْذِ الشِّرْكِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ رَسولٍ إلاَّ وأَعْلَمْناهُ بِواسَطةِ الوَحْيِ أنَّه لا إلهَ يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ بِحَقٍّ ، والطَّاعةَ إلاّ اللهُ ، فَلْتَكُنِ العِبادَةُ بِصُوَرِها وأَشْكالِها كافَّةً مُوَجَّهَةً إلى اللهِ وَحْدَهُ ، خالِصَةً لَهُ سُبْحانَهُ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ عمَّا افْتراهُ بَعْضُ المُشْرِكينَ مِنْ نِسْبَةِ الوَلَدِ إليْهِ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

قالَ فَريقٌ مِنَ المُشْرِكينَ : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ ، كَما قالَتِ اليَهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ ، وَقالَتِ النَّصارى المَسيحُ ابنُ اللهِ ، تَنَزَّهُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ ذَلِكَ ، وَعَلا عمَّا يَقولونَ عُلُوّاً كَبيراً ، وَكَذَبَ هَؤلاءِ المُفْتَرونَ ؛ فإنَّ المَلائِكَةَ والأَنْبياءَ عِبادٌ للهِ تَعالى ، وَمُقَرَّبونَ إليْهِ ، ومُكْرَمونَ عِنْدَهُ .

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المَلائِكَةُ لا يَتَكَلَّمونَ إلاَّ بِما يَأْمُرُهُمُ اللهُ بِهِ ، وَلا يَقولونَ شَيْئاً ، ولا يَعْمَلونَ عَمَلاً إلاَّ بِأَمْرِهِ وإِذْنِهِ سُبْحانَهُ ، ولا يُخالِفونَ رَبَّهمْ في أَمْرٍ مِنَ الأَوامِرِ .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ أَحْوالَهُمْ كُلَّها ؛ صَغيرَها وكَبيرَها ، مُتَقَدِّمَها ومُتَأَخِّرَها ، وَلِعِلْمِهِمْ بهذا فَهُم لا يُقْدِمونَ على قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ سُبْحانَهُ ، ولا يَشْفَعونَ إلاَّ لِمَنْ يَعلَمونَ رِضا اللهِ عَنْهُ وقَبولَ شَفاعَتِهِمْ فيهِ ، وَهُمْ ، لِخَوْفِهِم مِنَ اللهِ تَعالى وَمِنْ عِقابِهِ ، حَذِرونَ وَجِلونَ .

﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وَلَو ادَّعى أَحَدٌ مِنْهُمْ على سَبيلِ الفَرَضِ أَنَّهُ إلَهٌ ، فإنَّ جَزاءَهُ عَلى ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ ، حَيْثُ يُلْقَى في جَهنَّمَ كَسائِرِ المُجْرِمينَ ، ولا يُغْني عَنْهُ ما سَبَقَ مِنْ طاعَةٍ وَعِبادَةٍ ، ومِثْلَ هَذا الجَزاءِ الفَظيعِ

يُجْزَى كلُّ ظالِمٍ يَتجاوَزُ الحَدَّ ، ويَضَعُ الأُمورَ في غَيْرِ مَوْضِعِها .

وَهَذا الافْتِراضُ والتَّقديرُ لَمْ يَقَعْ لِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّهُ لا يَصْدُرُ عَنِ المَلائِكَةِ والأَنْبياءِ مِثْلُ هذا الادِّعاءِ فَهُمْ عِبادٌ مُكْرَمونَ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

في هذهِ الآياتِ أدِلَّةٌ كَوْنِيَّةٌ مُشاهَدَةٌ تَدُلُّ على وَحْدانيَّةِ اللهِ وتَنَزُّهِهِ عَنِ الشَّريكِ ، وَلَقَدْ صُدِّرَتْ هذهِ الآيةُ باسْتِفْهامِ تَوْبيخٍ لِلْكافِرينَ ، لِتَقْصيرِهِمْ في التَّدَبُّرِ في الآياتِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ على انْفِرادِهِ سُبْحانَهُ بالألوهيَّةِ . والرُّؤيةُ هنا قَلْبيَّةٌ ، وَمِنْ هَذهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالَةِ على عَظَمَةِ اللهِ : أَنَّ السَّماواتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا أيْ مُتَّصِلَتَيْنَ ، فَفُصِلتا عَنْ بَعْضِهما ، وَتَكَوَّنَتْ نَتيجَةَ ذَلِكَ الفَصْلِ الشَّمْسُ والنُّجومُ والكَواكِبُ ، وأدَّى ذَلِكَ إلى أنْ تَبْتَعِدَ الأَرْضُ عَنْ غَيْرِها بالمِقْدارِ الّذي أَرادَهُ اللهُ ، وَتَبْرُدَ قِشْرَتُها ، وتَظْهَرَ فيها البِحارُ والأَنْهارُ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانيَّتِهِ ، ما ذَكَرَتْهُ الآيَةُ مِنْ أَنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ جَعَلَ مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، فالماءُ أَصْلُ الحَيواناتِ ، وَمُهِمٌّ جِدّاً لِحَياةِ النَّباتِ ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ الحَياةُ مِنْ دونِهُ ، كما أَنَّهُ أَكْثَرُ العناصِرِ وُجوداً في الحَيوانِ والنَّباتِ . أَفَلا يُؤْمِنُ هَؤلاءِ الكافِرونَ بَعْدَ رُؤْيَتِهِمْ هذهِ الآياتِ الباهِرَةَ الظَّاهِرةَ الدَّالَّةَ على الخالِقِ الحكيمِ .

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على اللهِ تعالى : أَنَّهُ جَعَلَ في الأَرْضِ جِبالاً ثابِتَةً راسِخَةً ، حتَّى لا تَتَحَرَّكَ الأَرْضُ وتَضْطَرِبَ ، وَقَدْ ثَبَتَ لَدى العُلَماءِ حَديثاً ما تَقومُ بِهِ الجِبالُ مِنْ دَوْرٍ كَبيرٍ في تَثْبيتِ قِشْرَةِ الأَرْضِ الظَّاهِرِيةِ ، فَهِيَ بِمَثابةِ الأَوْتادِ ، وَلَوْلاها لَتَشقَّقَتِ القِشْرَةُ الأَرْضيَّةُ ، وَطَغَتِ المِياهُ عَلى سَطْحِ الأَرْضِ ، واسْتَحالَتِ الحَياةُ .

وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ بِعِبادِهِ جَعَلَ بَيْنَ هذهِ الجبالِ مَسالِكَ وَطُرُقاً واسِعَةً كَيْ يَسْتَخْدِمَها النَّاسُ في تَنَقُّلِهِمْ ، وَجَعَلَ في الأَرْضِ مَنافِذَ مُتَعَدِّدَةً ، لَعَلَّهُمْ بِذَلكَ يَهْتَدونَ وَيَصِلونَ إلى الأَماكِنِ الَّتي يُريدون الوُصولَ إلَيها ، وَهَذا مِنْ تَذْليلِ الأرضِ لِلنَّاسِ وَتَسْخيرِها لَهُمْ .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ ، وَبَديعِ خَلْقِهِ هَذهِ السَّماءُ الَّتي جَعَلَها ـ سُبْحانَهُ ـ عَلى هَيْئَةِ السَّقْفِ لِلأَرْضِ ، وَحَفِظَها مِنَ الوُقوعِ والسُّقوطِ أَوِ التَّشَقُّقِ والانْفِطارِ ، مَعَ ما في جَوِّها مِنْ كَواكِبَ وَنُجومٍ وبُروجٍ تُزَيِّنُها وتَحْفَظُها ، وَلكنَّ المُشْرِكينَ مُعْرِضونَ عَنِ التَّفَكُّرِ في هذهِ الآياتِ العظيمةِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

ومِنَ الآياتِ الدّالّةِ على وَحْدانيّةِ اللهِ وَقُدْرَتِه ، خَلْقُ اللّيلِ والنّهار وجَعْلُهما مَبْنيّين على حَرَكَةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ ، وفي اختلافِ اللّيلِ والنَّهارِ آيةٌ عَظيمةٌ ، وَدَلائِلُ باهِرَةٌ على الخالِقِ المُدَبِّرِ ، كما أنَّ الشَمْسَ والقَمَرَ وسائِرَ النُّجوم تَدورُ في هذا الكَوْنِ الواسِعِ في أَفْلاكِها المُقَدَّرَةِ لَها ، لا تَتقدَّمُ عَنْ مَسارِها ولا تَتأَخَّرُ عَنْهُ ، في نِظامٍ بَديعٍ مُتْقَنٍ مُحْكَمٍ غايةَ الإِحْكامِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الرُّسُلِ واحِدَةٌ وهِيَ تَوْحيدُ اللهِ وَعِبادَتُهُ .

٢ـ تَحْذيرُ الطّائِعينَ مِنَ الانْحِرافِ والمَيْلِ عَنِ الحَقِّ فَيَحْبَطُ عَمَلُهُمْ وَيَخْسَروا ما قَدَّموا .

٣ـ كَثْرَةُ الآياتِ الكَوْنيَّةِ المُشاهَدةِ الدّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَتَفَرُّدِه بالخَلْقِ والإِبْداعِ .

٤ـ العِلْمُ الحَديثُ يَكْشِفُ ما بيَّنَهُ كِتابُ اللهِ تَعالى مِنْ أَسْرارِ هَذا الكَوْنِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ المَلائِكَةَ والأَنْبياءَ في هَذهِ الآياتِ ؟

٢ـ بِماذا تَوَعَّدَ اللهُ مَنْ يَخْرُجُ على طاعَتِهِ والْتِزامِ أَمْرِهِ ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٣ـ عَدِّدِ الآياتِ الكَوْنِيَّةَ المَذْكورَةَ في هذا الدَّرْسِ ، وَبَيِّنْ دَلالَةَ كُلٍّ مِنْها على اللهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما .

ب ـ رَواسيَ أَنْ تَميْدَ بِهِمْ .

ج ـ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون .

٥ـ اكْتُبْ في كُلِّ فَراغٍ ما يُناسِبُهُ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ، ثُمَّ بيِّنِ المَعْنى :

أـ وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ .... سُبْحانَهُ .

ب ـ لا يَسْبِقونَهُ بالقَوْلِ وَهُمْ بأَمْرِهِ ....

ج ـ وَهُمْ مِنْ .... مُشْفِقونَ .

د ـ وَجَعَلْنا السَّماءَ .... مَحْفوظاً .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورَةِ مَرْيَمَ الَّتي تُبَيِّنُ شَناعَةَ ادِّعاءِ الكافِرينَ بِنِسْبَةِ الوَلَدِ للهِ سُبْحانَهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَظائِفَ الجِبالِ كَما أَرادَها اللهُ تَعالى .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتُ سورَةِ الغاشِيَةِ الدَّالَّةُ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ اخْتَرْ إحدى الآياتِ الكَوْنِيَّةِ المَذْكورَةِ في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ ، وبيِّنْ ما فيها مِنَ الدَّلالَةِ على عَظَمَةِ الخالِقِ ، مُسْتَعيناً بالكُتُبِ المُتَخَصِّصَةِ ، والرُّسوماتِ والصُّوَرِ التَّوضيحيَّةِ ، وَضَعْ ما تَتَوَصَّلُ إِلَيهِ في مجلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والأَرْبَعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الخُلْدَ	: البَقاءَ في الدُّنيا .
نَبْلُوكُمْ	: نَخْتَبِرُكُمْ .
خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ	: خُلِقَ الإنْسانُ مُتَّصِفاً بِصِفَةِ الاسْتِعجالِ .
لا يَكُفُّونَ	: لا يَمْنَعونَ .
بَغْتَةً	: فَجْأَةً .
فَتَبْهَتُهُمْ	: تُحَيِّرُهُمْ وتُدْهِشُهُمْ .

التَّفسيرُ :

ذَكَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ السَّابِقِ بَعْضَ الأدِلَّةِ الكَوْنِيَّةِ المُشاهَدَةِ الدَّالَّةِ على وَحْدانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ . وفي هَذهِ الآياتِ بَيانٌ لِبَعْضِ صِفاتِ البَشَرِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

اقتَضَتْ سُنَّةُ اللهِ في هذهِ الحياةِ أنْ لا يُخَلَّدَ أَحَدٌ فيها ، وَفي هَذهِ الآيةِ يُخْبِرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ مُحمَّداً ﷺ أنَّهُ لَمْ يُخالِفْ هَذهِ القاعِدَةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وأَنَّها سَتَجْري عَلَيْهِ ، وَعَلى أَعْدائِهِ مِنَ المُشْرِكينَ ، فَكُلُّ واحِدٍ سَيموتُ في الوَقْتِ الَّذي حَدَّدَهُ اللهُ لَهُ ، فَلَمْ يُخَلَّدْ في هذهِ الدُّنْيا أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وَلَنْ يُخَلَّدَ فيها أَحَدٌ بَعْدَكَ ، لأنَّ المَوْتَ مَصيرُ كُلِّ مَخْلوقٍ في هَذهِ الدُّنْيا .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ تأْكيدٌ لِما سَبَقَ تَقْريرُهُ في الآيةِ السَّابِقَةِ ؛ فالمَوْتُ واقِعٌ على كُلِّ نَفْسٍ في هَذهِ الآيةِ ، وَلَهُ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ في عِلْمِ اللهِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ هذهِ الحَياةَ إنَّما هِيَ للابْتِلاءِ والاخْتِبارِ ، وَقَدْ يَكونُ الابْتِلاءُ بأنواعٍ مِنَ الشَّرِ والخَيْرِ ، كالمَرَضِ والصِّحَّةِ ، والفقْرِ والغِنى ، فالابْتِلاءُ بالنِّعَمِ لِيَظْهَرَ الشَّاكِرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، والابْتِلاءُ بالمِحَنِ لِيَظْهَرَ الصَّابِرُ عِنْدَنا ﴿وإلينا تُرْجَعونَ﴾ بَعْدَ المَوْتِ لِلحِسابِ والجَزاءِ .

وفي الآيةِ التَّاليةِ إحْدى صُوَرِ الابْتِلاءِ ؛ فَقَدِ ابْتَلى اللهُ تَعالى الكُفَّارَ ببِعثَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وإذا أبْصَرَكَ المُشْرِكونَ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ سَخِروا مِنْكَ واستَخَفُّوا بكَ ، وَقالوا عَلى سَبيلِ الانْتِقاصِ مِنْكَ : أَهذا الَّذي يَعيبُ آلهَتَكُمْ ، والحالُ أنَّهُمْ كافِرونَ بالقُرْآنِ ، وَبما جِئْتَ بهِ مِنْ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى كالرَّحْمنِ وَغَيْرِهِ ، عاكِفونَ على عِبادَةِ آلِهَتِهِمُ المَزْعومَةِ ، فَهُمْ أَحَقُّ بأنْ يُتَّخَذوا هُزُواً ، فإنَّكَ مُحِقٌّ وَهُمْ مُبْطِلونَ ، وَهُمْ يَسْتَكْثِرونَ على الرَّسولِ ﷺ أنْ يَذُمَّ آلهَتَهُمْ ، ولَمْ يَسْتَكْثِروا على أَنْفُسِهِمْ أنْ يَكْفُروا بخالِقِهِمْ وَبما أنْزَلَهُ على نَبيِّهِ ﷺ .

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بَيانٌ لِصِفَةٍ جُبِلَ عَلَيْها البَشَرُ ؛ أيْ أنَّ الإنْسانَ خُلِقَ مَطْبوعاً وَمَجْبولاً على العَجَلَةِ والتَّسَرُّعِ ، فَتَراهُ يَسْتَعْجِلُ حُدوثَ الأَشْياءِ قَبْلَ وَقْتِها المُحَدَّدِ لَها ، حتَّى لَكَأَنَّهُ مَخْلوقٌ مِنْ نَفْسِ التَّعَجُّلِ . وَهَذا خِطابٌ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ كانوا يَطْلُبونَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ تعْجيلَ العَذابِ ، فَيَقولُ لَهُمْ إنَّهُ آتٍ لا رَيْبَ فيهِ وسَيَرَوْنَهُ فلا داعِيَ لاسْتِعْجالِهِ. وَمِنِ اسْتِعْجالِ المُشْرِكينَ ما ذكَرَتْهُ الآيةُ التاليةُ:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

فَهُمْ يَسْأَلونَ عَنِ العَذابِ الَّذي يُوعَدونَهُ ، وَيَتَرَقَّبونَهُ ، ويَسْتَعْجِلونَ حُصولَهُ ، قائِلينَ

لِلرَّسولِ ﷺ والمُؤْمِنينَ مَعَهُ : إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في وَعْدِكُمْ فَأَنْزِلوا بِنا العَذابَ أَوِ ادْعوا رَبَّكُمْ أنْ يُنْزِلَهُ بنا وَهُمْ يَقولونَ هَذا على سَبيلِ التَّهَكُّمِ والاسْتِهْزاءِ ، فإنَّهُمْ لَوْ عَلِموا ما يَنْتَظِرُهُمْ ، وأَيْقَنوا بِهِ لَما قالوا هَذا الكَلامَ .

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أي : لَوْ يَعْرِفُ الكافِرونَ حَقّاً ما سَيَحْصَلُ بِهِمْ حينَ يَقَعُ بِهِمُ العذابُ ، وما فيهِ مِنْ فَظائِعَ تَجْعَلُهُمْ عاجِزينَ عَنْ دَفْعِ النَّارِ عَنْ وُجوهِهِم وَعَنْ ظُهورِهِمْ ، ولا يَجِدونَ مَنْ يُنْقِذُهُمْ مِنْ هذا العَذابِ الرَّهيبِ ؛ لَوْ عَرَفوا ذَلِكَ لَما اسْتَعْجَلوا العَذابَ ، وَلَما اسْتَخَفُّوا بالنَّبِيِّ ﷺ وبِأَصْحابِهِ .

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لكنَّهُمْ أصَرُّوا على باطِلِهِمْ ، فَسَوْفَ يَكونُ حُصولُ السَّاعةِ فَجْأَةً وَهُمْ غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ لها فَتَدَعُهُمْ مَدْهوشينَ مُتَحَيِّرينَ ، لا يَقْدِرونَ على صَرْفِها عَنْهُم ، ولا يُؤَخَّرونَ ، ولا يُمْهَلونَ لِتَوْبَةٍ أَوْ مَعْذِرَةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المَوْتُ حَقٌّ على الجَميعِ ، وَلَوْ نَجا مِنْهُ أَحدٌ لَكانَ أَوْلى النَّاسِ بِذلكَ رَسولُ اللهِ ﷺ .

٢ـ الابْتِلاءُ يَكونُ بالخَيْرِ كَما يَكونُ بالشَّرِّ ، فالسَّعَةُ والرّاحَةُ والصِّحَّةُ والنَّصْرُ ، مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ المُتَعَدِّدَةِ .

٣ـ المُشْرِكونَ أَحَقُّ بأنْ يُسْخَرَ مِنْهُم ؛ لِتَقْديسِهِمْ ما لا يَسْتَحِقُّ التَّقْديسَ ، ولِضَآلَةِ عُقولِهِمْ وسَطْحِيَّةِ تَفْكيرِهِمْ .

٤ـ الإنْسانُ مَطْبوعٌ على العَجَلَةِ ، ومَطْلوبٌ مِنْهُ أنْ يُهَذِّبَ هذا الطَّبْعَ بالصَّبْرِ والتَّرْبِيَةِ .

٥ـ تَقْريرُ عَجْزِ الكافرينَ عَنْ تَأْخيرِ العَذابِ أَوْ دَفْعِهِ ، أَوِ العُثورِ على مَنْ يُعينُهُمْ على ذَلكَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما أَهَميَّةُ ثُبوتِ عَقيدةِ حَتْميّةِ المَوْتِ عِنْدَ المُسْلِمِ ؟

٢ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ بالنِّعْمَةِ ، وخَمْساً مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ بالمِحْنَةِ .

٣ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَسْخَرونَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ ؟ وَبِماذا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثةً مِنْ مَظاهِرِ العَجَلَةِ عِنْدَ الإنْسانِ ، وَبَيِّنْ كَيْفَ يُمْكِنُ تَهْذيبُ هَذا الطَّبْعِ المَذْمومِ ؟

٥ـ هَلْ كانَ اسْتِعْجالُ المُشْرِكينَ لِلْعَذابِ حَقيقَةً أَمْ سُخْرِيَّةً ؟

٦ـ بَيِّنْ كَيْفَ سَيَكونُ حالُ المُكَذِّبينَ بالآخِرَةِ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الثّانِيَةَ مِنْ سورَةِ المُلْكِ وَبَيِّنْ عَلاقَتَها بالآيَةِ (٣٥) .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يُؤَكِّدُ سُرْعَةَ وُقوعِ عَذابِ يَوْمِ القِيامَةِ مِنْ آياتِ سورَةِ يس .

* * *

الدَّرْسُ الخَمْسونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حاقَ	: أحاطَ .
يَكْلَؤكُمْ	: يَحْفَظُكُمْ .
يُصْحَبونَ	: يُمْنَعونَ .
نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها	: نَفْتَحُها لِلْمُسْلِمينَ ، ونَجْعَلُها خاضِعَةً لِسُلْطانِ المُسْلِمينَ ، وفي هذا نَقْصٌ لأرْضِ المُشْرِكينَ .
نَفْحَةٌ	: شيْءٌ قليلٌ .
مِثْقالَ	: وَزْنَ .
خَرْدَلٍ	: حَبَّةُ الخَرْدَلِ مَثَلٌ في صِغَرِ الشَّيْءِ ، والخَرْدَلُ نَباتٌ لَهُ بُذورٌ صَغيرةٌ جداً .



التفسيرُ :

تَمْضي الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ ما كانَ عَلَيْهِ المُشْرِكونَ ، وَفيهِ تَثْبيتٌ لِلرَّسولِ ﷺ وَلِلْمُؤْمنينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

هَذهِ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ أَمامَ اسْتِهْزاءِ المُشْرِكينَ بهِ ، واللَّامُ لِلْقَسَمِ ، أيْ : واللهِ لَقَدِ اسْتُهْزِيءَ بِرُسُلٍ كِرامٍ ذَوي عَدَدٍ كثيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَأَحاطَ وَنزَلَ بالَّذينَ سَخِروا مِنْ أُولئكَ الرُّسُلِ الكِرام ، جَزاءَ اسْتِهْزائِهِمْ ، الهَلاكُ في الدُّنْيا ، والعَذابُ في الآخِرَةِ ، فَكذلِكَ حالُ هَؤلاءِ المُسْتَهْزِئينَ الَّذينَ يَسْتَهزئونَ بِكَ ؛ سيُصيبُهُمْ ما أَصابَ مَنْ قَبْلَهُمْ .

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِهَؤلاءِ المُسْتَهْزئينَ بِكَ ، وَبِما جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ : مَنِ الَّذي يَحْرُسُكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ حالَ نَوْمِكُمْ وَيَقَظَتِكُمْ مِنْ عَذابِ الرَّحْمنِ وَبَأْسِهِ إذا أَرادَ أَنْ يُهْلِكَكُمْ بسببِ كفرِكُمْ واسْتِهزائِكُم ؟ وَهُمْ بَعْدَ هذا التَّنْبيهِ والإنْذارِ مُعْرِضونَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِم ؛ لا يُحاوِلونَ الانْتِفاعَ بِتَوْجيهاتِهِ وإرْشاداتِهِ . وتَقْديمُ اللّيلِ على النَّهارِ في الآيةِ لأنَّ المَصائِبَ فيهِ أَعْظَمُ ، والأَخْذَ فيهِ أَشَدُّ ، واخْتارَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَفْظَ (الرَّحْمَنِ) لِلإشْعارِ بأَنَّهُمْ يَعيشونَ في خَيْرِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يَشْكُرونَهُ .

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

هذا اسْتِفهامٌ إنْكاريٌّ أيْ : أَيوجَدُ لِهؤلاءِ المُسْتَهْزِئينَ آلِهَةٌ تَحْميهِمْ مِنْ عَذابِ اللهِ ؟ والجَوابُ واضِحٌ ؛ أَنَّهُ لا توجدُ لَهُمْ آلِهَةٌ تَسْتَطيعُ حِمايَتَهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ إنْ أَرادَ إنْزالَهُ بِهِمْ ، فإنَّ آلِهَتَهُمْ لا تَسْتَطيعُ نَصْرَ نَفْسِها فَضْلاً عَنْ نَصْرِ غَيْرِها ، وَلا تَسْتَطيعُ مَنْعَ ما يَنْزِلُ بها مِنْ سوءٍ .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّ الَّذي حَمَلَ المُشْرِكينَ على الاغْتِرارِ والطُّغيانِ ، إمْلاءُ اللهِ لَهُمْ وَتَرْكُهُمْ يَتَمَتَّعونَ في النَّعيمِ والجاهِ ، وَقَدَّرَ لَهُمُ الآجالَ الطَّويلةَ ابتلاءً فَظَنُّوا أَنَّها لا تَزولُ عَنْهُم ، وأَنَّهُمْ على حَقٍّ ، فَأَخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإثْمِ ، وَلَمْ يَعْتَبِروا بما يُشاهِدونَهُ بِأَعْيُنِهِمْ مِنَ اضْمِحْلالِ الكُفْرِ وانْتِقاصِهِ تَدْريجيّاً ، وانْتِشارِ الإسْلامِ مَكانَهُ . فَهَلْ مَنْ كانَ هَذا حالُهُ في نَقْصٍ وَتَراجُعٍ هُوَ الغالِبُ ، أمْ مَنْ كانَ

حالُهُ في نُمُوٍّ وازْدِيادٍ ؟ وفي هَذهِ الآيةِ بِشارَةٌ عَظيمَةٌ لِلْمُسْلِمينَ الَّذينَ كانوا يُعانونَ مِنَ الضِّيقِ والإيذاءِ ، بأَنَّ الغَلَبَةَ لَهُمْ وأَنَّ الكُفْرَ في انْتِقاصٍ وَتَراجُعٍ أَمامَ انْتِشارِ الإسْلامِ وغَلَبَتِهِ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ في هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ أنْ يُبَلِّغَ المُشْرِكينَ أنَّهُ إنّما يُخَوِّفُهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ تَعالى ، وأَنَّ مَهَمَّتَهُ هِيَ الوَحْيُ الَّذي جاءَ بِهِ ، وَلكِنَّكُمْ أيُّها المُشْرِكونَ لِشِدَّةِ جَهْلِكُمْ وَعِنادِكُمْ كالصُّمِّ الَّذينَ لا يَسْمَعونَ الكَلامَ والإنْذارَ ، وَلا يَنْتَفِعونَ بِهِ .

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ .

وَلَئِنْ أَصابَ هَؤُلاءِ المُشْرِكينَ شَيْءٌ قَليلٌ وَيَسيرٌ مِنَ العَذابِ فإنَّهُمْ سَيَعْتَرِفونَ بِظُلْمِهِمْ ، وَيَدْعونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ .

وَفي هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ عِدّةُ أَلفاظٍ تُشيرُ إلى قِلَّةِ هذا العَذابِ ، فـ(إنْ) تُفيدُ التَّقْليلَ .

والمَسُّ : هو الإصابَةُ اليَسيرَةُ ، والنَّفْحَةُ هِيَ الشيْءُ القليلُ ، وَصيغَتُهُ تَدُلُّ على الإفرادِ ، أيْ نَفْحَةٌ واحِدَةٌ ، والتَّنْكيرُ فيها لِلتَّقليلِ ، و(مِنْ) لِلتَّبْعيضِ ، وَلَفْظُ (عَذاب) أَخَفُّ مِنْ لَفظِ (نكالٍ) أَوْ (عِقابٍ) ، وإِضافَتُهُ إلى لَفْظِ (ربِّكَ) بَدَلاً مِنَ الجَبَّارِ أَوِ القَهَّارِ يوحي بالإحْساسِ بِقِلَّةِ العَذابِ ، وَكَذلِكَ إضافَتُهُ إلى ضَميرِ النَّبيِّ ﷺ فَهِيَ تَخْفيفٌ وَتَلْطيفٌ ، وَمَعَ كُلِّ هَذهِ الأُمورِ الَّتي تُشيرُ إلى خِفَّةِ هذا العَذابِ الَّذي يُصيبُهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيَدْعونَ على أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ وَيَعْتَرِفونَ بِظُلْمِهِمْ ، فَكَيْفَ يَكونُ حالُهُمْ مَعَ العَذابِ الشّديدِ والعِقابِ الأَليمِ ؟

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَبْيينُ عَدْلِ اللهِ تَعالى بَيْنَ الخَلْقِ ؛ فَيُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ سَيُقيمُ المَوازينَ العادِلَةَ لِمُحاسَبَةِ النَّاسِ على أَعْمالِهِم يَوْمَ القِيامَةِ ، وَلإعْطاءِ كُلٍّ مِنْهُمْ ما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ثَوابٍ أَوْ عِقابٍ ، مِنْ دونَ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ إحْسانِ المُحْسِنِ شَيْئاً ، وَلا مِنْ إساءَةِ المُسيءِ شَيْئاً ، حَتَّى وإِنْ كانَتِ الأَعْمالُ في غايَةِ الصِّغَرِ والدِّقَّةِ فإنَّها تُوزَنُ ضِمْنَ سائِرِ العَمَلِ ، لأَنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ صاحِبُ العِلْمِ المُطْلَقِ المُحيطِ بِخَلْقِهِ ، وَلا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِهِم ، فَلَوْ كانَ العَمَلُ صَغيراً لا يَزِنُ إلاَّ حَبَّةَ خَرْدَلٍ يَأْتي بِهِ اللهُ سُبْحانَهُ ، ولا يُهْمِلُهُ ، وَكَفاكُم أيُّها النَّاسُ أنْ يَكونَ الَّذي يُحْصي لَكُمْ أَعْمالَكُمْ هُوَ رَبُّكُمُ الكريمُ الرحيمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالى تَشْمَلُ الخَلْقَ جَميعاً ، وَلا تَخْتَصُّ بالمُؤْمِنينَ مِنْ دونَ غَيْرِهِمْ .

٢ـ سُخْفُ عُقولِ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبُدونَ مالا ينفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهُم .

٣ـ يَغْتَرُّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ بِطولِ العُمُرِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَلَكنَّهُ امْتِحانٌ واخْتِبارٌ .

٤ـ عَدْلُ اللهِ تَعالى في الحِسابِ بَيْنَ الخَلْقِ ، وَضَبْطِ أَعْمالِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما جَزاءُ الاسْتِهْزاءِ بالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؟

٢ـ بِماذا وُصِفَت الآلِهَةُ المَعْبودَةُ في الآيَةِ ؟

٣ـ ما الَّذي حَمَلَ المُشْرِكينَ على الاغْتِرارِ بأنْفُسِهِمْ ؟

٤ـ لِماذا نَفى اللهُ السَّمْعَ عَنِ المُشْرِكينَ ؟

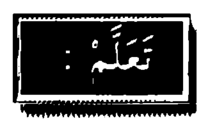
٥ـ دَلَّتِ الآيَةُ على أنَّ العَذابَ الَّذي سَيُصيبُ المُشْرِكينَ ، وَيُؤَدِّي إلى دُعائِهِمْ على أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ عَذابٌ قَليلٌ ، وَضِّحْ ذَلِكَ .

٦ـ هاتِ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمّا يلي :

أـ عَدْلِ اللهِ تَعالى يَوْمَ الحِسابِ .

ب ـ اعْترافِ الكافِرينَ بِكُفْرِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

ج ـ مَتاعِ الدُّنْيا يَغْتَرُّ بِهِ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ .



ذَهَبَ أَكْثَرُ المُفَسِّرينَ في تَفْسيرِ قَوْلِ اللهِ تَعالى : ﴿نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾ أَيْ نَفْتَحُها لِلْمُسْلِمينَ ، ونَجْعَلُها خاضِعَةً لِسُلْطانِهِمْ وفي هذا نَقْصٌ لأَرْضِ المُشْرِكينَ .

والصَّوابُ أَنَّ الآيَةَ تَتحدَّثُ عَنْ حَقيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ لا نَعْرِفُ كَيْفَ تَجْري واللهُ أَعْلَمُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ التَّي تُبَيِّنُ ضَعْفَ آلِهَةِ المُشْرِكينَ ، وعَدَمَ قُدْرَتِها على نَصْرِ مَنْ يَعْتَمِدونَ عَلَيْها ، مِمَّا جاءَ في سورةِ يس .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والخَمْسونَ

سورةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفُرْقانَ	: التَّوْراةَ ، لأَنَّها تَفْرُقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ .
مُشْفِقونَ	: خائِفونَ .
ذِكْرٌ	: القُرْآنُ الكَريمُ .
التَّماثيلُ	: الأَصْنامُ .
عاكِفونَ	: مُقيمون على عِبادَتِها .
فَطَرَهُنَّ	: خَلَقَهُنَّ .
لأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ	: لأَجْتَهِدَنَ كَي أُحَطِّمَها .
جُذاذاً	: قِطَعاً .



التفسيرُ :

انتَقلتِ الآياتُ الكَريمَةُ إلى ذِكْرِ عَدَدٍ مِنْ قَصَصِ الأَنْبياءِ الكرامِ . وَفي هَذهِ الآياتِ حَديثٌ عَنْ موسى وإبْراهيمَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَعْطى موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ التَّوْراةَ ـ كِتاباً جامِعاً فارِقاً بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وَضِياءً يُسْتَضاءُ بِهِ في ظُلُماتِ الجَهْلِ ، وَذِكْراً يَتَّعِظُ بِهِ المُتَّقونَ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُتَّقونَ المُنْتَفِعونَ بِكَلامِ اللهِ تَعالىٰ مِنْ صِفاتِهِمْ : أَنَّهُمْ يَخافونَ رَبَّهُمْ دونَ أَنْ يَرَوْهُ ، لأنَّهُمْ عَرَفوا أَنَّ لَهُمْ رَبّاً عَظيماً يُجازي على الأَعْمالِ فَهُمْ يَخْشَوْنَهُ ، وَيَخافونَ يَوْمَ القيامَةِ وما فيه مِنْ أَهْوالٍ وَشَدائِدَ ، فَيَعْمَلونَ الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ .

﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وكما أَنَّ التَّوْراةَ ذِكْرٌ وَضِياءٌ فَهَذا القُرْآنُ الَّذي أَنْزَلْناهُ عَلى عَبْدِنا مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ كِتابٌ عَظيمُ الشَّأنِ فيهِ ذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ ، كَثيرُ الخَيْرِ والبَرَكَةِ لِمَنِ اتَّبَعَ تَوْجيهاتِهِ ، أَفَأَنْتُم أَيُّها المُشْرِكونَ تُنْكِرونَ كَوْنَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ عَظيمَ شَأْنِهِ وَبَلاغَةَ عِباراتِهِ ، مَعَ أَنَّكُمْ تَعْتَرِفونَ بِنزولِ التَّوْراةِ على موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ . إنَّ هذا لَهُوَ الجُحودُ العَظيمُ لِلْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ .

وَهَذا التَّوْبيخُ لِلْمُشْرِكينَ عَلى عَدَمِ إيمانِهِمْ بالقُرْآنِ ، يَخُصُّ العَرَبَ مِنْ غَيْرِهِمْ فَهُمْ أَهْلُ اللّسانِ العَرَبِيِّ ، وَهُمُ الَّذينَ يُدْرِكونَ مِن فَصاحَةِ القُرْآنِ وَبَلاغَتِهِ ما لا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُمْ ، مَعَ أَنَّ فيهِ شَرَفَهُمْ وَصيتَهُمْ ، وَيَخُصُّ اليهودَ كَذلِكَ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ في كُتُبِهِمْ عَنْ هذا النَّبِيِّ ، وما يُنَزِّلُهُ اللهُ عَلَيْهِ .

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هذِهِ القِصَّةُ الثّانِيَةُ قِصةُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ قَوْمِهِ ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ فيها أَنَّهُ آتى نَبِيَّهُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الرُّشْدَ ، وَهَداهُ إلى الحَقِّ مِنْ صِغَرِهِ ، قَبْلَ نُبُوَّةِ موسى وهارونَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ على عِلْمٍ مُطْلَقٍ بِأَحْوالِهِ ، وَبِأَنَّهُ أَهْلٌ لِلْوَحْيِ والفَضْلِ ، وَما قَصَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلَيْنا في هَذهِ السُّورَةِ مِنْ قِصَّتِهِ ، بَيانٌ لِلرُّشْدِ الّذي أُوتيهِ إبْراهيمُ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

وَذلكَ حِينَ قالَ لأَبيهِ وَقَوْمِهِ على سَبيلِ الإرْشادِ لَهُمْ والإنْكارِ عَلَيْهِمْ ، ما هَذهِ التَّماثيلُ والأَصْنامُ

الَّتي تُقيمونَ عِنْدَها تَعْظيماً لَها ، وتَعْبدونَها ؟ وَعَبَّرَ عَنْها بأنَّها تماثيلُ ، ولَمْ يَقُلْ آلِهَةً حَسَبَ اعْتِقادِهِمْ ، تَحْقيراً لأمْرِها ، وَلِيوقِظَ في نُفوسِهِمْ أنَّها مَصْنوعةٌ بِأَيْديهِمْ فَكَيْفَ يَعْبدونَها . ؟

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) ﴾

أَجابَ القَوْمُ جَوابَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ ، أَجابوا بِهذا الجَوابِ الَّذي يَدُلُّ عَلى تَحَجُّرِ عُقولِهِمْ ، حَيْثُ قَلَّدوا آباءَهُمْ مِنْ دونِ تَدَبُّرٍ أَوْ تَفَكُّرٍ ، قالوا هكذا وَجَدْنا آباءَنا فَعَبَدْنا ماكانوا يَعْبُدونَ .

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) ﴾ .

بَيَّنَ لَهُمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَسادَ ما هُمْ عَلَيْهِ ، وما كانَ عَلَيْهِ أَسْلافُهُمْ ، لأنَّ كُلَّ عاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنامَ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أَوِ التَّقْديسَ أَوِ العُكوفَ عَلَيْها . فإنَّكُمْ وَآباؤكُمُ الَّذينَ قَلَّدْتموهُمْ في ضَلالٍ ظاهِرٍ واضِحٍ .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) ﴾

لَمَّا سَمِعَ قَوْمُ إبراهيمَ مَقالَتَهُ ، اسْتَبْعَدوا أنْ يكونوا هُمْ وآباؤُهُمْ على باطِلٍ وَتَعَجَّبوا حُكْمَ إبْراهيمَ عَلَيْهِمْ بالضَّلالِ ، وظَنُّوا أَنَّ ما قالَهُ كانَ على وَجْهِ المُزاحِ ، والهَزْلِ لا عَنْ طَريقِ الجِدّ فَسَألوهُ : هَلْ هذا الَّذي جِئْتَ بِهِ جِدٌّ أمْ لَعِبٌ ؟

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) ﴾ .

رَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يُفيدُ بأنَّ كَلامَهُ جِدٌّ وَحَقٌّ ، فَهُوَ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ الَّذي هُوَ رَبُّ النَّاسِ وَخالِقُهُمْ ، وَهُوَ خالِقُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما فيهِما وهُوَ الجَديرُ بالعِبادَةِ لا هَذِهِ الأَصْنامُ ، وأَنا على ما ذَكَرْتُهُ لَكُمْ مِنَ العالِمينَ بِهِ حَقّاً ، إلى دَرَجَةِ أَنْ أكونَ شاهِداً عَلَيْهِ .

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) ﴾

وأَقْسَمَ باللهِ أنْ يَفْعَلَ بِأَصْنامِهِمْ ما يَضيرهُمْ بها ، وَلَمْ يُفْصِحْ لِقَوْمِهِ عَنِ الفِعْلِ الَّذي سَيَكيدُها بِهِ بَعْدَأنَ يَنْصَرِفوا عَنْها ، والظَّاهِرُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ هَذِهِ العِبارَةَ سِرّاً ، أَوْ بِصَوْتٍ خافِتٍ سَمِعَهُ أَحَدُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ ، إذْ لَوْ سَمِعوهُ جَميعاً لَما سَأَلوا بَعْدَ رُجوعِهِمْ عَمَّن حَطَّم الأصنامَ .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) ﴾

فَجَعَلَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأَصْنامَ قِطَعاً مُكَسَّرَةً ، إلاَّ الصَّنَمَ الأَكْبَرَ مِنْها فَلَمْ يُحَطِّمْهُ ، بَلْ تَرَكَهُ لِيَسْأَلوهُ حينَ يَعودونَ عَمّنْ حَطَّمَ الأَصْنامَ الأُخْرىٰ ، وَكَيْفَ حَصَلَ ذَلِكَ دونَ أَنْ يُدافِعَ عَنْهُمْ ،

وَهذا التَّصرُّفُ مِنْهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لإقامَةِ الحُجَّةِ على قَوْمِهِ أَنَّ هَذهِ الأَصْنامَ لا تَسْتَحِقُّ أنْ تُعْبَدَ لأنَّها لَمْ تُدافِعَ عَنْ نَفْسِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الكُتُبُ السَّماويَّةُ جَميعاً تَتَّصِفُ بِأَنَّها نورٌ ، وهُدىً ، وَذِكْرٌ .

٢ـ المُتَّقونَ هُمُ الَّذينَ يَنْتَفِعونَ بما أُنْزِلَ إليْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ .

٣ـ ثُبوتُ تَحْريفِ التَّوْراةِ الَّتي بِأَيْدي النَّاسِ اليَوْمَ ، لِمُخالَفَتِها ما وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ بِهِ التَّوْراةَ المُنَزَّلَةَ .

٤ـ عِبادَةُ الأَصْنامِ عَبْرَ التَّاريخِ مِنْ أَعْظَمِ ما صَدَّ النَّاسَ عَنْ عِبادَةِ اللهِ .

٥ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالىٰ وإنْعامُهُ لِمَن اصْطفىٰ مِنْ عِبادِهِ .

٦ـ جَوازُ اسْتِخْدامِ الحيلَةِ مَعَ المَدعوِّينَ لاسْتِمالَتِهِم إلى إبْصارِ الحَقِّ واتِّباعِهِ .

٧ـ وجوبُ تَغْييرِ المُنْكَرِ باليَدَيْنِ لِمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى التَّوْراةَ المُنَزَّلَةَ على موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ما صفاتُ المُتقّينَ المَذْكورَةُ فِي هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ لماذا سَمَّى إبْراهيمُ ما يَعْبُدُ قَوْمَهُ (تَماثيلَ) ؟

٤ـ هَلْ يُغْتَفَرُ لأَحدٍ تَقْليدُ السَّابقينَ دونَ تَرَوٍّ أَوْ تَفْكيرٍ ؟

٥ـ ما قَصْدُ إبْراهيمَ مِنْ تَحطيمِ الأَصْنامِ كُلِّها دونَ الصَّنَمِ الكَبيرِ ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ كُفْرِ كُلٍّ مِنْ مُشْرِكي العَرَبِ واليَهودِ بالقُرْآنِ الكَريمِ .

الدَّرسُ الثَّاني والخَمسونَ

سورةُ الأَنْبِياءِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- على أَعْيُنِ النَّاسِ : عَلى مَرْآىً مِنَ النَّاسِ .
- نُكِسوا : انقَلَبوا .
- أُفٍّ : كَلِمَةٌ تُقالُ للتَّضَجُّرِ والكراهيَةِ .
- أَرادوا بِهِ كَيْداً : أَرادوا حَرْقَهُ في النَّارِ .

التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ أَحْداثِ قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَوْمُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَوَجدوا آلِهَتَهُمْ مُحطَّمَةً ، اسْتَنْكَروا الأَمْرَ ، وَتَساءلوا عَنِ الفاعِلِ :

﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

قالَ قَوْمُ إبْراهيمَ : مَنِ الَّذي تَجَرَّأَ عَلى آلِهَتِنا فَحَطَّمَها ؟ ، إنَّهُ مُتَجاوِزٌ لِحَدِّهِ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِسَخَطِ الآلِهَةِ وَغَضَبِها .

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

قالَ جَماعةٌ مِنْهمُ : سَمِعْنا شابًّا يَذْكُرُ الآلِهَةَ بِسوءٍ وَيَذُمُّها ، يُسَمَّى إبْراهيمَ فَلَعَلَّهُ هُوَ الَّذي اجْتَرأَ عَلَيْها فَحَطَّمَها . وَكانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ عابَ الآلِهَةَ أَمامَ المَلأِ حِينَ قالَ : **﴿ماهٰذِهِ التَّماثِيلُ الّتي أَنْتُم لَها عاكِفونَ﴾** ، كَما يُحْتَمَلُ أَنَّ بَعْضَهُم سَمِعَهُ يقولُ : **﴿تاللهِ لأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾** .

﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قالَ سادَةُ القَوْمِ : إذا كانَ الأَمْرُ كَذلِكَ فَأَحْضِروهُ أَمامَ النَّاسِ لِيَتَمَكَّنوا مِنْ رُؤْيَتِهِ عَلى أَتَمِّ وَجْهٍ ، وَيَشْهَدوا مُحاكَمَتَهُ ، ويَشْهَدوا عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذي حَطَّمَ الأَصْنامَ ، وَيَشْهدوا عِقابَهُ على فِعْلِهِ .

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ قالوا لَهُ : هَلْ أَنْتَ الَّذي حَطَّمْتَ آلِهَتَنا التي نَعْبُدُها يا إبْراهيمُ .

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

رَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِجَوابِهِ الَّذي يَحْمِلُ التَّهَكُّمَ بِهِمْ وَيَدْعوهُمْ إلى إعْمالِ عُقولِهِمْ : فَقالَ لَهُمْ : بَلْ حَطَّمَهُمْ كَبيرُهُمْ هذا ، وَها هُمْ أَمامَكُمْ فاسْأَلوهُمْ مَنْ حَطَّمَهُمْ إنْ كانوا مِمَّنْ يَتَمَكَّنُ مِنَ النُّطقِ . ؟

وَهذا الجوابُ مِنْ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لا كَذِبَ فيهِ . فَقَدْ عَلَّقَ إسْنادَ تَحْطيمِ الأَصْنام إلى كَبيرِهِمْ على تَقْديرِ نُطْقِ الأَصْنام ، وَهِيَ لا تَسْتَطيعُ النُّطْقَ ، فَكَأَنَّهُ قالَ لَهُمْ إنْ كانتِ الأَصْنامُ تَنْطِقُ فَقَدْ حَطَّمَها الصَّنَمُ الكَبيرُ ، أَمَا وأَنَّها لا تَنْطِقُ فَلَمْ يُحَطِّمْها الصَّنَمُ الكبيرُ ، فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أَنْ يَكونَ الفاعِلُ إبْراهيمُ : عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ الوَحيدُ الَّذي ذَكَرَها بِسوءٍ وتَوَعَّد بِتَحْطِيمِها ، وَكانَ هذا الجَوابُ مِنْهُ مُؤَثِّراً فيهِمْ مُلْزِماً إيَّاهُمُ الحُجَّةَ الدَّامِغَةَ .

﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

وَقَدْ أَدَّى هذا الجَوابُ مِنْ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُمْ أَنْ يُراجِعوا أَنْفُسَهُمْ ، وَيُفَكِّروا في حالِهِمْ ، وَيَلوموا أَنْفُسَهُمْ ، حَيْثُ عَبَدوا ما لا يَسْتَطيعُ الدِّفاعَ عَنْ نفسِهِ ، إلاَّ أَنّ هذا النَّدَمَ واللَّوْمَ لأَنْفُسِهِمْ سُرْعانَ ما تَبَدَّدَ بِسَبَبِ اسْتيلاءِ العِنادِ والجُحودِ عَلَيْهِمْ ، فَكانَ حالُهُمْ كَما أَخْبَرَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ انقَلبوا وعادوا إلى المُجادَلَةِ بالباطِلِ ، وَدافَعوا عَنْ آلِهَتِهِمْ ، وَقالوا لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامْ : تَعْلَمُ أَنَّ هذهِ الأَصْنامَ لا تَنْطِقُ ، فَكَيْفَ تَطْلُبُ مِنّا سُؤالَها ؟

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يُظْهِرُ سُخْفَهُم وَقِلَّةَ عُقولِهِمْ : أَيَليقُ بِكُمْ أَنْ تَتْركوا عبادَةَ اللهِ ، وتَعْبدوا مِنْ دونِهِ هَذه الآلِهَةَ الَّتي لا تَنْفَعُكُمْ بِشَيءٍ مِنَ النَّفْعِ ، وَلا تَضُرُّكُمْ بشَيءٍ مِنَ الضَّرِّ .

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

إنَّ فِعْلَكُمْ هذا أَدّىٰ إلى أنْ أَتَضَجَّرَ مِنْكُمْ ، وَأُعْلِنَ كراهِيَّتي لِحالِكُمْ ، فَأَنْتُمْ تَعْبُدونَ جَماداتٍ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ولا التَّعْظيمَ ، أَيْنَ عُقولُكُمُ الَّتي تَدُلُّكُمْ على الخالِقِ الحَكيمِ ؟ وَهذهِ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، عَجِزوا عَنِ الإجابَةِ عَنْها بِحُجَّةٍ مِثْلِها ، فاتَّجَهوا إلى مُعاقَبَتِهِ .

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُقْتَرِحاً العُقوبَةَ المُناسِبَةَ لَهُ : حَرِّقُوهُ بالنَّار فإنَّها أَشَدُّ عُقوبةً ، حتَّى يَكونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ ، وفي هذا الفِعْلِ ثأرٌ لِلآلِهَةِ الَّتي حَطَّمَها ، إنْ كُنْتُمْ تُريدونَ نَصْرَها ، والانْتِقامَ لها . فَأَوْقَدوا ناراً عَظيمَةً هائِلَةً وأَلْقَوا بإبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فيها ، ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّها سَتُحْرِقُهُ وَتُهْلِكُهُ وَلَكِنَّ اللهَ تَعالى صاحِبَ الأمْرِ في هذا الكَوْنِ لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ .

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

فَتَحَوَّلَتِ النَّارُ بِأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ وَقُدْرَتِهِ إلى بَرْدٍ غَيْرِ ضارٍّ ، فَلَمْ يَلحَقْهُ مِنْها أَذَىً ، إِكْراماً مِنَ اللهِ تَعالىٰ لِخَليلِهِ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الَّذي نَصَرَ دينَ اللهِ وَبَلَّغَهُ دونَ خَوْفٍ وَلا تَرَدُّدٍ ، فاسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ تَعالى الرِّعايَةَ الخاصَّةَ بِهِ ، وخَرْقَ العادةِ الطّبيعيّةِ بَقَلْبِ النارِ الحارِقَةِ إلى مكانِ بَرْدٍ آمنٍ وسلامٍ .

﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

رادَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إيذاءَهُ وإهْلاكَهُ ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِم ، وَجَعَلَهُمُ المُغْلوبينَ المَخْذولينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ التَّوْرِيَةِ لِتَحقيقِ المَصْلَحَةِ .

٢ـ قُوَّةُ حُجّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٣ـ مَشْروعيَّةُ تَوْبيخِ أَهْلِ الباطِلِ .

٤ـ الكُفَّارُ يُجادِلونَ بالباطِلِ .

٥ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالىٰ لأَنبيائِهِ والدُّعاةِ إلى دينِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا فَعَلَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حينَ وَجَدوا الأَصْنامَ مُحَطَّمَةً ؟

٢ـ ما فائِدَةُ حُضورِ النَّاسِ مُحاكَمةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بِماذا أَجابَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ سُؤالِهِمْ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ هذا الجَوابِ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ وما أَثَرُهُ فِيهِمْ ؟

٥ـ هلِ اسْتَجابَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِنداءِ العَقْلِ أَمْ عادوا إلى ضَلالِهِمْ ؟

٦ـ بِماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى النَّارَ ؟

٧ـ ما الحِكْمَةُ برأيِكَ مِنْ إنْجاءِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أنْ أُلْقيَ فيها بَدَلاً مِنْ إنْجائِهِ مِنْها قَبْلَ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ عَلى سُخْفِ عُقولِ المُشْرِكين الَّذين كَذَّبوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وكَفَروا بِرِسالَتِهِ .

الدَّرسُ الثَّالِثُ والخَمسونَ

سورةُ الأَنْبِياءِ - القِسْمُ التّاسِعُ

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نافِلَةً : زِيادَةً على ما سَأَلَ .

الخَبائِثَ : المُنْكَراتِ والفُجورِ .

قَوْمَ سَوْءٍ : فَسادٍ .

الكَرْبِ : الشِّدَّةِ والضِّيقِ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِذِكْرِ ما حَصَلَ مَعَ إبْراهيمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَعْدَ أَنْ نَجّاهُ اللهُ مِنَ النّارِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

كانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ دَعا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الذُّرِّيَّةَ بقولِهِ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٠] فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ وَرَزَقَهُ إسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَزادَهُ على ما سَأَلَ أَنْ رَزَقَ ابْنَهُ إسْحاقَ وَلَداً هُوَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَرَأى ابنَ ابنِهِ في حياتِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللهُ كُلّاً مِنْ إبْراهيمَ وإسْحاقَ وَيَعْقوبَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، وَجَعَلَهُمْ أَنْبياءَ مُرْسَلينَ . وَذَكَرَ اللهُ في مَواضِعَ أُخرى أَنَّهُ رَزَقَهُ بإسْماعيل قَبْلَ إسْحقَ .

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وَجعَلْناهُمْ قُدْوَةً وَرُؤَساءَ لِغَيرِهِمْ يُرْشِدونَهُمْ إلى الدِّينِ الحَقِّ . وَلَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِذلكَ وَكَلَّفَهُمْ بِتَبْليغِ الرِّسالةِ إلى النَّاسِ ، وَأَوْحى اللهُ إليْهِمْ أنْ يَفْعَلوا الخَيْراتِ ، وَيَأْمُروا النَّاسَ بِفِعْلِها ، وأنْ يُقيموا الصَّلاةَ ويُؤْتوا الزَّكاةَ ، وَعَطْفُ الصَّلاةِ والزَّكاةِ على فِعْلِ الخَيْرِ مِنْ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ للاهْتِمامِ بِهِ ، وَكانوا مُخْلِصينَ للهِ تَعالى في العِبادَةِ ، يَقْصدونَهُ وَحْدَهُ بها دونَ سِواهُ .

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وَآتينا لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ النُّبُوَّةَ والحِكْمَةَ والعِلْمَ لِما يَنْبَغي عِلْمُهُ وَفَهْمُهُ ، ونَجَّيناهُ بِرَحْمَتِنا مِنَ العَذابِ الَّذي نَزَلَ بِأَهْلِ قَرْيَتِهِ ، حَيْثُ كانوا يَعْملونَ الأَعْمالَ الخَبيثَةَ ، وَكانوا قَوْماً خارِجينَ عَنْ طاعَةِ اللهِ مُنْتَهِكينَ حُرُماتِهِ ، مُسْرِفينَ في فِعْلِ المُنْكَراتِ والقبائحِ الخَبيثةِ .

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

وأَدْخَلْنا لُوطاً في أَهْلِ رَحْمَتِنا بأنْ نَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ إلاَّ إمرأَتَهُ ، لأَنَّهُ كانَ مِنَ المُتَّقينَ الطَّائعينَ .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ والَّتي بَعْدَها جانبٌ مِنْ قِصَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَيْ : واذْكُرْ أَيُّها الرَّسولُ عَبْدَنا نوحاً حَيْثُ نادانا وَدعانا مِنْ قَبْلِ زَمَنِ إبراهيمَ ولوطٍ ، والدّعاءُ الَّذي دَعا بِهِ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَيَّنَتْهُ آياتٌ أُخرى مِنْها قَوْلُهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] فاسْتَجَبْنا دُعاءَهُ فَنَجَّيْناهُ وأَهْلَهُ الَّذينَ آمَنوا بِهِ وَصَدَّقوهُ مِنَ الطُّوفانِ العَظيمِ الَّذي أَغْرَقَ الكافرينَ .

﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

وَنَصَرْناهُ بِفَضْلِنا بأنْ أنْجَيْناهُ مِنْ قَوْمِهِ المُكَذِّبينَ بآياتِنا فَلَمْ يَمَسّوهُ بِسوءٍ ، وأَغْرقناهُمْ بِسَبَبِ إصْرارِهِمْ على الكُفْرِ والعِصْيانِ ، وإنْهِماكِهِم في الشَّرِّ والفَسادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيْتُ المَقْدِسِ وما حَوْلَها أَرْضٌ مُبارَكَةٌ لِلنَّاسِ جَميعاً .

٢ـ الهِجْرَةُ لِإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ مِفتاحٌ لِلْخَيْرِ والبَرَكَةِ والذُّرِّيَّةِ الصّالِحَةِ .

٣ـ سَنَّ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ الهِجْرَةَ مِنْ ديارِهِ إلى أَرْضٍ أُخْرى يَتَمَكَّنُ فيها مِنْ عِبادَةِ رَبِّهِ .

٤ـ الذُّريَّةُ الصَّالِحَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ .

٥ـ الفَضْلُ الَّذي حازَهُ إبْراهيمُ وذُريَّتُه إسْحاقَ ويعقوبَ مِنَ اللهِ تَعالىٰ .

٦ـ فَضْلُ إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ .

٧ـ الانْحِرافُ عَنِ الفِطْرَةِ ، واتِّباعُ الهَوَىٰ مَدْعاةٌ لِلْهَلاكِ .

٨ـ تَقْريرُ أنَّ الأَهْلَ هُمْ إخوةُ الدِّينِ لا النَّسَبِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

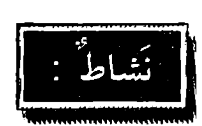
١ـ ما مَعْنى (نافِلَةً) ؟ وَما المُرادُ بِها في الآيَةِ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ عَطْفِ الصَّلاةِ والصِّيامِ على فِعْلِ الخَيْراتِ ، وَهُما مِنَ الخَيْراتِ ؟

٣ـ اذْكُر مُلَخَّصَ قِصَّةِ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ قَوْمِهِ .

٤ـ ما الشَّيْءُ الَّذي دعا بِهِ نُوحٌ رَبَّهُ ؟

٥ـ ماالمَقْصودُ بالكَرْبِ العَظيمِ ؟



١ـ اقْرَأ الآيةَ التّاسِعَةَ والعِشْرينَ مِنْ سورَةِ (العَنْكبوت) ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَفْعالَ الخَبيثَةَ الَّتي كانَ قَوْمُ لوطٍ يَفْعلونَها] .

٢ـ اقْرأ سورَةَ (القَمَر) ، وَتَدَبَّرِ الآياتِ الَّتي ذَكَرَتْ كَيْفِيَّةَ إهْلاكِ قَوْمِ نوحٍ ولوطٍ عَلَيْهِما السَّلامُ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ بِأُسلوبِكَ الخاصِّ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابعُ والخمسونَ

سورةُ الأنبياءِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الحَرْثِ : الزَّرْع .
نَفَشَتْ فيهِ : رَعَتْهُ لَيْلاً فَأَفْسَدَتْهُ .
صَنْعَةَ لَبوسٍ : عَمَلَ الدُّروعِ .
لتُحْصِنَكُمْ : لِتَحْفَظَكُمْ .
بأسِكُمْ : حَرْبِكُمْ .
عاصفةً : شَديدةَ الهُبوبِ .
يَغوصونَ : يَنْزِلونَ إلى قاعِ البَحْرِ لاسْتِخْراجِ الحُلِيّ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ جُزْءٌ مِنْ قِصَّةِ النَّبيِّ الكَريمِ داودَ وابنهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ قِصَّةَ داودَ وَسُلَيْمانَ وَقْتَ أنْ حَكَما في الزَّرْعِ الَّذي رَعَتْهُ الغَنَمُ لَيْلاً دون أنْ يَكونَ مَعَها راعٍ ، فَلَمَّا اشْتَكى صاحِبُ الزَّرْعِ إلى داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَكَمَ لَهُ أنْ يأخُذَ غَنَمَ خَصْمِهِ في مُقابِلِ إتْلافِها لِزَرْعِهِ ، نظراً لِتَساوي أوْ لِتَقارُبِ قيمَتَيْهما . وَبَعْدَ انْتِهاءِ داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ حُكْمِهِ أظْهَرَ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ ـ السَّلامُ رأيَهُ فيها ، بأنْ تُسَلَّمَ بها ، وَيُصْلِحَ صاحِبُ الغَنَمِ الزَّرْعَ حتَّى يَعودَ كما كانَ ، ثُمَّ يُعيدَ كُلُّ واحِدٍ لِلآخَرِ ما تَحْتَ يَدَيْهِ ، فَيَأْخُذَ صاحِبُ الزَّرْعِ زَرْعَهُ ، وَصاحِبُ الغَنَمِ غَنَمَهُ ، فَسُرَّ داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذا الحُكْمِ وَرَجَعَ إليهِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عالِمٌ بما حَكَمَ بِهِ كُلٌّ مِنْهُما ، فَعِلْمُ اللهُ تعالى مُحيطٌ بِكُلِّ خَلْقِهِ لا يَغيبُ عَنْهُ مِنْ أَحْوالِهِم شَيْءٌ .

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

امْتَدَحَ اللهُ تَعالى الحُكْمَ الَّذي قَضى بِهِ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السّلامُ ، وبيّنَ أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ ألْهَمَهُ الحُكْمَ الأَصْوبَ في هذهِ القَضِيَّةِ ، ثُمَّ أَثْنىٰ ـ سُبْحانَهُ ـ على داودَ وَسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بأنَّهُ أعطىٰ كُلاًّ مِنهُما الحِكْمَةَ والعِلْمَ الرّاسِخَ مَعَ النُّبُوَّةِ . وَقَدْ حَكَمَ داودُ وَسُلَيْمانُ في هذه القَضِيَّةِ باجْتِهادِهِما لا بِنَصِّ الوَحْيِ . والمُجْتَهِدُ مَأْجور دائِماً ، إنْ أَصابَ فَلَهُ أَجْرانِ كما هُوَ ـ حالُ نَبيِّ اللهِ سُلَيْمان في هَذهِ المَسْأَلَةِ ، وَإنْ أَخْطأَ فَلَهُ أَجْرٌ ، ولا يُتَوَجَّهُ إليهِ اللَّوْمَ كما كانَ حالُ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ بَعْضَ النِّعَمِ التي أنْعَمَ بها على داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَمِنْها جَعْلُ الجبالِ والطَّيْرِ تُسَبِّحُ مَعَهُ إذا سَبَّحَ ، وَتُرَدِّدُ كلامَهُ إذا ذَكَرَ رَبَّهُ ، تَكْريماً لَهُ وتأْييداً لِنُبُوَّتِهِ ، وَأَكَّدَ سُبْحانَهُ حُصولَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿**وَكُنّا فاعلينَ**﴾ إذْ إنَّ قُدْرَةَ اللهِ لا يَحدُّها شَيْءٌ .

وَتَقْديمُ الجبالِ على الطَّيْرِ لأنَّ تَسْخيرَها وتَسْبيحَها أعْجَبُ وَأَدلُّ على القُدْرَةِ لأَنَّها جَمادٌ .

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ على داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ عَلَّمَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ صِناعَةَ الدُّروعِ حتّىٰ حَذِقَها وَأَتْقَنَها لِتَكونَ واقِيَةً للابِسِها مِنْ ضَرَباتِ السُّيوفِ ، وَطَعَناتِ الرِّماحِ في الحَرْبِ . والاسْتِفْهامُ في قولِهِ ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرونَ**﴾ يُرادُ بِهِ الأَمْرُ ، أي : اشْكُروا اللهَ على ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ .

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ على نَبِيِّهِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ شديدةَ الهُبوبِ تَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ

ـ وتَحمِلُهُ إلى حَيْثُ يَشاءُ مِنْ بِقاعِ الأَرْضِ ، وتُعيدُهُ إلى الأَرْضِ المُبارَكَةِ ، وَهِيَ أَرْضُ الشّامِ ، كَمَا سبَقَ أَنْ وُصِفَتْ بِذلِكَ في قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهِي مَقَرُّ مُلْكِهِ ، وَمَكانُ إقامَتِهِ .

وَكانَتِ الرِّيحُ تَنْقُلُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَجَيْشَهُ مَسيرَةَ شَهْرٍ في وَقْتٍ لا يَتجاوَزُ أَوَّلَ النَّهار ، وَتُعيدُهُ المَسافَةَ نَفْسَها في وَقْتٍ يَسيرٍ ، وَقَدْ أَشارَ إلى هذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِتَسْخيرِ الرّيحِ لَهُ : تَسْييرُ السُّفُنِ وإنْزالُ المَطَرِ بِأَمْرِهِ حَيْثُ يشاءُ .

ثُمَّ أَخبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ شُمولِ عِلْمِهِ لِكُلِّ ما يَجْري في هذا الكَوْنِ ، لِبيانِ إحاطَةِ عِلْمِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَلِلتَّنْبيهِ على أنَّ حُصولَ هذهِ الخَوارِقِ بِعِلْمِهِ وإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تعالىٰ على سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تَسْخيرُ الشَّياطينِ ، فَهُمْ يَغوصونَ في أَعْماقِ البِحارِ لِيَسْتَخْرِجوا مِنْها الجَواهِرَ النَّفيسةَ كاللؤلؤِ والمَرْجانِ ، طائِعينَ لأَمْرِ سُلَيْمانَ لَهُمْ بهذا الفِعْلِ ، وَكانوا يَقومونَ بِكُلِّ ما يُكَلِّفُهُمْ بِهِ مِنْ عَمَلٍ ، كبناءِ القُصورِ ، وَصُنْعِ التَّماثيلِ والمَحاريبِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُقَصِّرُ في طاعَتِهِ أَوْ يَتَمَرَّدُ على أَمْرِهِ ، فَهُمْ في خدمَتِهِ بِأَمْرِ اللهِ لَهُمْ ، وَحِفْظِهِ إيّاهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ شَرَفُ القَضاءِ بَيْنَ النّاسِ حَيْثُ قامَ بِهِ الأَنْبِياءُ يَجِبُ أَنْ يَجْتَهِدَ الحاكِمُ بالحُكْمِ بالحَقِّ ، وَلا حَرَجَ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يُصِبْ في ذَلِكَ ما دام قَدِ اجْتَهَدَ .

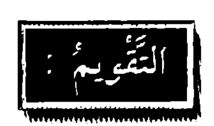
٢ـ وجوبُ تَعْيينِ القُضاةِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النّاسِ .

٣ـ أَفْضَلِيَّةُ الرُّجوعِ إلى الحُكْمِ الأَصْوَبِ .

٤ـ كُلُّ المَخْلوقاتِ تتجاوَبُ مَعَ ذِكْرِ اللهِ وَتَسْبيحِهِ .

٥ـ وُجوبُ البَحْثِ في تَطْويرِ أَساليبِ الدِّفاعِ والبَحْثِ عَنِ القُوَّةِ .

٦ـ كلُّ ما يَحْصُلُ في هذا الكَوْنِ مِنْ أُمورٍ مَأْلوفةٍ أَوْ خارِقَةٍ فَهُوَ بِعِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحُكْمُ الَّذي أَصْدَرَهُ داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَسْأَلَةِ الغَنَمِ الَّتي رَعَتْ لَيْلاً في أَرْضٍ مَمْلوكَةٍ لِلآخَرينَ ؟

٢ـ ماالحُكْمُ الَّذي قَضَىٰ بِهِ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْه السَّلامُ في المَسْأَلَةِ ؟

٣ـ اذْكُرْ ما امْتَنَّ اللهُ بِهِ على كُلٍّ مِنْ داودَ وَسُلَيْمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، كما جاءَ في هذهِ الآياتِ .

٤ـ بَيِّنْ وَجْهَ مُناسَبَةِ خَتْمِ عَدَدٍ مِنَ الآياتِ الكريمةِ بالعباراتِ التّاليةِ :

أـ وكنّا لِحُكمِهِمْ شاهِدينَ .

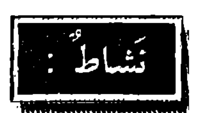
ب ـ وَكُنّا فاعِلينَ .

ج ـ وكُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمينَ .

د ـ وكُنّا لَهُمْ حافِظينَ .

فائِدَةٌ :

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قالَ : « بَيْنَما امْرَأتانِ مَعَهُما ابناهُما ، جاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابنِ إحْداهُما ، فَقالتْ لها صاحِبَتُها : إنَّما ذَهَبَ بابنِكِ ، وقالَتِ الأُخرى إنّما ذَهَبَ بابنِكِ ، فتحاكَمَتا إلى داودَ ، فَقَضىٰ بِهِ لِلْكُبْرى ، فَخَرَجَتا بِهِ إلى سُلَيْمانَ بنِ داودَ فأَخْبَرَتاهُ فَقالَ : ائْتوني بالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهما ، فَقالتِ الصُّغرىٰ : لا تَفْعَلْ ـ يَرْحَمُكَ اللهُ ـ هُوَ لَها فَقَضىٰ بهِ لِلصُّغْرىٰ »[1] .



ـ تَدَبَّرْ هذا الحَديثَ ، وبَيِّنْ سَبَبَ قَضاءِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالوَلَدِ لِلصُّغْرىٰ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الأنبياءِ ، باب ٤١ ، رقم الحديثِ ٣٢٤٤ رواهُ مُسْلِمٌ في كتابِ الأَقْضِيَةِ بابِ بيانِ اختلافِ المُجْتَهِدينَ ، رقم الحديثِ ٤٤٧٠ .

الدَّرْسُ الخامِسُ والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الضُّرُّ : البَلاءُ والشِّدَّةُ .

ذا النُّونِ : يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

النُّونِ : الحوتِ .

مُغاضِباً : غَضْبانَ على قَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ .

نَقْدِرَ عَلَيْهِ : نُضَيِّقَ عَلَيْهِ .

التفسيرُ :

تبدأُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بِذِكْرِ جانبٍ مِنْ قِصَّةِ أَيّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسُولُ عَبْدَنا أَيّوبَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَقْتَ أَنْ نادىٰ رَبَّهُ وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ قائِلاً : يا رَبِّ

أَصابَني البَلاءُ والكَرْبُ والشِّدَّةُ ، وأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ ، وَلَمْ يُصَرِّحِ النَّبِيُّ الكَريمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِمَطْلَبِهِ ، وَلٰكِنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بالعَجْزِ والضَّعْفِ ، وَوَصَفَ رَبَّهُ بغايَةِ الرَّحْمَةِ ، وهذا مِنْ أَدَبِ الأنبياءِ مَعَ رَبِّهِمْ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ وَتَضَرُّعَهُ ، وأَزالَ ما نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلاءٍ في جَسَدِهِ ، وَعَوَّضَهُ عَمَّنْ فَقَدَ مِنْ أَوْلادِهِ ، وَرَزَقَهُ ضِعْفَ عَدَدِهِمْ ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ تَعالىٰ بِهِ وَلِيَكونَ ذلِكَ عِبْرَةً وَعِظَةً لِغَيْرِهِ مِنَ العابدينَ لِيَقْتَدوا بِهِ في صَبْرِهِ على البَلاءِ ، وَفي المُداوَمَةِ على الشُّكْرِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ .

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

تَذْكُرُ الآيَةُ الكَريمةُ هَؤلاءِ الأَنْبياءَ الثَّلاثةَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ دونَ أيِّ تَفْضيلٍ في قِصصِهِمْ ، واكْتَفَتِ الآيَةُ بِوَصْفِهِمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ بالصَّبْرِ على مَشاقِّ التَّكاليفِ وَشَدائِدِ تَبْليغِ الرِّسالَةِ .

أَمَّا إسْماعيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَهُوَ ابنُ إبْراهيمُ عَلَيهِ السَّلامُ ـ وَقَدْ ذُكِرَتْ قِصَّتُهُ في سُوَرٍ أُخْرى . وإدْريسُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ أَحَدُ الأَنْبياءِ قَبْلَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وذُكِرَ في سُورَةِ (مَرْيَم) ، وَذو الكِفْلِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ تَذْكُرِ الآيَةُ عَنْهُ شَيْئاً ، وَوَرَدَ ذِكْرُ اسْمِهِ في سورةِ (ص) ، وكُلُّ ما يُجْزَمُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ كانَ مِنَ الصَّابِرينَ عَلى تَبْليغِ دَعْوَةِ اللهِ .

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ على هَؤلاءِ الأَنْبياءِ المَذْكورينَ أَنَّهُ أَدْخَلَهُمْ في رَحْمَتِهِ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، لأَنَّهُمْ حَمَلوا الرِّسالةَ وبَلَّغوها وأَطاعوا رَبَّهُم ، وَحَفِظوا دينَهُ .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

هذه قِصَّةٌ أُخْرىٰ مِنْ قَصَصِ الأَنْبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في هذِهِ السُّورَةِ ؛ قِصَّةُ ذي النُّونِ يُونسَ عَلَيْهِ السَّلامُ . والنونُ : الحوتُ ، وذو النّونِ : يونُس عليهِ السَّلامُ ، سُمِّيَ بذلكَ لابْتلاعِ الحوتَ لَهُ ، ذَلِك أَنَّهُ فارَقَ قَوْمَهُ ، وهُوَ غَضْبانُ عليهِم ، لأَنَّهم لَمْ يُؤْمِنوا بِهِ ، وَوَصَلَ إلى ساحِلِ البَحْرِ وَرَكِبَ سَفينةً ، وَخِلالَ سَيْرِها في البَحْرِ ضاقَتْ بِرُكَّابِها ، وكانَ لا بُدَّ وأن يُلْقَىٰ أَحَدُ الرُّكابِ لِيَنْجُوَ الجَميعُ فاقتَرَعوا فَجاءَتِ القُرْعَةُ على يونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَلقَىٰ بِنَفْسِهِ في البَحْرِ فالتَقَمَهُ الحوتُ ، وَظَنَّ يونُسُ أَنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ ، عِقاباً لَهُ على مُفارقَتِهِ قَوْمَهُ دونَ أَمْرٍ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا سَقَطَ في البَحْرِ ابتَلَعَهُ الحوتُ ، وفي هذا ابْتِلاءٌ مِنَ اللهِ لَهُ وتَضْييقٌ عَلَيْهِ ، فنادى ، وَهُوَ في بَطْنِ الحوتِ وظُلْمَتِهِ ، مُتَضَرِّعاً

إلى رَبِّهِ أنْ يُنْجيَهُ مِمّا هُوَ فيهِ ، وَكانَ نداؤهُ إقْراراً واعْتِرافاً بِوَحْدانيَّةِ اللهِ تعالىٰ ، وتَنْزيهِ اللهِ عَنِ الشِّرْكِ والنَّقْصِ فلا مَعْبودَ بِحَقٍّ إلاَّ اللهُ ، ولا يَسْتَحِقُّ العِبادةَ أَحَدٌ سِواهُ ، وَقَدِ اعْتَرَفَ يُونُسُ في نِدائِهِ بِظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ حينَ فارَقَ قَوْمَهُ تارِكاً دَعْوَةَ رَبِّهِ ، وَقَدْ تابَ وأَنابَ وَرَجَعَ إلى اللهِ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ يُونُسَ ، ونَجّاهُ مِمّا كانَ فيهِ مِنْ غَمٍّ وَحُزْنٍ وَهُوَ في بَطْنِ الحُوتِ ، ومِثْلَ هذا الإنجاءِ البديعِ يُنَجّي اللهُ المُؤْمِنينَ مِنَ الكُروبِ إنْ دَعَوْا واسْتَغاثوا بِرَبِّهِمِ وأَخْلَصوا في دُعائِهِم .



تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الصَّبْرُ على البَلاءِ وَعَدمُ الشَّكْوىٰ لِغَيْرِ اللهِ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ .

٢ـ اسْتِحْبابُ الدُّعاءِ لِكَشْفِ الضُّرِّ ، لأنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ تَضَرَّعَ إليهِ وَدَعاهُ .

٣ـ عَدَمُ التَّصَرُّفِ بِأَمْرٍ قَبْلَ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللهِ تَعالىٰ فيهِ .



أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا كانتْ نَتيجةُ دُعاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ماذا تَعْرِفُ عَنْ : إسْماعيلَ وإدْريسَ وَذي الكِفْلِ ؟ وَبِماذا امْتَدَحَهُمُ اللهُ ؟

٣ـ لِماذا خَرَجَ ذو النُّونِ مِنْ عِنْدِ قَوْمِهِ ؟

٤ـ ماذا حَصَلَ مَعَ ذي النُّونِ وَهُوَ في البَحْرِ ؟ وبماذا دَعا ؟

٥ـ اذْكُرْ أَدَبَ الدُّعاءِ الَّذي تَعَلَّمْتَهُ مِنْ نبيِّ اللهِ أَيّوبَ ونَبِيِّ اللهِ يُونُسَ عَلَيْهِما السَّلامُ .



عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقولُ : « دَعْوَةُ ذي النُّونِ إذْ هُوَ في بَطْنِ الحوتِ : لا إلهَ إلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ ، لَمْ يَدْعُ بها مُسْلِمٌ رَبَّهُ في شَيْءٍ قَطُّ إلاّ اسْتَجابَ لَهُ »[1] .

وَعَنْهُ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقولُ : « اسْمُ اللهِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطىٰ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بنِ مَتّىٰ ، قُلْتُ يا رَسولَ اللهِ ، هَلْ لِيونُسَ خاصةً أَمْ لِجَماعةِ المُسْلِمينَ ؟ قالَ : هِيَ لِيونُسَ خاصَّةً وَلِلْمُؤْمِنِينَ عامَّةً إذا دَعوْا بِهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ ﴿وَكَذلِكَ نُنْجي المُؤْمنينَ﴾ فَهُوَ شَرْطُ اللهِ لِمَنْ دَعاهُ بِها »[2] .

نَشاطٌ :

١ـ ماذا تُفيدُ مِنْ عَدَمِ ذِكْرِ يُونسَ لِحاجَتِهِ وَهُوَ في بَطْنِ الحوتِ ، واكْتِفائِهِ بالذِّكْرِ والاعْتِرافِ بالذَّنْبِ ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقْرَأْ قِصَّةَ أَيّوبَ في سورةِ (ص) ، واكْتُبْ بِلُغَتِكَ مَوْضوعاً عَنْ هذا النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

---

(١) رواهُ التِّرْمِذِيُّ ، في كتابِ الدَّعَواتِ بابُ ما جاءَ في عقد التَّسْبيحِ باليَدِ . رقم الحديثِ ٣٥٠٥ ، ورواهُ الحاكمُ ١/ ٦٨٤ رقم ١٨٦٢ ، ورواهُ أحمد في المسند برقم ١٣٨٣ .

(٢) الطبريّ ، التفسير ، ١٧/ ٨٢ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والخَمسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

رَغَباً وَرَهَباً : طَمَعاً وَخَوْفاً .

أَحْصَنَتْ : حَفِظَتْ .

أُمَّتُكُمْ : دينُكُمْ وَمِلَّتُكُمْ .

وَتَقَطَّعوا أَمْرَهُمْ : تَفَرَّقوا في دينِهِمْ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هَذهِ الآياتُ بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالىٰ :

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

واذْكُرْ حالَ زَكَرِيّا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقْتَ أَنْ نادى رَبَّهُ ، وتَضَرَّعَ إِلَيْهِ قائِلاً : يا رَبِّ لا تَتْرُكْني وَحيداً دونَ ذُرِيَّةٍ ، وأَنْتَ خَيْرُ باقٍ بَعْدَ كُلِّ مَنْ يَموتُ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ زَكَرِيّا ، وَرَزَقَهُ ابْناً بَعْدَ أَنْ جَعَلَ زَوْجَتَهُ العَقيمَ صالِحَةً لِلْحَمْلِ والإنْجابِ ، واسْتِجابَةُ اللهِ تَعالى لِلأَنْبياءِ ، وَمِنْهُم زَكَرِيّا ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، لأَنَّهُمْ كانوا يُبادِرونَ إلى فِعْلِ الخَيْراتِ الَّتي تُرْضي اللهَ ، وَيَجْتَهِدونَ في أَداءِ كُلِّ ما أُمِروا بِهِ ، راغِبينَ في نِعْمَةِ اللهِ ، وَخائِفينَ مِنْ عَذابِهِ ، وَكانا دائِمَي الخُشوعِ والخُضوعِ للهِ مُتَضَرِّعينَ مُتَذَلِّلينَ لَهُ .

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

واذْكُرْ خَبَرَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرانَ الَّتي أَعفَّتْ نَفْسَها وَحَفِظَتْها ، وَكانَتْ مِثالاً في العِفَّةِ والاسْتِقامَةِ ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعالىٰ إِلَيْها جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَنَفَخَ فيها بِأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ فَحَمَلَتْ بِعيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكانتْ هذهِ الحادِثَةُ الخارِقَةُ لِلْعادَةِ مُعْجِزَةً واضِحَةً دالَّةً على عَظيمِ قُدْرَةِ اللهِ ، وآيَةً كُبْرى لِلْخَلْقِ أَجْمعينَ .

وذِكْرُ مَرْيَمَ في هذهِ الآيةِ بالاسْمِ المَوْصولِ لِتَفْخيمِ شَأْنِها وَتَنْزيهِها عَنِ السُّوءِ .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذا الحَديثِ المُتَنَوِّعِ عَنْ قِصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأنبياءِ ، عَقَّبَ سُبْحانَهُ على ذلِكَ بِبَيانِ أَنَّهُمْ جَميعاً مُتَقَدِّمُهُمْ وَمُتَأَخِّرُهُمْ يُشَكِّلونَ أُمَّةً واحِدَةً ، لأَنَّ دينَهُمْ واحِدٌ ، وَهُوَ الإسْلامُ ، وإِلَهُهُمُ الَّذي يَعْبدونَهُ واحِدٌ ، وَهُوَ اللهُ ،

وَجاءوا بِعَقيدةٍ واحِدَةٍ هِيَ تَوْحيدُ اللهِ وإخْلاصُ العِبادةِ لَهُ ، وَهذا خِطابٌ مُوَجَّهٌ لِلنّاسِ أَجْمعينَ : إنَّ مِلَّةَ التَّوْحيدِ الَّتي جاءَ بِها الأَنْبياءُ جَميعُهُمْ هِيَ مِلَّتُكُمْ وَدينُكُمْ ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُخْلِصوا العِبادةَ والطَّاعَةَ للهِ وَحْدَهُ رَبِّكُم وَرَبِّ كلِّ شَيْءٍ .

فماذا كانَ مَوْقِفُ النَّاسِ مِنْ هذا الدِّينِ ؟ قالَ اللهُ تَعالىٰ مُبيِّناً ذلِكَ :

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَلْتزموا طاعَةَ الرُّسُلِ واتِّباعَهُم ، بل تَفَرَّقوا واخْتَلَفوا في الدِّينِ ، وَتَنازَعوا وانْقَسَموا إلى أَحْزابٍ وفِرَقٍ ، كُلُّ هَؤلاءِ مَرْجِعُهُمْ إلى اللهِ فَيُجازِيهِمْ بِأَعْمالِهِمْ .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ اللهُ تَعالىٰ في هذهِ الآيةِ جَزاءَ المُؤْمِنِ ، فَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئاً مِنْ أَعْمالِ البِرِّ والخَيْرِ بِشَرْطِ الإيمانِ

باللهِ ورَسولِهِ فلا بُطْلانَ لِثوابِ عَمَلِهِ ، ولا يَضيعُ شَيْءٌ مِنْ جَزائِهِ ، إذْ تُكْتَبُ أَعْمالُهُ وتُثَبَّتُ في صَحيفَتِهِ ، ويُعطيهِ اللهُ تَعالىٰ أَجْرَ هذا العَمَلِ كامِلاً يَوْمَ القِيامَةِ .

أَمَّا الكافِرونَ والمُكَذِّبونَ فَقالَ اللهُ تَعالىٰ فيهِم :

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

فما مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ إلاَّ حُرِّمَ عَلَيْهِمُ الرُّجوعُ إلى الدُّنيا ، فَهُمْ لا يَرْجِعونَ إلى هذهِ الدُّنيا ، ولكِنَّهُمْ يَرْجِعونَ إلى اللهِ في الآخِرَةِ ، وَهذا أَمْرٌ مُحَقَّقٌ مُؤَكَّدٌ لِيُحاسِبَهُمُ اللهُ على أَعْمالِهِمْ وَيُجازِيهِمْ بها .

وَتَخْصيصُ هؤلاءِ المُهْلَكينَ بالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ كُلَّ الخَلْقِ سَيُبْعثونَ ويُحاسَبونَ ، لأنَّهُمْ المُنْكِرونَ لِلْبَعْثِ والحسابِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِجابَةُ اللهِ لِدُعاءِ أَنْبيائِهِ وَصالِحي عِبادِهِ .

٢ـ اسْتِحْبابُ المُسارَعَةِ في الخَيْراتِ والدُّعاءِ بِرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ . والخُشوعُ في العِبادَةِ .

٣ـ فَضيلَةُ العِفَّةِ وَحِفْظِ النَّفْسِ ، وإِحْصانِ الفَرْجِ .

٤ـ الأَنْبياءُ وَأَتْباعُهُمْ أُمَّةٌ واحِدَةٌ ، وَدَعْوَتُهُمْ واحِدَةٌ . وَهِيَ تَوْحيدُ اللهِ وإفْرادُهُ بالعِبادَةِ .

٥ـ ذَمُّ الَّذينَ تفَرَّقوا في دينِهِمْ وَعَبدوا مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً شَتَّىٰ .

٦ـ إثْباتُ البَعْثِ والجَزاءِ في الآخِرَةِ لِجَميعِ الخَلْقِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا دَعا زَكَرِيّا رَبَّهُ ؟

٢ـ مامَعْنىٰ ﴿وأَنْتَ خَيْرُ الوارِثينَ﴾ ؟

٣ـ بِماذا امْتَدَحَ اللهُ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلامُ وأَهْلَهُ ؟

٤ـ أـ بِماذا امْتَدحَ اللهُ مَرْيمَ عَلَيْها السَّلامُ ؟

ب ـ لِماذا لَمْ يَذْكُرْها باسْمِها ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿إنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ ؟

٦ـ هَلْ يُغني العَذابُ الدُّنْيويُّ عَنِ العذابِ في الآخِرَةِ ؟ اذْكُرْ آيةً تُؤَيِّدُ إجابَتَكَ ؟

٧ـ اكْتُبْ في الفَراغِ الكَلِمَةَ القُرْآنيَّةَ ، وَبَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ :

أـ « وأَنْتَ خَيْرُ. . . » .

ب ـ « ويَدْعونَنا رَغَباً. . . . . . . وَكانوا لَنا. . . . . . » .

جـ ـ « إنَّ هَذهِ. . . . . . أُمةً واحِدَةً » .

د ـ « فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ. . . . . . . فلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ » .

هـ ـ « وحَرامٌ. . . . . أَهْلَكْناها » .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما جاءَ في سورَةِ (مَرْيَمَ) مِنْ وَصْفٍ لِحالِ زَكريّا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَزَوْجِهِ .

٢ـ اذْكُرْ ، في دَفْتَرِكَ ، بماذا يُشْبِهُ خَلْقُ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، واكْتُبِ الآيةَ الدّالَّةَ على ذَلِكَ .

٣ـ وازِنْ بَيْنَ دُعاءِ كُلٍّ مِنْ أَيوبَ وَيونُسَ وزَكَرِيّا عَلَيْهِمُ السَّلامُ . واكْتُبِ الآياتِ الدَّالَّةَ على ذَلِكَ .

* * *

الدرسُ السابعُ والخمسونَ

سورةُ الأنبياءِ ـ القِسْمُ الثالثَ عشرَ

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

مَعاني المُفرَداتِ :

يَأْجوجُ ومَأْجوجُ : اسْما قَبيلتينِ اتّصَفَتا بالإفْسادِ في الأَرْضِ .

حَدَبٍ : مُرتفَعٍ مِنَ الأرْضِ .

يَنْسِلون : يُسْرِعونَ .

شاخِصَةً : مُرْتَفِعَةَ الأَجْفانِ لا تَكادُ تَطْرِفُ .

حَصَبُ جهَنَّمَ : وَقودُها .

زَفيرٌ : تَنَفُّسٌ شَديدٌ .

حَسيسَها : صَوتَ حَرَكَةِ اللَّهَبِ .

الفَزَعُ الأَكْبَرُ : أَهْوالُ يَوْمِ القيامَةِ .



التفسيرُ :

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى الحَديثِ عَنْ يَوْمِ القيامَةِ وبَعْضِ ما يَكونُ فيهِ مِنْ أَحْداثٍ ، وَبَدَأَتْ بإحْدى عَلاماتِ السَّاعَةِ الكُبْرىٰ وهِيَ :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

أيْ يَسْتَمِرُّ النَّاسُ على ما هُمْ عَلَيْهِ حتَّى إذا أذِنَ اللهُ بخُروجِ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ انْطَلَقوا مُسْرِعينَ مِنْ كُلِّ مُرْتَفَعٍ مِنَ الأَرْضِ ، وَهذا مِنْ عَلاماتِ السَّاعَةِ الكُبْرى ، كما وَرَدَ في الحَديثِ عَنْ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قالَ : « لَنْ تَقومَ السَّاعَةُ حتَّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ : طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، والدُّخانُ ، الدَّابَّةُ ، وَخُروجُ يَأْجوجَ وَمَأْجوجَ ، وَنُزولُ عيسىٰ بنِ مَرْيَمَ ، والدَّجَّالُ ، وَثَلاثَةُ خُسوفٍ ، خَسْفٌ بالمَشْرِقِ وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ وخَسْفٌ بِجَزيرةِ العَرَبِ وَنارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسوقُ النَّاسَ ، تَبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتوا ، وَتَقيلُ مَعَهُمْ حيثُ قالوا »[1] . فإذا كانَتْ هذهِ العَلامَةُ فإنَّ السَّاعَةَ تَكونُ قَدِ اقْتَرَبَتْ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ خُروجَ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ مِنْ عَلاماتِ اقْتِرابِ يَوْمِ القِيامةِ ، فإذا قامَتِ السَّاعَةُ ، ورَأى المُشْرِكونَ أَهْوالَها ، بَقِيَتْ عُيونُهم مُرْتَفِعَةَ الأَجْفانِ لا تَكادُ تَطْرِفُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والخَوْفِ ، يَدْعونَ على أَنْفُسِهم بالوَيْلِ والهَلاكِ لِغَفْلَتِهِمْ عَنْ هَذا اليَوْمِ ، وَلِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُم بِعَدَمِ الإيمانِ بِهِ ، وظُلْمِهِمْ رُسُلَهُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يُطيعوهُمْ فيما أَخْبَروهُمْ بِهِ عَنْ هذا اليَوْمِ . فَماذا تَكونُ عاقِبَةُ هَؤلاءِ الكافِرينَ ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

إِنَّكُمْ أَيُّها الكافِرونَ وأَصْنامَكُمُ الَّتي تَعْبُدونَها وَقودُ جَهَنَّمَ الَّتي سَتكونُ مَقَرَّكُمْ وَمَكانَ إقامَتِكُمْ وَسَتَرِدونَ عَلَيْها ، ولا تَخْرجونَ مِنْها .

وفي إلْقاءِ أَصْنامِهِمْ مَعَهُم في النَّارِ أَنَّها لا تَعْقِلُ ، زِيادَةٌ في حَسْرَتِهِمْ وَعَذابِهِمْ ، وَلِيَتَيَقَّنوا عَدَمَ صَلاحيةِ هَذهِ الأَصْنامِ لأَنْ تُعْبَدَ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الآيات التي تكون قبل الساعة ، رقم الحديث ٧٢١٤ .

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

لَوْ كانَ هَؤلاءِ المَعْبودونَ مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً حَقّاً ـ كما زَعَمَ المُشْرِكونَ ـ لَما قُذِفوا في النَّارِ كَما يُقْذَفُ الحَطَبُ ، وَبِهذا يَتَبَيَّنُ بُطْلانُ عِبادَتِهِمْ لَها ، وَسَيَكونُ جَزاءُ المُشْرِكينَ وآلِهَتِهِمُ المَزْعومَةِ الخلودَ في النَّارِ .

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

أَمَّا حالُهُمْ في هَذِهِ النّارِ فَلَهُمْ زَفيرٌ ، وَهُوَ صَوْتُ النَّفَسِ الَّذي يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِ المَغْمومِ ، لِما يُعانيهِ مِنْ أَلَمٍ وشِدَّةٍ ، لا يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ زَفيرَ بَعْضٍ لِشِدَّةِ الهَوْلِ والعَذابِ ، لأَنَّ سَماعَ صَوْتِ الآخَرينَ ، وَلَوْ كانَ صوتَ أَنينٍ وَزَفيرٍ ، فيهِ أُنْسٌ لِلسَّامِعِ فَلَمْ يُعْطَوْهُ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في بَيانِ حالِ المُؤْمِنينَ ، بَعْدَ بَيانِ حالِ المُشْرِكينَ ، وَما يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذابٍ . وَوَصَفَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَهْلَ الجَنَّةِ بِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَتِ لَهُمُ البِشارةُ بالدَّرجاتِ العُلىٰ والمَنْزِلَةِ الحُسْنى بِسَبَبِ إيمانِهِمْ وطاعَتِهِمْ ، وَهؤلاءِ سَيَكونونَ يَوْمَ القيامةِ بَعيدينَ عَنِ النَّارِ بُعْداً تامّاً ، لأَنَّهُمْ في الجَنَّةِ .

وفي الآيةِ إشارَةٌ إلى الأَنْبياءِ والمَلائِكَةِ والصَّالِحينَ الَّذين عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ : كالمَسيحِ بن مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وعُزَيرٍ ، أَنَّهُمْ لَنْ يَكونوا في النَّارِ مَعَ مَعْبوديهِمْ ، كما سَبَق في الآيةِ الكَريمةِ ، بلْ هُمْ مُبْعدونَ عَنِ النّارِ وَعَذابِها ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعْبَدوا باخْتِيارِهِمْ ورِضاهُمْ .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

تَأْكيدٌ لِبُعْدِهِمْ عَنِ النَّارِ ، فَهُمْ بَعيدونَ عَنْها ، لا يَسْمَعونَ صَوْتَ اشْتِعالِ اللَّهَبِ وحَرَكَتِهِ ، لأَنَّهُمْ قَدِ اسْتَقَرُّوا في الجَنّةِ ، وَصاروا في أَمانٍ واطْمِئْنانٍ ، وَهُمْ فيما تَتَمنَّاهُ أَنْفُسُهُمْ ، وَتَشْتَهيهِ قُلوبُهُمْ ، وَتَنْشَرِحُ لَهُ صُدورُهُمْ خالِدونَ خُلوداً أَبَدِيّاً لا يُنَغِّصُهُ حُزْنٌ ولا انقطاعٌ .

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

وَمِنْ رَحْمَتِنا بِهؤلاءِ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنى أَنَّهُمْ لا يَحْزُنُهُمْ ما يَحْزُنُ غَيْرَهُمْ مِن أَهوالِ يَوْمِ القيامَةِ ، وتَسْتَقْبِلُهُمُ المَلائِكَةُ مَهَنِّئَةً مُبَشِّرَةً إِيَّاهُمْ بِحُصولِ ما كانوا يُوعَدونَ بِهِ في الدُّنْيا مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ وَجنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يَسْبِقُ قيامُ السَّاعَةِ عَلاماتٌ وأَشْراطٌ تُؤْذِنُ بِقُرْبِ وُقوعِها .

٢ـ مِنْ عَلاماتِ يَوْمِ القيامَةِ خُروجُ يَأْجوجَ وَمَأْجوجَ .

٣ـ شِدَّةُ أَهْوالِ يَوْمِ القيامَةِ تَجْعَلُ البَصَرَ شاخِصاً .

٣ـ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ بِرِضاهُ دَخَلَ النَّارَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ بغيرِ رِضاهُ فلا يَدْخُلُها .

٤ـ لا يَشْعُرُ أَهْلُ الجَنَّةِ بِشَيْءٍ مِنْ حالِ أَهْلِ النَّارِ تَكْريماً لَهُمْ وَحِفْظاً لِمَشاعِرِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى أَنَّ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ ؟

٢ـ ما سَبَبُ شُخوصِ أَبْصارِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٣ـ ما عِلَّةُ دُخولِ الأَصْنامِ الَّتي لا تَعْقِلُ النَّارَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ حُصولِ الزَّفيرِ لأَهْلِ النَّارِ . ؟ وماعِلَّةُ عَدَمِ سَماعِ بَعْضِهِمْ زَفيرَ بَعْضٍ ؟

٥ـ مَنِ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ الحُسْنىٰ ؟

٦ـ بِماذا أَكَّدَتِ الآيةُ بُعْدَ أَهْلِ الجَنَّةِ عَنِ النَّارِ ؟

٧ـ ما الشَّيْءُ الَّذي كانَ يُوعَدُ بِهِ المُؤْمِنونَ في الآخِرَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةً مِنْ مَعْبوداتِ الكافِرينَ الَّذينَ يُلْقَوْنَ مَعَهُمْ في النَّارِ .

٢ـ اكْتُبْ مُلَخَّصَ قِصَّةِ أَحَدِ الأَنْبياءِ الَّذين ذُكِروا في هَذهِ السُّورَةِ ، وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرسةِ .

* * *

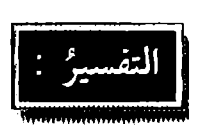
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والخَمْسونَ

سورةُ الأنبياءِ ـ القِسْمُ الرّابعَ عشَرَ

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السِّجِلّ	: الصَحيفَةِ .
لِلْكُتُبِ	: على مايُكْتَبُ فيهِ .
الزَّبورِ	: الكِتابُ الّذي أُنْزِلَ على داودَ عَلَيْه السَّلامُ .
الذِّكْرُ	: اللوْح المَحْفوظ .
لَبلاغاً	: مُوصِلاً إلى الهَدَفِ والغايةِ .
آذَنْتُكُمْ	: أَعْلَمْتُكُمْ .
على سَواءٍ	: مُسْتوينَ في العِلْمِ .
فِتنةٌ	: امْتِحانٌ واخْتِبارٌ .



التفسيرُ :

تَبْدأُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بِذِكْرِ بَعْضِ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، قالَ اللهُ تَعالىٰ :

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

أيْ واذْكُرْ يَوْمَ نَطْوي السَّماءَ طَيّاً مِثْلَ طَيِّ الصَّحيفةِ على ما كُتِبَ فيها . وفي هذا التَّعْبيرِ إشْعارٌ بأَنَّ هَذا الطَّيَّ في مُنْتَهى السُّهولةِ واليُسْرِ ، حَيْثُ شَبَّهَ طَيَّ السَّماءِ بطيِّ الصَّحيفةِ على ما فيها .

وَفي قَوْلِهِ تَعالىٰ : ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾ بَيانٌ لِصِحَّةِ الإعادةِ قياساً على البَدْءِ ، فَأَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ قادِرٌ على أنْ يُعيدَ الخَلْقَ كَما بدأَهَمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ دونَ تَعَبٍ ، وَفي الحَديثِ قالَ ﷺ : « أَيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ مَحْشورونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً[1] ﴿كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾ »[2] . وَهَذا وَعْدٌ الْتزَمَ بِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يُخْلَفُ ولا يُبَدَّلُ ، وَسَيكونُ لا مَحالَةَ ولا بُدَّ مِنْ تَحَقُّقِهِ ، وَفيهِ إثْباتُ البَعْثِ .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ ـ بِشَيْءٍ مِمّا كانَ في كِتابِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ الزَّبُورُ ، فَقَدْ جاءَ فيهِ بَعْدَ تَمْجيدِ اللهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ أَنَّ وِراثَةَ الأَرْضِ سَتَكونُ لِلصَّالحينَ مِنَ العِبادِ الطَّائِعينَ لَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المُلْتَزِمينَ بِأَمْرِهِ ، في الدُّنْيا والآخِرَة ، أَمَّا أَرْضُ الدُّنْيا فَسَتَكونُ لِلصَّالِحينَ ، وَهَذهِ بُشْرىٰ مِنَ اللهِ بانْتِصارِ الإسْلامِ وَشُمولِهِ الأَرْضَ كُلَّها ، وفي الحَديثِ أَنَّ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قالَ : « إنَّ اللهَ زوىٰ لي الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها وَمَغارِبَها ، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ[3] لِي مِنْها »[4] . وأَمَّا الآخِرَةُ ، فَتكونُ بِالجنَّةِ .

﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

إنّ في ما ذُكِرَ في السُّورَةِ الكَريمةِ مِنْ أَخْبارٍ وَمَواعِظَ وَوَعْدٍ وبَراهينَ عَلى التَّوْحيدِ فيهِ الكِفايةُ والمَوْعِظَةُ لِلْعابِدينَ الطَّائِعينَ .

---

(١) غرلاً : أي غير مختونينَ ، كما وُلِدتُّمْ .

(٢) رواه البخاري في كتابِ الأنبياء ، بابَ وكنتُ عليهِمْ شهيداً ما دمتُ فيهِم ، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ الجنَّةِ ، باب فَناءِ الدُّنيا وبيانِ الحَشْرِ يومَ القيامةِ .

(٣) زوى : جُمِعَ وضُمَّ .

(٤) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الفِتَنِ وأشْراطِ السَّاعَةِ ، باب هلاكِ هذهِ الأمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ .

وَخصَّ العابِدينَ بالذِّكْرِ لأنَّهُمُ المُنتَفِعونَ بِتَوْجيهاتِ القُرْآنِ الكَريمِ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

وما أَرْسَلْناكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ بِهَذا الدِّينِ القَويمِ إلاَّ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكونَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ أَجْمَعينَ ، ذَلِكَ أَنَّا أَرْسلناكَ بِما يُسْعِدُهُمْ في دُنْياهُمْ وآخِرَتِهِمْ ، فَإِنِ اسْتَجابوا وَأَطاعوكَ حَصَلَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ وانْتَفَعوا بِها .

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تعالىٰ نَبِيَّهُ ـ ﷺ ـ أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ أَنَّ ما أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ تَكاليفَ وَعِباداتٍ كلها لِتَحْقيقِ الوَحْدانِيةِ للهِ الواحِدِ الأَحَدِ سُبْحانَهُ وَتَحْقيقِ إِخْلاصِ العِبادَةِ لَهُ وَحْدَهُ . فَأَسْلِموا للهِ وانْقادوا لِحُكْمِهِ . فالاسْتِفْهام في قَوْلِه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾ لِلْحَثِّ وَمَعْناه الأَمْرُ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

فإِنْ أَعْرَضوا عَنْ دَعْوَتِكَ فَقُلْ لَهُمْ : لَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ وأَخْبَرْتُكُمْ بِما أَمَرَني بِهِ رَبِّي أَنْ أُخْبِرَكُمْ إِيّاهُ ، وَلَمْ أَخُصَّ أَحَداً مِنْكُمْ بِهذا الإِعْلامَ فَأَنْتُمْ مُتساوونَ في الدَّعْوَةِ والإعْلام ، وإِنّي بَعْدَ هذا التَّبْليغِ والتَّحْذيرِ لا أَعْلَمُ أَقَريبٌ أَمْ بَعيدٌ ما تُوعَدونَ بِهِ مِنْ نُزولِ العَذابِ بِكُمْ ، أَوِ انْتِصارِ المُسْلِمينَ عَلَيْكُمْ ، أَوْ قِيامِ السَّاعةِ ، فإِنَّ عِلْمَ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ يَعْلَمُ ما تَجْهَرونَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ في مُحارَبَةِ الإِسْلامِ وَتَكْذيبِ رَسولِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ ما تَكْتُمونَ مِنْ حِقْدٍ عَلى المُسْلِمينَ ، وَسَيُعاقِبُكُمْ على ذَلِكَ بِما تَسْتَحِقُّونَ .

﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ .

وَلا أَدْري إِنْ كانَ تَأْخيرُ عِقابِكُمْ بَعْدَ أَنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ دَعْوَتي امْتِحاناً واخْتِباراً لَكُمْ ، أَوِ اسْتِدْراجاً إلى أَجلٍ مُقَدَّرٍ عِنْدَهُ سُبْحانَهُ . وفي هذا تَخْويفٌ لَهُمْ بإِخْفاءِ مَوْعِدِ العَذابِ عَنْهُمْ .

﴿ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

أَيْ قالَ الرَّسولُ ـ ﷺ ـ بَعْدَ أَنْ بَلَّغَ الرِّسالةَ ، وأَدّى الأَمانَةَ وَهُوَ يَتَضَرَّعُ إِلى رَبِّهِ : رَبِّ احْكُمْ بَيْني وَبَيْنَ هَؤلاءِ الَّذينَ بَلَّغْتُهُمُ الدَّعْوَةَ بالحَقِّ ، وَرَبُّنا الرَّحْمنُ نَسْتَعينُ بِهِ ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ وَحْدَهُ العَوْنَ على ما تَصِفونَهُ أَيُّها المُشْرِكونَ مِنْ أَنْواعِ الكَذِبِ والزُّورِ والبُهْتانِ والضَّلالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الَّذي بَدَأَ الخَلْقَ قادِرٌ على إعادَتِهِ .

٢ـ البُشْرى لِلْمُسْلِمينَ بِوَصولِ الدِّينِ إلى جَميعِ أرْجاءِ الأَرْضِ .

٣ـ الرَّسولُ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعالَمينَ .

٤ـ وُجوبُ المُفاضَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ الشِّرْكِ وأهلِ التَّوْحيدِ .

٥ـ وُجوبُ الاسْتِعانَةِ باللهِ عَلى كُلِّ ما يُواجِهُ العَبْدُ مِنْ صِعابٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿يَوْمَ نَطْوي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ؟

٢ـ ماالمَقْصودُ بالزَّبورِ ، وبالذِّكْرِ ، وبالأَرْضِ في الآية الخامِسَةِ بَعْدَ المِئَةِ ؟

٣ـ كَيْفَ يَكونُ الرَّسول ـ ﷺ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ ؟

٤ـ أَمَرَ اللهُ تعالىٰ رَسُولَهُ ـ ﷺ في هذهِ الآياتِ أنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ أُموراً . ما هِيَ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما تحْتَهُ خَطٌّ فيما يَلي :

أ ـ إنَّ في هذا لَبَلاغاً .

ب ـ فإنْ تَوَلَوْا فقُلْ آذَنْتُكُمْ على سَواءٍ .

ج ـ وإنْ أَدْري لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إلى حينٍ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ عَلاماتٍ مِنْ عَلاماتِ الرَّحْمَةِ الَّتي حَلَّتْ بالنَّاسِ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

* * *



الْجُـــزْءُ الثَّانـي

مِنْ سُورَةِ الحَجِّ - نِهايَةِ سُورَةِ النُّورِ

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الأَوَّلُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٩
الدَّرْسُ الثَّاني	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٧
الدَّرْسُ الرَّابِعُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	٢١
الدَّرْسُ الخامِسُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٢٥
الدَّرْسُ السَّادِسُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٢٩
الدَّرْسُ السَّابِعُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٣٣
الدَّرْسُ الثَّامِنُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	٣٧
الدَّرْسُ التَّاسِعُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	٤٢
الدَّرْسُ العاشِرُ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ العاشِرُ	٤٦
الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	٥٠
الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	٥٤
الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	٥٧
الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	٦١
الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ	سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ	٦٥
الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	٧٠
الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثَّاني	٧٥
الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	٨٠
الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	٨٤
الدَّرْسُ العِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الخامِسُ	٨٨
الدَّرْسُ الحادي وَالعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	٩٢
الدَّرْسُ الثَّاني وَالعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	٩٦

قائمة المحتويات

رَقْمُ الدَّرْسِ	عُنْوانُ الدَّرْسِ	رَقْمُ الصَّفْحَةِ
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٠١
الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٠٥
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٠٩
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١١٤
الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ	١١٩
الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعشْرونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّاني	١٢٤
الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالعِشْرونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ	١٢٨
الدَّرْسُ الثَّلاثُونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ	١٣٤
الدَّرْسُ الحادي وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الخامِسُ	١٣٩
الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ	١٤٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ	١٤٨
الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ	١٥٢
الدَّرْسُ الخامِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ	١٥٧
الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ العاشِرُ	١٦١
الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ	١٦٥
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ	١٦٩
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ	١٧٣
الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ	سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ	١٧٧

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (٢) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٤)

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ الحَجِّ مَكِّيَّةٌ في مُعْظَمِ آياتِها ، وفيها عَدَدٌ مِنَ الآياتِ المَدَنِيَّةِ . وُسمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِحَديثِها المُفَصَّلِ عَنْ أَحْكامِ الحَجِّ . بَدَأَتِ السُّورَةُ بالحَديثِ عَنْ يومِ القِيامَةِ ، وَعَنْ أَدِلَّةِ البَعْثِ ، وَعَرَضَتْ مَشاهِدَ مِنْ يَوْمِ القِيامةِ ، وانْتَقَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْحَديثِ عَنِ الحِكْمَةِ مِنَ الإذْنِ بقِتالِ الكُفَّارِ ، وَبَيانِ سُنَّةِ اللهِ في نَصْرِ المُؤْمِنينَ وإِهْلاكِ المُكَذِّبينَ ، ثُمَّ وَصَفَتْ حالَ الكافِرينَ إذا تُلِيَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ ، وَسَفَّهَتْ عُقولَ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبدونَ آلِهَةً عاجِزَةً عَنْ خَلْقِ مَخْلوقٍ ، وخُتِمَتِ السُّورَةُ بالأَمْرِ بالصَّلاةِ ، والزَّكاةِ ، والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ ، وفِعْلِ الخَيْرِ ، والاعْتِصامِ باللهِ ، نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ النَّصيرُ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

زَلْزَلَةَ السّاعَةِ	: الزَّلْزَلَةُ هي الحَرَكَةُ الشّديدةُ والاضْطِرابُ ، وَهِيَ مِنْ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ .
تَذْهَلُ	: تَغْفَلُ وتَنْشَغِلُ مِنَ الهَوْلِ .
يُجادِلُ	: يُخاصِمُ .
مَريدٍ	: مُتَمَرِّدٍ مُتَجَرِّدٍ لِلْفَسادِ .
مَنْ تَوَلاَّهُ	: مَنِ اتَّبَعَهُ .

التَّفسيرُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ .

تبدأُ السُّورَةُ بهذا المَطْلعَ المُخيفِ العَنيفِ ، الَّذي تَرْتَجِفُ لَهُ القلوبُ ، وتَطيشُ لِهَوْلِهِ العُقولُ ، فَبَعْدَ الأَمْرِ بِتَقْوى اللهِ ، والتَّحْذيرِ مِنْ عِقابِهِ ، والعَمَلِ بطاعِتِهِ ، يَنْتَقِلُ الحَديثُ مُباشَرَةً إلى زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ ، المَوْصوفةِ بأنّها شَيْءٌ عظيمٌ ، لا يَكادُ يُتَصَوَّرُ لِهَوْلِهِ وَعَظَمَتِهِ .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلٌ لِبَعْضِ الأَحْداثِ الحاصِلَةِ بِسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ ، فإِنَّ مِنْ مَظاهِرِ شِدَّتِها ورَهْبَتِها ، أَنَّ الأُمَّ المُرْضِعَةَ الّتي أَلْقَمَتْ ثَدْيَها لِوَليدِها تَذهَلُ عَنْهُ ؛ بِمَعْنى أَنَّها تَتْرُكُهُ ، وَتَنْشَغِلُ عَنْهُ بِسَبَبِ الخَوْفِ والفَزَعِ ، وأَنَّ كلَّ حاملٍ مِنْ إنْسانٍ أَوْ حَيوانٍ تَضَعُ حَمْلَها قَبْلَ تمامِهِ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ ، وأَنَّ النّاسَ جَميعاً تَكونُ هيئَتُهُمْ كَهَيْئَةِ السُّكارى مِنْ قُوَّةِ الرُّعْبِ والرَّهْبَةِ ، وماهُمْ على الحَقيقةِ بِسُكارىٰ ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَشْرَبوا ما يُسْكِرُهُم ، وَلكنَّ الخَوْفَ مِنْ شِدّةِ العذابِ وَرَهبَةِ الحالِ جَعَلَهُمْ بهذِهِ الحالةِ التي تُشْبِهُ حالَ السُّكارىٰ في الذُّهولِ والاضْطِرابِ .

واخْتِيارُ لَفْظِ (مُرْضِعَةٍ) دُونَ مُرْضِع ، لأَنَّ المُرْضِعَةَ هي الّتي أَلْقَمَتْ رَضيعَها الثَّدْيَ ، والمُرْضِعُ : الَّتي مِنْ شَأْنِها الإِرْضاعُ وإِنْ لَمْ تُباشِرْهُ حالَ وَصْفِها بِهِ ، وفي هَذا دَلالَةٌ على شِدَّةِ الهَوْلِ والفَزَعِ والانْشِغالِ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾ .

ومِنَ النّاسِ ، بالرَّغْمَ مِمّا ذُكِرَ مِنْ وَعيدِ يَوْمِ القيامَةِ وأَهْوالِهِ مَنْ يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللهِ ، وَيَتطاوَلُ على ذاتِ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وأَفْعالِهِ ويُخاصِمُ في صِفاتِهِ وَوَحْيِهِ ؛ أَحْكامُهُ بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ مِنْ عِلْمٍ عَقْلِيٍّ أو نَقْلِيٍّ وَبِغَيْرِ دَليلٍ ، أَوْ مايُشْبِهُ الدّليلَ ، قَدِ اسْتَولى عَلَيْهِمُ الجَهْلُ والعِنادُ ، يَتَّبعونَ في جِدالِهِمْ وَخُصومَتِهِمْ كُلَّ شَيْطانٍ بَعيدٍ عَنِ الخَيْرِ ، مُتَجَرِّدٍ لِلْفَسادِ لا يَعْرِفُ الحَقَّ ولا الصَّلاحَ ، قَدْ أَخْلَصَ نَفْسَهُ لِلشَّرِّ والمُنْكَرِ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ . ويَدْخُلُ في لَفْظِ (شيطانٍ) رؤوسُ الكُفْرِ الصّادِّينَ عَنِ الحَقِّ مِنَ الإنْسِ ، كَما يَدْخُلُ فيهِ شَياطينُ الجِنِّ .

وتَقْييدُ الجِدالِ بِكَوْنِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الجِدالَ بِعِلْمٍ لإِحْقاقِ الحَقِّ ، وإِبْطالِ الباطِلِ ، سائِغٌ مَحْمودٌ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هَذهِ الآيَةُ سُوءَ عاقِبَةِ هَذا المُجادِلِ بالباطِلِ ، والمُتَّبِعِ لِكُلِّ شَيْطانٍ مَريدٍ ، بأَنَّ اللهَ قَضىٰ وَحَكَمَ أَنَّ مَنْ يَتولّى هَذا الشَّيْطانَ وَيَتَّخِذُهُ قُدْوَةً لَهُ فإنَّهُ يُضِلُّهُ وَيُبْعِدُهُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَيَسوقُهُ إِلى الطَّريقِ الَّتي تُوصِلُهُ إلى عَذابِ السَّعيرِ في النّارِ .

والتَّعْبيرُ بِـ (يَهديهِ) على سَبيلِ التَّهَكُّمِ ، لأنَّ الهِدايَةَ لا تَكونُ إلى عَذابِ جَهَنَّمَ ، بَلْ تَكونُ إلى سَبيلِ الخَيْرِ والفَلاحِ .

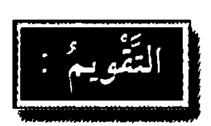
دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَحْداثُ يَوْمِ القيامَةِ رَهيبةٌ مُذْهِلَةٌ .

٢ـ حُرْمَةُ الجِدالِ بالباطِلِ وَبِغَيْرِ عِلْمٍ .

٣ـ مُوالاةُ الشَّياطينِ تَقودُ إلى جَهَنَّمَ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماأهَمُّ مَوْضوعاتِ سُورَةِ الحَجِّ ؟

٢ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ أثَرَ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ على النَّاسِ ؟

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ المُرْضِعَةِ والمُرْضِعِ ؟ وما الحِكْمَةُ مِنْ وُرودِ لَفْظِ المُرْضِعَةِ في الآيَةِ ؟

٤ـ مَنْ هُمُ المَذْمومونَ في الآيةِ الثَّالِثَةِ ؟

٥ـ ما مَعْنى (شَيطانٍ مَريدٍ) ؟ اذْكُرْ أَسْماءَ بَعْضِ شَياطينِ اليَهودِ والمُشْرِكينَ في عَهْدِ الرَّسولِ ﷺ .

٦ـ ما فائِدَةُ التَّعبيرِ بـ (يهديهِ) بَدَلاً مِنْ (يَقودُهُ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأْ سورَةَ الزَّلْزَلَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَحْداثَ المُرافِقَةَ لِلزَّلْزَلَةِ أَوِ التابِعَةَ لَها .

٢ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حُدودِ الصَّفْحَةِ عَنْ أَهْوالِ النَّاسِ يَوْمَ القيامَةِ ، وَضَعْهُ في مَجلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

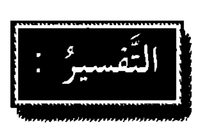
الدَّرسُ الثَّاني

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثّاني

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- نُطْفَةٍ : قَطْرَةِ مَنِيٍّ .
- عَلَقةٍ : قِطعةِ دَمٍ جامدٍ ، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّها تَعْلَقُ بالرَّحِمِ .
- مُضْغَةٍ : قطعةِ لَحْمٍ قَدْرَ مايُمْضَغُ ، أَوْ على شَكْلِ لُقْمَةٍ مَمْضوغَةٍ .
- مُخَلَّقَةٍ : مُصَوَّرَةٍ .
- لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ : كَمالَ قُوَّتِكُمْ وَعَقْلِكُمْ .
- أَرْذَلِ العُمُرِ : أَخَسِّهِ وأسوئِهِ وَهُوَ الهَرَمُ والخَرَفُ .
- هامِدَةً : يابِسَةً قاحِلَةً .
- رَبَتْ : ازْدادتْ ونَمَتْ .
- زَوْجٍ بهيجٍ : صِنْفٍ حَسَنٍ نَضيرٍ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ مَنْ يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَبِخاصّةٍ في شَأْنِ البَعْثِ والحَشْرِ ، ذَكَرَ دَليلين واضِحَيْنِ على ذَلِكَ ، أَوّلُهُما في الإنسانِ وابْتداءِ خَلْقِهِ ، وَثانيهما في الأَرْضِ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ﴾ .

المُرادُ بالنَّاسِ هُنا : المُشْركونَ ، ومَنْ كانَ على شاكِلَتِهِمْ في إنْكارِ البَعْثِ ، فإنْ كُنْتُمْ تَشُكُّونَ في أَمْرِ إعادَتِكُمْ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ ، فَتَفَكَّروا في مَبْدَأ خَلْقِكُمْ لِيزولَ عَنْكُمْ هذا الشَّكُّ ، فإنَّ مَنْ أَوْجَدَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قادرٌ عَلى إعادَتِكُمْ إلى الحَياةِ ، إِذْ الإعادَةُ أَيْسَرُ مِنَ ابْتداءِ الفِعْلِ .

ولِيَكونَ الدَّليلُ أَوْضحَ ، ذَكَرَ اللهُ سُبْحانَهُ أطْوارَ خَلْقِ الإنْسانِ وهِيَ :

ـ ﴿مِنْ تُرابٍ ﴾ ، فَقَدْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرابٍ . وآدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَصْلُ الإنْسانِ ، والفَرْعُ يَتْبَعُ الأَصْلَ ، فَأَصْلُ الإنْسانِ خُلِقَ مِنْ تُرابٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَكونَ الخَلْقُ مِنْ هَذهِ النُّطَفِ ، حَيْثُ يَبْدَأُ تَكَوُّنُ الجَنينِ في رَحِمِ الأُمِّ مِنَ الْتِقاءِ ماءِ الرَّجُلِ وَهُوَ المَنِيُّ بماءِ المَرْأةِ وَهُوَ البُوَيْضَةُ . والنُّطْفَةُ في اللُّغَةِ تَعْني الماءَ القَليلَ الّذي يَسيل ويَتقاطَرُ .

ـ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وَبَعدَ ذلكَ يُصْبِحُ عَلَقَةً ، ايْ قِطْعَةً مِنَ الدَّمِ جامِدَةً تَعْلَقَ بِجدارِ الرَّحِمِ .

ـ ﴿ثمّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ ثُمَّ تتحَوَلُ إلى قِطعةٍ مِنَ اللَّحْمِ بِمِقْدارِ اللُّقْمَةِ الّتي تُمْضَغُ ، وَتَكونُ هذهِ المُضْغَةُ على نوْعَيْن :

﴿مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ تامَّةِ الخَلْقِ سالِمَةٍ مِنَ العُيوبِ الخَلْقِيّةِ ، وَغَيرِ تامَّةِ الخَلْقِ ، فَيكونُ في الجَنينِ عَيْبٌ في الصُّورَةِ ، أَوْ في تَمامِ خَلْقِهِ ، وَقَدْ لا يَسْتَمِرُّ فَيَسْقُطُ قَبْلَ تَمامِ تَكَوُّنِهِ .

وهذا التَّكوينُ ﴿نُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ قُدْرَتَنا على الخَلْقِ والبَعْثِ ، فإنّ مَنْ قَدِرَ على خَلْقِ الإنْسانِ بِهذِهِ المَراحِلِ قادِرٌ على إعادَةِ ما بَدَأَهُ ﴿وَنُقِرُّ في الأَرْحام ما نَشاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمّى ﴾ أَيْ ونُثَّبتُ في الرَّحِمِ تِلْكَ المُضْغَةِ إلى وَقْتِ الوِلادَةِ ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ لا عِلْمَ لَكُمْ ، ولا قُدْرَةَ على الاعْتِناءِ بِشُؤونِكُمْ فَنُنَمّيكُمْ ونُرَبِّيكُمْ ﴿ثُمَّ لِتَبْلغوا أَشُدَّكُمْ ﴾ أيْ كمالَ أبْدانِكُمْ ، وتَمامَ عُقولِكُمْ عِنْدَ بُلوغِ القُدْرَةِ

الجسْمِيَّةِ والعَقْلِيّةِ ، وبَعْدَ ذَلِكَ إمّا أنْ تَستمرَّ حَياةُ الفَرْدِ أو يَتَوفّاهُ اللهُ ﴿ومِنْكُمْ مَنْ يُتَوفّى ومِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾ أيْ يُعَمّرُ حتّى يَصِلَ إلى الشَّيْخوخَةِ والهَرَمِ وضَعْفِ القُوَّةِ والخَوْفِ ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ حَيْثُ يُصْبِحُ كالطِّفْلِ مِنْ حَيثُ ضَعْفُ البُنْيَةِ ، وضَعْفُ العَقْلِ وَضَعْفُ الذّاكِرَةِ ، فَيَنْسى ما كانَ يَعْمَلُهُ ، وَيَعْجزُ عَمّا كانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ الدَّليلَ الثّانِيَ على القُدْرَةِ على إعادَةِ الخَلْقَ وبَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، فقالَ :

﴿وترى الأرضَ هامِدةً﴾ أيْ مَيّتَةً يابسَةً ﴿فإذا أَنْزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ﴾ تَحَرَّكَتْ بالنَّباتِ ، وانتفخَتْ بِسَبَبِ ما يَتَخَلَّلُها مِنَ الماءِ والنَّباتِ ، وأنْبَتَتْ بَعْدَ ذلِكَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ حَسَنٍ نَضيرٍ ، فَفي إحْياءِ الأرْضِ بَعْدَ مَوْتِها دَليلٌ على إحْياءِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِقُدْرَةِ اللهِ وإرادَتِهِ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

ذلكَ الَّذي ذَكَرْناهُ لَكُمْ دَليلٌ واضِحٌ عَلى أنَّ اللهَ تَعالىٰ هُوَ الإلَهُ الحَقُّ الَّذي يَجِبُ أنْ نُخْلِصَ لَهُ الطّاعَةَ والعِبادَةَ ، وأَنَّهُ الَّذي يُعيدُ الحَياةَ بَعْدَ المَوْتِ والفَناءِ ، وَهُوَ الَّذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وَهُوَ القادِرُ على ما أَرادَ .

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ .

وفيما سَبَقَ ذِكْرُهُ دَليلٌ على حُصولِ يَوْمِ القيامَةِ دونَ رَيْبٍ ولا شَكٍّ ، وعلى أنَّ اللهَ تَعالىٰ يَبْعَثُ الأَمْواتَ مِنْ قُبورِهِم في ذَلِكَ اليَوْمِ لِيُجازِيَهُمْ على أَعْمالِهِمْ .

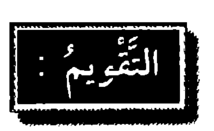
دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إرْشادُ اللهِ عِبادَهُ إلى مُحاجّةِ المُكَذِّبينَ بالأَدِلَّةِ والبَراهينِ .

٢ـ تَبيينُ مَراحِلِ خَلْقِ الإنْسانِ في الرَّحِمِ دَليلٌ على أنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالىٰ .

٣ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ وتَصَرفِهِ في الخَلْقِ بما يُريدُ ، فاللهُ قادِرٌ على إحْياءِ الأَمْواتِ يَوْمَ البَعْثِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُر مَراحِلَ تَكَوُّنِ الجَنينِ في الرَّحِمِ .

٢ـ ما مَعْنى الرَّدِّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ ؟

٣ـ كَمْ مِثالاً ذُكِرَ في هَذهِ الآياتِ على قُدْرَةِ اللهِ على الإحْياءِ ؟

٤ـ بَيِّنْ معنى ما يلي :

ـ مُضْغَةٍ .

ـ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ .

ـ هامِدَةً .

ـ رَبَتْ .

ـ زَوْجٍ بهيجٍ .

ـ اهْتَزَّتْ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلاً مِنْ مُشاهَداتِكَ عَلى قُدرَةِ اللهِ على البَعْثِ .

٢ـ نَظِّمْ مَعَ طُلابِ صَفِّكَ رِحْلَةً إلى أَرْضٍ جَرداءَ في شَهْرِ أَيْلولَ ، ثُمَّ عودوا إليْها في شَهْرِ آذارَ ، واذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ ما تَرَوْنَ في كُلِّ مَرَّةٍ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ثانيَ عِطْفِهِ	: مُعْرِضاً بجانِبِهِ .
خِزْيٌ	: ذُلٌّ وَهَوانٌ .
على حَرْفٍ	: على حافَةٍ .
المَوْلَى	: النّاصِرُ .
العشيرُ	: الصَّاحِبُ المُعاشِرُ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ ببيانِ صِنفَينِ مِنَ النَّاسِ ، أحَدُهُما مُتكَبِّرٌ مَغْرورٌ ، والآخَرُ مُتَذَبْذِبٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍ على عَقيدةٍ ، وكُلٌّ مِنْ هذينِ الصِّنْفَينِ إلى خُسرانٍ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

الصِّنْفُ الأوَّلُ مَنْ يُجادِلُ في وُجودِ اللهِ وَصِفاتِهِ بالباطِلِ ، دُونَ أنْ يَكونَ مَعَهُ أيُّ مُسْتَنَدٍ مِنْ عَقْلٍ صَحيحٍ ، أوْ مِنْ نَقْلٍ صَريحٍ ، بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ والهَوىٰ ، وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ مَغْرورٌ .

﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ .

وَهُوَ مِنْ شِدَّةِ تَكَبُّرِهِ تراهُ مُعْرِضاً مُتَكَبِّراً عَنْ قَبولِ الحَقِّ مُصِرّاً على باطِلِهِ لِيُضِلَّ ، غَيْرَهُ عَنْ دينِ اللهِ تعالىٰ ، وَعَنْ سَبيلِ الهُدىٰ والرَّشادِ ، هذا المُتَكَبِّرُ المُضِلُّ لَهُ هوانٌ وَذُلٌّ في الحياةِ الدُّنْيا ، وَيَوْمَ القيامَةِ سَيَصْطَلِي بنارِ جَهَنَّمَ المُحْرِقَةِ .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

هذا المُتَكَبِّرُ المُضِلُّ قَدِ اسْتَحَقَّ المَذَلَّةَ في الدُّنْيا ، والعَذابَ في الآخِرَةِ ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لَهُما بِسَبَبِ ما اقْتَرَفَ مِنَ الكُفْرِ والضَّلالِ والإضْلالِ لِغَيْرِهِ ، فَعَذابُهُ نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لِما قَدَّمَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عادِلٌ لا يَظْلِمُ أحَداً مِنْ خَلْقِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ الْتِفاتٌ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ لِتَأْكيدِ الوَعيدِ ، وأُسْنِدَ الفِعْلُ إلى اليَدَيْنِ لأنَّهما آلةُ الكَسْبِ ، وَبِهِما تُزاوَلُ مُعْظَمُ الأَعْمالِ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ .

أمَّا الصِّنْفُ الثَّاني مِنَ النَّاسِ فَهُوَ الَّذي يَعْبُدُ اللهَ على قَلَقٍ وغَيْرِ اطْمِئنانٍ ، شَبَّهَهُ اللهُ تعالىٰ بِمَنْ يَقِفُ على حافَةِ صَخْرَةٍ ، تَحْتَها وادٍ عَميقٌ ، وَهَذا التَّشْبيهُ لِكَوْنِهِ غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ في عِبادَتِهِ ، فَهُوَ قَلِقٌ مُضْطَرِبٌ ، فإنْ أَصابَهُ خَيْرٌ مِنْ صِحَّةٍ وَسَعَةٍ وَمَنافِعَ دُنيويَّةٍ ثَبَتَ على ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةٍ ظاهِريّاً ، وإنْ أَصابَتْهُ مُصيبةٌ أَوْ شَرٌّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ عَنْ عبادَتِهِ وَدينِهِ إلى الكُفْرِ والمَعاصِي ، وَمَنْ كانَ هذا حالُهُ فَقَدْ خَسِرَ الدُّنيا بِسَبَبِ عَدَمِ حُصولِهِ على مايُريدُ مِنْها ، وَخَسِرَ الآخِرَةَ بِسَبَبِ ارتدادِهِ إلى الكُفْرِ ، وَذَلِكَ الَّذي جَمَعَهُ على نَفْسِهِ مِنْ خُسرانِ الدُّنيا والآخِرَةِ هُوَ الخُسْرانُ الواضِحُ الظَّاهِرُ الَّذي لا يَخْفَى على أَحَدٍ .

وَمِنْ أَسْبابِ خُسْرانِ هذا الإنسانِ أَنَّهُ :

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

أيْ أنَّهُ يَعْبُدُ مِنْ دونِ اللهِ أَوْثاناً وأَصْناماً ، إنْ تَرَكَ عِبادَتَها ، وإنْ عَبَدَها فَلَنْ تَضُرَّهُ ولن تَنْفَعَهُ ، وَذَلِكَ الَّذي يَفْعَلُهُ هذا الشَّقِيُّ هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ بُعْداً كَبيراً عَنْ كُلِّ صَوابٍ وَرَشادٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ عِبادَةَ هذهِ الأَصْنامِ لاتَجرُّ لِصاحِبِها إلاَّ الضَّرَرَ فَقالَ :

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ .

فَهُوَ يَعْبُدُ ما يَجْلِبُ لَهُ الضُّرَّ في الدُّنْيا بالخِزْيِ والذُّلِّ ، وفي الآخِرَةِ بِدُخولِ النَّارِ ، ولَمْ يَأْتِ مِنهُ نَفْعٌ أَصْلاً . واسْتِعْمالُ صيغَةِ التَّفضيلِ (أقربُ) مَعَ عَدَمِ حُصولِ النَّفْعِ مُطْلَقاً لِلْمُبالَغَةِ في تَقْبيحِ حالِهِ ، ولَبِئْسَ أنْ يكونَ هذا الصَّنَمُ مَوْلى وناصِراً ، وأنْ يَكونَ مُخالِطاً مُعاشِراً .

وَيَصِحُّ أنْ يُرادَ بالمَعْبودِ في هذهِ الآيَةِ : الطَّواغيتُ مِنَ البَشَرِ الَّذينَ يَجْلِبونَ لِعابديهِمْ نوعاً مِنَ المَنْفَعَةِ حينَ يُعطونَهُمُ الأَمْوالَ ، ويَرْفَعونَهُمْ في المَناصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلكنَّ هذا النَّفْعَ الدُّنيَوِيَّ لا يُعَدُّ شَيْئاً إزاءَ ما سَيُلاقونَهُ مِنْ عذابٍ شديدٍ على شِرْكِهِمْ ، فالضُّرُّ الذي يَجْلِبُهُ هذا المَعْبودُ لِعابِدِهِ أقْربُ وأَعْظَمُ مِنْ نَفْعِهِ بشيْءٍ مِنْ حُطامِ الدُّنيا ، وَحينَ يَرى هذا العابدُ المُشْرِكُ سوءَ حالِهِ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَبَدَهُ كانَ بِئْسَ النَّاصِرُ ، وبِئْسَ الصاحِبُ لَهُ ، وذلكَ حينَ لا يَنْفَعُهُ هذا العِلْمُ . ومِمَّا يُؤَيِّدُ هذا المَعْنى لِلآيَةِ اسْتِعْمالُ (مَنْ) الَّتي هِيَ لِلعاقِلِ ، في حين اسْتُعْمِلَ في الآيَةِ السابِقَةِ (ما) التي هِيَ لِغَيْرِ العاقِلِ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ مآلِ ذَيْنِكَ الصِّنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ ، بَيَّنَ هُنا ما أَعَدَّهُ لِعِبادِهِ المُؤْمِنينَ الَّذينَ صَدَقوا في إيمانِهِمْ ، وَعَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّاتِ ذاتَ النَّعيمِ المُقيمِ الَّتي تَجْري مِنْ تَحْتِ أَشْجارِها وَقُصورِها الأنهارُ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَفْعَلُ ما يُريدُ حَسَبَ ما تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ وَمَشيئَتُهُ لا يُنازِعُهُ في ذَلِكَ مُنازِعٌ ، ولا يُعارِضُهُ مُعارِضٌ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الجِدالُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَمْرٌ قَبيحٌ سَيِّءٌ .

٢ـ التَّكَبُّرُ خُلُقٌ مَذْمومٌ ، وَسُلوكٌ مَشينٌ .

٣ـ ذمُّ التَّرَدُّدِ في أمْرِ الدينِ والقَلَقِ في العِبادَةِ .

٤ـ مآلُ عِبادَةِ الأَصْنامِ الضَّرَرُ والعَذابُ .

٥ـ لا يَجوزُ دُعاءُ غَيْرَ اللهِ ، فاللهُ وَحْدَهُ الَّذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْعى .

٦ـ المُؤْمِنونَ الَّذين يَعْمَلونَ الصَّالِحاتِ هُمُ الَّذينَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّاتِ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا ذَمَّ اللهُ مَنْ يُجادِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟

٢ـ ماالعُقوبَةُ الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ لِمَنْ يُجادِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟

٣ـ ذَكَرتْ آياتُ الدَّرسِ صِنْفَيْنِ مَذمومَيْنِ مِنَ النَّاسِ ، بَيِّنْ ذَلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٤ـ كَيْفَ صَوَّرَتِ الآياتُ الكريمةُ حالَةَ القَلَقِ في عِبادَةِ المُتَرَدِّدِ في دينِهِ ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿يَدْعو لَمَنْ ضَرّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ؟

٦ـ ما فائِدَةُ ذِكْرِ نَعيمِ المُؤْمِنينَ بَعْدَ ذِكْرِ عَذابِ الكافرينَ ؟

فائِدَةٌ :

عَنِ ابنِ عبّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كانَ الرَّجُلُ[١] يَقْدمُ المَدينةَ ، فإنْ وَلَدَتِ امْرأَتُهُ غُلاماً ، ونَتَجَتْ خَيْلُهُ قالَ : هذا دِينٌ صالحٌ ، وإنْ لَمْ تَلِدِ امْرأَتُهُ ولَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ قالَ : هذا دِينٌ سوءٍ[٢] .

نَشاطٌ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ المُرادِ بالآياتِ (٨ـ١٠) ، والمُرادِ بالآيةِ الثّالثةِ مِنْ هذهِ السُّورَةِ ، وَبَيِّنْ وَجْهَ الاخْتِلافِ بَيْنَهُما .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ لماذا يَكونُ الواقِفُ عَلى حافَةِ الشَّيْءِ قَلِقاً غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ شَخْصٍ دعا قَوْمَهُ لِعبادَتِهِ مِنْ دونِ اللهِ ، وبَيِّنْ ماذا أصابَهُ وَقَوْمَهُ في هذهِ الدُّنْيا مِنَ العذابِ .

* * *

---

(١) أيْ من ضعيفي الإيمانِ أو مِنَ المنافقينَ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التفسيرِ ، باب وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعبُدُ اللهَ على حَرْفٍ . رقم الحديث ٤٤٦٥ .

الدرس الرابع

سورة الحج - القسم الرابع

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بِسَبَبٍ : بِحَبْلٍ .

إلى السَّماءِ : سَقْفِ بَيْتِهِ .

ثم لِيَقطَعْ : ثُمَّ لِيَخْتَنِقَ بِشَنْقِ نَفْسِهِ .

كَيْدُهُ : فِعْلُهُ وحِيلَتُهُ .

الصَّابئينَ : عَبَدَةَ الكواكِبِ .

المَجوسَ : عَبَدَةَ النَّارِ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتقريرِ نَصْرِ اللهِ تعالىٰ لِنَبيهِ ﷺ وَلَوْ كَرِهَ الكارِهونَ لِذَلِكَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

مَنْ كانَ يَظُنُّ مِنَ الكافرينَ الكارهينَ لِلْحَقِّ الَّذي جاءَ بِهِ مُحمّدٌ ﷺ أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ نَبيَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَمَنْ كانَ يَغيظُهُ ذَلِكَ ولا يُعْجِبُهُ ، فَلْيَقُمْ بِتَعْليقِ حَبْلٍ في سَقْفِ بَيْتِهِ ، والعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ ما يَعْلو الإنسانَ سَماءً ، ثُمَّ لِيَخْنُقَ نَفْسَهُ بهذا الحَبْلِ ، بأنْ يَشُدَّه حَوْلَ عُنُقِهِ وَيَتَدَلَّى مِنَ الحَبْلِ المُعَلَّقِ بالسَّقْفِ حتَّى يَموتَ ، وَلْيَنْظُرْ وليَتَأَمَّلْ هذا الكافرُ هَلْ سَيُزيلُ هذا الفِعْلُ مِنْ نفسهِ ماامْتَلأَتْ بهِ مِنْ غَيْظٍ ؟ وَهَلْ سَيُؤَخِّرُ نَصْرَ اللهِ لِنَبيِّهِ ﷺ . قطعاً لا . فَمَقصودُ الآيةِ الكريمةِ بيانُ أَنَّ ما قَدَّرَه اللهُ تعالىٰ مِنْ نَصْرِ نَبيِّهِ ﷺ لَنْ يَحولَ دونَ حصولِهِ حائلٌ مَهْما فَعَلَ الكافرونَ ، وإنْ قَتَلوا أَنْفُسَهُم غَيْظاً وكَراهِيَةً لِنَصْرِ اللهِ .

وَسَمّى اللهُ تعالىٰ هذا الفِعْلَ مِنَ الكافِرِ الكارِهِ كَيْداً على سَبيلِ التَّهَكُّمِ بِهِ ، فإنَّهُ لَمْ يَكِدْ إلاَّ نَفْسَهُ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ وَصْفٌ لِلْقُرْآنِ الكَريمِ ، أيْ ومثلَ هذا الإِنْزالِ البَديعِ العَظيمِ ، أنْزَلْنا القُرْآنَ كُلَّهُ آياتٍ بَيِّناتٍ واضِحاتٍ ، لِنَهْدِيَ بِهِ إلى طَريقِ الحَقِّ مَنْ أَرادَ الهِدايَةَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ الهادي لا هادِيَ سِواهُ ، يَهْدي مَنْ يَشاءُ إلى صراطٍ مُسْتَقيمٍ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بَيَّنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيةِ أنَّ مَرَدَّ الفَصْلِ بَيْنَ الفِرَقِ المُخْتَلِفَةِ المَوْجودَةِ حال تَنَزَّلَ القُرْآنُ إليْهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ العَليمُ بما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ أَوْ باطِلٍ ، وَذَكَرَتْ الآيةُ سِتَّ فِرَقٍ ، وهي :

ـ الَّذين آمَنوا : والمُرادُ بِهِمُ المُؤْمِنونَ باللهِ تعالىٰ وَبِرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَدْ بَدَأَتِ الآيةُ بالمُؤْمِنينَ إشارَةً إلى أنَّ دينَهُمْ هُو الحَقُّ ، وَهُوَ الأَوْلىٰ بالاتِّباعِ .

ـ والَّذين هادوا : هُمُ اليَهودُ أَتْباعُ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ، الَّذين رَفَضوا الإيمانَ بِما أُنْزِلَ إلى محمد ﷺ .

ـ والصّابئونَ عَبَدَةُ النُّجومِ والكواكِبِ .

ـ والنَّصارى الَّذين يَزْعُمون أَنَّهُمْ أَتْباع عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ـ والمَجوسُ عَبَدَةُ النَّارِ .

ـ والمُشْرِكونَ عَبَدَةُ الأَصْنامِ والأَوْثانِ .

إنّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَ هَؤلاءِ جَميعاً بِحُكْمِهِ العادِلَ يَوْمَ القيامَةِ ، وَهُوَ الشَّهيدُ على أَعْمالِهِمْ ، فَهُوَ يَعْلَمُها ، وَلا يَغيبُ عَنْهُ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾ .

الاسْتِفْهامُ لِلتَّقْريرِ ، والرُّؤْيَةُ بِمَعنى العِلْمِ ، وَسُجود مَنْ في السَّموات وَمَنْ في الأرْضِ سُجودٌ حَقيقيٌّ ، وَسُجودُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ، واللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّتِهِ ، كَما كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللهَ ، ولا نَدْري كَيْفِيَّتَهُ ، وَمَعْنى الآيةِ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّها المُخاطَبُ عِلْماً يَقومُ مَقامَ الرُّؤْيَةِ أَنَّ اللهَ تعالى يَسْجُدُ لَهُ ، ويَخْضَعُ لِسُلطانِهِ جَميعُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأَرْض . وأُفْرِدَتِ الشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجومَ بالذِّكْرِ مَعَ انْدِراجِها ضِمْنَ مَنْ في السَّماواتِ ، كما أُفْرِدتِ الجبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ مَعَ اندراجِها ضِمْنَ مَنْ في الأَرْضِ لأنَّهامِمّا عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ ، فَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّها عابِدَةٌ وساجِدَةٌ لَهُ ، وليستْ مَعْبودَةً .

وَيَسْجُدُ للهِ تَعالىٰ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ ، سُجودَ طاعَةٍ وعِبادَةٍ ، وَثَبَتَ العَذابُ على كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ عَدَم سُجودِهِمْ للهِ وإيثارِهِمْ سَبيلَ الغِوايَةِ على سَبيلِ الهُدىٰ ، فَسَجدوا لِغَيْرِ اللهِ تعالىٰ مُتَّبِعينَ شياطِينَهُمْ . فاسْتَحَقُّوا الإِهانَةَ والعَذابَ ، وَكُلُّ مَنْ أهانَهُ اللهُ وأَخزاهُ ، فَلَنْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ ، وَلَنْ يُنْقِذَهُ مُنْقِذٌ مِمَّا هُوَ فيه مِنْ شَقاءٍ وهَوانٍ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يَفْعَلُ ما يَشاءُ دونَ حَسيبٍ يُحاسِبُهُ ، أَوْ مُعْتَرِضٍ على حُكْمِهِ ، لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ ناصِرُ رَسولِهِ حَقّاً وَصِدْقاً في الدُّنْيا والآخِرَةِ بالرَّغْمِ مِنْ أَنْفِ الكافِرينَ .

٢ـ نَصْرُ اللهِ لِرَسولِهِ دَليلُ صِدْقِهِ ، فَلَوْ كانَ كاذِباً لَخَذلَهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ .

٣ـ كُلُّ الأَدْيانِ بَعْدَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ضالَّة كافِرَةٌ إلاّ الّذين آمَنوا بِهِ واتَّبَعوهُ .

٤ـ كُلُّ فَريقٍ مِنَ النّاسِ يَدّعي أَنَّهُ على الحَقِّ ، واللهُ يَفْصِلُ بينَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَنِ الَّذي على الحَقِّ مِمَّنْ هُوَ في ضَلالٍ مُبينٍ .

٥ـ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ طائِعٌ لأَمْرِ اللهِ ساجِدٌ لَهُ إلاّ الكفارَ من الإنسِ والجِنِّ.
٦ـ إذا قَرَأْتَ آيةَ سَجْدَةٍ أَوْ سَمِعْتَها فَعَلَيْكَ أنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدةً واحِدَةً .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماالمُرادُ بالسَّماءِ في الآيةِ الخامِسَةَ عَشْرةَ ؟
٢ـ ما النَّتيجَةُ الّتي يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إليها المُغتاظُ مِنْ نَصْرِ الدِّينِ إذا خَنَقَ نَفْسَهُ ؟
٣ـ ما مَعْنى قولِهِ تعالى ﴿وَكَذلِك أَنْزَلْناهُ آياتٍ بيِّناتٍ﴾ ؟ .
٤ـ عَدِّدِ الطَّوائفَ المَذْكورَةَ في الآية السّابِعَةَ عَشْرَةَ .
٥ـ ماذا سَيَفْعَلُ اللهُ يَوْمَ القيامةِ مَعَ أَتْباعِ هَذهِ الطّوائفِ والأَدْيانِ ؟
٦ـ عَدِّدْ أَسْماءَ المَخْلوقاتِ الَّتي ذُكِرَتْ في آيةِ السَّجْدَةِ .
٧ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ ذِكْرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ مِنْ مَخلوقاتِ السَّماءِ ؟
٨ـ ضَعِ اللَّفْظَ المُناسِبَ في مَكانِهِ في كُلٍّ مِمّا يَلي ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ :

أـ فليَمْدُدْ. . . . . إلى السَّماءِ ثُمَّ ليَقْطَعْ. . . . . . . هَلْ يُذْهِبَنَّ. . . . . . . كَيْدُهُ ما يَغيظُ .
ب ـ إنَّ الّذينَ آمَنوا. . . . . . . والصَّابِئينَ. . . . . والمَجوسَ .
ج ـ والجِبالُ. . . . . . والدَّوابُّ. . . . . مِنَ النّاسِ .

فائِدَةٌ :

مِنَ المَعْبوداتِ الَّتي عُبِدَتْ مِنْ دونِ اللهِ ، الشَّمْسُ : عَبَدَتْها حِمْيَرُ ، والقَمَرُ : كِنانَةُ ، والشِّعرى : لَخْم ، والثُّرَيّا : طَيء ، والأَصْنامُ المُتَّخَذَةَ مِنْ حجارةِ الجبالِ : قبائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ ، والشَّجَرُ : غَطَفانُ ، والبَقَرُ : قُدَماءُ المِصريينَ والهنودُ ، والكِلابُ : عَبَدَها أَقْوامٌ مُتَعَدِّدونَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائِلَ سُورَةِ الانْشِقاقِ ، وبَيِّنْ طاعةَ السَّماءِ والأَرْضِ للهِ ربِّ العالَمينَ .

الدَّرسُ الخامِسُ

سُورَةُ الحَجِّ ـ القِسمُ الخامِسُ

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَصْمانِ : فريقانِ متنازعانِ .

قُطِّعَتْ : قُدِّرَتْ .

الحَميمُ : الماءُ البالِغُ أَعْلَى دَرجاتِ الحَرارَةِ .

يُصهَرُ بِهِ : يُذابُ بِهِ .

مَقامِعُ : مَطارِقُ .

أَساوِرَ : جَمْعُ سِوارٍ ، وَهُوَ ما يُلْبَسُ في المِعْصَمِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنْ أبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّه كانَ يُقْسِمُ ـ أَنَّ الآيَةَ ﴿هَذانِ خَصْمانِ اخْتَصموا في رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ في الَّذينَ بَرَزوا يَوْمَ بَدْرٍ : حَمْزَةَ وعليٍّ وعُبَيدةَ بنِ الحارثِ ، وَعُتْبَةَ وشيبةَ ابني رَبيعةَ والوَليدِ بن

عُقْبَة[1] . ، وَتَبقى الآيةُ عامَّةً في الكُفَّارِ والمُؤْمِنينَ ، كَما صَرَّحَتْ الآياتُ بِذَلِكَ ﴿فالَّذين كَفروا . . ﴾ ﴿إنّ الله يُدْخِلُ الّذينَ آمَنوا﴾ .

التفسيرُ :

تُبَيِّنُ آياتُ هذا الدَّرْسِ ما أَعَدَّهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِكُلٍّ مِنَ الكافِرينَ والمُؤْمِنينَ ، الَّذينَ اخْتَصَموا وَتَنازَعوا مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ تَعالىٰ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ .

هَذانِ فَريقانِ تَنازعا في أَمْرِ رَبِّهِم وَدينِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ المُتَنازِعينَ في هذا الأمْرِ ، مَنْ نَزَلَتِ الآياتُ فيهِمْ ، وَهُمُ الَّذينَ تبارَزوا يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ يَدَيِ المَعْرَكَةِ . وَيَدْخُلُ في الآيةِ كُلُّ مَنْ تَخاصَمَ مَعَ غَيْرِه في شَأْنِ اللهِ تَعالىٰ وَدينِهِ ، فالفَريقُ الأَوَّلُ وَهُمُ الكافرونَ سُوِّيتِ وَقُدِّرَتْ لَهُم ثِيابٌ على قَدْرِ أَجْسامِهِمْ مِنْ نارٍ ، فالنَّارُ تُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، كَما يُحيطُ الثَّوْبُ بلابِسِهِ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمُ الماءُ المَغْلِيُّ البالِغُ أَقْصىٰ دَرجاتِ الحَرارَةِ والتَّعبيرُ عَنِ الفِعْلِ بِصيغَةِ الماضي لِتَحَقُّقِهِ ، وَتَأْكيدِ وُقوعِهِ حتَّى كأنَّه قَدْ تَمَّ وَحَصَلَ .

﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

يُذابُ بهذا الحَميمِ الَّذي يُصَبُّ عَلَيْهِم ، ما في بُطونِهِمْ مِنَ الشُّحومِ والأَحْشاءِ والأمْعاءِ ، وَتُشْوى بِهِ جُلودُهُمْ فَتَتَساقَطُ مِنْ شِدَّةِ الحَرارةِ ، فَتَأْثيرُ هذا الحَميمِ يَشْمَلُ بَواطِنَهُمْ وَظَواهِرَهُمْ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « إنَّ الحَميمَ لِيُصَبُّ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الجُمْجُمَةَ حتَّى يَخْلُصَ إلىٰ جَوْفِهِ ، فيسْلِتُ[2] ما في جَوْفِهِ حتّىٰ يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُو الصَّهْرُ ، ثُمّ يُعادُ كما كانَ »[3] .

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

ولِهَؤلاءِ الكُفّارِ مَطارِقُ وَسِياطٌ مِنْ حَديدٍ يُضْرَبونَ بِها ، زِيادَةً في إذْلالِهِمْ وقَهْرِهِمْ .

---

(١) رواهُ البُخاريّ في كتابِ المغازي ، باب ٧ ، رقم الحديثِ ٣٧٥١ ، ورواهُ مسلِمٌ في كتابِ التَّفْسيرِ باب في قولِهِ ﴿هذان خصمان﴾ رقم الحديثِ ٣٠٣٣ .

(٢) يسلت : يَخرُج .

(٣) رواهُ التِّرمذيّ في كتابِ صِفَةِ جَهنَّمَ ، بابُ ما جاءَ في صِفَةِ شَرابِ أَهْلِ النَّارِ ، رقمُ الحديثِ ٢٥٨٢ .

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يُحاوِلُ أَهْلُ النَّارِ الكافِرونَ الخُروجَ مِنْ هَذا العَذابِ الرّهيبِ الَّذي يُقاسونَهُ ، وَلكِنَّهُمْ كُلَّما حاوَلوا الخُروجَ لِيَتَخَلَّصوا مِمّا يَلحَقُهُمْ فيها منْ غَمٍّ وَكَرْبٍ أُعيدوا فيها مَرّةً أخرى ، وَرُدُّوا إلى قَعْرِها وَقيلَ لَهُمْ ذوقوا عَذابَ هَذهِ النَّارِ الَّتي كُنتُم بها تُكَذِّبونَ ، وَهَذا المَشْهَدُ لِحالِ أَهْلِ النَّارِ يُزَلْزِلُ القُلوبَ ، وَيُفْزِعُ النُّفوسَ ، ويُنَفِّرُ غايَةَ التَّنفيرِ مِنْ سُلوكِ هذا السَّبيلِ المُفْضي لِكُلِّ هذا العَذابِ .

ثُمَّ انتُقلَ سُبْحانَهُ لِبَيانِ حالِ الخَصْمِ الآخَرِ ، وَهُمْ المُؤْمِنونَ الَّذينَ آمَنوا باللهِ وَحْدَهُ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

تَغْييرُ أُسْلوبِ الحَديثِ عَنِ المُؤْمِنينَ تَعْظيمٌ لِشأْنِهِمْ وإشْعارٌ باخْتِلافِ حالِهِمْ عَنْ خُصمائِهِمْ الكافِرينَ ، فَفي الكافِرينَ قالَ : ﴿فالَّذينَ كَفَروا قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ وهنا قال : ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنوا . . . ﴾ أيْ أنَّهُ سُبْحانَهُ بِفَضْلِهِ أكرَمَ عِبادَهُ الَّذينَ آمَنوا بِهِ وامْتَثلوا أَوامِرَهُ فَعَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ واجْتَنَبوا نَواهِيَهُ فأدْخَلَهُمْ جَناتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِ قُصورِها وأَشْجارِها الأَنْهارُ ، يَتَزَيَّنونَ فيها بأَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ خالِصٍ ، وَيَتزَيَّنونَ باللّؤْلُوِ ، وَلِباسُهُمْ في الجَنَّةِ الحريرُ ، وَهُوَ أَفْضَلُ اللِّباسِ وأَنْعَمُهُ وأَفْخَرُهُ .

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنون قَدْ أَرْشَدَهُمُ اللهُ إلى الكلامِ الطَّيِّبِ والقَوْلِ النَّافِعِ ، إذْ لَيْسَ في الجَنَّةِ كَذِبٌ وَلا لَغْوٌ ، وأَرْشَدَهُمْ ـ سُبْحانَهُ ـ وَهَداهُم في الدُّنْيا إلى الطَّريقِ المَحْمودِ والعَمَلِ الصَّالِحِ الموصِلِ إلى الجَنَّةِ دارِ الخُلْدِ والنَّعيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الخُصومَةُ بَيْنَ المُؤْمِنينَ والكُفَّارِ خُصومَةٌ لا تَزولُ ولا تَحولُ ، لأنَّ المُؤْمِنينَ المُوَحِّدينَ أَوْلياءُ الرَّحْمنِ ، والكُفَّارُ المُشْرِكونَ أَعْداءُ الرَّحْمنِ .

٢ـ المُؤْمِنُ يَكْرَهُ الكُفَّارَ ولا يُحِبُّهُمْ ، وإنْ كانَ يُحِبُّ لَهُمُ الهِدايَةَ .

٣ـ بَيانُ العذابِ العَظيمِ الَّذي يَنْتَظِرُ الكافِرَ ، وَهُوَ عَذابٌ مُتَنَوِّعٌ يَكونُ داخِلَ الجِسْمِ وَخارِجَهُ .

٤ـ بَيانُ النَّعيمِ المُقيمِ الَّذي يَنْتَظِرُ المُؤْمِنَ ، وَهُوَ يَشْمَلُ الأَجْسادَ والقُلوبَ والأَلْسِنَةَ .

٥ـ يُحَلّي اللهُ الرِّجالَ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ بالذَّهَبِ والحَريرِ ، وَلكنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ لِبْسَهُما في الجَنَّةِ .

٦ـ الطَّيِّبُ مِنَ النَّاسِ لا يَصْدُرُ عَنْهُ إلاَّ كُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الأَقْوالِ والأَعْمالِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ التّاسِعَةَ عَشْرَةَ .

٢ـ اذْكُرْ أَصْنافَ العَذابِ المُهَيّأَةَ لِلْكافِرينَ في النّارِ .

٣ـ لِماذا يُحاوِلُ أَهْلُ النّارِ الخُروجَ مِنْها ؟

٤ـ بِماذا يُحلَّى أَهْلُ الجَنَّةِ ؟ وَماذا يَلْبَسونَ . ؟

٥ـ وازِنْ بَيْنَ حالِ أَهْلِ النّارِ وأَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ خلالِ النِّقاطِ التّاليَةِ :

أ ـ السَّبَبِ المُوجِبِ لِعِقابِ الكافِرينَ وَنَعيمِ المُؤْمِنينَ .

ب ـ لِباسِ كُلٍّ مِنْهُما .

ج ـ ما يُقالُ لِكُلٍّ مِنْهُما .

٦ـ كَيْفَ يَلْبَسِ الرِّجالُ في الجَنَّةِ الذَّهَبَ والحريرَ مَعَ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ نَهاهُمْ عَنْ لِبْسِهِما ؟

نَشاطٌ :

١ـ وَرَدَتْ بعْضُ أَوْصافِ النّارِ في سورةِ الهُمَزَةِ ، اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حُكْمَ لِبْسِ رِجالِ المُسْلِمينَ لِلْذَهَبِ والحَريرِ في الدُّنْيا .

٣ـ اتْلُ الآيَةَ مِنْ سورةِ النَّبَأ الّتي تُبَيِّنُ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لا يَسْمعونَ فيها اللَّغوَ ولا الكَذِبَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّادسُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العاكِفُ : المُقيمُ . والبادِ : القادمُ غَيْرُ المُقيمِ .

يُرِدْ فيهِ بإلْحادٍ : يُرِدْ فيه مَيْلاً عَنِ الحَقِّ . بَوَّأْنا : بيَّنَّا .

أَذِّنْ : أعْلِمْ . رِجالاً : مُشاةً .

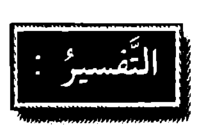
ضامِرٍ : بَعيرٍ هَزيلٍ . فَجٍّ عَميقٍ : طَريقٍ بعيدٍ .

أيامٍ مَعْلوماتٍ : يَومِ النَّحْرِ وأَيّامِ التّشريقِ الثّلاثَةِ الّتي بَعْدَهُ .

بهيمةِ الأَنْعام : الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .

ثم لِيَقْضوا تَفَثَهُم : يُزيلوا أَوْساخَهُمْ بالحَلْقِ والتّحَلُّلِ مِنَ الإحْرامِ .

البَيْتِ العتيقِ : الكَعْبَةِ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ بَيانِ أَصْنافِ النَّاسِ ، وَمَصيرِ كُلِّ صِنْفٍ ، جاءَ بَيانُ مَكانةِ المَسْجِدِ الحَرامِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ الَّذينَ أصرُّوا على كُفْرِهِمْ بما أَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ على رسولِهِ ﷺ واسْتَمَرُّوا على مَنْعِ غَيْرِهِمْ مِنَ الإيمانِ ، وَعلى مَنْعِ أَهْلِ الحَقِّ مِنْ أَداءِ المَناسِكِ في البَيْتِ الحَرامِ ، الَّذي يَسْتَوي في حَقِّ زِيارَتِهِ والتَّعَبُّدِ فيهِ جَميعُ النَّاسِ ، مَنْ كانَ مُقيماً عِنْدَهُ وَمَنْ كانَ زائِراً لَهُ قادِماً إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ البوادي أَوِ البلادِ الأُخرىٰ غَيْرِ مَكَّةَ ، فلا يَمْتازُ فيهِ أَحَدٌ على غَيْرِهِ ، وَمَنْ يَهِمُّ فيهِ بالمَيْلِ عَنْ أَحْكامِ الشَّريعَةِ وآدابِها ظُلْماً مِنْهُ لِنَفْسِهِ فَعِقابُهُ على ذٰلِكَ أَليمٌ ، كما هُوَ عِقابُ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَمَنَعَ إقامَةَ الشَّعائِرِ فيهِ . وَهذا تَهْديدٌ عظيمٌ ، حَيْثُ تَوَعَّدَ ـ سُبْحانَهُ ـ بالعذابِ الأَليمِ مَنْ أَرادَ سوءاً أَوْ هَمَّ بِهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُهُ . والْوَعيدُ يَشْمَلُ كُلَّ مَيْلٍ عَنِ الحَقِّ قَوْلاً كانَ أَوْ فِعْلاً .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بِمُناسبةِ الحَديثِ عَنِ البَيْتِ الحرامِ ، ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ قِصَّةَ بنائِهِ ، فَقالَ : واذْكُرْ وقْتَ أَنْ هَيَّأْنا لإبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَكانَ البَيْتِ وأَرْشَدناهُ إليْهِ لِكَيْ يَبْنِيَهُ ، وأَوْصَيناهُ بِعَدَمِ الإِشْراكِ بِنا ، وبِإِخْلاصِ العبادَةِ لَنا ، وَبِأَنْ يُطَهِّرَ هَذا البَيْتَ مِنَ الأَرْجاسِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ ، وَيجعلَهُ مُهَيَّأً لِلطَّائِفينَ بِهِ ، وَلِمَنْ يَقومُ بِأَداءِ الصَّلاةِ فيهِ ، وَذَكَرَ مِنَ الصَّلاةِ أَرْكانَها الأَهَمَّ وَهِيَ : القِيامُ والرُّكوعُ والسُّجودُ ، وتَخْصيصُ الطَّوافِ والصَّلاةِ بالذِّكْرِ لأَنَّهُما عِبادَتانِ مُرْتَبطتانِ بالبَيْتِ ، فالطَّوافُ حَوْلَهُ والصَّلاةُ إليهِ .

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بناءَ الكَعْبَةِ ، أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ بِفَريضَةِ الحَجِّ ، وأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الإِعْلامِ سَيَأْتونَ مُشاةً على أَرْجُلِهِمْ ، وَراكِبينَ على دَوابِّهِمُ الَّتي أَضْمَرَها طول السَّيْرِ ، لأَنَّهُم قَدِموا عَلَيْها مِنْ أَماكِنَ بَعيدَةٍ .

وإِسْنادُ الضَّميرِ في (يَأْتينَ) إلى الرَّواحِلِ بَدَلاً مِنْ إسنادِهِ إلى راكِبيها ، لأَنَّها هِيَ سَبَبُ إِتْيانِ النَّاسِ مِنْ بُعْدٍ لِمَنْ لا يَسْتَطيعُ القُدومَ على رِجْلَيْهِ .

﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾ .

الحَجُّ مُؤْتَمَرٌ عامٌّ لِلْمُسْلِمينَ يَأْتي الحُجّاجُ لِيَشْهَدوا مَنافعَ لَهُمْ ، وَلِيؤَدُّوا عِباداتٍ جَليلةً . والتَّنْكيرُ في لَفْظِ (مَنافعَ) للتَّكْثير ، فَهِيَ مَنافعُ كثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ شامِلَةٌ لأُمورِ الدِّين والدُّنْيا ، وَيَأْتي الحُجّاجُ لِيَذْكروا اسْمَ اللهِ كَثيراً ، وَلِيَشْكروهُ على نِعَمِهِ الَّتي أنعمَها عَلَيْهِم ، وَمِنْها ما وَفَّقَهُمْ اللهُ إليهِ مِنْ ذَبْحِ الهَدْيِ والأَضاحي تَقرُّباً إلَيْهِ سُبْحانَهُ يَوْمَ النَّحْرِ وأَيَّامَ التَّشْريقِ وَهِيَ الأيامُ الثَّلاثَةُ الَّتي تَلي يَوْمَ النَّحْرِ ، فَيَذْكُروا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِها ، وَيَأْكلوا مِنْ لُحومَها ما شاءوا ، ويُطْعِموا مِنْها البائِسَ ، وَهُوَ الَّذي ظَهَرَ البُؤْسُ في ثِيابِهِ وفي وَجْهِهِ ، وَهُوَ فقيرٌ مُحْتاجٌ إلى الصَّدَقَةِ .

﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ﴾ .

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يَنْتَهي الحُجَّاجُ مِنْ قضاءِ مَناسِكِهِمْ فإنَّهُمْ يُزيلونَ ما عَلِقَ بِهِمْ مِنْ أَوْساخ وأَدْرانٍ بِحَلْقِ رُؤوسِهِمْ وَتَقْليمِ أَظافِرِهِمْ وَيُؤَدّونَ ما الْتَزموا بِهِ ، وَما أَوْجبوهُ على أَنْفُسِهِمْ مِنْ نَذْرِ طاعَةً للهِ ويُتِمُّونَ أَعْمالَ حَجِّهِم بِأَنْ يَطوفوا طَوافَ الإفاضَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكانِ الحَجِّ فَيَتِمُّ بِهِ تَحَلُّلُهُم وَأَداءُ نُسُكِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المَسْجِدُ الحَرامُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ لِعِبادةِ اللهِ ، وَقَدْ أَرْشَدَ اللهُ إبْراهيمَ إلى المَوْضِعِ الَّذي بَناهُ فيهِ .

٢ـ فَرَضَ اللهُ الحَجَّ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ عَلى كُلِّ المُؤْمِنينَ بَعْدَ إبْراهيمَ .

٣ـ عِظَمُ جَريمةِ المُشْرِكينَ الَّذين قَذَّروا المَسْجِدَ الحَرامَ بِخِلافِ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ إبْراهيمَ مِنْ تَطْهيرِهِ مِنَ الأَوْثانِ .

٤ـ لِلحاجِّ أَنْ يَتَّجِرَ في مَواسِمِ الحجِّ .

٥ـ لِكُلِّ مُسْلِمٍ الحَقُّ في عِبادةِ اللهِ في المَسْجِدِ الحرامِ دونَ تَفريقٍ بَيْنَ مُقيمٍ وَوافِدٍ .

٦ـ لا يُؤاخَذُ المَرْءُ بالهَمِّ بالسَّيئةِ إلاّ في المَسْجِدِ الحَرام .

٧ـ المُؤْمِنونَ يَحْرِصونَ عَلى أَداءِ فَريضَةِ الحَجِّ حَتَّى إنَّهُمْ يَأْتونَ إلَيْهِ مَشْياً على الأَقْدامِ ، وَعَلى الدَّوابِّ الَّتي يُضْنِيها طَويلُ المَسيرِ .

التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا كانَ المُقيمُ والقادِمُ سَواءً في المَسْجِدِ الحَرام ؟

٢ـ بِماذا تَوعَّدَ اللهُ تعالىٰ مَن يَهِمُّ بالسَّيِّئَةِ في المَسْجِدِ الحَرامِ ؟

٣ـ كَيْفَ يَكونُ تَطْهيرُ المَسْجِدِ الحَرام ؟

٤ـ ما الَّذي يَجْعَلُ النَّاسَ يَشْتاقونَ لِلْحَجِّ مَعَ ما فيهِ مِنْ مَشَقَّةٍ ؟

٥ـ ما هِي الأَيَّامُ المَعْلوماتُ ؟

٦ـ بيِّن مَعنى مّا يلي :

أ ـ وأذّنْ في النَّاس بالحَجِّ .

ب ـ يَأْتوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضامِرٍ .

ج ـ لِيَشْهَدوا مَنافعَ لَهُمْ .

د ـ وأَطْعِموا البائِس الفَقيرَ .

هـ ـ ثُمَّ لِيَقْضوا تَفَثَهُمْ .

فائدةٌ :

١ـ عَنْ أبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلاً ؟ قالَ : المَسْجِدُ الحَرامُ ، قلتُ : ثُمَّ أيٌّ ؟ قالَ : المَسْجِدُ الأَقْصى ، قُلْتُ : كَمْ كان بَيْنَهُما ؟ قالَ : أَرْبعونَ سَنَةً[1] .

٢ـ سُمِّيتِ الكَعْبَةُ البَيْتَ العَتيقَ لِقِدَمِ بِنائِها فَهِيَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً فيهِ مَيْلٌ عَنِ الحقِّ إلى الباطِلِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدَّالَّةَ على وُجوبِ التَّوَجُّهِ إلى بَيْتِ اللهِ الحرام عِنْدَ الصَّلاةِ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَسائِلَ النَّقْلِ الحديثَةَ التي يَسْتَخْدِمُها المُسْلِمونَ لِلسَّفَرِ إلى بَيْتِ اللهِ الحَرامِ .

---

(١) رواه البُخاريُّ في كتابِ الأنبياءِ ، باب ١٢ رقم الحديث ٣١٨٦ .

الدَّرسُ السَّابِعُ

سورةُ الحجِّ - القِسْمُ السَّابِعُ

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حُرُماتِ اللهِ : تَكاليفَهُ وَأَوامِرَهُ .

الرِّجْسَ : النَجِسَ .

الزُّورِ : الكَذِبِ .

حُنَفاءَ للهَ : مائلينَ عَنِ الباطِلِ إلى الحَقِّ .

خَرَّ : سَقَطَ .

تَهوي بِهِ الريحُ : تَقْذِفُهُ .

سَحيقٍ : بَعيدٍ .

شَعائِرَ اللهِ : أعلامُ دينِهِ ، ومِنْها الإبلُ المُهْداةُ للْبَيْتِ المُعَظَّمِ .

مَحِلُّها : مَكانُ ذَبْحِها .


التَّفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ هذهِ الآياتُ في بَيانِ أَحْكامٍ تَتَعَلَّقُ بالحَجِّ ، قال اللهُ تعالىٰ :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

الإشارَةُ بـ (ذلكَ) لِما مَضَى مِنْ أَحْكامِ الحَجِّ . وَمَنْ يُعَظِّمْ أَحْكامَ اللهِ وَيُراعِيها وَيَحْفَظْها وَيَبْذُلْ جُهْدَهُ في عَدَمِ انْتِهاكِها فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ الَّذي لَنْ يُضِيعَ أَجْرَهُ ، وَسَيَجْزِيَهُ على عَمَلِهِ خَيْرَ الجَزاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ أَحَلَّ لِعِبادِهِ أَنْ يَأْكُلوا مِنْ لُحومِ الأنْعامِ بَعْدَ ذبْحِها ، وَلَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ مِنْها إلاَّ ما استُثْنِيَ ، وذُكِرَ فيما يُتلىٰ مِنْ آياتٍ ، وذلِكَ لِحِكْمَةٍ عَظيمةٍ يَعْلَمُها اللهُ . وَلِما في هَذهِ المُحَرَّماتِ مِنْ ضَرَرٍ بالإنسانِ .

ثُمَّ أَمَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ باجْتِنابِ ما يُغْضِبُهُ وَيُؤَدِّي إلى عِقابِهِ ، فَأَمَرَ باجْتِنابِ عِبادَةِ الأَوْثانِ ، فإِنَّ عِبادَتَها رِجْسٌ وَقَذَرٌ مَعْنَوِيٌّ . وأَمَرَ باجْتِنابِ الكَذِبِ والافْتِراءِ وَشَهادَةِ الزُّورِ وتَحليلِ ما حَرَّمَ اللهُ ، والزَّعْمِ بأَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ ، وَهذا كُلُّهُ مِنَ الكَذِبِ المُؤَدِّي إلى غَضَبِ اللهِ .

وَفي عَطْفِ الزُّورِ على الأَوْثانِ إشارَةٌ إلى عِظَمِ جَريمةِ الكَذِبِ حَتَّى قُرِنَتْ بِعِبادَةِ الأَوْثانِ ، وفي الحَديثِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قامَ خطيباً ، فقالَ : « يا أَيُّها النَّاسُ عَدَلَتْ شَهادَةُ الزُّورِ الإشْراكَ باللهِ ، ثُمَّ قَرأَ ﴿فاجْتَنِبوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ واجْتَنِبوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ »[1] .

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

أَيْ كونُوا ثابِتينَ على الحَقِّ مُسْتَسلِمينَ لأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ مُخْلِصينَ لَهُ العِبادَةَ ، مُبْتَعِدينَ عَنِ الشِّرْكِ ، فإنَّ مَثَلَ المُشْرِك باللهِ كَمَنْ سَقَطَ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ فاخْتَطَفَتْهُ جوارِحُ الطَّيْرِ فَمَزَّقَتْهُ وابْتَلَعْتهُ ، أَوْ حَمَلَتْهُ الرِّيحُ ، فَسَقَطَ في مَكانٍ بعيدٍ ، وَلَمْ يُعْثَرْ لَهُ على أَثَرٍ ، والمَقْصودُ مِنْ هذا المَثَلِ التَّنْفيرُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَتَقْبيحُ حالِ المُشْرِكينَ ، وَبَيانُ أَنَّهُ يُؤَدي بِصاحِبِهِ إلى الهَلاكِ .

---

(١) رواهُ أبو داودَ في كتابِ الأَقْضيةِ ، بابِ شهادةِ الزُّورِ ، رقم الحديثِ ٣١٢٤ ، ورواهُ التِّرْمِذِيُّ في كتابِ الشَّهاداتِ ، بابُ ما جاءَ في شهادةِ الزُّورِ . رقم الحديثِ ٢٢٢٢ .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

الإشارَةُ بـِ (ذلكَ) لِما مَضى مِنَ الأَوامِرِ والنَّواهي . وَشَعائِرُ اللهِ : هِيَ الأَوامِرُ الظَّاهِرَةُ ، فإنَّ الشَّعيرةَ هِيَ العَلامَةُ ، فَكُلُّ أَمْرٍ مِنَ اللهِ تعالى يَنْدَرِجُ ضِمْنَ الشَّعائِرِ . وَمِنْها مَناسِكُ الحَجِّ ، وَمِنْها البُدْنُ الّتي تُهْدى لِلْحَرَمِ ، وَكانوا يُعَلِّمونَها في السَّابِقِ بِعَلامَةٍ تُمَيِّزُها عَنْ سائِرِ الإبِلِ ، بِأَنْ يَطْعنوها في جانبِ سَنامِها فَيَسيلُ مِنْهُ الدَّمُ فَيُسَمّى : إِشْعاراً لَها .

وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنَّ فِعْلَهُ مِنْ أَعْمالِ التَّقوى الصَّادرةِ عَنْ ذوي القُلوبِ المُؤْمِنَةِ التي تَمْتَثِلُ أَمْرَ اللهِ وتطيعُهُ .

وَتَعْظيمُ شَعائِرِ اللهِ بِمَعْناها العامِّ يَكونُ بالْتِزامِ أَمْرِ اللهِ فيها والعَمَلِ وَفْقَ ما يُرضيهِ ، وتَعظيمُها على مَعنى أنَّها مَناسِكُ الحَجِّ بِأَدائِها تامَّةً على الوَجْهِ المَطْلوبِ دونَ تَقْصيرٍ ولا تَأْخيرٍ ولا إيذاءٍ لِلآخَرينَ ، وَتَعْظيمُها عَلى مَعْنى أنَّها البُدْنُ المُهْداةُ لِلْبَيتِ يَكونُ باخْتِيارِها حِساناً سِماناً غالِيةَ الأَثْمانِ .

وَفي إِضافَةِ لَفْظِ (شعائِرَ) إلى (اللهِ) تَعالىٰ حضٌّ عَلى الاهْتِمامِ بِها ، وإضافَةُ (التَّقوىٰ) إلى (القُلوبِ) لأَنَّ حَقيقةَ التَّقوى في القَلْبِ .

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

الضَّميرُ في (فيها) يَعودُ على الأَنْعامِ المَذْكورةِ في قَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعامُ﴾ فَيُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ أباحَ لِلْمُؤْمِنينَ أَنْ يَنْتَفِعوا مِنْ هذهِ الأَنْعامِ مَنافِعَ مُتَعَدِّدَةً . كالرُّكوبِ واللَّبَنِ والنَّسْلِ ، إلى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ وَقْتُ ذَبْحِها أَيّامَ النَّحْرِ ، بَعْدَ أَنْ تَصِلَ إلى البَيْتِ العَتيقِ ، والمَقْصودُ بِهِ : الحَرَمُ كُلُّهُ ، لأَنَّ الهَدْيَ لا يُنْحَرُ في الكَعْبَةِ أَوْ حَوْلَها ، وَأَكْثَرُ ما يَكونُ النَّحْرُ والذَّبحُ في مِنىٰ . وَهِيَ مِنَ الحَرَمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ تَعْظيمِ حُرُماتِ اللهِ لِما في تَعْظيمِها مِنَ الأَجْرِ العَظيمِ .

٢ـ عَظيمُ حُرْمَةِ قَوْلِ الزُّورِ وَشَهادَةِ الزُّورِ حتىٰ إِنَّهَا قُرِنَتْ بالشِّرْكِ .

٣ـ شَعائِرُ اللهِ نَوْعانِ : نَوْعٌ يُتَعَبَّدُ اللهُ بِهِ كالبُدْنِ الَّتي يُتَقَرَّبُ بِهِ إلى اللهِ أُضْحِيَةً وَهَدْياً ، والآخَرُ الصَّفا والمَرْوَةَ الّتي يُسْعى بَيْنَهما .

٤ـ التَّنفيرُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَبَيانُ خَسارَةِ المُشْرِكِ .

٥ـ إباحةُ الانْتِفاعِ بالأَنْعامِ المُشْعَرةِ والمُقَلَّدةِ بِركوبِها وشُرْبِ لَبَنِها حتَّى يَحينَ مَوْعِدُ ذَبْحِها في المَكانِ المُحَدَّدِ شَرْعاً .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنِ المَقْصودَ بِحُرُماتِ اللهِ وشعائِرِ اللهِ .

٢ـ ما الشَّيْئانِ المَأْمورُ باجتنابِهِما ؟ وما الدَّلالةُ في الجَمْعِ بَيْنَهُما كما جاءَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟

٣ـ ما المَثَلُ الَّذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالىٰ لِلْمُشْرِكِ ؟

٤ـ ماسَبَبُ إضافةِ التَّقوى إلى القُلوبِ ؟

٥ـ ما حُكْمُ الانْتِفاعِ بالأَنْعامِ قَبْلَ ذَبْحِها ؟

٦ـ لِنَحْرِ ما يُهْدَى إلى البَيْتِ الحَرامِ مِنَ الأَنْعامِ وَذَبْحِهِ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ ، ومَكانٌ مُخَصَّصٌ ، بيِّنْهما .

٧ـ اذْكُرِ الآيةَ الكَريمَةَ الَّتي تُبَيِّنُ كُلاً مِمَّا يلي :

أ ـ أَحَلّ اللهُ لنا الأَنْعامَ إلاّ ما اسْتُثْنِيَ .

ب ـ سوءِ عاقِبَةِ الشِّرْكِ باللهِ .

ج ـ تُذْبَحُ الأَنْعامُ في مَكَّةَ .

د ـ إباحةُ الانْتِفاعِ بالأَنْعامِ قَبْلَ ذَبْحِها في الحَرَمِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبَيِّنُ الكَبائرَ مِنَ الذُّنوبِ .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً نَبَوِياً يُبَيِّنُ أَنَّ مَحَلَّ التَّقْوى القَلْبُ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الذَّبْحِ والنَحْرِ ، واذْكُرِ اسْمَ حَيوانٍ يُذْبَحُ ، وآخَرَ يُنْحَرُ .

* * *

الدرسُ الثامنُ

سورةُ الحجِّ - القِسْمُ الثّامِنُ

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَنْسَكاً : عِبادةً فيها التَّقَرُّبُ إلى اللهِ بالذَّبْحِ .

المُخْبِتينَ : المُتَواضِعينَ للهِ الخاشِعينَ لِجلالِهِ .

وَجِلَتْ : خافتْ .

البُدْنَ : الإبِلَ ، سُمِّيَتْ بِذلكَ لِضخامَةِ بَدَنِها .

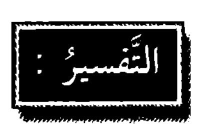
شَعائِرِ اللهِ : أَعْلام شَريعَتِهِ في الحَجِّ .

صَوافَّ : قائمةً قَدْ صَفَّتْ قوائِمَها .

وَجَبَتْ جُنوبُها : سَقَطَتْ على الأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ أيْ ماتَتْ .

القانِعَ : الرَّاضيَ بما عِنْدَهُ ، الّذي لا يَسْأَلُ النَّاسَ .

المُعْتَرَّ : الّذي يَسْأَلُ النَّاسَ .



التَّفسيرُ :

تُبَيِّنُ الآيَةُ الأُولىٰ أنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ شَرَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ ما يَتَقَرَّبونَ بِهِ إليْهِ مِنَ الذَّبائِحِ لِيَشْكُروهُ ، ولِيَنْتَفِعوا بِها ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ شَرَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَرْسَلَ إليْها رُسُلَهُ ، وأَنْزَلَ عَلَيْها وَحْيَهُ ، مَوْضِعَ نُسُكٍ ، والنُّسُكُ الذَّبْحُ ، لِيَتَقَرَّبوا بِهِ إلى اللهِ ، وَيَكونُ ذَلِكَ بأنْ يَذْكُروا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِ هَذهِ الأَنْعامِ ، وَيَجْعَلوها خالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ قاصِدينَ شُكْرَهُ على ما أنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذهِ الأَنْعامِ ، وَسَخَّرَ لَهُمْ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الإِلهُ المَعْبودُ بِحَقٍّ المُسْتَحِقُّ لأنْ تُسْلِمَ لَهُ الوُجوهُ وَيُخْلَصَ لَهُ في العِبادَةِ والطَّاعَةِ ، وَيَكونَ الذَّبْحُ باسْمِهِ تقرُّباً لَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ ـ سُبْحانَهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أنْ يُبَشِّرَ المُخْبَتينَ ، أيِ المُتواضِعينَ للهِ والمُطْمَئِنينَ إلى عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ . المُخْلِصينَ في عِبادَتِهِمْ لَهُ . وَلَمْ يَذْكُرِ المُبَشَّرَ بِهِ لِعَظَمَتِهِ وَهُوَ : رِضوانُ اللهِ وَجَنّاتُ النَّعيمِ .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآيَةُ الكَريمَةُ أرْبَعاً مِنْ صِفاتِ المُخْبَتينَ :

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

الصِّفَةُ الأُولىٰ مِنْ صِفاتِ المُخْبَتينَ أنَّهُمْ إذا ذَكَروا اللهَ أَوْ سَمِعوا ذِكْرَهُ ارْتَعَشَتْ لِذِكْرِهِ قُلوبُهُمْ خَشْيَةَ أنْ تَكونَ قَصَّرتْ في طاعَتِهِ أَوْ خالَفَتِ أَمْرَهُ .

والصِّفَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُم يَصْبرونَ على ما يُصيبُهُمْ مِنْ مَصائِبَ وَمِحَنٍ وَمَكارِهَ .

والثَّالِثَةُ أَنَّهُمْ يُداوِمونَ على الصَّلاةِ ، وَيُؤَدونَها في أَوْقاتِها بإخْلاصٍ وَخُشوعٍ .

والرَّابِعَةُ أنَّهم يُنْفِقونَ مِمَّا رَزَقَهُمْ اللهُ في وُجوهِ الخَيْرِ والبِرِّ .

فَخَشْيَةُ اللهِ تعالىٰ ، ومُراقَبَتُهُ ، والصَّبْرُ على بَلائِهِ ، والمُحافَظَةُ على فَرائِضِهِ تُؤَدِّي إلى رَضا اللهِ والفَوزِ بِجَنّاتِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ شَيْئاً مِنْ آدابِ الذَّبْحِ وأَحْكامِهِ في الحَجِّ ، فقالَ :

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

البُدْنَ : جَمْعُ بَدَنَةٍ ، وهِيَ الإبِلُ الَّتي شرَعَ اللهُ لَنا نَحْرَها عِنْدَ البَيْتِ الحَرام تَقَرُّباً للهِ تعالىٰ . وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ شَعائِرِ الدِّينِ ، وأخبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّ في هَذهِ البُدْنِ خَيْراً لِلنَّاسِ في الدُّنْيا بالانْتِفاع بها وبِأَلْبانِها وَوَبَرِها ، وخَيْراً في الآخِرَةِ بالثّوابِ الجَزيلِ على نَحْرِها تَقَرُّباً إليهِ .

ثُمَّ أَرْشَدَ ـ سُبْحانَهُ ـ إلى ذِكْرِ اسْمِ اللهِ عِنْدَ نَحْرِها ، وإلى هَيْئَتِها عِنْدَ النَّحْرِ ، فَهِيَ تُنْحَرُ حالَ كَوْنِها قائِمَةً قَدْ صَفَّتْ أَيْدِيَها وأرجُلَها ، وَعُقِلَتْ يَدُها اليُسرى اسْتِعْداداً لِلنَّحْرِ ، فإذا سَقَطَتْ على الأَرْضِ على جَنْبِها بَعْدَ النَّحْرِ ، وأُعِدَّتْ لِلأَكْلِ فَكُلوا مِنْها ، وأطْعِموا الفَقيرَ القانِعَ الذَّي لا يُسْأَلُ ، والفَقيرُ المُعْتَرَّ الَّذي يَسْأَلُ حاجَتَهُ ، ويَطْلُبُ مُساعَدَتَهُ .

ثُم بَيَّنَ سُبْحانَهُ فَضْلَهُ على خَلْقِهِ بِتَسْخيرِ الأَنْعامِ لَهُمْ وَتَذْليلِها ، وَجَعْلِها مُنْقادَةً لِيَشْكُروا اللهَ على إنْعامِهِ وَفَضْلِهِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أيْ لَنْ يَصِلَ إلى اللهِ تَعالىٰ لُحومُ هذِهِ الأَنْعام وَدِماؤُها . فاللهُ غَنِيٌّ لا يَحْتاجُ إلى خَلْقِهِ ، وَلَكِنَّ الَّذي يَصِلُ إلَيْهِ ويُثيبُكُمْ عليهِ هُوَ تَقْواكُمْ وَتَقوى اللهِ في البُدْنِ التَقرُّبُ بِذَبْحِها خالِصَةً للهِ وَحْدَهُ ، واخْتيارُها سَمينةً ثَمينةً سَليمةً لا عَيْبَ فيها .

ثُمَّ امْتَنَّ سُبْحانَهُ مَرَّةَ أُخرىٰ بِتَسْخيرِ الأنْعامِ لِعِبادِهِ فقالَ : ﴿كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبروا اللهَ على ما هَداكُمْ ﴾ أي كهذا التَّسْخيرِ العَجيبِ الَّذي تَرَوْنَهُ سَخَّرْنا لَكُمْ هذهِ الأَنْعامَ وَجَعلناها طائِعَةً لَكُمْ مُنْقادَةً لِلذَّبحِ والنَّحْرِ ، مُسْتَسْلِمَةً لَكُمْ ، وَلَوْلا تَسْخيرُ اللهِ لَها لَمْ تَكُنْ كَذلِكَ ، وَهَذهِ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ عَلَيْكُمْ لِتُكَبِّروهُ ، وتُعَظِّموهُ على نِعَمِهِ ، وَعَلى هِدايَتِكُمْ لِلإيمانِ .

وخُتِمَتِ الآيةُ بأمْرِهِ ﷺ أنْ يُبَشِّرَ المُحْسِنينَ في أَعْمالِهِم ، القائِمينَ عَلى أعْمالِهِمْ بأحْسَنِ وَجْهٍ ، وَحُذِفَ المُبَشَّرُ بِهِ هُنا كَما حُذِفَ في تبشيرِ المُخْبِتينَ لِتَذْهَبَ النُّفوسُ فيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ ، وَهُوَ : الجَزاءُ الحَسَنُ ، والنَّعيمُ المُقيمُ في جَنَّاتِ عَدْنٍ خالِدينَ فيها .



تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذَبْحُ القرابينِ تقرُّباً للهِ تعالىٰ مَشْروعٌ في جَميعِ الشَّرائعِ ، وَهُوَ دَليلٌ على وَحْدَةِ المُشَرِّعِ سُبْحانَهُ .

٢ـ وُجوبُ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ عِنْدَ الذَّبْحِ ، وحُرْمَةُ ذَبْحِها لِلأَصْنام أَوْ ذِكْرِ اسْمِ الأَصْنامِ عَلَيْها .

٣ـ فَضيلةُ التَّواضُعِ للهِ تَعالىٰ والتَّخَلُّقِ بالصِّفاتِ المَذْكورةِ في الآياتِ .

٤ـ بَيانُ كَيْفِيَّةِ نَحْرِ الإبلِ ، وَعَدَمُ جَوازِ تَقْطيعِها قَبْلَ اكْتِمالِ خُروجِ روحِها .

٥ـ الاسْتِفادَةُ مِنَ الذَّبائِحِ بالأَكْلِ مِنْها وإِطْعامِ المُحْتاجينَ مِمَّنْ يَسْأَلونَ النّاسَ ، وَمَنْ لا يَسْأَلونَ .

٦ـ اللهُ لا يَحْتاجُ إلى دَمِ الذَّبائِحِ وَلَحْمِها ، والَّذي يُريدُهُ مِنَّا عِبادَتُنا لَهُ بالتَّقرُّبِ إليْهِ بِنَحْرِها ، واخْتِيارِها ثَمنيةً سَليمةً وَهذهِ هِيَ التَّقْوىٰ .

٧ـ شُكْرُ اللهِ تَعالىٰ على نِعَمِهِ ، وَتَكبيرُ اللهِ تعالىٰ أَيّامَ التَّشْريقِ على تَوْفيقِهِ وَهِدايَتِهِ .



أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماالدَّليلُ على تَشْريعِ ذَبْحِ الأَنْعامِ للأُمَمِ السَّابِقَةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ صِفاتِ المُخْبِتينَ المَذْكورَةَ في الآياتِ .

٣ـ أـ ما المُرادُ بالبُدْنِ ؟

ب ـ كَيْفَ تُنْحَرُ الإبلُ ؟

٤ـ ماالفَرْقُ بَيْنَ القانِعِ والمُعْتَرِّ ؟

٥ـ ماالآيةُ الَّتي تُبَيِّنُ أَنَّ هَدَفَ الذَّبْحِ هُوَ تَعظيمُ شعائِرِ اللهِ ، وطاعةِ أَمْرِهِ ، وَلَيْسَ وُصولَ اللُّحومِ والدِّماءِ إلى اللهِ ؟

٦ـ ما أَوْجُهُ تَسْخيرِ الأَنْعامِ للإِنْسانِ ؟

٧ـ اذْكُر ثَلاثاً مِنَ العِبَرِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ آياتِ الدَّرسِ .



آيامُ التَّشريقِ هِيَ الأَيَّامُ الثَّلاثَةُ التي تَلي يَوْمَ النَّحْرِ وَهِيَ (الحاديَ عَشَرَ ، الثّاني عَشَرَ ، الثَّالِثَ عَشَرَ) مِنْ شهرِ ذي الحِجَّةِ .

نَشاطٌ :

١ـ ما حُكْمُ الذَّبْحِ تَعْظيماً لِغيرِ اللهِ وذِكْرِ اسم غَيْرِ اسمِ اللهِ تعالىٰ عِندَ الذَّبْحْ ؟ وما حُكْمُ مَنْ ذَبَحَ ونَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ سهواً دونَ قَصْدٍ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نَوْعَيْنِ آخرَيْنِ مِنَ الأَنْعامِ الَّتي تُذْبَحُ في الحَجِّ تَقَرُّباً للهِ تعالىٰ .

٣ـ ابْحَثْ مَعَ زُملائِكَ في سَبَبِ تَسْمِيتِها بأَيَّام التَّشْريقِ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ . .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خوّانٍ : كَثيرِ الخيانَةِ لِلأَماناتِ .

صوامِعُ : مَعابِدُ رُهبانِ النَّصارىٰ .

بيعٌ : كنائسُ النَّصارى .

صلواتٌ : كنائسُ اليَهودِ .

التَّفسيرُ :

تَتَحَدَّثُ آياتُ هذا الدَّرْسِ عَنْ إذنِ اللهِ تعالىٰ لِلْمُؤْمِنينَ بالقِتالِ لِلدِّفاعِ عَنْ دينِهِ وَشَعائِرِهِ ، وتَبْدَأُ الآياتُ بِتَبشيرِ المُؤْمِنينَ بِدفاعِ اللهِ عَنْهُم ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

إنّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ يَنْصُرُ المُؤْمِنينَ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ أَذى المُشْرِكينَ ، وَهَذِهِ بِشارةٌ

لِلْمُؤْمنينَ لِتَقْوِيَةِ عزائِمِهِمْ ، وَلْيُقْبِلوا على ما شَرَعَهُ اللهُ لَهُمْ مِنْ جِهادِ أَعْدائِهِمْ بِثَباتٍ وأَمَلٍ بِنَصْرِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ يَبْغُضُ الكافِرينَ المَوْصوفينَ بِكَثْرَةِ الخيانَةِ وشِدّةِ الكُفْرِ .

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَذِنَ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ ، وَرَخّصَ لَهُم أَنْ يقاتِلوا أَعْداءَهُمُ الَّذينَ ظَلَموهُمْ ، بَعْدَ أَنْ صَبَرَ هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ على أَذى أَعْدائِهِمْ صَبْراً طويلاً .

وَبَيّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ قادِرٌ على نَصْرِ عِبادِهِ أنْ يَبذُلوا جُهْدَهُمْ في طاعَتِهِ لِيَنالوا الأَجْرَ . والجُمْلَةُ مُؤَكَّدةٌ بِـ (إنَّ) واللّام ، وَصيغةِ المبالَغةِ في (قدير) .

وهذِهِ هِيَ الآيةُ الأُولىٰ في مَشروعيَّةِ القِتالِ بَعْدَ أنْ مُنِعَ المُسْلِمونَ مِنْ رَدِّ الأَذى ، وأُمِروا بالكَفِّ عَنِ القِتالِ طوالَ الفَتْرَةِ المَكِّيَّةِ ، حَيْثُ كانوا مُسْتَضْعَفينَ فيها ، وَكانَ المُشْرِكونَ أَكْثَرَ عَدَداً ، فَلّما اسْتَقَّرَ المُسْلِمونَ بالمَدينَةِ شَرَعَ اللهُ الجِهادَ بالقِتالِ .

وبَيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ في الآيةِ التّاليةِ بَعْضَ الأَسْبابِ الَّتي مِنْ أَجْلِها شَرَعَ الجِهادَ في سَبيلِهِ :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ الَّذينَ أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بالقِتالِ ، وبَيّنَ قُدْرَتَهُ على نَصْرِهِمْ ، هُمُ الَّذينَ أَخْرَجَهُمُ الكافِرونَ مِنْ دِيارِهِمْ بِمَكَّةَ ظُلْماً ، وَبِغيرِ سَبَبٍ ، سِوى أَنّهم كانوا يُوحِّدونَ اللهَ ، ويَعْبُدونَهُ ، وهَذا مُوجِبٌ لإقرارِهِمْ لا لإِخْراجِهِمْ ، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ تَعالى أباحَ لِلْمُؤْمِنينَ قِتالَ المُشْرِكينَ ، لعاثوا في الأَرْضِ فَساداً ، وَلهدّموا أماكِنَ العِبادَةِ ، في مُخْتَلِفِ العُصورِ . وَهذا يَدُلُّ على حُرْمَةِ الاعْتِداءِ عَلى أَماكِنِ العِبادَةِ ، سَواءً أَكانت لِلْيَهودِ وهِيَ الصَّلواتُ ، أَمْ لِلنَّصارَى وهي البِيَعُ والصَّوامِعُ ، أَوْ لِلْمُسْلِمينَ وَهِيَ المَساجِدُ ، فَشَرَعَ القِتالَ لإحْقاقِ الحَقِّ وإزْهاقِ الباطِلِ ، وَلَوْلا ذَلِكَ لاخْتَلَّ نِظامُ هذا العالَمِ ، وانْتَشَرَ فيهِ الفَسادُ .

وَوَصَفَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المَساجِدَ بأنّها يُذْكَرُ فيها اسْمُهُ كَثيراً ، مَدْحاً لها ، ودَلالةً على فَضْلِها وفَضْلِ أَهْلِها ، ولأنَّها أَماكِنُ العِبادَةِ الحَقَّةِ . وَقُدِّمَتِ الصَّوامِعُ والبِيَعُ والصَّلَواتُ على المَساجِدِ لأَنَّها أَقْدَمُ مِنْها في الوُجودِ ، أَوْ لِلانْتِقالِ مِنَ الشَّريفِ إلى الأَشْرَفِ .

ثُمَّ بَيّنَ سُبْحانَهُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ التي لا تَتَخلَّفُ ، وَهِيَ وَعْدُهُ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَنْصُرونَ دينَهُ وَرَسولَهُ ، فإنَّهُ تَعالىٰ قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ ، عَزيزٌ لا يُقْهَرُ ولا يُغْلَبُ ، وَقَدْ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ فَنَصَرَ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ على أَعْدائِهِم ، وَوَعْدُ اللهِ لا يَتَخلَّفُ ، وإنْ تَأَخَّرَ النَّصْرُ عَنَّا في هذا الزَّمانِ فَلِعَدَمِ

صِدْقِ الإيمانِ ، وَعَدَمِ القِيامِ بِنَصْرِ دِينِ اللهِ تعالىٰ على الوَجْهِ اللازِمِ . وفي الآيةِ التّاليَةِ وَصَفَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ الَّذينَ وَعَدَهُمْ بِنَصْرِهِ بِأَكْرَمِ الصِّفاتِ ، فقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

فَهُمُ الَّذينَ إنْ جَعَلْنا لَهُمْ سُلْطاناً في الأَرْضِ وَتَمَكُّناً وَتَمَلُّكاً وَنَصْراً على أَعْدائِهِمْ شَكروا لَنا ما أنْعَمْنا بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَقاموا الصَّلاةَ في أَوْقاتِها ، وأَخْرجوا زَكاةَ أَمْوالِهِمْ لِلْمُسْتَحِقِّينَ لَها ، وأَمَروا غَيْرَهُمْ بالمَعْروفِ ، وَنَهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ، فهؤلاءِ أَوْلى النّاسِ بِنَصْرِ اللهِ ، وَللهِ وَحْدَهُ مَرْجِعُ الأُمورِ ومَرَدُّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وَعْدُ اللهِ المُؤْمِنينَ بالدِّفاعِ عَنْهُمْ وَنَصْرِهِمْ على الكافرينَ الخائِنينَ .

٢ـ الإذْنُ بالقِتالِ لِرَفْعِ الظُّلْمِ ونُصْرَةِ المَظلومِ .

٣ـ الأُمَّةُ المُسْلِمَةُ هَدَفُها في الدُّنيا إقامةُ سُلطانِ اللهِ في الأَرْضِ .

٤ـ حُرْمَةُ هَدْمِ أَماكِنِ العِبادَةِ والعُدْوانِ عَلَيْها ، وإنْ كانَ دينُ أَصْحابِها باطِلاً .

٥ـ بَيانُ الحِكْمَةِ مِنْ شَرْعِ القِتالِ ، وَهُوَ كَفُّ أَيْدي الطُّغاةِ عَنِ الإفسادِ في الأَرْضِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ دفاعِ اللهِ تَعالىٰ عَنِ المُؤْمِنينَ ؟

٢ـ ما مَعنى (خَوَّانٍ كَفورٍ) ؟

٣ـ مَتى كانَ الإذْنُ لِلْمُؤْمِنينَ بالقِتالِ ؟

٤ـ أـ ما معنىٰ : صوامعُ ، بِيَعٌ ، صَلواتٌ ، مَساجدُ ؟

ب ـ لِماذا خُصِّصَتْ المساجِدُ بأَنَّها يُذْكَرُ فيها اسْمُ اللهِ كثيراً ؟

٥ـ اسْتَخْرِجِ المُؤَكِّداتِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ .

٦ـ ما الصِّفاتُ التي ذَكَرَها اللهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ نَصْرَهُ ؟

٧ـ امْلأ الفَراغَ بِما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ القُرْآنيةِ الكَريمةِ ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ .

أـ أُذِنَ لِلَّذينَ . . . . بأنَّهُمْ ظُلِموا .

ب ـ الَّذينَ . . . . مِنْ ديارِهِمْ .

ج ـ الَّذين . . . . في الأرْضِ .

٨ـ ضَعْ أمامَ كُلِّ دِيانَةٍ اسْمَ المَكانِ الخاصِّ بالعِبادَةِ فيها :

أـ الإسْلامُ ( ) .

ب ـ النَّصْرانيّةُ ( ) .

ج ـ اليَهوديّةُ ( ) .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ وَسائِلَ لِلْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعالىٰ غَيْرَ القِتالِ .

* * *

الدَّرسُ العاشِرُ

سورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أصْحابُ مَدْيَنَ	قَوْمُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .
فأَمْلَيْتُ لِلْكافرينَ	أمْهَلْتُهُم بالعُقوبةِ .
نكير	عذابي وإهلاكي لَهُمْ .
فكأَيِّنْ	فَكَثيرٌ .
خاوِيَةٌ على عُروشِها	خَرِبَةٌ مُتَهَدِّمَةٌ ، والعُروشُ : السُّقوفُ .
مُعَطَّلَةٍ	مَهْجُورَةٍ .
وقَصْرٍ مَشيدٍ	مَرفوعِ البُنيانِ مُجَصَّصٍ بالشِّيدِ .



التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ تَسْلِيَةٌ للرَّسولِ ﷺ عَمّا أَصابَهُ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ بِسبَبِ تَكْذِيبِ المُشْرِكينَ لهُ ، وتوبيخٌ لِلْمُشْرِكينَ على عَدَمِ اعْتِبارِهِمْ بِمَنْ سَبَقَهُمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وإنْ يُكذِّبْكَ أيُّها الرَّسولُ هَؤلاءِ المُشْركونَ ويَفْتَروا عَلَيْكَ وعَلى أَصْحابِكَ المُؤْمِنينَ ، ويُؤْذوهُمْ فلا تَحْزَنْ لِذَلِكَ ، فَتِلْكَ عادَةُ المُشْرِكينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابقَةِ كَذَّبُوا رُسُلَهمْ وَمِنْ هؤلاءِ : قومُ نوحٍ ، وعادٌ قومُ هودٍ ، وَثَمودُ قومُ صالحٍ ، كلُّهُمْ كَذَّبوا رُسُلَهُم .

﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ومِنَ الَّذين كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ أَيْضاً قَوْمُ إِبْراهيمَ ، وَكذلِكَ قَوْمُ لوطٍ .

﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وَكَذَّبَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عليهِ السلامُ ، وكَذَّبَ فِرْعَوْنُ ومَنْ مَعَهُ موسى عَلَيْه السلامُ ، معَ وُضوحِ ما جاءَ به وكَثْرَةِ الأَدِلَّةِ على صِدْقِهِ .

هَؤلاءِ الأَقْوامُ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَلَمْ يُعاجِلْهُمُ اللهُ تَعالى بالعُقوبَةِ ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ بِالعُقوبَةِ الشَّديدةِ القاسِيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ كانَ العَذابُ الَّذي حَلَّ بهِمْ فظيعاً مُهْلِكاً ، تَبَدَّلَتْ فيهِ النِّعْمَةُ إلى نِقْمَةٍ ، والحياةُ إلى هَلاكٍ ، والعَمارُ إلى خَرابٍ ، فلْيَعْتَبِرْ مُشْرِكو مَكَّةَ وَغَيْرُهُمْ بما حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ بَعْدَ أنْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ ، لِئَلاّ تكونَ عاقِبَتُهُمْ مِثْلَهُمْ .

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لمْ تَكُنِ الأُمَمُ المَذْكورةُ في الآياتِ السَّابِقَةِ وَحْدَها المُكَذِّبَةَ بالرُّسُلِ ، فإنَّ كَثيراً مِنَ القُرى أُهْلِكَتْ بِسَبَبِ ظُلْمِ أهْلِها وكُفْرِهِمْ ، وأَصْبَحَتْ بَعْدَ هَلاكِ أهلِها خالِيَةً خَرِبَةً مُتَهَدِّمَةً ، قَدْ سَقَطَتْ سُقوفُها على جُدْرانِها ، وأَصْبَحَتْ آبارُها غائِرَةَ الماءِ مَهْجورَةً مُعَطَّلَةَ المَنافِعِ ، وأَصْبَحتْ قُصورُها الحَصينةُ المَرْفوعةُ البُنْيانِ المُجَصَّصَةُ بالشِّيدِ خاوِيَةً مُتَهَدِّمَةً ، وفي هذا عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرينَ وَوعيدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ تَقْريعٌ وَتَوْبيخٌ لِمُشْركي مَكَّةَ الَّذين كانوا يُسافِرونَ ويَمرُّونَ بطريقِهم بِقُرى المُهْلَكينَ مِثْلِ : مدائِنِ صالحٍ ، وقرى قومِ لوطٍ ، وَلكنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبِروا بهذه الرؤْيَةِ ، وَلَمْ يَتَّعِظوا بِها ، كما لَمْ يَنْتَفِعُوا مِمّا سَمِعوه مِنْ أحاديثَ عَنْ تِلْكَ القُرى المُهْلَكَةِ والآبارِ المُعَطَّلَةِ والقُصورِ الخالِيَةِ مِنْ سُكّانِها ، وإنَّ عدمَ انْتِفاعِ المُشْرِكينَ عائِدٌ إلى انْطِماسِ بَصائرِهِمْ وعَمى قُلوبِهِمْ ، وَهذا هُوَ العَمى الحَقيقيُّ فَلَيْسَ العَمىٰ عَمى الأَبْصار ، وَلَكِنَّهُ عَمى البَصائرِ والقلوبِ .

وَوَصْفُ القُلوبِ بأنَّها في الصُّدورِ لِزيادَةِ التأْكيدِ ، وَلِبيانِ أنَّ المُشْرِكينَ لَمْ يَنْتَفِعوا مِنْها مَعَ قُرْبِها واتِّصالِها بِهِمْ .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

وَمِمّا يَدُلُّ على ضَلالِ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ أَنَّهُمْ بَدَلاً مِنْ أن يَنْتَفِعُوا مِمّا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهم ، أَخَذوا يَطْلبُون مِنَ الرَّسولِ ﷺ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ عاجلاً ، على سَبيلِ الاسْتِهزاءِ والاسْتِخْفافِ والتَّكْذيبِ بِهِ ، وإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لنْ يُخْلِفَ ما وَعَدَهُمْ بهِ مِنَ العَذابِ وسَيَحِلُّ بهِمْ في الوَقْتِ الَّذي يُحَدِّدُه هُوَ وَلَيْسَ في الوَقْتِ الَّذي يُريدونَهُ هُمْ . وإنَّ العذابَ الَّذي سيَنْزِلُ بِهِمْ سَيكونُ شَديداً طَويلَ الأمَدِ ، فاليَوْمُ الواحِدُ مِنْ أَيّامِ اللهِ بِمِقْدارِ ألفِ سَنةٍ مِنْ سِنيِّ الدُّنْيا .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حُصولَ العذابِ ونُزولَهُ بِأَقْوامٍ سابِقينَ ، فَقالَ تعالى :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وكثيرٌ مِنَ القُرى الظَّالِمَةِ أَمْهَلْتُ عُقوبةَ أهْلِها مَعَ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، ثُمَّ أَخَذْتُها بَعْدَ ذَلِكَ أَخْذاً عَنيفاً بعْدَ الإمهالِ ، ومَصيرُهُمْ في الآخِرَةِ إليَّ دونَ غَيْري لِيَجدوا عَذاباً أَشَدَّ وأَبْقىٰ ، فلا تَغْتَرُّوا أيُّها المُشْرِكونَ مِنْ تَأْخيرِ العَذابِ عَنْكُمْ ، فَقَدْ نَزَلَ بِأُمَمٍ مِنْ قَبْلِكُمْ ، ومِنْهُمْ مَنْ رأيتُم آثارَهُمْ شاهِدَةً على ما حَلَّ بِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ سُنَّةُ اللهِ في المُكَذِّبينَ أَنْ يُمْهِلَهُمْ حَتّى تَقومَ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَأْخُذَهُمْ .

٢ـ تَكْذيبُ الرُّسُلِ صِفةٌ لازِمةٌ في الأَقْوامِ ، وَلَيْسَ أَمْراً خاصّاً بِأَهْلِ مَكَّةَ .

٣ـ وُجوبُ الاعْتبارِ مِمّا أصابَ السَّابِقينَ مِنْ هَلاكٍ وَدَمارٍ .

٤ـ العَمى الحَقيقيُّ هُوَ عَمى القَلْبِ عَنِ الحَقِّ .

٥ـ مَحَلُّ القُلوبِ التي نَفْقَهُ بها هُو الصُّدورُ .

٦ـ عاقِبَةُ الظُّلْمِ وَخيمَةٌ وَعَذابُ الظّالِمينَ أَليمٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأَقْوامَ المَذْكورينَ في هَذهِ الآياتِ مُبَيِّناً اسْمَ الرَّسولِ الَّذي أُرْسِلَ لِكُلٍّ مِنْهُم .

٢ـ كَيْفَ يَكونُ حالُ القُرىٰ بَعْدَ إهْلاكِ قَوْمِها ؟ صِفْ ذَلِكَ مَعَ الدَّليلِ مِنَ الآياتِ .

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ عَمى البَصَرِ وعَمى البصيرةِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ وَصْفِ القُلوبِ بِأَنَّها الَّتي في الصُّدورِ ؟

٥ـ ما سَبَبُ شُعورِ الكافِرينَ بِطولِ يَوْمِ القِيامَةِ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ كَمْ مرَّةً وَرَدَ لَفْظُ الإملاءِ ، والظُّلْمِ ، والأَخْذِ ؟ وما دَلالاتُ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

اكتبْ في دَفْتَرِكَ العَذابَ الَّذي أَصابَ كُلاًّ مِنْ : عادٍ ، ثَمودَ ، أَهْلِ مَدْيَنَ ، فِرْعَونَ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُعاجزينَ : ظانِّينَ أنَّهُمْ يَنْجونَ مِنْ عَذابِنا .

تَمَنَّى : رَغِبَ وَأَحَبَّ .

في أُمْنِيَّتِهِ : في طَريقِ ما يَرْغَبُهُ .

فَيَنْسَخُ : فَيُزيلُ .

فَتُخْبِتَ : تَطْمَئِنَّ وَتَسْكُنَ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذِهِ الآياتُ بِتَوجيهِ الرَّسولِ ﷺ إلى أنْ يُبيِّنَ لِلنَّاسِ مَهَمَّتَهُ وَعاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِلنَّاسِ إنَّ وَظيفَتي أَنْ أُنْذِرَكُمْ وَأُخَوِّفَكُمْ منْ عَذابِ اللهِ ، دونَ لَبْسٍ وَلا غُموضٍ .

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

فالذينَ آمَنوا بكُلِّ ما يَجِبُ الإيمانُ بهِ ، وَعَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ المَفروضَةَ عَلَيْهِمْ والمَنْدوبَةَ مِنْهم ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لِما وقَعَ منْهُمْ مِنْ ذُنوبٍ ، وَرِزْقٌ كَريمٌ لا يَنْقَطِعُ وَلا يَمْتَنِعُ ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ جَمَعَ اللهُ لَه بَيْنَ المَغْفِرَةِ والرِّزْقِ الكريم .

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ .

والذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ لإبْطالِ آياتِنا الدَّالَّةِ عَلى الوَحْدانيَّةِ والقُدْرَةِ ، وَأَسْرَعوا في تَكْذيبِها مُحاوِلينَ إظْهارَ المُؤْمِنينَ بِمَظْهَرِ العاجِزِ عَنِ الدِّفاعِ عَنْ دينِهِ ، وَظانِّينَ أَنَّهُمْ سَيَنْجَونَ منْ عَذابِنا ، وَأَنَّهُ لا بَعْثَ لَهُمْ وَلا حِسابَ ، أُولئِكَ أَصْحابُ الجَحيمِ المُلازِمونَ لها ، المُصْطَلُونَ بنارِها .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ أيُّها الرَّسولُ منْ رَسولٍ وَلا نَبيٍّ ، إلاّ إذا تَمَنَّىٰ وَرغِبَ هِدايَةَ قَوْمِهِ إلى الدِّينِ الحَقِّ الذي جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، أَلْقى الشَّيْطانُ الوَساوِسَ والشُّبَهَ في طَريقِ رَغْبَةِ النَّبيِّ أوِ الرَّسولِ حتّى لا تَتَحقَّقَ . فالرُّسُلُ يتَمَنَّوْنَ دُخولَ أَقْوامِهِمُ الإسْلامَ ، والنَّصْرَ عَلَيْهِمْ إنْ هُمْ حارَبوهُمْ ، فَإذا تَطاوَلَ الزَّمانُ دونَ أَنْ يَتَحَقَّقَ ذلِكَ خالَطَ قُلوبَهُمُ اليَأْسُ مِنْ تَحقُّقِ ذلِكَ ، فَما أَسرَعَ أن يُحَقِّقَ اللهُ نَصْرَهُ لِرُسُلِهِ ﴿حتّى إذا استَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قد كُذِبُوا أتاهُمْ نَصْرُنا﴾ ، فَيُزيلُ اللهُ بِمُقْتَضى حِكْمَتِهِ وَعَظيمِ قُدْرَتِه ما أَلْقاهُ الشَّيْطانُ مِنَ الوَساوِسِ والأوْهام ، ثُمَّ يُثَبِّتُ اللهُ آياتِهِ في قَلْبِ النَّبيِّ وَأتْباعِهِ المُخْلِصينَ ، واللهُ عَليمٌ بِشُؤونِ جَميعِ خَلْقِهِ ، حَكيمٌ في كُلِّ أَقْوالِهِ وَأَفْعالِهِ .

فَفي هذِهِ الآيَةِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بِأَنَّ ما يراهُ مِنْ إعْراضِ قَومِهِ عَنِ الهِدايَةِ حَصَلَ مِثْلُهُ مَعَ الرُّسُلِ والأنْبياءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَنَّ ذلِكَ الإعْراضَ بِسَبَبِ تَزْيينِ الشَّيْطانِ وَإغْوائِهِ ، وَأَنَّهُ لا يَضِلُّ بِهِ إلاّ مَنْ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَقَسا قَلْبُهُ :

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ .

لِيَكونَ ما يُلْقيهِ الشَّيْطانُ مِنْ وَساوِسَ وَشُبَهٍ امْتِحاناً واخْتِباراً لِلَّذينَ في قُلوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفاقٌ ، وَلِلمُشْرِكينَ أَصْحابَ القُلوبِ القاسِيَةِ ، وَإنَّ هؤُلاءِ الظَّالِمينَ مِنْ أصْحابِ القُلوبِ المَريضَةِ والقاسِيَةِ

لَفي خِلافٍ لِلحَقِّ شَديدٍ بِسَبَبِ نِفاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَهُمْ في غايَةِ البُعْدِ عَنِ الاهْتِداءِ تَأَثُّراً مِنْهُمْ بِكَيْدِ الشَّيْطانِ وَشُبْهَتِهِ .

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

أَمَّا الذينَ أُوتوا العِلْمَ والهِدايَةَ ، فَإِنَّ ما يُلقيهِ الشَّيْطانُ مِنْ وَساوِسَ وَشُبَهٍ لا يُؤَثِّرُ فيهِمْ ، وَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ والأنْبِياءُ هُوَ الحَقُّ الثَّابِتُ مِنْ رَبِّكَ فازْدادوا إيماناً بِهِ ، واطْمَأَنَّتْ لَهُ نُفوسُهُمْ وَسَكَنَتْ لَهُ قُلوبُهُمْ . وَإِنَّ اللهَ تعالى لَهادي المُؤْمِنينَ وَمُرْشِدُهُمْ ، فَلا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِمُ الأُمورُ وَلا تَخْتَلِطُ عِنْدَهُمُ الشُّبَهُ بِالحَقائِقِ ، وَلا يَتَرَدَّدُونَ في إبْطالِ إلْقاءِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ، فَهُمْ مُهْتَدونَ إلى صِراطِ اللهِ المُسْتَقيمِ .

التَّقْوِيمُ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيانُ مَهَمَّةِ الرُّسُلِ وَهِيَ التَّبْشيرُ والإنْذارُ .

٢ـ بَيانُ مَهَمَّةِ الشَّيْطانِ وَهِيَ إلْقاءُ الشُّبَهِ والوَساوِسِ في طَريقِ الحَقِّ .

٣ـ العِلْمُ والإيمانُ سَبَبٌ لِرَدِّ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَتَضْليلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

أَجِبْ عنِ الأَسئِلَةِ التاليةِ :

١ـ ما مَهَمَّةُ الرَّسولِ كَما تُظْهِرُها الآيَةُ الكَريمَةُ ؟

٢ـ ما مَصيرُ كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ؟

٣ـ ما الذي يَتَمَنّاهُ الرَّسولُ أوِ النَّبِيُّ ؟ وَماذا يَفْعَلُ الشَّيْطانُ بِهذِهِ الأَمانيِّ ؟

٤ـ ما النَّتيجَةُ التي تَحْصُلُ عِنْدَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ إلْقاءِ الشَّيْطانِ الشُّبَهَ والضَّلالاتِ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خَطٌّ فيما يَلي :

أ ـ والذينَ سَعَوا في آياتِنا معاجِزينَ . . . . .

ب ـ وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ ولا نَبِيٍّ إلاّ إذا تَمَنّىٰ ألْقى الشَّيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ .

ج ـ . . . فَتُخْبِتَ لَهُ قُلوبُهُمْ . . .

٦ـ اذْكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ مَهَمَّةُ الرَّسولِ .

ب ـ حُسْنُ عاقِبَةِ مَنْ أطاعَ الرَّسولَ وَآمَنَ .

ج ـ النَّبيُّ يَتَمَنّىٰ وَيَرْغَبُ في هِدايَةِ قَوْمِهِ إلى الحَقِّ .

د ـ يَتَأَثَّرُ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ أصْحابُ القُلوبِ المَريضَةِ والقاسِيَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائِلَ سُورَةِ نوحٍ وَبَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وَبَيْنَ الآيَةِ (٤٩) .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ النَّبيِّ والرَّسولِ .

* * *

الدَّرسُ الثّاني عَشَر

سورةُ الحَجِّ - القِسْمُ الثّاني عَشَر

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مِرْيَةٍ : شَكٍّ .

يَوْمٍ عَقيمٍ : لا يَوْمَ بَعْدَهُ .

مُهينٌ : مُذِلٌّ .

مُدْخَلاً : مَوْضِعاً .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذِهِ الآياتُ بِتَبْيينِ أَنَّ شَكَّ الكافِرينَ في القُرآنِ سَيَسْتَمِرُّ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

وَلا يَزالُ الكافِرونُ في شَكٍّ وَرَيْبٍ مِمّا أَوْحاهُ اللهُ تعالى إلى نَبيِّهِ ﷺ مِنْ قُرآنٍ بِسَبَبِ قَسْوَةِ قُلوبِهِمْ

وَعِنادِهِمْ ، وَسَيَسْتَمِرُّونَ عَلى هذِهِ الحالِ حَتّى يَأْتِيَهُمُ المَوْتُ فَجْأَةً وَهذِهِ السّاعَةُ التي يُغادِرُ فيها كُلُّ إِنْسانٍ الحَياةَ ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمُ القِيامَةِ الذي لا مَثيلَ لَهُ في هَوْلِهِ وشِدَّةِ عَذابِهِ ، وَهُوَ اليَوْمُ الذي لا يَوْمَ بَعْدَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ . . سُبْحانَهُ بَعْضَ ما يَكونُ في ذلِكَ اليَوْمِ :

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

الحُكْمُ العَدْلُ والسُّلْطانُ المُطْلَقُ للهِ تعالى يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ يَحْكُمُ بَيْنَ الخَلْقِ ، وَيَقْضي بِعَدْلِهِ ، وَيُجازي كُلاً بِما كَسَبَ ، فالذينَ آمَنوا بِاللهِ وعَمِلوا الأعْمالَ الصّالِحَةَ يَدْخُلونَ في جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

والذينَ كَفَروا بِاللهِ تعالى وَبِرَسولِهِ ﷺ وَأَعْرَضوا عَنِ الحَقِّ ، وَكَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ المُحْكَماتِ وَزَعَموا أَنَّها شِعْرٌ وَسِحْرٌ وَكَهانَةٌ ، فَهؤلاءِ لَهُمْ عَذابٌ مُذِلٌّ جَزاءَ اسْتِكْبارِهِمْ وافْتِرائِهِمْ .

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ حالَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ، ذَكَرَ جَزاءَ المُهاجِرينَ في سَبيلِهِ ، فَقالَ :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ .

والذينَ تَرَكوا دِيارَهُمْ وَأَوْطانَهُمْ مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ وَإِعْلاءِ كَلِمَتِهِ ، وَنُصْرَةِ دينِهِ ، ثُمَّ قَتَلَهُمُ المُشْرِكونَ في أَثْناءِ جِهادِهِمْ ، أَوْ ماتوا مِنْ غَيْرِ قِتالٍ ، فَإِنَّ اللهَ تعالى سَيَرْزُقُهُمْ رِزْقاً حَسَناً يُرْضيهِمْ وَيَسُرُّهُمْ حينَ يَلْقَوْنَهُ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ خَيْرُ الرّازِقينَ ، فَإِنَّهُ يَرْزُقُ بِغَيْرِ حِسابٍ ، وما عِنْدَهُ مِنْ رِزْقٍ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ .

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

وَمِنَ الرِّزْقِ الحَسَنِ لِلمُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُمْ مَكاناً يَسُرُّهُمْ وَيُرْضيهِمْ ، وَهُوَ الجَنَّةُ ذاتُ النَّعيمِ العَظيمِ ، التي فيها ما لا عَيْنٌ رأتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ . وَإِنَّ اللهَ لَعَليمٌ بالذي يُرْضي عِبادَهُ ، وَبِما يَسْتَحِقُّهُ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنْ جَزاءٍ عَلى عَمَلِهِ ، حَليمٌ فلا يُعاجِلُ أَحَداً بِالعُقوبَةِ بَلْ يُمْهِلُ ويَسْتُرُ ويَعْفو .

وَفي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ تَبْيينُ فَضْلِ الهِجْرَةِ في سَبيلِ اللهِ ، فالمُهاجِرُ يَتْرُكُ بَلَدَهُ وَمَوْطِنَهُ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وَهذا الفِعْلُ ثَقيلٌ عَلى النَّفْسِ ، مُؤَثِّرٌ فيها لِدَرَجَةِ مُعادَلَتِهِ الخُروجَ مِنَ الدُّنيا عِنْدَ بَعْضِ

النَّاسِ ، كَما يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦] وَلِذا كانَ أجْرُ الهِجْرَةِ عَظيماً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الشَّكُّ والرَّيْبُ يُناقِضُ الإيمانَ ، وَعِلَّةُ الكُفّارِ عدمُ إيقانِهِمْ بِصِدْقِ هذا الدّينِ .

٢ـ بَيانُ حُسْنِ عاقِبَةِ الإيمانِ وَسوءِ عاقِبَةِ الكُفْرِ .

٣ـ عِظَمُ فَضْلِ الهِجْرَةِ في سَبيلِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ يَوْمِ القِيامَةِ بِاليَوْمِ العَقيمِ ؟

٢ـ ما حُكْمُ الشَّكِّ في صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ وَفيما جاءَ بِهِ ؟

٣ـ ما المَصيرُ الذي يَنْتَظِرُ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٤ـ بماذا وَعَدَ اللهُ تعالى المُهاجِرينَ في سَبيلِهِ ؟

٥ـ امْلأَ الفراغَ بِما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعنىٰ بإيجازٍ :

أ ـ وَلا يَزالُ الذينَ . . . . . في مِرْيَةٍ مِنْهُ .

ب ـ فالذينَ . . . . . . وَعَمِلوا . . . . . . في جَنّاتِ . . . .

ج ـ والذينَ . . . . وَكَذَّبُوا بآياتِنا فأُولئِكَ . . . .

د ـ والذينَ . . . . ثُمَّ قُتِلوا أو ماتوا . . . . . رِزْقاً حَسَناً .

نَشاطٌ :

ـ اذكُرْ حَديثاً نَبَوِياً يُبَيِّنُ فَضْلَ الهِجْرَةِ واكْتُبْهُ في دفتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورةُ الحجِّ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بُغِيَ عَلَيْهِ : ظُلِمَ واعْتُدِيَ عَلَيْهِ بغَيْرِ حَقٍّ .

يُولِجُ : يُدْخِلُ .

الفُلْكُ : السُّفُنُ .

التفسيرُ :

تُبْدأُ هذِهِ الآياتُ بتَبْشيرِ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ بنَصْرِ اللهِ لَهُمْ على مَنْ ظَلَمَهُمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

المُشارُ إلَيْهِ بقَوْلِهِ تعالى : (ذلِكَ) ما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّ المُلْكَ للهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وأَنَّهُ سَيَجْزي

المُؤْمِنينَ جَنّاتِ النَّعيم ، وَسَيُجازي الكافِرينَ العَذابَ المُهينَ ، وَما أعَدَّهُ لِلْمُهاجِرينَ في سَبيلِهِ مِنْ حُسْنِ الثَّوابِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبحانَهُ أنَّ مَنْ جازى الظّالِمَ بِمِثْلِ ما ظَلَمَهُ ، ثُمَّ اعْتَدى الظّالِمُ عَلَيْهِ مَرَّةً أخْرى فإنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ سَيَنْصُرُ المَظلومَ المُعْتَدى عَلَيْهِ ، وَفي خَتْمِ الآيَةِ بِقَولِهِ سُبْحانَهُ ﴿إنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفورٌ﴾ دَلالَةٌ عَلى كَثيرِ عَفْوِهِ سُبْحانَهُ عَنْ عِبادِهِ ، وَغُفرانِهِ لِذُنوبِهِمْ ، وَإشارَةٌ إلى اسْتِحْبابِ العَفْوِ والصَّفْحِ ، فَإنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ مَعَ كَمالِ قُدْرَتِهِ يَعفو وَيَغْفِرُ .

وَفي الآيَةِ تَسْمِيَةُ جَزاءِ العُقوبَةِ عُقوبَةً لاسْتِواءِ الفِعْلَيْنِ في الصُّورَةِ ، وَمِثْلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿وجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾ [الشورى : ٤٠] . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ .

المُشارُ إلَيْهِ بِقَوْلِهِ تعالى (ذلِكَ) ما تَقَدَّمَ مِنْ نَصْرِ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ ، فَإنَّ هذا النَّصْرَ بِسَبَبِ أنَّ قُدْرَةَ اللهِ لا يُعْجِزُها شَيْءٌ ، وَمِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ يُدْخِلُ جُزْءاً مِنَ اللَّيْلِ في النَّهارِ فَيَقْصُرُ اللَّيْلُ ، وَيَزيدُ النَّهارُ ، وَيُدخِلُ جُزْءاً مِنَ النَّهارِ في اللَّيْلِ فَيَطولُ اللَّيلُ ، وَيَقْصُرُ النَّهارُ ، وَهذا مُشاهَدٌ مَلْموسٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ سَميعٌ لِكُلِّ ما مِنْ شَأْنِهِ أنْ يُسْمَعَ ، بَصيرٌ بأحْوالِ عِبادِهِ وَخَلْقِهِ لا يَخْفى عَلَيْهِ مِنْها شَيْءٌ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

ذلِكَ المَذْكورُ مِنْ آياتٍ دالَّةٍ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، بِسَبَبِ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ الإلٰهُ الحَقُّ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلعِبادَةِ ، وَأنَّ ما عَداهُ مِنْ مَعْبوداتٍ وَآلِهَةٍ باطِلَةٌ لا تَسْتَحِقُّ أنْ تُعْبَدَ ، فاللهُ تعالى هُوَ العَلِيُّ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ دونَهُ ، وَهُوَ الكبيرُ عَنْ أنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ ، وَلا يُدانيهِ في عَظَمَتِهِ أحَدٌ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

الاسْتِفهامُ للتَّقْريرِ أيْ : لَقَدْ رَأيْتَ أيُّها المُخاطَبُ أنَّ اللهَ تعالى أنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فَتَصيرُ الأرْضُ بِسَبَبِهِ ذاتَ خُضْرَةٍ يانِعَةٍ ، وَثَمَراتٍ طَيِّبَةٍ ، وَهذا مِنْ أعْظَمِ الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبادِهِ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَطيفٌ رَفيقٌ بِمَخْلوقاتِهِ ، خَبيرٌ يَعْلَمُ ما دَقَّ وَعَظُمَ مِنَ الأمورِ .

والتَّعْبيرُ بالمُضارِعِ في (فَتُصْبِحُ) بَدَلاً مِنَ الماضي لاسْتِحضارِ صُورَةِ الاخْضِرارِ الذي اتَّصَفَتْ بِهِ

الأرْضُ بَعْدَ نُزولِ الماءِ عَلَيْها ، وَلإفادَةِ بَقاءِ أثَرِ إنْزالِ المَطَرِ طَويلاً ، ووَصَفَ الأرْضَ بالخُضْرَةِ لأنَّها لَوْنٌ مُمْتِعٌ يُدْخِلُ السُّرورَ في النَّفْسِ .

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

كُلُّ ما في السَّماواتِ مِنْ نُجومٍ وَكَواكِبَ وَمَخْلوقاتٍ ، وَما في الأرْضِ مِنْ عَوالِمَ وَحَيواناتٍ وَبَشَرٍ وَغَيْرِها مِمّا نَعْلَمُ وَلا نَعْلَمُ للهِ سُبْحانَهُ وَتعالى خَلْقاً وَمُلْكاً وَتَدْبيراً وَتَصَرُّفاً ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الغَنِيُّ الذي لا يَحْتاجُ إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، الذي يَحْمَدُهُ مَنْ في السَّماواتِ والأرْضِ ، وَلا يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ أحَدٌ سِواهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

الاسْتِفهامُ لِلتَّقْريرِ أيْضاً ، وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَى خَلْقِهِ أنْ سَخَّرَ لَهُمْ ما في الأرْضِ مِنْ دوابَّ وَشَجَرٍ وَمعادِنَ وَأنْهارٍ وَبحارٍ تَجْري فيها السُّفُنُ بِتَقديرِهِ وَإذْنِهِ ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِمّا يَحتاجونَهُ لِحَياتِهِمْ . وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الذي يُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلى الأرْضِ فَتُهْلِكَ مَنْ فيها وَلا تَعودَ صالِحَةً لِحَياةِ البَشَرِ ، وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَ السَّماءَ تُطْبِقُ عَلى الأرْضِ فَتُهْلِكُ أهْلَها ، وَلكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ رؤوفٌ لَطيفٌ بِعِبادِهِ ، لا يُنْزِلُ بِهِمُ الضُّرَّ والسُّوءَ ، رَحيمٌ بِهِمْ بِما هَيَّأَ مِنْ أسْبابِ المَعاشِ وَتَسْخيرِ الأرْضِ والسَّماءِ لَهُمْ وَتَيْسيرِ الانْتِفاعِ بِخَيْراتِهِما .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

وَمِنْ أعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَى النّاسِ ، أنَّهُ أحْياهُمْ مِنَ العَدَمِ ، وَأوْجَدَهُمْ عَلَى هذِهِ الأرْضِ ، لِيَتَمَتَّعوا بِخَيْراتِها ، وَيَتَزَوَّدوا لِدارِ البَقاءِ ، ثُمَّ يُميتُهُمْ إذا انْقَضَتْ آجالُهُمْ ، ثُمَّ يُحْييهِمْ مَرَّةً أخْرى يَوْمَ القِيامَةِ لِيُجازَوْا عَلَى أعْمالِهِمْ ، وَمَعَ كُلِّ هذِهِ النِّعَمِ المُحيطَةِ بالإنْسانِ ، والتي تُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرَ المُنْعِمِ ، إلاّ أنَّهُ كَفورٌ جَحودٌ مُنْكِرٌ لِهذِهِ النِّعَمِ ، غَيْرُ شاكِرٍ عَلَيْها ، وَهذا الحُكْمُ بِوَصْفِ أكْثَرِ النّاسِ كَما قالَ ـ سُبْحانَهُ ـ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ مَشْروعِيَّةُ مُعاقَبَةِ الظّالِمِ بِمِثْلِ فِعْلِهِ .

٢ـ الدَّلالةُ عَلَى آياتِ اللهِ في الكَوْنِ التي تَدُلُّ على وَحْدانِيَّةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَغِناهُ وَلُطفِهِ .

٣ـ مُعْظَمُ النَّاسِ يُقابِلونَ نِعَمَ اللهِ بِالجُحودِ والكُفْرِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ الانْتِصارِ مِنَ العُقوبَةِ : عُقوبَةً ؟

٢ـ ما المَشارُ إلَيهِ بـ : (ذلِكَ) في الآيَةِ السِّتينَ ؟

٣ـ ما المقصودُ بإيلاجِ اللَّيلِ في النَّهارِ ؟

٤ـ ما سَبَبُ التَّعبيرِ في (فَتُصْبِحُ) بالفِعْلِ المُضارِعِ بَدَلاً مِنَ الفِعْلِ الماضي ؟

٥ـ اذكرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً عَلَى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ يَنْصُرُ اللهُ المَظْلومَ الذي يَقَعُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ .

ب ـ كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ .

ج ـ يَخْرُجُ النَّباتُ بَعْدَ نزُولِ المَطَرِ .

د ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ غَيْرُ مُحتاجٍ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ .

هـ ـ كُلُّ ما في الأَرْضِ مُسَخَّرٌ لِلإنْسانِ .

و ـ يُقابِلُ الإنْسانُ نِعَمَ اللهِ بِالكُفْرِ والجُحودِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ في أيِّ الفُصولِ الأَرْبَعَةِ يَكونُ اللَّيْلُ أطْوَلَ مِنَ النَّهارِ ؟ وَفي أيِّها يَكونُ النَّهارُ أطْوَلَ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورَةِ القِيامَةِ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٣ـ تَأَمَّلْ في خَتْمِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الآياتِ ٥٩ـ٦٥ بِٱسْمَيْنِ مِنْ أَسْماءِ اللهِ ، واسْتَخْرِجِ الصِّلَةَ بَيْنَ مَوْضوعِ كُلِّ آيَةٍ مِنْها مَعَ الاسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ خُتِمَتْ تِلْكَ الآيَةُ بِهِما ، وَدَوِّنْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعَ عشَرَ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفرَداتِ :

مَنْسَكاً : شَريعَةً خاصَّةً .

في كِتابٍ : اللَّوحِ المَحفوظِ .

سُلطاناً : حُجَّةً وَبُرهاناً .

يَسْطونَ : يَبْطِشونَ .

التَفسيرُ :

تَبْدَأُ هذِهِ الآياتُ بِبَيانِ أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَريعَتَها وَمِنْهاجَها ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ مَنْهَجاً يَسيرونَ عَلَيْهِ في اعْتِقادِهِمْ ، وَفي طَريقَةِ

حَياتِهِمْ وَمُعامَلاتِهِمْ ، وَآخِرُ هذِهِ الشَّرائِعِ ما جاءَ في القُرآنِ الكَريمِ وَهُوَ مِنْهاجُ حَياةٍ يَصْلُحُ لِكُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها ، وَما دامَ الأمرُ كَذلِكَ ، فالْتَزِمْ أيُّها النَّبيُّ أنْتَ وَأتْباعُكَ بِتَعاليمِ هذِهِ الشَّريعَةِ ، وَلا تَلْتَفِتْ إلى خُصومَةِ مَنْ يُنازِعُكَ فيها ، وادْعُ هؤُلاءِ الذينَ يُنازِعونَكَ ، وادْعُ غَيْرَهُم كَذلِكَ إلى الدُّخولِ في الإسْلامِ ، والْتِزامِ شَريعَةِ القُرآنِ ، فإنَّكَ عَلَى طَريقِ الحَقِّ المُسْتَقيمِ المُوصِلِ إلى جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

وَإنْ أَبَوْا إلاّ مُجادَلَتَكَ بَعْدَ ما بَيَّنْتَ لَهُمْ مِنَ الحُجَّةِ ، فَقُلْ أيُّها الرَّسولُ لَهُمْ عَلَى سَبيلِ التَّهْديدِ والوَعيدِ : اللهُ أعْلَمُ بِحالِكُمْ وَعَمَلِكُمْ وَسَيُجازيكُمْ عَلَى أباطيلِكُمْ وَمُجادَلَتِكُمْ أسْوأَ الجزاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ مَرَدَّ الجميعِ إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ .

﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

أيْ أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يَفْصِلُ يَوْمَ القِيامَةِ بَيْنَكَ أيُّها النَّبيُّ ، وَمَنِ اتَّبَعَ سَبيلَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، وَبَيْنَ الكافِرينَ الذينَ جادَلوا بِالباطِلِ ، وَرَفَضوا الحَقَّ ، فَيَحْكُمُ ـ سُبْحانَهُ ـ الحُكْمَ الحَقَّ فيما كانَ يَحْصُلُ فيهِ الاخْتِلافُ في الدُّنيا ، وَيُظْهِرُ مَنْ هُوَ عَلَى الحَقِّ المُبينِ ، وَمَنْ هُوَ في ضَلالٍ بَعيدٍ .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ للتَّقْريرِ ، أيْ لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسولُ ، وَتَيَقَّنْتَ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ ما يَكونُ في السَّماءِ والأَرْضِ ، وَلا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ ، وَكُلُّ ما يَجري في السَّماءِ أو في الأَرْضِ مُدَوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ المُشْتَمِلِ عَلَى جَميعِ أحْوالِ الخَلْقِ ، وَإنَّ إحاطَةَ عِلْمِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ بِكُلِّ المَخلوقاتِ وَأحْوالِهِمْ وَإثْباتَهُ في اللَّوْحِ المَحفوظِ سَهْلٌ يَسيرٌ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ .

هذا تَوْبيخٌ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِلكافِرينَ ، الذينَ عَبَدوا غَيْرَ اللهِ ، بالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الأدِلَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ سُبْحانَهُ وَقُدْرَتِهِ ، وَمَعَ ذلِكَ اتَّجَهوا لِعِبادَةِ آلِهَةٍ لا تَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً ، وَلا يَمْلِكونَ هُمْ دَليلاً مِنْ نَقْلٍ أوْ وَحْيٍ عَلَى صِحَّةِ عِبادَتِها ، كَما لا يَمْلِكونَ دَليلاً عَقْلِيّاً عَلَى صِحَّةِ عِبادَتِها ، فالعَقْلُ السَّليمُ لا يَقودُ صاحِبَهُ إلاّ إلى تَوْحيدِ اللهِ ، وَهؤُلاءِ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِتَعطيلِ عُقولِهِمْ ، فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ ناصِرٍ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ .

ثُمَّ يُبَيِّنُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ هؤُلاءِ الظَّالِمينَ ، بِجانِبِ ضَلالِهِمْ ، تَأْخُذُهُمُ العِزَّةُ بالإثْمِ إذا سَمِعوا آياتِ اللهِ . فقالَ تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَإذا سَمِعَ هؤُلاءِ الظَّالِمون آياتِ القُرآنِ الكَريمِ البَيِّنَةَ الواضِحَةَ الحُجَّةِ تُتْلى عَلَيْهِمْ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنينَ ظَهَرَتْ عَلَى وُجوهِهِمْ كَراهَةُ الآياتِ وَإنْكارُها ، وَيَكادون يَبْطِشونَ بالمُؤْمِنينَ الذينَ يَتْلونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا ، فَهُمْ قَدْ بَلَغوا مِنَ الجَهالَةِ حَدّاً لا يَقْتَنِعونَ بِدَليلٍ ، وَلا تَنْفَعُ مَعَهُمْ حُجَّةٌ ، وَهذا شَأْنُ الطُّغاةِ الجاهِلينَ حينَ يَعْجَزونَ عَنْ مُواجَهَةِ الحُجَّةِ بِمِثْلِها يَلْجَؤونَ إلى الإيذاءِ والبَطْشِ والاعْتِداءاتِ عَلَى الدّاعينَ إلى الخَيْرِ .

فَقُلْ أَيُّها الرَّسولُ لَهُمْ : إنْ كان ما سَمِعْتُموهُ مِنَ الآياتِ قَدْ أَزْعَجَكُمْ وَلَمْ يُعْجِبْكُمْ حتَّى كِدْتُّمْ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِكُمْ وَسُخْطِكُمْ تُؤْذونَ مَنْ يُسْمِعُكُمْ هذهِ الآياتِ فَإنّي سَأُخْبِرُكُمْ بِما هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ مِنْ ذلِكَ ؛ إنَّها النّارُ التي أعَدَّها اللهُ للّذينَ كَفَروا وَتَوَعَّدَهُمْ بِها ، وَبِئْسَ هذا المَرْجِعُ والمَوْضِعُ الذي تَصيرونَ إلَيْهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَريعَةٌ خاصَّةٌ بها ، أمَّا الدِّينُ فَهُوَ دينٌ واحِدٌ ، وَهُوَ الاسْلامُ لِلنَّاسِ جَميعاً .

٢ـ المَرْجِعُ في التَّشْريعِ إلى اللهِ وَحْدَهُ .

٣ـ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَ العِبادِ فيما اخْتَلَفوا فيهِ مِنَ الإيمانِ والكُفْرِ ، والحَقِّ والباطِلِ .

٤ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ .

٥ـ لا يوجَدُ دَليلٌ عَلَى أحَقِّيَّةِ الآلِهَةِ المَعْبودَةِ مِنْ دونِ اللهِ بِالعِبادَةِ .

٦ـ مَشْروعِيَّةُ الإعْراضِ عَنِ المُجادَلَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

٧ـ مَشْروعِيَّةُ إغاظَةِ الظَّالِمِ بِما يَغيظُهُ مِنْ قَوْلِ الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالمَنْسَكِ في الآية السَّابعَةِ والسِّتينَ ؟

٢ـ ماذا أمرَ اللهُ نَبيَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَقولَ في مُواجَهَةِ المُجادِلينَ ؟

٣ـ ما دَلالةُ خَتْمِ الآيَةِ السَّبْعينَ بِقَولِهِ تعالى ﴿إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرٌ﴾ ؟

٤ـ بِأيِّ شَيْءٍ وَبَّخَ اللهُ سُبْحانَهُ الذينَ عَبَدوا الأصْنامَ ؟

٥ـ صِفْ حالَ الكافِرينَ حينَ تُتْلى عَلَيْهِمُ الآياتُ .

٦ـ بيِّنْ مَعْنى الألْفاظِ القُرآنيَّةِ الكَريمَةِ التي تَحْتَها خَطٌّ :

أ ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكوهُ .

ب ـ اللهُ يَحْكُمُ بينَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ . . .

ج ـ أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَّماءِ والأرْضِ إنَّ ذلِكَ في كِتابٍ . . .

د ـ . . . يَكادونَ يَسْطُونَ بِالذينَ يَتْلونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أفأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النّارُ . . . . .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورَةِ (لُقْمانَ) التي يُبَيِّنُ فيها لُقْمانُ لابْنِهِ عَظيمَ عِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ حادِثَةً تُبَيِّنُ بَطْشَ المُشرِكينَ بِأحَدِ المُسْلِمينَ في مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ .

* * *

الدرس الخامس عشر

سورةُ الحجِّ ـ القسمُ الخامس عشر

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَإنْ يَسْلُبْهُمْ : وَإنْ يأْخُذْ مِنْهُمْ شَيْئاً .

لا يَسْتَنْقِذْوهُ : لا يَقْدِرونَ عَلَى رَدِّهِ .

الطَّالبُ : الصَّنَمُ .

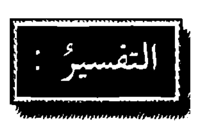
والمَطْلوبُ : الذُّبابُ .

ما قَدَروا اللهَ : ما عَظَّموهُ .

يَصْطَفي : يَخْتارُ .

اجْتَباكُمْ : اختارَكُمْ .

حَرَجٍ : ضِيقٍ .



التفسيرُ :

تَبْدأُ هذِهِ الآياتُ بإثْباتِ عَجْزِ كُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً مَهْما كانَ حَقيراً ضَعيفاً ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تَبْدأُ الآيَةُ بِنِداءٍ مُوَجَّهٍ إلى النَّاسِ ، أنْ يَسْتَمِعوا إلى ما سَيَأتي مِنْ مَثَلٍ غريبٍ ، وَحالٍ عَجيبَةٍ ، لِما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ ، وَسَمّى سُبْحانَهُ ما أوْرَدُوهُ مَثَلاً لِشَبَهِهِ المَثَلَ في كَونِهِ أمْراً مُسْتَغْرَباً .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ الآلِهَةَ التي يَعْبُدُها المُشركونَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَخْلُقَ ذُبابَةً واحِدَةً حتّى لو اشْتَرَكَتْ جَميعُها في مُحاوَلَةِ خَلْقِ هذِهِ الذُّبابَةِ ، وَإذا اخْتَطَفَ الذُّبابُ مِنْها شَيْئاً مِمّا يوضَعُ عَلَيْها كالطِّيبِ أوْ نَحْوِهِ لا تَستَطيعُ اسْتِرْدادَهُ مِنْهُ لِعَجْزِها عَنْ ذلِكَ ، فما أضْعَفَ هذِهِ الآلِهَةَ التي تَعْجَزُ عَنْ خَلْقِ الذُّبابِ واسْتِخلاصِ ما سُلِبَ مِنْها . وما أضْعَفَ الذُّبابَ الذي يُطْلَبُ لاسْتِردادِ ما سَلَبَهُ! .

وَتَخْصيصُ الذُّبابِ بِالمَثَلِ لِمَهانَتِهِ وَضَعْفِهِ واسْتِقذارِهِ وَكَثْرَتِهِ ، فَإذا كانَ هذا المَخْلوقُ الضَّعيفُ الصَّغيرُ لا تَقْدِرُ تِلْكَ الآلِهَةُ المَزْعومَةُ عِلى خَلْقِ مِثْلِهِ وَدفْعِ أذِيَّتِهِ واستنقاذِ ما يَسْلُبُهُ ، فكيفَ يجوزُ أن تكونَ آلهةً معبودةً ، وأرباباً مطاعةً ، وهيَ أضْعَفُ مِنَ الذُّبابِ وَأقَلُّ ، وَعابِدوها أجْهَلُ مِنْ كُلِّ جاهِلٍ وَأضَلُّ ؟ فَما أسْخَفَ عُقولَهُم حينَ عَبَدوها وَعَظَّموها ، وَلَمْ يَعْبدوا اللهَ الذي خَلَقَها .

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

إنَّ هؤُلاءِ المُشْركينَ ما عَظَّموا اللهَ تعالى حَقَّ تَعظيمِهِ ، ما عرَفوهُ المَعْرفةَ الحَقَّةَ ، فَإنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ القويُّ القادِرُ عَلَى خَلْقِ المُمْكِناتِ كُلِّها ، وَلا يَقِفُ أمامَ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ العَزيزُ الذي لا يُغالِبُهُ أحَدٌ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ أمْرِهِ مَخْلوقٌ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضاً مِنْ مظاهِرِ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقالَ :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

اللهُ تَعالى يَختارُ مِنْ بَيْنِ المَلائِكَةِ وُسَطاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أنْبِيائِهِ يُوصِلونَ إلَيْهِمُ الوَحْيَ ، كَجبريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَيَختارُ سُبْحانَهُ مِنَ النَّاسِ رُسُلاً يَدْعونَ عِبادَهُ إلى اتّباعِ طُرُقِ الحَقِّ والخَيْرِ ، كَمُحَمَّدٍ ﷺ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ، وَهُوَ الذي أحاطَ عِلْمُهُ بِجَميعِ مَخْلوقاتِهِ ، فَهُوَ سَميعٌ لأقوالِهِمْ ، بَصيرٌ بِأحْوالِهِم ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ مِنْ شؤُونِهِمْ .

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

يَعْلَمُ سُبْحانَهُ أَحْوالَ رُسُلِهِ وَعِبادِهِ جَميعاً ، ما مَضىٰ مِنْها وما سَيَأتي ، وَإِلَيْهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ مَرْجِعُ أَعْمالِ العِبادِ ، وَأُمورِهِمْ فَيُجازيهِمْ عَلَيْها ، وَفي هٰذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ ما يَقْتَضي مِنَ العِبادِ التزامَ طاعَتِهِ تعالى ، وَتَجَنُّبَ المَعاصي ؛ فَعِلْمُهُ تامٌّ شامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ المُتَفَرِّدُ في الحُكْمِ بَيْنَ عِبادِهِ .

وَخَتَمَ ـ سُبْحانَهُ ـ السُّورَةَ الكَريمَةَ بِالأَمْرِ بِجُمْلَةٍ مِنَ الطّاعاتِ ، فَقالَ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

خِطابٌ مُوَجَّهٌ لِلمُؤْمِنينَ : يا أَيُّها المُؤْمِنونَ حافِظوا عَلَى الصَّلاةِ ، وَأَقيموها في وَقْتِها بِخُشوعٍ وَإِخْلاصٍ ، وَعَبَّرَ عَنِ الصَّلاةِ بِالرُّكوعِ والسُّجودِ لأَنَّهُما مِنْ أَبْرَزِ مَظاهِرِها وَأَهَمِّ أَرْكانِها ، وَتَوَجَّهوا بِالعِبادَةِ الصّادِقَةِ الخالِصَةِ إِلى رَبِّكُمْ ، وَتَحَرَّوْا ما هُوَ خَيْرٌ وَأَصْلَحُ في كُلِّ ما تَفْعَلونَ ، راجينَ بِفِعْلِكُمْ هذا الفَلاحَ والفَوْزَ بِنَعيمِ الآخِرَةِ ، وَقَدْ جَمَعَتْ هذِهِ الآيَةُ الكَريمَةُ أَنواعَ التَّكاليفِ الشَّرْعِيَّةِ كُلَّها بِإِجْمالٍ .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

وَأَمَرَكُمُ اللهُ تعالى ، أَيُّها المُؤْمِنونَ ، بِالجِهادِ في سَبيلِهِ بِالنَّفْسِ والمالِ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ ، وَنَصْرِ شَريعَتِهِ جِهاداً صادِقاً تُقَدِّمونَ فيه أَقْصى طاقاتِكُمْ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ الذي اخْتارَكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ لِنُصْرَةِ دينِهِ ، وَخَصَّكُمْ بِأَكْمَلِ شَرْعٍ وَأَعْظَمِ رَسولٍ ، وَجَديرٌ بِمَنِ اختارَهُ اللهُ واصْطَفاهُ أَنْ يُطيعَهُ وَيَلْتَزِمَ أَمْرَهُ ، وَلايوجَدُ في هذا الدِّينِ التَّكليفُ بِما لا يُطاقُ ، أَوِ الإِلزامُ بِما فيهِ حَرَجٌ وَمَشَقَّةٌ ، فَإِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى اليُسْرِ ، وَرَفْعِ الحَرَجِ .

وَما في هذا الدِّينِ مِنْ أَوامِرَ وَتَوْجيهاتٍ مُوافِقٌ لِما كانَ عَلَيْهِ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهذا بَيانٌ لِعَظيمِ مَنْزِلَةِ هذا الدِّينِ ، وَحَثٌّ عَلَى الالتزامِ بِهِ ، فَهُوَ دينُ اللهِ الذي اختارَهُ لِلنّاسِ .

وجاءَ وَصْفُ إِبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالأُبُوَّةِ لِهذِهِ الأُمَّةِ لأَنَّهُ في مَقامِ الأَبِ لَهُمْ ، فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِتَوقيرِهِمْ واحْتِرامِهِمْ ، وَلأَنَّ نَسَبَ رَسولِ اللهِ ﷺ يَنْتَهي إِلَيْهِ ، وَهُوَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بِمَثابَةِ الأَبِ لِهذِهِ الأُمَّةِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ سَمَّى المُسْلِمينَ بِهذا الاسْمِ المُشَرِّفِ الدّالِّ عَلَى تَعْظيمِهِمْ لِرَبِّهِمْ ، قَبْلَ نُزولِ القُرآنِ ، وَسَمّاهُمْ بِهِ في هذا القُرآنِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ اصْطَفى هذِهِ الأُمَّةَ لِحَمْلِ دينِهِ

ونُصْرَةِ شَريعَتِهِ ، وَجَعَلَ الرَّسولَ شَهيداً عَلَيْكُمْ أيُّها المُسْلِمون يَوْمَ القِيامَةِ يَشْهَدُ بِأنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ ما أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُم ، وَجَعَلَكُمْ أَنْتُمْ شُهداءَ عَلَى الرُّسُلِ أنَّهُمْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ ما أُرْسِلوا بِهِ إِلَيْهِمْ ، وَهذهِ نِعْمَةٌ عَظيمَةٌ ، وَمَقامٌ جَليلٌ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ ، وَلِذا أَمَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عِبادَهُ المُسْلِمينَ أنْ يُقيموا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتوا الزَّكاةَ ، وَأنْ يَتَمَسَّكوا بِشَرْعِهِ وَدينِهِ ، فإنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ سَيِّدُكُمْ وناصِرُكُمْ وَمُتوَلِّي أَمرِكُمْ ، فَنِعْمَ المَولى ، وَنِعْمَ النَّصيرُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ المثَلِ لِتَقريرِ المَعنى .

٢ـ تَقريرُ ضَعْفِ الآلِهَةِ المَعْبودَةِ مِنْ دونِ اللهِ ، فَهِيَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَخْلُقَ أحطَّ الأشْياءِ وَهُوَ الذُّبابُ .

٣ـ عَلَى الذينَ يَتَطَلَّعون اليَوْمَ إلى خَلْقِ الأحْياءِ أن يُقْلِعوا عَنْ هذهِ التَّجارُبِ فَخَلْقُ الأحْياءِ مِنْ شَأنِ اللهِ .

٤ـ وُجوبُ تَعْظيمِ اللهِ تعالى ، والإقْرارِ باسْتِحقاقِهِ العِبادَةَ .

٥ـ النُبُوَّةُ والرِّسالَةُ اخْتِيارٌ منَ اللهِ تعالى وَلَيْسَتْ بالاجْتِهادِ أوِ الرَّغْبَةِ .

٦ـ الالْتِزامُ بِطاعَةِ اللهِ وَفِعْلِ أوامِرِهِ يَقودُ إلى الفَلاحِ والخَيْرِ .

٧ـ اخْتِصاصُ هذِهِ الأمَّةِ باجْتِباءِ اللهِ لَها ، وَرَفْعِ الحَرَجِ عَنْها ، وَجَعْلِها شاهِدَةً عَلَى الأُمَمِ الأخْرى .

٨ـ شَرَفُ الانْتِسابِ إلى الإسْلامِ ، والاعْتِزازُ باسْمِ : المُسْلِمينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المَثَلُ الذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِلنَّاسِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَخصيصِ الذُّبابِ بِهذا المَثَلِ ؟

٣ـ ما مَعنى (ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلوبُ) ؟

٤ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الكَريمةُ عَدَداً مِنْ مَظاهِرِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، اذْكُرْها .

٥ـ أمرَ اللهُ تعالى عِبادَهُ بِمَجْموعَةٍ مِنَ الأوامِرِ ، اذْكُرْها حَسَبَ تَرتيبِ الآيةِ الكَريمَةِ .

٦ـ ما المُرادُ بـ (حَقَّ جِهادِهِ) ؟

٧ـ بيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيَةِ الأخيرَةِ عَدَداً مِنَ المَيِّزاتِ التي خَصَّ بِها هذِهِ الأُمَّةَ ، ما هذِهِ المَيِّزاتُ ؟

٨ـ ما وَجْهُ وَصْفِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِأُبُوَّةِ هذِهِ الأُمَّةِ ؟

١٠ـ كَيْفَ تَشْهَدُ الأُمَّةُ الإسْلامِيَّةُ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ أنَّ أنْبياءَهُمْ بَلَّغوهُمْ أوامِرَ اللهِ عِلْماً أنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما كانَ المُشْرِكونَ في مَكَّةَ يَمْتَدِحونَ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ إلى مَنْ يُنسَبُ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أبْناءِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

* * *

الدرس السادس عشر

سورةُ المؤمنونَ ـ القسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ المُؤْمنونَ سورَةٌ مَكِّيَّةٌ ، مَوْضوعُها الرَّئيسُ تَرْسيخُ الإيمانِ في نُفوسِ المُؤْمنينَ ، بَدَأَتِ السُّورَةُ بِذِكْرِ صِفاتِ المُؤْمنينَ وَجَزائِهِمْ ، وَذَكَرَتْ حالَ النَّشْأَةِ الأولىٰ ، وَتَطَوُّرِ خَلْقِ الإنْسانِ ، وَبَعضَ مظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ ، ثُمَّ عَرَضَتْ قِصَصَ بَعْضِ الأنْبياءِ تَسْلِيَةً لِرَسولِ اللهِ ﷺ عَمّا يَلْقاهُ مِنْ أذى المُشركينَ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ حالَ كُفّارِ مَكَّةَ ، وَعِنادَهُمْ ، وَأَقامَتِ الحُجَجَ والبَراهينَ الدَّالَّةَ عَلَى البَعْثِ ، وَبيَّنَتْ ما يَلقاهُ الكُفّارُ مِنْ هَوْلٍ وَشِدَّةٍ وَقْتَ المَوْتِ ، وَطَلَبَهُمُ العَوْدَةَ إلى الدُّنيا ، وَصُوَراً مِنْ أَحْوالِهِمْ في النَّارِ ، وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِتَمْجيدِ اللهِ تعالى ، وَبالأمْرِ بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ مِنْهُ سُبْحانَهُ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

أفلَحَ : فازَ .
خاشِعون : مُتَذَلِّلونَ .

اللَّغْوِ	: الباطِلِ وَما لا خَيْرَ فيهِ مِنَ الكَلامِ .
فُروجِهِمْ	: الفَرْج : سَوْءة الرَّجُلِ والمَرْأَةِ .
حافِظون	: مُتَعَفِّفونَ عَنِ الحَرامِ .
مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ	: النِّساءُ المَملوكاتُ ، وَهذا عِنْدَما كانَ الرِّقُّ مُنْتَشِراً .
العادون	: المُعْتَدونَ .
الفِرْدَوْسَ	: أعْلى الجِنانِ .

التفسيرُ :

بَدَأَتْ سورَةُ (المُؤْمِنونَ) بِبَيانِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ التي اسْتَحَقُّوا بِها دُخولَ الجَنَّةِ وَنَيْلَ أعْلى دَرَجاتِها ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

قَدْ لِلتَّأكيدِ والتَّحقيقِ ، يُخْبِرُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ المُؤْمِنينَ بِهِ ، وَبِما أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ ، وَبِما أمَرَ بِالإيمانِ بِهِ كاليَوْمِ الآخِرِ ، والقَدَرِ ، هُمُ الفائِزونَ المُفلِحونَ يَقيناً ، والمُرادُ بِالمُؤْمِنينَ الذينَ صَدَقوا وَأيْقَنوا واجْتَمَعَتْ فيهِمُ الصِّفاتُ المَذْكورَةُ تالِياً وَهِيَ :

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

الصِّفَةُ الأولى : الخُشوعُ في الصَّلاةِ ، وَهُوَ التَّذَلُّلُ للهِ تعالى ، واسْتِحضارُ عَظَمَتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ في القَلْبِ ، فَلا يَنْشَغِلُ المُصَلّي بِشَيْءٍ آخَرَ سِوى الصَّلاةِ ، فَلا يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ إلاّ إلى مَوْضِعِ سُجودِهِ ، وَلا يَعْبَثُ بِيَدَيْهِ ، وَيَتَحلّىٰ بِالسُّكونِ والطُّمأنينيةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

والصِّفَةُ الثّانِيَةُ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الابْتِعادُ عَنِ الكَذِبِ والباطِلِ ، وَكُلِّ ما لا يَعْنيهِمْ ، وَما لا فائِدَةَ فيهِ مِنَ الأقْوالِ والأفْعالِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

والصِّفَةُ الثّالِثَةُ أنَّهُمْ يُؤَدُّونَ حَقَّ اللهِ في أمْوالِهِمْ ، وَيُخْرِجونَ زَكاةَ هذِهِ الأمْوالِ ، وَيُداوِمونَ عَلَى ذلِكَ الفِعْلِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ ، وَبِلا تَرَدُّدٍ وَلا تَأخيرٍ .

[illegible]

والصِّفَةُ الرَّابِعَةُ أنَّهُمْ أعِفَّاءُ كُرَماءُ ، قَدْ أَحْصَنوا فُروجَهُمْ ، وَصانوها عَمّا لا يَحِلُّ كالزِّنا ، وَسَتَروا عَوْراتِهِمْ عَنْ أعْيُنِ النَّاسِ ، أمّا ما أحَلَّهُ اللهُ مِمّا بيَّنَهُ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ :

[illegible]

فَهذا سَبيلٌ أباحَهُ اللهُ لَهُمْ وَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ في إتْيانِ زَوْجاتِهِمْ ، وَما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ ، فَلا لَوْمَ عَلَيْهِمْ في ذلِكَ ، بَلْ يُباحُ لَهُمْ ذلِكَ ، وَهُوَ مِنْ شَرْعِ اللهِ وَدينِهِ .

[illegible]

فَمَنْ طَلَبَ الاسْتِمْتاعَ في خِلافِ ما أحَلَّهُ اللهُ لَهُ ، وَسَعى لِقَضاءِ الشَّهْوَةِ بِغَيْرِ ما ذُكِرَ مِنَ الزَّوْجاتِ والمَمْلوكاتِ ، فَهُوَ مُتَجاوِزٌ لِلحَدِّ وَمُعْتَدٍ عَلَى حُدودِ اللهِ .

وَلِهذا التَّجاوُزِ آثارٌ مُدَمِّرَةٌ ، مِنْها انْتِشارُ الأمْراضِ كَمَرَضِ (الإيدْز) الذي قَضى عَلَى مَلايينِ النَّاسِ ، الذينَ لَمْ يَلْتَزِموا شَرْعَ اللهِ في هذا الأمْرِ ، وَمِنْها فَسادُ النُّفوسِ ، وارْتِكاسُ الفِطْرَةِ وَضَياعُ الأنْسابِ .

[illegible]

والصِّفَةُ الخامِسَةُ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ أنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الأماناتِ ، وَيُوفونَ بِعَهْدِهِمْ مَعَ اللهِ تعالى وَمَعَ النَّاسِ ، وَهذانِ اللَّفظانِ : الأمانَةُ والعَهْدُ يَشْمَلانِ كُلَّ ما يَقومُ بِهِ الإنْسانُ مِنْ أُمورِ دينِهِ وَدُنياهُ ، مِنْ تَكاليفَ والتِزاماتٍ وَعُقودٍ وَعِباداتٍ يَنْبَغي رِعايَتُها والوَفاءُ بِها . فالمُؤْمِنُ يَحْفَظُ الأمانَةَ ، وَيُؤَدِّيها إلى أهْلِها ، وَيَصونُ العَهْدَ وَلا يَنْقُضُهُ .

[illegible]

والصِّفَةُ السَّادِسَةُ أنَّهُمْ يُحافِظونَ عَلَى الصَّلاةِ فَيُؤَدُّونَها في أوْقاتِها ، وَيُواظِبون علَيْها ، وَيُعْنَوْنَ بِأمْرِها ، وَلا يَنْسَوْنَ مَواعيدَها ، وَيُقيمونَ أرْكانَها وَشُروطَها عَلَى الوَجْهِ التَّام .

وَيُلاحَظُ أنَّ هذِهِ الصِّفاتِ بَدَأتْ بِالخُشوعِ في الصَّلاةِ ، وَخُتِمَتْ بالمُحافَظَةِ عَلَيْها ، وَهذا دَليلٌ عَلَى عِظَمِ مَكانَتِها وَأهَمِّيَّتِها ، وَدَورِها في تَحصيلِ باقي الصِّفاتِ .

[illegible]

هؤُلاءِ المُؤْمِنونَ الذينَ تحَلَّوا بِهذِهِ الصِّفاتِ الطَّيِّبَةِ النَّبيلَةِ يَسْتَحِقُّونَ أنْ يَكونوا وارِثينَ لِنَعيمِ الجَنَّةِ بِحَقٍّ ، حاصِلينَ عَلَيهِ بِسَبَبِ الْتِزامِهِمْ بِما أُمِروا بِهِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

إنَّ هؤُلاءِ المُؤْمِنينَ المُفْلِحينَ سَيَكونونَ في أعْلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وَأحْسَنِها ، وَسَيَكونُ مُكْثُهُمْ فيها دائِماً لا يَنْقَطِعُ ، وَلا يَزولُ ، وَهذا كُلُّهُ بِرَحْمَةِ اللهِ تعالى الذي آمَنوا بِهِ واتَّبَعوا شَريعَتَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَعدادُ صِفاتِ المُؤْمنينِ التي بِها فَلاحُهُمْ .

٢ـ وُجّوبُ الخُشوعِ في الصَّلاةِ والمُداوَمَةُ عَلَيْها .

٣ـ الابْتِعادُ عَنِ اللَّغْوِ ، وباطِلِ الأقْوالِ والأفْعالِ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ .

٤ـ المُسلِمُ يَحِلُّ لَهُ قَضاءُ شَهواتِهِ بِالطُّرُقِ الحَلالِ ، وَلا يَحِلُّ لَهُ تَجاوُزُ الحُدودِ إلى الحَرامِ .

٥ـ وُجوبُ حِفْظِ الأمانَةِ وَأدائِها عَلَى الوَجْهِ الأتَمِّ والأكْمَلِ .

٦ـ أهَمِّيَّةُ الصَّلاةِ ، فَقَدْ بَدَأ صِفاتِ المُؤْمِنينَ بها وَخَتَمها بِها .

٧ـ الحِرْصُ عَلَى الاتِّصافِ بِجَميعِ هذِهِ الصِّفاتِ الكَريمَةِ لِلفَوْزِ بِجَنّاتِ الفِرْدَوْسِ والخُلودِ فيها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّد الصِّفاتِ التي وَرَدَتْ في هذِهِ الآياتِ .

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ الخُشوعِ في الصَّلاةِ والمُحافَظَةِ عَلَيْها ؟

٣ـ ما مَعنى حِفْظِ الفَرْجِ ؟

٤ـ اسْتَثْنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ حِفْظِ الفَرْجِ صِنْفَيْنِ ، ما هُما ؟

٥ـ ما مَعنى رِعايَةِ الأماناتِ والعُهودِ ؟

٦ـ ما الجَزاءُ الذي أعَدَّهُ اللهُ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهذِهِ الصِّفاتِ ؟

٧ـ هَلْ تَرْغَبُ أنْ تَكونَ مِنْ هؤُلاءِ المَوْصوفينَ بِهذِهِ الآياتِ ؟ وماذا تَفْعَلُ لِتكونَ مِنْهُمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَرْبَعَةً مِنَ الأَمْوالِ التي تَجِبُ فيها الزَّكاةُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفَتَرِكَ ثَلاثَةً مِنَ الأَمْراضِ الفَتَّاكَةِ التي انْتَشَرَتْ نَتيجَةً لِلزِّنا واللِّواطِ .

٣ـ مِنَ المَعلوم أنَّ الإِسْلامَ دَعا إلى تَضْييقِ أبْوابِ الرِّقِّ ، وَحَصْرِها في وسائلَ مَحْدودةٍ جداً ، مِمّا أدَّى إلى قِلَّةِ عَدَدِ الرَّقيقِ ثُمَّ انْتِهاءِ وُجودِهِم في مُجْتَمَعِنا وَمُعْظَمِ المُجْتَمَعاتِ ، اكْتُبْ مَوْضوعاً قَصيراً عَنِ الرِّقِّ ، وَكَيْفَ أَسْهَمَ الإِسْلامُ في مَنْعِهِ وَفي تَحريرِ الرَّقيقِ ؟ واقْرَأْهُ عَلَى الطَّلَبَةِ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ خُطورَةَ فِعْلِ ما يُلْهي المُصَلِّي وَهُوَ في صَلاتِهِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عشَرَ

سورةُ المُؤْمِنونَ - القِسْمُ الثّاني

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُلالَةٍ	: خُلاصَةٍ .
نُطْفَةً	: قَطْرَةُ مَنِيٍّ .
قَرارٍ مَكينٍ	: مُسْتَقَرٌّ مُتَمَكِّنٍ وَهُوَ الرَّحِمُ .
عَلَقَةً	: قِطْعَةَ دَمٍ جامِدٍ ، سُمِّيَتْ بِذلِكَ لأنَّها تَعْلَقُ بالرَّحِمِ .
مُضْغَةً	: قِطْعَةَ لَحْمٍ بِقَدْرِ ما يُمْضَغُ .
خَلْقاً آخَرَ	: إنساناً تامَّ الخَلْقِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فيهِ .
أَحْسَنُ الخالِقينَ	: أَحْسَنُ المُقَدِّرينَ والمُبْدِعينَ .
طرائِقَ	: سَماواتٍ .
بِقَدَرٍ	: مِقْدارِ الحاجَةِ والمَصْلَحَةِ .

وَشَجَرَةً : هِيَ شَجَرَةُ الزَّيتونِ .
تَنْبُتُ بالدُّهْنِ : يُنْتِجُ ثَمَرُها زَيْتاً .
صِبْغٍ لِلآكِلينَ : إدامٍ يَصْبُغُ اللُّقْمَةَ حينَ تُغْمَسُ فيهِ عِنْدَ الأَكْلِ .
لَعِبْرَةً : آيَةً وَمَوْعِظَةً .

التفسير :

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ السُّورَةُ الكَريمَةُ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الذينَ اسْتَحَقُّوا بِرَحْمَةِ اللهِ النَّعيمَ في الجَنَّةِ ؛ جاءَتْ هذِهِ الآياتُ الكَريمَةُ لِبَيانِ مَراحِلِ تَكَوُّنِ الجَنينِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنا أباكُمْ آدَمَ مِنْ صَفْوَةٍ وَخُلاصَةٍ مُسْتَخْرَجَةٍ مِنَ الطِّين .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ثُمَّ جَعَلْنا نَسْلَهُ يَتَوالَدُ مِنْ نُطْفَةٍ تَسْتَقِرُّ في مَكانٍ ثابِتٍ ثُبوتاً مَكيناً ، وَهُوَ رَحِمُ المَرْأَةِ .

والنُّطْفَةُ في اللُّغَةِ : الماءُ الصَّافي ، أوِ القَليلُ مِنَ الماءِ ، الذي يَتَقاطَرُ مِنْ فَمِ القِرْبَةِ بِقِلَّةٍ ؛ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الحَيَوانِ المَنَوِيِّ الذي يتكَوَّنُ مِنْهُ الإنْسانُ بَعْدَ التِحامِهِ بِالبُوَيْضَةِ في رَحِمِ المَرْأَةِ ، وَهذا هُوَ الطَّوْرُ الأَوَّلُ مِنْ أَطْوارِ تَكَوُّنِ الإنْسانِ .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ تَتَحَوَّلُ النُّطْفَةُ في الرَّحِمِ إلى قِطْعَةٍ مِنَ الدَّمِ الجامِدِ ، تَعْلَقُ في جِدارِ الرَّحِمِ ، وَتَتَحَوَّلُ بَعْدَ ذلِكَ إلى قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ عَلَى هَيْئَةِ اللُّقْمَةِ التي تُمْضَغُ . ثُمَّ تَتَحَوَّلُ المُضْغَةُ بِقُدْرَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ لِتُصْبِحَ عِظاماً ، تُغَطَّى بَعْدَ ذلِكَ بِما يَسْتُرُها وَيَشُدُّها وَهُوَ اللَّحْمُ ، ثُمَّ تُنْفَخُ فيها الرُّوحُ ، وَتَبْدَأُ أَعْضاءُ الجَنينِ بالتَّشَكُّلِ والنُّمُوِّ ، وَيُصْبِحُ الإنْسانُ تامَّ الخِلْقَةِ كامِلَ الأعْضاءِ ، فَتَعالى شَأْنُ اللهِ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ ـ سُبْحانَهُ ـ وَهُوَ أَحْسَنُ المُبْدِعينَ والمُقَدِّرينَ ، الذي خَلَقَ الإنْسانَ في أَحْسَنِ تَقويمٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً ، وَهَيَّأَ لَهُ أَسْبابَ النُّمُوِّ والرَّاحَةِ حتّى يَكْتَمِلَ خَلْقُهُ وَيُولَدَ بَشَراً سَوِيّاً .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّها النَّاسُ بَعْدَ اكْتِمالِ خَلْقِكُمْ وَقَضائِكُمْ مُدَّةً مِنَ الزَّمانِ تَعيشونَها في الدُّنيا ، سائِرونَ إلى المَوْتِ الذي قَدَّرَهُ اللهُ تعالى .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

مِنْ قُبورِكُمْ لِلجَزاءِ والحِسابِ ، فَيا لَها مِنْ رِحْلَةٍ قَصيرَةٍ يَقْضيها الإنْسانُ عَلَى الأرْضِ ، يَنْتَقِلُ بَعْدَها إلى المَوْتِ ، ثُمَّ يُبْعَثُ لِيُحاسَبَ وَيُجازى ، إنَّ في هذا لَذِكْرىٰ لِلمُعْتَبِرينَ ، وَمَوْعِظَةً لِلمُؤْمِنينَ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ عَدَداً مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ مِمّا يُشاهِدُهُ النَّاسُ وَيَرَونَهُ ، فَقالَ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سَمواتٍ ، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ ، نَرْعى أمْرَها ، وَأمْرَ جَميعِ الخَلْقِ ، وَنَحْفَظُهُمْ دونَ أنْ نَغْفَلَ عَنْ رِعايَةِ الخَلْقِ ، وَتَدْبيرِ أُمورِهِمْ ، والعِلْمِ بِجَميعِ أحْوالِهِمْ .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

وَأنْزَلْنا لَكُمْ أيُّها النَّاسُ مِنَ السَّحابِ مَطَراً بِقَدْرِ حاجَتِكُمْ وَكِفايَتِكُمْ ، تَنْتَفِعونَ بِهِ في الشُّرْبِ والسَّقْيِ ، وَتَحْتَفِظُ الأرْضُ في باطِنِها بهذا الماءِ لِيَنْتَفِعَ مِنْهُ النَّاسُ حينَ يَصِلونَ إلَيْهِ عَنْ طَريقِ حَفْرِ الآبارِ ، أوْ حينَ يَتَفَجَّرُ هذا الماءُ عُيوناً عَذْبَةً ، وَهذا مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَى خَلْقِهِ ، فإنَّه لَوْ شاءَ اللهُ لأذْهَبَ الماءَ ، وَلَجَعَلَهُ بَعيداً في باطِنِ الأرْضِ ، لا يَسْتَطيعُ أحَدٌ الوُصولَ إلَيْهِ وَلا الانْتِفاعَ بِهِ .

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

فَأوْجَدْنا لَكُمْ بِهذا الماءِ بَساتينَ مُتَنَوِّعَةً ، بَعْضُها مِنْ نَخيلٍ ، وبَعَضُها مِنْ أعْنابٍ ، وَبَعْضُها مِنْ أنواعِ الثِّمارِ الأخْرى الكَثيرَةِ المُتَنَوِّعَةِ ، وَبَعْضُها مِنَ الفَواكِهِ اللَّذيذَةِ الطَّيِّبَةِ ، التي تَسْتَمْتِعونَ بأكْلِها ، وَتَنْتَفِعونَ مِنْها .

وَوَجْهُ تَخصيصِ النَّخيلِ والأعْنابِ بالذِّكْرِ ، لِعَظيمِ فَوائِدِهِما ، فَهُما فاكِهَةٌ وَغِذاءٌ وَدَواءٌ ، وَيُسْتَعْمَلانِ طازِجَيْنِ وَيُدَّخَرانِ لِفَتَراتٍ طَويلَةٍ .

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

وَهذا الماءُ الذي أنْزَلَهُ اللهُ لَكُمْ تَنْبُتُ بِهِ شَجَرَةٌ مُبارَكَةٌ تَنْمو في المَكانِ الذي كَلَّمَ اللهُ تعالى فيهِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَتُنْتِجُ ثِمارُها زَيْتاً ، يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ في دَهْنِ أجْسامِهِمْ ، وَيَجْعَلونَهُ إداماً يَصْبُغُ خُبْزَهُمْ عِنْدَما يَأكُلونَ ، هذِهِ الشَّجَرَةُ هِيَ الزَّيْتونُ ، وَهِيَ مِنْ أكْثَرِ الأشْجارِ فائِدَةً ، حَيْثُ يُنْتَفَعُ بَزَيْتِها وَطَعامِها وَخَشَبِها وَمَنْظَرِها وَظِلِّها .

وَتَخْصيصُ طُورِ سَيْناءَ بِأنَّهُ مَكانُ وُجودِها مَعَ أنَّها تُزرَعُ في غَيْرِهِ ، لأنَّ أصْلَ مَنْبِتِها كانَ فيهِ ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ زِراعَتُها في غَيْرِهِ ، وَلأنَّها أكْثَرُ ما تَكونُ انْتِشاراً فيهِ وَفيما حَوْلَهُ مِنَ الأرْضِ .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ نِعَمِهِ في الماءِ والنَّباتِ ، أتْبَعَها بِبَيانِ بَعْضِ نِعَمِهِ في الحَيَوانِ ، فَقَدْ جَعَلَ سُبْحانَهُ في الأنْعام وَهِيَ الإبِلُ والغَنَمُ والبَقَرُ آيَةً وَمَوْعِظَةً لِلنَّاسِ ، وَمِنْ ذلكَ ما تُنْتِجُهُ الأنْعامُ مِنْ لَبَنٍ طَيِّبِ المَذاقِ عَظيمِ الفائِدَةِ ، تُصْنَعُ مِنْهُ أنْواعٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ الأطْعِمَةِ ، وَيَنْتَفِعُ النَّاسُ مِنَ الأنْعام بأكْلِ لُحومِها واسْتِعمالِ جُلودِها وَوَبَرِها وَشَعْرِها وَصوفِها في أنواعٍ كَثيرَةٍ مِنَ الصِّناعاتِ التي يَنْتَفِعُ مِنْها الإنسانُ .

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وَيَنْتَفِعُ النَّاسُ مِنَ الإبلِ بِرُكوبِها واسْتِعمالِها وَسيلَةً لِلسَّفَرِ الطَّويلِ في البَرِّ ، كَما يَسْتَعمِلونَ السُّفُنَ لِلسَّفَرِ في البَحْرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، منها :

١ـ رِعايَةُ اللهِ تعالى التَّامَّةُ للإنْسانِ مِنْ أوَّلِ لَحظاتِ تَكَوُّنِهِ حتّى نِهايَةِ خَلْقِهِ .

٢ـ الدَّلالَةُ عَلَى أنَّ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَما ذُكِرَ فيهِ مِنْ دقائِقِ خَلْقِ الإنْسانِ لَمْ يَكْتَشِفْها البَشَرُ إلاّ بَعْدَ نُزولِ القُرآنِ بِعِدَّةِ قُرونٍ .

٣ـ اللهُ تعالى يُقَدِّرُ كَمِيَّةَ المَطَرِ بما يَكفي النَّاسَ لِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ ، مَعَ وُجودِ كَمِّيّاتٍ مُخَزَّنَةٍ في جَوفِ الأرْضِ للانْتِفاعِ مِنْها عِنْدَ الحاجَةِ .

٤ـ عَظيمُ نِعَمِ اللهِ عَلَى الإنسانِ ، فَمِنْ ماءٍ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ، إلى نَباتٍ يَنْمو في الأرْضِ ، إلى أَنْعامٍ مُسَخَّرَةٍ لِخِدْمَةِ الإنْسانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ مَراحِلَ تَكَوُّنِ الجَنين مُرَتَّبَةً ، مُبَيِّناً مَعنى كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْها .

٢ـ ما فائِدَةُ أنْ يَكونَ الماءُ النَّازِلُ مِنَ السَّماءِ بِقَدَرٍ ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَخصيصِ النَّخيلِ والأعْنابِ بالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سائِرِ أنْواعِ النَّباتاتِ ؟

٤ـ بِماذا وُصِفَتْ شَجَرَةُ الزَّيتونِ ؟

٥ـ عَدِّدْ فوائِدَ الأنْعامِ المَذْكورَةِ في هذِهِ الآياتِ وَاذْكُرْ دليلَ ذلكَ منَ الآياتِ .

٦ـ اذْكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلَى كُلٍّ مِمّا يَلي :

١ـ أَصْلُ خَلْقِ الإنْسانِ مِنْ طينٍ .

٢ـ خَلْقُ العِظامِ سابِقٌ لِخَلْقِ اللَّحمِ .

٣ـ اللهُ سُبْحانَهُ قائِمٌ بِحِفْظِ خَلْقِهِ وَلا يَغْفَلُ عَنْهُمْ .

٤ـ يَتَجَمَّعُ ماءُ المَطَرِ في جَوفِ الأَرْضِ .

٥ـ الزَّيْتُ يَدْهَنُ بِهِ الإنْسانُ جِسْمَهُ ، وَيأْكُلُهُ مَعَ خُبْزِهِ .

٦ـ المَنافِعُ التي يَنْتَفِعُ بِها البَشَرُ مِنَ الأنْعامِ كَثيرَةٌ .

٧ـ يَسْتَعمِلُ الإنْسانُ الإبِلَ لِلسَّفَرِ في البَرِّ والسُّفُنَ لِلسَّفَرِ في البَحْرِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ مالِكِ بْنِ رَبيعَةَ السَّاعِدِيِّ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « كُلُوا الزَّيْتَ وادَّهِنوا بِهِ ، فَإنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ[1] » .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورَةَ التِّينِ ، وَبَيِّنْ صِفَةَ الإنْسانِ التي ذُكِرَتْ فيها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيَةٍ مِنْ سورَةِ المُلْكِ ، وَبَيِّنْ عَلاقَتَها بالآيَةِ (١٨) .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثاً مِنَ الصِّناعاتِ التي تُسْتَعْمَلُ فيها جُلودُ الحَيَواناتِ .

٤ـ يُسمَّى الجَمَلُ (سَفينَةَ الصَّحْراءِ) اذْكُرْ وَجْهَ هذِهِ التَّسْمِيَةِ ، واسْتَعِنْ بِزُملائِكَ لِتَعْدادِ الصِّفاتِ النَّافِعَةِ في الجَمَلِ .

٥ـ اكْتُبْ في حُدودِ صَفْحَةٍ في مَوْضوعِ : ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾ وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

---

(١) رواهُ الترمذيُّ في كتابِ الأطعمة ، برقم : ١٧٧٤ ، ورواه أحمدُ في المُسْنَدِ برقم ١٥٤٧٥ .

الدَّرسُ الثَّامنَ عَشرَ

سورةُ المُؤمِنونَ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَتفضَلُ عَلَيْكُمْ : يكونُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ .

جِنَّةٌ : جُنونٌ .

الفُلْكَ : السَّفينَةَ .

بِأَعْيُنِنا : بِرِعايَتِنا .

جاءَ أمرُنا : جاءَ وَقْتُ العذابِ .

التَّنُّورُ : المَكانُ المُعَدُّ لِيُخْبَزَ فيهِ .

مُنْزَلاً : إنْزالاً .

لَمُبْتَلينَ : لَمُخْتَبِرينَ .

تُبَيِّنُ هذِهِ الآياتُ الكَريمَةُ قَصَّةَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهِيَ أَوَّلُ قِصَّةٍ في هذِهِ السُّورَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى قَومِهِ الذينَ كانوا يَعبُدونَ الأَصْنامَ ، فَدَعاهُمْ إلى إفْرادِ اللهِ تعالى بِالعِبادَةِ ، وإلى الخَوْفِ مِنْ عاقِبَةِ شِرْكِهِمْ إنْ أَصَرُّوا عَلَيْهِ واستَمَرُّوا في ضَلالِهِم .

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

قالَ لَهُ المَلأُ وَهُمُ السَّادَةُ أَصْحابُ الجاهِ والمَكانَةِ ، وَهُمُ المُتَصَدّونَ عادَةً لِتَكْذيبِ الرُّسُلِ لِظَنِّهِمْ أَنَّ إيمانَهُمْ يَسْلُبُهُمْ مُكانَتَهُمْ ، قالوا لَهُ رادِّينَ دَعْوَتَهُ صارِفينَ قَوْمَهُمْ عَنِ اتِّباعِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : ما هُوَ إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ فَكَيْفَ يَكونُ نَبِيّاً ، إنما يُريدُ أَنْ يَتَرأَّسَ عَلَيْكُمْ وَيَسُودَكُمْ مِنْ خِلالِ ادِّعائِهِ النُّبُوَّةَ ، وَلَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يُرسِلَ رَسولاً يَدعو لِعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لأَرْسَلَهُ مِنَ المَلائِكَةِ لا مِنَ البَشَرِ ، وَنَحْنُ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هذِهِ الدعوةِ إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى في آبائِنا السَّابقينَ ، فَمِنْ أَيْنَ جاءَ بِها نوحٌ ؟ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

واسْتَمَرُّوا في باطِلِهِمْ فَقالوا : ما هذا الرَّجُلُ إلاّ مَجْنونٌ ، فانتَظِروا إلى وَقْتِ شِفائِهِ مِنْ هذا الجُنونِ ، أَوْ وَقْتِ مَوْتِهِ ، فَتَسْتَريحونَ مِنْهُ ، وَمِنْ دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يُسَمّوا نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِاْسْمِهِ تَكَبُّراً مِنْهُمْ وإرادَةً لِتَهْوينِ شَأْنِهِ أمامَ قومِهِمْ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾

لَجَأَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى رَبِّهِ يَشْكو إلَيْهِ تَكْذيبَ قَوْمِهِ ، وَيَدْعوهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَيْهِمْ .

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ سَفينَةً ، وَطَمْأَنَهُ رَبُّهُ أَنَّهُ مُحاطٌ برعايَةِ اللهِ وَعِنايَتِهِ وَحِفْظِهِ ، وَعَلَّمَهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِ السَّفينَةِ ، وَجَعَلَ لَهُ عَلامةً تَدُلُّ عَلى بَدْءِ العَذابِ ، وَهيَ أَنْ يَفورَ

الماءُ مِنَ التَّنُّورِ الذي يَخبِزونَ فيهِ ، فإذا حَصَلَ ذلِكَ ، فَأَدْخِلْ في السَّفينَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أنْواعِ المَخْلوقاتِ مِنَ الحَيَوانِ والطَّيْرِ زَوْجَيْنِ ذَكَراً وأُنْثى ، لِئَلاّ يَنْقَطِعَ نَسْلُ ذلِكَ الحَيَوانِ ، وَأَدْخِلْ فيها أتْباعَكَ المُؤْمِنينَ مِنْ أهلِكَ وَغَيْرِهِمْ ، وَلا تُدْخِلْ في السَّفينَةِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أهلِكَ ، أوْ مِنْ قَوْمِكَ واتْرُكْهُمْ خارجَها ، وَلا تُكَلِّمْني في شَأنِ هؤُلاءِ الظّالِمينَ وَلا تَشْفَعْ لَهُمْ ، وَلا تَأخُذْكَ رَأْفَةٌ أوْ رَحْمَةٌ بِهِمْ ، فَهُمْ مُسْتَحِقّونَ لِلغَرَقِ جَزاءَ كُفْرِهِمْ .

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فَإذا تَمَكَّنْتَ واسْتَقْرَرْتَ أنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ في السَّفينَةِ ، وَعَلَتْ بِكُمْ فَوْقَ الأمْواجِ الحاصِلَةِ مِنَ المَطَرِ الغَزيرِ وَمِنْ تَفَجُّرِ الأرْضِ عُيوناً ، فاحْمَدِ اللهَ عَلَى نَجاتِكُمْ مِنْ قَوْمِكُمُ الظّالِمينَ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وادْعُ رَبَّكَ عِنْدَ انْتِهاءِ الطّوفانِ وانْحِسارِ الماءِ ، وَعِنْدَما تُريدُ الخُروجَ مِنَ السَّفينَةِ أنْ يُنْزِلَكَ اللهُ مُنْزَلاً مُبارَكاً ، يُفْضي إلى خَيْرِ الدنيا والآخِرَةِ ، وَيَحْفَظُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسوءٍ .

وَأَمَرَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنْ يَخْتِمَ دُعاءَهُ بالثَّناءِ المُطابِقِ لِمَعْنى الدُّعاءِ ، مُبالَغَةً وَتَوَسُّلاً بِهِ إلى الإجابَةِ ، فاللهُ هُوَ خَيْرُ المُنْزِلينَ القادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

إنَّ فيما ذَكَرْناهُ عَنْ نوحٍ وَقَوْمِهِ ، وَما أصابَهُمْ مِنْ غَرَقٍ وَهَلاكٍ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ رَسولَهُمْ لآياتٍ واضِحاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَقَدْ كانَ إرْسالُ نوحٍ إلى قَوْمِهِ ابْتِلاءً واخْتِباراً لَهُمْ ، وَفي هذا التَّنْزيلِ لِلقِصَّةِ تَخْويفٌ وَوَعيدٌ لِلكُفّارِ أنَّهُمْ يَسْتَحِقّونَ العِقابَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإعْراضِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ أوَّلِ الرُّسُلِ نوحٍ كَدَعْوَةِ آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ دَعْوَةٌ إلى تَوحيدِ اللهِ .

٢ـ زَعَمَ قَوْمُ نوحٍ أنَّهُ لا يَصْلُحُ لِلرِّسالَةِ لِأنَّهُ بَشَرٌ ، كَما ادّعى ذلِكَ العَرَبُ في سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ عَلَى الدُّعاةِ إلى اللهِ أتْباعِ الأنْبياءِ أنْ يَتَحَبَّبُوا إلى قَوْمِهِمْ حالَ دَعْوَتِهِمْ إلى اللهِ ، كَما فَعَلَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ يَلْجَأُ المُكَذِّبونَ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ إلى اتِّهامِهِمْ بِتُهَمٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَهَرُّباً مِنْ مُواجَهَتِهِمْ ، وَمُحاوَلَةً لِصَرْفِ النّاسِ عَنِ اتِّباعِهِمْ .

٥ـ تَضَمَّنَتْ هذِهِ القِصَّةُ جُمْلَةً مِنْ أَخْبارِ الغَيْبِ ، وَمِنْ ذلِكَ قِصَّةُ الطُّوفانِ ، حَيْثُ أَهْلَكَ الكُفَّارَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ وَأَنْجى المُؤْمِنينَ .

٦ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تعالى عَلَى نِعَمِهِ .

٧ـ اسْتِحْبابُ خَتْمِ الدُّعاءِ بِثَناءٍ يُطابِقُ مَعناهُ ، كَما وَرَدَ في عَدَدٍ مِنَ الآياتِ نَحْوَ : ﴿أَنزِلْني مُنْزلاً مُبارَكاً وأنتَ خيرُ المُنْزِلينَ﴾ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيْءٍ دَعا نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْمَهُ ؟

٢ـ مَنْ هُمُ المَلأُ ؟ وَلِماذا كانوا يَتَصَدَّرونَ تَكْذيبَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؟

٣ـ عَدِّدِ التُّهَمَ التي وَجَّهَها المَلأُ إلى نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ ما العَلامَةُ التي كانَتْ دَليلاً عَلَى الطُّوفانِ ؟

٥ـ بماذا أمَرَ اللهُ تعالى نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ حينَ يَرى عَلامَةَ بَدْءِ الطُّوفانِ ؟

٦ـ لِماذا نَهى اللهُ تعالى نَبِيَّهُ نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ تَكْليمِهِ بِشَأْنِ الظَّالِمينَ ؟

٧ـ لِماذا أمَرَ اللهُ تعالى نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يَحْمَدَهُ ؟

٨ـ ما مَعنى الإنْزالِ المُبارَكِ ؟ وَلِماذا خُتِمَتِ الآيَةُ بِقَوْلِهِ ﴿وأنتَ خيرُ المُنْزِلينَ﴾ ؟

٩ـ ما العِبْرَةُ في قِصَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ ذَكَرَتْ سورَةُ نوحٍ دُعاءَ نوحٍ عَلَى قَوْمِهِ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ المُتَضَمِّنَةَ ذلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سورَةِ (القَمَرِ) ، الآياتِ التي بَيَّنَتْ كَيْفِيَّةَ نُزولِ المَطَرِ ، وَنَبْعِ الماءِ مِنَ الأَرْضِ .

٣ـ اذْكُرْ ثَلاثَ آياتٍ فيها خَتْمُ الدُّعاءِ بِثَناءٍ يُطابِقُ مَعْناهُ ، واكْتُبْها في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

الدرس التاسع عشر

سورة المؤمنون - القسم الرابع

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

معاني المفردات :

قَرْناً : قَوْماً .

أَتْرَفْناهُمْ : نَعَّمْناهُمْ وَوَسَّعْنا عَلَيْهِمْ مَعيشَتَهُمْ .

هَيْهاتَ : بَعُدَ .

الصَّيْحَةُ : العَذابُ .

غُثاءً : هالِكينَ .

فَبُعْداً : هَلاكاً .

التفسير :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ القِصَّةُ الثّانِيَةُ في هذِهِ السُّورَةِ . وَلَمْ تَذْكُرِ الآياتُ ٱسْمَ النَّبِيِّ وَٱسْمَ قَوْمِهِ ،

وَأَكْثَرُ المُفَسِّرينَ عَلَى أَنَّهُ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ، حَيْثُ جَرَتِ العادَةُ في القُرآنِ بِذِكْرِ قِصَّةِ عادٍ بَعْدَ قِصَّةِ قومِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

ثُمَّ أَوْجَدْنا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ المُهْلَكينَ قَوْماً آخَرينَ ، هُمْ قَبيلَةُ عادٍ قَوم هودٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَإِنَّهُمْ كانوا مُسْتَخْلَفينَ بَعْدَ قَوْمِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [الأعراف : ٦٩] .

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

فَأَرْسَلَ اللهُ تعالى إلَيْهِمْ رَسولاً مِنْ عَشيرَتِهِمْ ، فَدَعاهُمْ إلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فَهُوَ الذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ وَحْدَهُ ، وخَوَّفَهُمْ مِنْ عِقابِ اللهِ تعالى إنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفرِهِمْ ، وَعِبادَةِ غَيْرِهِ .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَآءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

كَعادَةِ الكافِرينَ والمَلأِ مَعَ أَنْبيائِهِمْ ، فَقَدْ سارَعَ أَشْرافُ القَوْمِ وَكُبَراؤُهُمْ إلى تَكْذيبِ نَبيِّهِمْ ، وَما يُخْبِرُ بِهِ مِنْ حُصولِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَهُمُ المُتْرَفونَ المُنَعَّمونَ ، الذينَ حَوَّلوا النِّعْمَةَ إلى نِقْمَةٍ وَبَدَلاً مِنْ أنْ يَكونوا أَوَّلَ المُؤْمِنينَ بِنَبِيِّهِمْ شُكْراً مِنْهُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، كانوا أَوَّلَ الكافِرينَ ، وَحاوَلوا صَرْفَ غَيْرِهمْ عَنِ الإيمانِ فَقالوا : إنَّ هذا الذي يَدَّعي أَنَّهُ رَسولٌ ، رَجُلٌ مِثْلُكُمْ يُشْبِهُكُمْ في حالِهِ وَصِفاتِهِ ؛ فَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ طَعامِكُمْ ، وَيَشْرَبُ مِنْ شَرابِكُمْ ، وَكَيْفَ يَكونُ رَسولاً مَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِثْلُكُمْ ؟ لَقَدِ اسْتَبْعَدوا أنْ يَكونَ الرَّسولُ مِنَ البَشَرِ كَما فَعَلَ قَوْمُ نوحٍ قَبْلَهُمْ .

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وَمِنْ أَجْلِ إِبْعادِ القَوْمِ عَنِ اتِّباعِ النَّبيِّ أَقْسَمَ المَلأُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إذا أَطاعوا رَسولَهُمُ الذي هُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ حينَئِذٍ خاسِرونَ خُسْراناً عَظيماً ، حَيْثُ يُذِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ لِواحِدٍ مِثْلِهِمْ ، لا مَزِيَّةَ لَهُ عَلَيْهِمْ .

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

زادَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ هُودٍ في تَنْفيرِ النَّاسِ عَنْهُ ، فَقالوا لَهُمْ : أَيَعِدُكُمْ هذا الرَّجُلُ بِالحَياةِ بَعْدَ أَنْ تَموتوا وتَتَحَلَّلُ أَجْسادُكُمْ إلى عَناصِرِها الأولى ، وَتَعودوا تُراباً وَعِظاماً نَخِرَةً .

﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعيدٌ كُلّ البُعْدِ ما يَعِدُكُمْ إيّاهُ هذا الرَّجُلُ مِنَ الإخْراجِ مِنَ القُبورِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَلا تُصَدِّقُوا قَوْلَهُ .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

لا حَياةَ إلا حَياتُنا الدُّنيا ، يَموتُ بَعْضُنا عِنْدَ انْقِضاءِ أجَلِهِ ، وَيُولَدُ بَعْضُنا فَيَحْيى حتّى يَسْتَوْفي أجَلَهُ ، وَما نَحنُ بِمُخْرَجينَ مِنَ القُبورِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَلا حَشْرٌ ، وَلا بَعْثٌ وَلا وُجودَ لَنا غَيْرَ هذا الوُجودِ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

انْتَقَلَ المَلأُ بَعْدَ إنْكارِهِمُ البَعْثَ إلى الطَّعْنِ في نَبِيِّ اللهِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقالوا : ما هذا الذي يَزْعُمُ أنَّهُ رَسولٌ إلاّ مُجَرَّدُ كاذِبٍ عَلَى اللهِ فيما يَدَّعيهِ مِنَ الرِّسالَةِ ، وَلَسْنا بِمُصَدِّقينَ لَهُ فيما يَقولُ .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لَمّا يَئِسَ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ إيمانِ قَوْمِهِ تَوَجَّهَ إلى اللهِ بَعْدَ قَليلٍ مِنَ الزَّمانِ لَيَصيرُنَّ نادِمينَ عَلى ما فَعَلوهُ مِنَ الكُفْرِ باللهِ والتَّكْذيبِ لِنَبِيِّهِ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

فَكانَ جَزاؤُهُمْ أنْ أُهْلِكوا بِصَيْحَةٍ هائِلَةٍ ، وَهِيَ الصَّوْتُ الشَّديدُ المُؤَدّي إلى المَوْتِ والهَلاكِ ، فَأَصْبَحوا كَغُثاءِ السَّيْلِ ، وَهُوَ ما يَحْمِلُهُ السَّيْلُ في طَريقِ جَرَيانِهِ مِنْ أوْراقٍ وَأعْوادٍ وَنَحْوِها مِنَ الأشياءِ الحَقيرَةِ التّافِهَةِ التي لا يُنْتَفَعُ بِها ، فَهَلَكوا واسْتَحَقّوا البُعْدَ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأنفُسِهِمْ ، بِما كَذَّبوا رَسولَهُمْ .

وَقَدْ وَرَدَ في آياتٍ أخرى أنَّ عاداً أُهْلِكوا لِتَكْذيبِهِمْ بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ ، فَيُجْمَعُ بَيْنَهُما بِحُصولِ عَذابِهِمْ بِالأمْرَيْنِ : ريحٍ عَنيفَةٍ صَحِبَتْها صَيْحَةٌ عَظيمَةٌ . وَذِكْرُ إحْدى العُقوبَتَيْنِ في كُلِّ مَوْضِعٍ لِلإشْعارِ بِأنَّها لَوِ انْفَرَدَتْ فَهِيَ كافِيَةٌ لإهلاكِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الأنْبياءِ واحِدَةٌ ، وَهِيَ تَوْحيدُ اللهِ تعالى وَإفْرادُهُ بالعِبادَةِ .

٢ـ مَوْقِفُ المَلأِ مِنْ دَعَواتِ الأنْبياءِ مُتَشابِهٌ في القُبْحِ والتَّكْذيبِ .

٣ـ التَّرَفُ والانْغِماسُ في شهَواتِ الدُّنْيا مُفْسِدٌ للفِطْرَةِ وَمُبْعِدٌ عَنِ الحَقِّ .

٤ـ ادِّعاءُ المُشْرِكينَ أنَّ الرَّسولَ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ مِنَ البَشَرِ حيلَةٌ مِنْهُمْ وَحُجَّةٌ لِتَسويغِ عَدَمِ اتِّباعِهِ .

٥ـ اسْتِجابَةُ اللهِ تعالى دُعاءَ المَظلومينَ مِنْ عِبادِهِ لاسِيَّما إنْ كانوا صالِحينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الدَّليلُ عَلَى أنَّ المَقْصودَ بِهذِهِ الآياتِ عادٌ قَوْمُ هودٍ ؟

٢ـ عَدِّدِ الشُّبَهَ التي ذَكَرها المَلأُ لِصَرْفِ النَّاسِ عَنِ اتِّباعِ النَّبيِّ الكَريمِ .

٣ـ وَصَفَ اللهُ تعالى المَلأَ في هذِهِ الاياتِ بِثَلاثِ صِفاتٍ ، ما هِيَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ جَزْمِ المَلإِ بِأنَّ الرَّسولَ لا يَكونُ رَجُلاً ؟

٥ـ بِماذا أَهْلَكَ اللهُ تعالى عاداً ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى الآياتِ الكَريمَةِ التَّالِيَةِ :

أ ـ وَأَتْرَفْناهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا .

ب ـ هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ .

ج ـ قالَ عَمّا قَليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمينَ .

د ـ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلقَوْمِ الظالِمينَ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الشَّبيهَةَ بالآياتِ (٣٥ـ٣٧) مِنْ سورَةِ ﴿يس﴾ ، وَماذا تَستَنْتِجُ مِنْ ذلِكَ .

* * *



سورةُ المؤمنون ـ القِسمُ الخامِسُ

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

معاني المفردات :

قُروناً آخَرينَ : أُمَماً أُخرى .

تَتْرا : مُتَتابِعينَ .

وَجعَلْناهُمْ أحاديثَ : جعَلْناهُمْ أخباراً تُنْقَلُ لِلتَّعَجُّبِ والعِظَةِ .

عالينَ : مُتكَبِّرينَ .

وَآوَيناهُما : أسْكَنّاهُما .

رَبْوةٍ : مَكانٍ مُرْتَفِعٍ .

ذاتِ قرارٍ : مَكانِ استقرارٍ لِمَنْ يَأوي إلَيْها .

مَعينٍ : ماءٍ جارٍ .



أجْمَلَتْ هذِهِ الآياتُ ذِكْرَ الأقْوامِ الذينَ جاءوا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ وَهودٍ ، كَما أجْمَلَتْ ذِكْرَ أنْبيائِهِمْ وَرُسُلِهِمْ ، فَكانَ حالُهُمْ كَحالِ نوحٍ وَهودٍ مَعَ أقْوامِهِمْ ، فَهِيَ مَسيرَةٌ مُتَتابِعَةٌ مُتَشابِهَةٌ عَلَى مَدارِ التّاريخِ البَشَرِيِّ .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ .

ثُمَّ أوْجَدْنا بَعْدَ هلاكِ قَوْمِ نوحٍ وَعادٍ أقْواماً وَأُمَماً أخْرى ، كَقَوْمِ صالِحٍ وَلوطٍ وَشُعَيْبٍ وَيوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَغَيْرِهِمْ ، وَكانَ حالُ هذِهِ الأُمَمِ مُشابِهاً لِحالِ مَنْ سَبَقَهُمْ في التَّكْذيبِ واسْتِحقاقِ العَذابِ ، يَدُلُّ عَلَى ذلِكَ قَوْلُهُ تعالى في الآيَةِ التّالِيَةِ :

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ .

فَلا تَتَقَدَّمُ أُمَّةٌ مِنْ تِلْكَ الأُمَمِ المَقْضِيِّ عَلَيْها بِالهَلاكِ والمَوْتِ الذي قَدَّرَ اللهُ لِهَلاكِها ، وَلا تتأخَّرُ عَنْهُ ، فَلِكُلِّ أُمَّةٍ ميقاتٌ مَعْلومٌ مُحَدَّدٌ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ثُمَّ بَعَثْنا الرُّسُلَ إلى أقْوامِهِمْ مُتَتابِعينَ واحِداً بَعْدَ واحِدٍ ، وَكُلَّما جاءَ رَسولٌ لأمَّةٍ بِدَعْوَتِهِ كَذَّبَهُ أكْثَرُهُمْ ، دونَ تَرَوٍّ أوْ تَفَكُّرٍ بَلْ كانوا يُبادِرونَهُ بِالتَّكْذيبِ ، فَكانَ جَزاؤُهُمْ على ذلِكَ الإهْلاكَ والتَّدميرَ ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فيهِ ، وَأَصْبَحوا أحاديثَ تُذْكَرُ وَأخْباراً تُروىٰ ، يَتَحدَّثُ النّاسُ بِما جَرى لَهُمْ تَعَجُّباً وَتَسْلِيَةً وَعِظَةً ، فَبُعْداً وَهَلاكاً وَتَدْميراً لقوم لا يُصَدِّقونَ اللهَ وَرُسُلَهُ .

وَفي الإخْبارِ بِهَلاكِ الأُمَمِ السّابِقَةِ تَحذيرٌ لِهذِهِ الأُمَّةِ أنْ لا تَسْلُكَ هذا السَّبيلَ ، وَأنْ تَعتَبِرَ بِمَنْ مَضىٰ ، فإنَّ ما أصابَ تِلْكَ الأُمَمَ مِنْ تَدْميرٍ وَعَذابٍ ، يُمْكِنُ أن يُصيبَ أمْثالَهُمْ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ثُمَّ أرْسَلْنا مِنْ بَعْدِ هؤُلاءِ الأقْوامِ المُهْلَكينَ الذينَ جَعَلْناهُمْ أحاديثَ ، موسى وَأخاهُ هارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَأيَّدْناهُما بآياتِنا الدّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنا وَجَعَلْناها لَهُما قَوِيَّةً واضِحَةً بَيِّنَةً لا غُموضَ فيها .

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ .

كانَ إرْسالُ موسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ إلى فِرْعَوْنَ وَوُجهاءِ قَوْمِهِ وَزُعمائِهِمْ ، فاسْتَكْبَروا

عَنِ الإيمانِ ، وامْتَنَعوا عَنْ قبولِ الدَّعوةِ ، اسْتِعلاءً وَتَرَفُّعاً وَظُلْماً لِلضُّعفاءِ واسْتِعباداً لَهُمْ ، وَكانَ مِنْ مَظاهِرِ غُرورِهِمْ وَتَكَبُّرِهِم ، ما قالوهُ ، وَحَكاهُ اللهُ تعالى عَنْهُمْ :

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

قالوا كَيْفَ نَنْقادُ لأمْرِ موسى وَأخيهِ هارونَ عَلَيْهما السَّلامُ ، وَهُما بَشَرٌ مِثْلُنا ، وَلَيْسا مِنَ المَلائِكَةِ ، وَقَوْمُهُما ، وَهُمْ بَنو إسْرائيلَ ، خَدَمُنا وَعَبيدُنا المُنقادونَ لأمْرِنا ، فَكَيْفَ يَنْقَلِبُ الأمْرُ ، وَنُصبحُ مُنْقادينَ لاثْنَيْنِ مِنْ هؤلاءِ القَوْمِ .

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

أدّى شُعورُ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بالغُرورِ والتَّكَبُّرِ إلى تَكْذيبِ موسى وَهارونَ عَلَيْهما السَّلامُ ، وَأَصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ والعِنادِ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تعالى بالغَرَقِ في البَحْرِ ، وَنَجّىٰ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنينَ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وَلَقَدْ أنْزَلْنا عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ التَّوراةَ بَعْدَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَلَعَلَّ بَني إسْرائيلَ يَهْتَدونَ بِها إلى الحَقِّ ، وَيَمْتَثِلونَ ما فيها مِنَ القَواعِدِ والأَحْكامِ والشَّرائعِ والمَواعِظِ والآدابِ .

وَبَعْدَ الحَديثِ عَنْ موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، انْتَقَلَتِ الآياتُ لِلحديثِ عَنْ عيسى وَأُمِّهِ عَلَيْهِما السَّلامُ :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

إنَّ في وِلادَةِ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ مِنْ غَيْرِ أبٍ آيَةً عَظيمَةً دالَّةً عَلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى ، وَقَدْ أحاطَتْ رِعايَةُ اللهِ تعالى بِمَرْيَمَ وَابْنِها حَيْثُ جَعَلَ مَأواهُما في مَكانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الأرْضِ صالِحٍ للاسْتِقرارِ والإقامَةِ ، لِما فيهِ مِنَ الزُّروعِ والثِّمارِ ، فَاكْتَمَلَتْ بِذلِكَ نِعْمَتُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلَيْهِما .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كَثْرَةُ الرُّسُلِ عَلَى مَدارِ التّاريخِ ، فَما مِنْ أُمَّةٍ إلاّ خَلا فيها نَذيرٌ .

٢ـ تَشابُهُ حالِ الرُّسُلِ مَعَ أقْوامِهِمْ ، فَكُلٌّ يُبَلِّغُ دَعْوَةَ اللهِ ، فَيَكونُ التَّكْذيبُ والعَذابُ .

٣ـ لِهلاكِ كُلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ مَحددٌ ، لا يَتَقَدَّمُ وَلا يَتَأَخَّرُ ، وَلا يَعْلَمُ وَقْتَهُ إلاّ اللهُ تعالى .

٤ـ مِنْ رَحمَةِ اللهِ تعالى بِعبادِهِ إرْسالُ الرُّسُلِ إلَيْهِمْ دونَ انْقِطاعٍ حتّى يَهْتَدوا .

٥ـ أنْزَلَ اللهُ كُتُبَهُ عَلَى رُسُلِهِ لِهدايَةِ العِبادِ .

٦ـ الكِبْرُ والغُرورُ مِنْ صِفاتِ الإنسانِ المَذْمومَةِ ، التي تُؤَدِّي بِهِ إلى الكُفْرِ .

٧ـ مِنَ النِّعَمِ الإقامَةُ في المَكانِ الخَصْبِ ذي الثِّمارِ الطَّيِّبَةِ ، والخَيْراتِ المُتَعَدِّدَةِ ، والماءِ الجاري والأمانِ الدّائِمِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ)ـ ما مَوْقِفُ الأقْوامِ مِنْ رُسُلِهِمْ ؟ . ب)ـ ما الجَزاءُ الذي كانَ يَنْتَظِرُهُمْ ؟ .

٢ـ ما سَبَبُ عَدَمِ إيمانِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ بِدَعْوَةِ موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ؟ .

٣ـ ما المَقْصودُ بالكِتابِ الذي آتاهُ اللهُ تعالى لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما صِفاتُ المَكانِ الَّذي آوى اللهُ تَعالى إليهِ عيسى ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ عَلَيْهِما السَّلامُ ؟

٥ـ هاتِ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ دَليلاً عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أـ لِلأَجَلِ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ لا يَتَقَدَّمُ ولا يَتَأَخَّرُ .

ب ـ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى رُسُلاً كَثيرينَ مُتَتابِعينَ .

ج ـ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى الأُمَمَ المكَذِّبَةِ للرُّسُلِ .

د ـ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ المُهْلَكَةُ أَحاديثَ تُذْكَرُ وأَخْباراً تُروىٰ .

هـ ـ اسْتَنْكَرَ المُكَذِّبون أنْ يَكونَ الرُّسُلُ مِنَ البَشَرِ .

و ـ أنْزَلَ اللهُ تَعالى التَّوْراةَ على موسى عَلَيْهِ السَّلامُ كِتابَ هِداية .

ز ـ خَلْقُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ دونَ أَبٍ آيةٌ عظيمَةٌ .

نَشاطٌ :

١ـ اُكْتُبْ في دَفْتَرِكَ العَذابَ الذي أهْلَكَ اللهُ بِهِ كُلاًّ مِنْ قَوْمِ صالِحٍ ، وَقَوْمِ شُعَيْبٍ ، وَقَوْمِ لوطٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُعْجِزَتَيْنِ أيَّدَ اللهُ بِهِما موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِتَكونا دَليلاً عَلَى نُبُوَّتِهِ .

الدَّرسُ الحادي والعشرونَ

سورةُ المؤمنونَ ـ القسمُ السَّادسُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم : تفرَّقُوا في دينِهم .

زُبُراً : فِرَقاً وجَماعاتٍ .

غَمْرَتِهِمْ : جَهالَتِهِمْ .

مُشْفِقونَ : خائِفونَ .

يُؤْتونَ ما آتوا : يُعطونَ ما أعْطَوا .

وَجِلَةٌ : خائفةٌ ألاّ تُقْبَلَ أَعْمالُهُمْ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِنداءٍ مُوَجَّهٍ إلى الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هَذا نِداءٌ إلى جَميعِ الرُّسُلِ ، خُوطِبَ به كُلُّ رسولٍ في زمَنِهِ ، أَنْ يَأكُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ التي

أحَلَّها اللهُ تَعالى ، وأَنْ يَتَقَرَّبُوا إلى اللهِ تَعالى بالأعْمال الصَّالِحَةِ ، لِيكونوا القُدْوَةَ الحَسَنَةَ لأَتْباعِهِمْ .
وفي تَقْديمِ الأَكْلِ مِنَ الطَّيِّباتِ عَلى العَمَلِ الصَّالِحِ إشارَةٌ إلى أَنَّ أَكْلَ الحَلالِ يُعينُ على العَمَلِ الصَّالِحِ ، وَيَكونُ سَبَباً في اسْتِجابَةِ الدُّعاءِ ، ويُوضِّحُ هذا ما وَرَدَ في الحَديثِ عَنِ الرَّسولِ ﷺ أَنَّهُ قال : « أَيُّها الناسُ إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاّ طَيِّباً ، وإنَّ اللهَ أمَرَ المُؤمِنينَ بما أمَرَ بِهِ المُرْسَلينَ فقال عزَّ وجلَّ : ﴿يا أيُّها الرسُلُ كُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلوا صالِحاً﴾ وقال : ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنوا كُلوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ . ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ ، ياربِّ ، ياربِّ ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ ، وَغُذِّيَ بالحَرام ، فأنَّى يُسْتَجابُ لِذلِكَ »[1] . فأكْلُ الحَرامِ ، والتَّغذِّي مِنْهُ مانِعٌ مِنَ اسْتِجابَةِ الدُّعاءِ وَمِنْ قَبولِ العَمَلِ .

وخُتِمَ النِّداءُ المُوَجَّهُ إلى الرُّسُلِ بِتَبْيينِ أَنَّهُ ـ سُبْحانهُ ـ عَليمٌ بأَعْمالِهِمْ كُلِّها ظاهِرِها وَباطِنِها ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْها ، كَما لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِ الخَلْقِ جَميعاً .

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾

قَرَّرَ اللهُ فيما أَوْحاهُ إلى رُسُلِهِ أَنَّهُم وَأَتْباعَهُمْ عَلى طَريقَتِهِمْ ؛ مُتَقَدِّمِهِمْ ومُتَأَخِّرِهِم يُشَكِّلونَ أُمَّةً واحِدَةً ، دينُهُمْ واحِدٌ ، وَهْوَ الإسْلامُ ، وَلا يَضيرُهُمْ اخْتِلافُ شَرائِعِهِم ، فَهْيَ جَميعاً مَعَ اخْتِلافِها كَفيلةٌ بِتَحْقيقِ العُبوديَّةِ للواحِدِ الأَحَدِ ، وَلِذا فَأَخْلِصوا العِبادَةَ للهِ ، وَخافُوا عِقابَهُ واحْذَروا مُخالَفَةَ أَمْرِهِ . خُوطِبُوا بِهذا ، وَهُمُ المَعْصومونَ ، لِما فيهِ مِنَ التَّنْبيهِ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَتْباعِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْصَمْ ، أَنَّهَمْ بِهذا الأَمْرِ أَجْدَرُ ، وَأَحَقُّ .

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

فَتَفَرَّقَ أَتْباعُ الأَنْبياءِ ، فِرَقاً وَأَحْزاباً ، وَأَصْبَحَ كُلُّ فَريقٍ فَرِحاً بِدينِهِ ، مَسْروراً بِما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ باطِلٍ وَضَلالٍ ، ظاناً أَنَّهُ عَلى الحَقِّ ، وَأَنَّ غيرَهُ عَلى الباطِل .

وتُصَوِّرُ الآيَةُ الكريمةُ التَّنازُعَ بينَ هؤُلاءِ الجاهِلينَ بِصورةٍ حِسِّيَّةٍ ، فَهُمْ في تَفَرُّقِهِمْ واخْتِلافِهِمْ كَأَنَّما قَطَّعوا الدِّينَ فيما بَيْنَهُم قِطعاً مُتَعَدِّدَةً ، وَمَضى كُلٌّ مِنْهُمْ بِقِطْعَتِهِ وَهُوَ فَرِحٌ مسرورٌ بها ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ كانَ يَعْقِلُ لَما فَرِحَ بِعَمَلٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحزنَ لَهُ كُلُّ عاقِلٍ .

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ .

فَدَعْ يارَسولَ اللهِ المُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِكَ في جَهالَتِهِمْ وَضَلالِهِمْ حَتّى يَأتِيَ الوَقْتُ الَّذي حَدَّدْناهُ لِلْفَصْلِ في أَمْرِهِمْ ، بِمَوْتِهِمْ أَوْ بِعَذابِهِمْ .

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتاب الزكاةِ ، باب قبولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الكَسْبِ الطَّيِّبِ رقم الحديث ٢٣٤٣ .

وَفي الآيَةِ الكَريمةِ تَشْبيهُ ما هُمْ فيهِ مِنْ ضَلالٍ وَجَهالَةٍ بِمَنْ غَمَرَهُمُ الماءُ وَسَتَرَهُمْ ، والتَّنْكيرُ في (حينٍ) لِتَهْويلِ الأَمْرِ وَتَعْظيمِهِ .

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ .

أَيَظُنُّ هؤُلاءِ المَغْرورونَ أَنَّ ما نُوَسِّعُ لَهُمْ به في الرِّزْقِ ، وَمانُعطيهمْ إيّاهُ مِنْ أَمْوالٍ وأَبْناءٍ ، لِكَرامَتِهِمْ عَلَيْنا وَلِرِضانا عَنْهُمْ ، لا ، لَيْسَ كَذلك ، إنَّما هُوَ لاسْتِدْراجِهِمْ وامْتِحانِهِمْ ، وَلكنَّهُمْ لا يَشْعُرونَ بِذلك ، وَلا يُحِسُّونَ بِهِ لانْطِماسِ ضَمائِرِهِمْ ، واسْتيلاءِ الغُرورِ والجَهْلِ عَلَيْهِمْ .

وَفي مُقابِلِ هؤُلاءِ تَعْرِضُ الآياتُ صِفاتِ المؤْمِنينَ المُسارِعينَ في الخَيْراتِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ ﴾ .

إنَّ الَّذينَ يَخافونَ عَذابَ اللهِ تَعالى ، وَيَدْأَبونَ عَلى العَمَلِ بِطاعَتِهِ طَلَباً لِرِضاهُ ، هُمْ في غايةِ الخَوْفِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَهذا شَأْنُ المُؤْمِنينَ الصّادِقينَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ .

فَهُمْ يُؤْمِنونَ إيماناً راسِخاً بِجَميعِ آياتِ اللهِ الدّالَّةِ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَهِيَ آياتُ القُرْآنِ الكريمِ ، والآياتُ الكَوْنِيَّةُ المُتَعَدِّدَةُ المُتَنَوِّعَةُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ .

فَهُمْ يُخْلِصونَ العِبادَةَ لَهُ وَحْدَهُ ، وَيَقْصِدونَ بِأَقْوالِهِمْ ، وأَعْمالِهِمْ وَجْهَهُ الكَريمَ ، فَهُمْ بَعيدونَ عَنِ الرِّياءِ والمُباهاةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ ﴾ .

والَّذينَ يُعْطونَ ما أَعْطَوْهُ مِنَ الصَّدَقاتِ والخَيْراتِ ، وَأَنْواعِ القُرُباتِ ، والأَعْمالِ الصّالِحاتِ ، وَهُمْ خائِفونَ مُشْفِقونَ أَنْ لا تُقْبَلَ مِنْهُم .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝ ﴾ .

أُولئكَ المَوْصوفونَ بهذِهِ الصِّفاتِ الحَسَنَةِ الجَليلَةِ يُبادِرونَ بِرَغْبَةٍ وَسُرْعَةٍ إلى فِعْلِ الخَيْرِ ، وَما يُرْضي اللهَ تَعالى ، وَهُمْ في هذا الأَمْرِ سابِقونَ لِغَيْرِهِمْ ، وَجَديرونَ بِهِ ، وَيَنالونَ أَجْرَهُمْ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الرُّسُلُ جميعاً وَأَتْباعُهم على طَريقَتِهِمْ يُشَكِّلونَ أمةً واحِدَةً يَعْبُدونَ اللهَ وَحْدَه .

٢ـ مُخالَفَةُ مَنْهَجِ الرُّسُلِ بِعبادةِ غَيْرِ اللهِ ضَلالٌ وَتَقْطيعٌ لِلْبَشَرِيةِ لِلْعِلائِقِ التي تَرْبِطُها وَتَجْعَلُها أُمَّةً واحِدَةً .

٣ـ وُجوبُ تَحَرِّي الحَلالِ في المَطْعَمِ والمَشْرَبِ وَسائِرِ الأُمورِ .

٤ـ سِعَةُ الرِّزْقِ ، وكَثْرَةُ المالِ لَيْسَتْ دَليلاً عَلى مَحَبَّةِ اللهِ وَرِضاهُ ، إنَّما هِيَ اسْتِدْراجٌ وابْتِلاءٌ .

٥ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ يَخْشى عِقابَ اللهِ ، وَيَجْتَنِبُ الرِّياءَ ، ويُقَدِّمُ أَعْمالَهُ الصَّالِحَةَ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ أنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ وَلا تُقْبَلَ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا أَمَرَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ؟ وَما العَلاقةُ بَيْنَ الأكْلِ منَ الطَّيِّباتِ وَعَمَلِ الصَّالحاتِ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ أمْرِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ السلامُ ـ بالتَّقوىٰ ؟

٣ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى أتْباعَ الرُّسُلِ الَّذين تَفَرَّقوا واخْتَلَفُوا ؟

٤ـ بِماذا شَبَّهَ اللهُ المُشْرِكينَ في الآية (الرَّابِعَةِ والخَمْسينَ) ؟

٥ـ عَدِّدْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ المَذْكورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٦ـ ما وَجْهُ وَصْفِ المُؤْمِنينَ بِالخَوْفِ مَعَ تَقْديمِ العَمَلِ الصَّالِحِ ؟

٧ـ مَنْ جَدَّ وَجَدَ ، ما الآيةُ ، في الدَّرْسِ ، التي تَدَلُّ عَلى هذا المَعْنى ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ حَرَّمَها اللهُ تَعالى مِنَ الطَّعامِ ، وَثَلاثَةً مِنَ الشَّرابِ .

٢ـ اقْرَأ الآيَةَ المُشابِهَةَ للآيَةِ (٥٢) في سورةِ الأَنْبياءِ ، واسْتَخْرِجْ ما بَينَ الآيَتَيْنِ مِنَ اخْتِلافٍ في الألْفاظِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

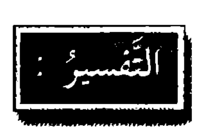
الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورةُ « المُؤمِنونَ » ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- وُسْعَها : قَدْرَ طاقَتِها .
- غَمْرَةٍ : جَهالَةٍ .
- مُتْرَفينَ : مُنَعَّمينَ .
- يَجْأَرونَ : يَصْرَخونَ مُسْتَغيثينَ .
- تَنْكِصونَ : تَرْجِعونَ مُسْتَغيثينَ .
- مُسْتَكْبِرينَ بِهِ : مُفْتَخِرينَ بِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ .
- سامِراً : تَسْمرونَ باللَّيلِ حَوْلَ الكَعْبَةِ .
- تَهْجُرونَ : تَطْعَنونَ في القُرْآنِ ، وتُعْرِضونَ عنهُ .
- جِنَّةٌ : جُنونٌ .
- خَرْجاً : أجْراً .



التَّفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذه الآياتُ الكَريمَةُ بَعْضاً مِنْ أعْمالِ الكُفّارِ وَتَصَرُّفاتِهِمْ ، وَتَبْدأُ بِتَبْيينِ عَدْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ . قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

يُخبِرُ اللهُ تَعالى أنَّهُ لا يُكَلِّفُ أَحَداً مِنَ العِبادِ ما لا يُطيقُ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً ، فَجَميعُ التَّكاليفِ الشَّرْعيَّةِ ضِمْنَ طاقةِ الإنسانِ ، وَأنَّ لديْهِ ـ سُبْحانَهُ ـ صَحائِفَ أعْمالِ العِبادِ التي سَجَّلَها الكِرامُ الكاتِبونَ ، وَفيها جَميعُ أَقْوالِ الإنْسانِ وَأَفْعالِهِ دونَ زِيادةٍ أَوْ نُقْصانٍ ، فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلى الحَقِّ والصِّدْقِ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَظْلِمُ أَحَداً بِنَقْصِ ثَوابٍ أَوْ بِزِيادَةِ عَذابٍ .

ثُمَّ عادَتِ الآياتُ للحَديثِ عَنْ أحْوالِ الكُفَّارِ بَعْدَ بَيانِ أحْوالِ المُؤْمِنينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾

بَلْ قُلوبُ الكَفَرةِ في جَهالةٍ وَغفْلَةٍ عَن هذا القُرآنِ ، وَلَهُمْ أَعْمالٌ كَثيرَةٌ غَيْرُ الكُفْرِ والإشْراكِ هُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْها ، لا يَكُفُّونَ عَنْها ، وَلا يَنْقَطِعونَ ، فَهُمْ قَدْ جَمَعوا بَيْنَ الكُفْرِ وَسوءِ العَمَلِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ .

حَتَّى إذا عاقَبْنا المُتَنَعِّمينَ المُتْرَفينَ بِالعَذابِ الَّذي يُخْزيهِمْ ويُذِلُّهُم صَرَخوا وَضَجُّوا واسْتَغاثوا صائِحينَ . وَتَخْصيصُ المُتْرَفينَ بالذِّكْرِ مَعَ أنَّ العَذابَ يَعُمُّ جَميعَ الكافِرينَ للإشارَةِ إلى أنَّ ما كانوا فيهِ مِنَ التَّنعُّمِ والتَّمَتُّعِ لَمْ يَنْفَعْهُمْ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ .

﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ .

رَدٌّ عَلَيْهِم وَتَأْنيبٌ وَزَجْرٌ لَهُمْ عَلى صُراخِهِمْ واسْتغاثَتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَنْ يُفيدَهُمْ شَيْئاً ، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ الَّذي نَزَلَ بِهِمْ ، وَلَنْ يَجدوا مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ هذا العذابَ .

ثُمَّ انْتَقَلَتِ الآياتُ لِبيانِ سَبَبِ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ ، فَقال تَعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ .

كانوا عِنْدما تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ اللهِ تَعالى الدَّالَّةُ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ يُعرِضونَ عَنْ سَماعِها أَشَدَّ الإعْراضِ ويَسْتَهْزِئونَ بِها .

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

والحالُ أَنَّهُمْ مُسْتَكْبِرونَ عَلى المُسْلِمينَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ المَسْجِدِ الحَرام ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ المَسْجِدِ الحَرام أَعْظَمَ الحُقوقِ عِنْدَ النَّاسِ ، وَأَعْلى المَنازِلِ عِنْدَ اللهِ ، وَكانوا يَجْلِسونَ لَيْلاً حَوْلَ البَيْتِ الحَرام يَتَحَدَّثونَ وَيَتَسَلَّوْنَ وَيَطْعَنونَ في القُرْآنِ والرَّسولِ ﷺ وَما جاءَ بِهِ . وَإِنَّما جازَ عَوْدُ الضَّميرِ (بِهِ) عَلى المَسْجِدِ الحَرام وإِنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْرٌ لِشُهْرَتِهِ .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

الهَمْزَةُ لِلإِنْكار ، أَيْ أَفَعَلوا ما فَعَلُوا مِنَ الإِعْراضِ والنُّكوصِ والاسْتِكْبار ، فَلَمْ يَتَدَبَّروا القرآنَ المُعْجِزَ وَلَمْ يَتَفَكَّروا فيما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْجيهاتٍ حَكيمَةٍ ؟ إِنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّروهُ لَوَجَدوا فيهِ ما يُسْعِدُهُمْ وَيَهديهِمْ ، فَهذا حَضٌّ عَلى تَدَبُّرِ القُرآنِ والإِقْبالِ عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ هذا التَّوْبيخِ لَهُمْ عَلى عَدَمِ تَدَبُّرِ القُرْآنِ ، تَبِعَهُ تَوْبيخٌ آخَرُ بِطَريقَةِ السُّؤالِ : أَكَذَّبوا رَسولَهُمْ لأَنَّهُ جاءَهم بِما لَمْ يَأْتِ بِهِ الرُّسُلُ لآبائِهِمْ ؟ كَلاّ فَإِنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ رَسولُهم ﷺ يُطابِقُ في أُصُولِهِ ما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ السَّابِقونَ كَإِبْراهيمَ وإِسماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ . فَلِماذا يُكَذِّبُونَهُ وَلا يَتَّبِعونَهُ ؟

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

هذا تَوْبيخٌ ثالِثٌ لَهُمْ ، يَقولُ لَهُمْ : أَيَكونُ سَبَبُ كُفْرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفوا رَسولَهُمْ مُحَمّداً ﷺ ؟ كَلاّ ، فَقَدْ عَرَفوا صِدْقَهُ وَأَمانَتَهُ وَكَريمَ خُلُقِهِ ، وَلكِنَّهُمْ حَسَدُوهُ فَأَنْكَروا رِسالَتَهُ ، بَلْ واتَّهَموهُ بِما لَيْسَ فيهِ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

وَهذا تَوبيخٌ رابعٌ يَقول لَهُمْ : أَيَكونُ سَبَبُ كُفْرِهِمْ وإِصْرارِهم الجُنونُ الّذي يَنْسِبونَهُ إِلى رَسولِهِمْ ؟ كَلاَّ : فَهُمْ يَعْلَمونَ حَقَّ العِلْمِ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ هُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَرْجَحُهُمْ رَأْياً . وَقَدْ جاءَهم بِالحَقِّ الثّابتِ ، وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كارهونَ للحَقِّ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعارَضُ مَعَ شَهَواتِهِمْ وَرَغَباتِهِمْ ، وَقِلَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ يُؤْمنوا خَوْفاً مِنَ اللَّوْمِ والتَّعْييرِ لا كَراهةً لِلحَقِّ .

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

وَلَوْ أَجابَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ المُشْرِكينَ إِلى ما يَهْوونَهُ وَيَشْتَهونَهُ مِنْ باطِلٍ ، لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأَرضُ وَمَنْ فيهِنَّ ؛ لأَنَّ أَهْواءَهُمُ الفاسِدَةَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَقومَ عَلَيْها نِظامُ هذا الكَوْنِ البَديعِ القائِمِ

عَلى الحَقِّ والعَدْلِ ، وَمِنْ أَهْوائِهِمُ الفاسِدَةِ : إعْراضُهُمْ عَنِ القُرآنِ الكَريمِ ، وَنفورُهُمْ مِنْهُ ، وَهُوَ الكِتابُ الّذي فيهِ مَجْدُهُمْ وَشَرَفُهُمْ لَوِ اتَّبَعوهُ .

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

هَلْ تَسْأَلُهُمْ ، أيُّها الرَّسولُ ، عَلى أَداءِ رسالَتِكَ أَجْراً ، وَتَطْلُبُ مِنْهُمْ مالاً ، وَلِذلكَ لَمْ يُؤمِنوا بِكَ ؟ إنَّكَ لا تَسْأَلُهُمْ عَلى دَعْوَتِهِمْ لِلإسْلامِ شَيْئاً ، فَإنَّ رِزْقَ اللهِ وَثوابَهُ خَيْرٌ وَأعظمُ ، فَرِزْقُهُ دائمٌ وَغَيْرُ مَحْدودٌ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَفْضَلُ مَنْ أَعْطى وَرَزَقَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ لا يُكَلِّفُ اللهُ العِبادَ فَوْقَ ما يُطيقونَ .

٢ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تَعالى لِكُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، وَمِنْها أَعْمالُ العِبادِ فَهِيَ مُدَوَّنَةٌ ومَحْفوظَةٌ .

٣ـ كَراهَةُ التَّنَعُّمِ الزّائدِ والتَّرَفُّهِ في أُمورِ الدُّنْيا .

٤ـ كَراهَةُ قَضاءِ وَقْتِ اللَّيلِ بِحَديثِ اللَّهوِ والتَّسْلِيَةِ والفُحْشِ مِنَ القَوْلِ ، بَدَلَ الانْتِفاعِ مِنَ الوَقْتِ وَقَضائِهِ في طاعةِ اللهِ .

٥ـ خَطَرُ اتِّباعِ الهَوى وَأَنَّهُ يُفْضي إلى الهَلاكِ والخُسْرانِ .

٦ـ عَلى الدّاعي أَنْ يَتَرَفَّعَ عَمّا في أَيْدي النّاسِ ، وَيَزْهَدَ فيه .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿ولَدَيْنا كتابٌ ينطِقُ بالحقِّ وهم لا يُظْلَمون﴾ ؟

٢ـ ما المُرادُ بالأَعْمالِ المَذكورةِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ولَهُمْ أعمالٌ منْ دونِ ذلكَ هُمْ لها عامِلونَ﴾ ؟

٣ـ لماذا يَجْأَرُ المُتْرَفونَ حينَ يَأْخُذُهُمُ العَذابُ ؟

٤ـ عَدِّدْ أَسْبابَ نُزولِ العَذابِ بِالمُشْركينَ كَما بَيَّنَتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٥ـ عَلى ماذا تَعودُ الهاءُ في قَولِهِ تَعالَى : ﴿مُسْتَكْبِرينَ بهِ﴾ ؟

٦ـ اسْتَدِلَّ مِنَ الآياتِ الكريمةِ المَذْكورةِ في الدَّرْسِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ رَحْمَةُ اللهِ تَعالى بِعِبادِهِ تَقْتَضي أَنْ لا يُكَلِّفَهُم فَوْقَ طاقَتِهِمْ .

ب ـ الاسْتِغاثَةُ مِنَ العَذابِ لا تَنْفَعُ المُسْتَغيثَ ، وَلا تَرُدُّ العَذابَ عَنْهُ .

ج ـ كانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَكَبَّرونَ عَلى غَيْرِهِمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ المَسْجِدِ الحرامِ .

د ـ زَعَمَ المُشْرِكونَ أَنَّ رَسولَهُمُ المُرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَجْنونٌ .

هـ ـ قامَتِ السَّماواتُ والأرضُ عَلى العَدْلِ والحَقِّ لا عَلى الهَوى والباطِلِ .

و ـ الرَّسولُ عَلَيْهِ السَّلامُ لا يَطْلُبُ مِنَ المُشْرِكينَ أَجْراً عَلى دَعْوَتِهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يَدُلُّ عَلى يُسْرِ الدِّينِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفتَرِكَ خَمْسَةً مِنَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ الَّتي كانَ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ يُمارِسونَها قَبْلَ الإِسْلامِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثُ والعِشرونَ

سورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَناكِبونَ : مُنْحَرِفونَ .

لَلَجُّوا : لتمادَوْا .

يَعْمَهونَ : يَتَرَدَّدونَ .

اسْتكانوا : خَضَعُوا .

يَتَضَرَّعونَ : يَتَذَلَّلونَ .

مُبْلِسونَ : آيِسونَ .

ذَرَأَكُمْ : خلقَكُمْ .

أَساطيرُ الأَوّلينَ : أكاذيبُهُمُ المُسَطَّرَةُ في كُتُبِهِمْ .



التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بِبَيانِ ما يَدعو إلَيْهِ الرَّسولِ ﷺ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وَإِنَّكَ أيُّها الرَّسولُ لَتَدعو هَؤلاءِ المُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِكَ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ ، وَهُوَ دينِ الإسْلامِ ، الَّذي يَهْدي إلى سَواءِ السَّبيلِ ، المُوصِلِ إلى جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وَإِنَّ الَّذينَ لا يُصَدِّقونَ بالبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ والثَّوابِ والعقابِ ، لَمائِلونَ عَنْ هذا الصِّراطِ المُسْتقيمِ ، مُنْحَرِفونَ عَنْهُ ، فَلا يُؤْمِنُ بالاسْلامِ وَيَسْتَقيمُ عَلَيْهِ إلاّ مَنْ آمَنَ بِالبَعْثِ والنُّشورِ .

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عبّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ أنَّ اللهَ تعالى أخَذَ قُرَيْشاً بِالقَحْطِ والجوعِ حَتّى أَكَلوا الكلابَ والمَيْتَةَ والدَّمَ ، فقالَ أبو سُفْيانَ : أَنْشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ ، أَلَيْسَ تَزْعُمُ أنَّ اللهَ بَعَثَكَ رَحْمَةً لِلعالَمينَ ؟ فَواللهِ ما رَأَيْكَ إلا قَتَلْتَ الآباءَ بِالسَّيْفِ ، وَقَتَلْتَ الأَبْناءَ بِالجوعِ ، فَنَزَلَتْ هذهِ الآيةُ[1] .

أَيْ لَوْ رَحِمْنا هؤلاءِ المُشْرِكينَ الَّذينَ كَذَّبوكَ ، وَرَفَعْنا عَنْهُمْ ما أَصابَهُمْ مِنْ قَحْطٍ وَجوعٍ ، وَرَفَعْنا عَنْهُمُ البَلاءَ لاسْتَمَرُّوا وَتَمادَوْا في ضَلالِهِمْ ، وَتَجاوَزوا الحُدودَ في كُفْرِهِمْ ، وَفي تَحَيُّرِهِمْ وَتَرَدُّدِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الحَقِّ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

وَلَقَدِ ابْتَلَيْناهُمْ بِالمَصائبِ والشَّدائِدِ والجوعِ والقَحْطِ لَعَلَّهُمْ يَعودونَ إلى رُشْدِهِمْ ، وَيُدْركونَ قُدْرَتَنا عَلَيْهِمْ ، إلاّ أَنَّهُمْ لَمْ يُذْعِنوا لِلْحَقِّ ، ولم يَخْضَعوا لِرَبِّهِمْ ، وَلَمْ يَتَذَلَّلوا لَهُ لِكَيْ يَكْشِفَ ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ في جُحودِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، حَتّى إذا جاءَتْهُمْ أَهْوالُ الآخِرَةِ ، وَما فيها مِنْ عَذابٍ شَديدٍ لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ حينَئِذٍ يَيْأَسونَ مِنَ الخَلاصِ والنَّجاةِ ، وَيَتَحَيَّرونَ ، لا يَدْرونَ ماذا يَفْعلونَ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

انْتَقَلَتِ الآياتُ الكَريمةُ إلى التَّذْكيرِ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى ، الَّتي لَوْ أَعْمَلَ المُشْرِكونَ عُقولَهُمْ ،

---

(١) رواهُ الطَّبَرِيُّ ١٨/ ٤٥ ، وفي البخاريِّ عَنِ ابنِ مسعودٍ روايةٌ قريبةٌ مِنها في كتابِ التَّفسيرِ ، رقم الحديثِ ٤٤٥٠ .

وتدبَّروا فيها لاهْتَدَوْا ، وَمِنْ هذهِ النِّعَمِ ، أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ خَلَقَ للإنسانِ حواسَّ السَّمْعِ والإبْصارِ والإدْراكِ ، إلاَّ أنَّ الإنْسانَ قَليلُ الشُّكْرِ للهِ ، وَأكثرُ النَّاسِ كافِرونَ بنِعَمِ اللهِ تعالى لا يُؤدُّونَ حَقَّها مِنَ الشُّكْرِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلَيْكُمْ ، أيُّها البَشَرُ ، أنَّهُ خَلَقَكُمْ في هذهِ الأرْضِ ، وَبَثَّكُمْ في أَرْجائِها ، تَعْمُرونَها ، وتَكْتَسِبونَ فيها ، وَسَخَّرَها لَكُمْ ، ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ وَيَحْشُرُكُمْ إليهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لِلْحِسابِ والجَزاءِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ الذي لَهُ الإحيْاءُ والإماتَةُ ، وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ اللَّيْلَ والنَّهارَ ، وَجَعَلَهُما مُخْتَلِفَيْنِ ؛ أَحَدُهُما مُضيءٌ والآخرُ مُظْلِمٌ ، وَمُتَعاقِبَيْنِ يَتْبَعُ أَحَدُهُما الآخَرَ ، وَمُتَداخِلَينِ إذا طالَ أَحَدُهُما قَصُرَ الآخَرُ ، أَفَلا تُدْرِكونَ بِعُقولِكُمْ ، أيُّها البَشَرُ ، أنَّ مَنْ لَهُ هذهِ القُدْرَةَ المُطْلَقَةَ قادِرٌ عَلى البَعْثِ ، وَأنَّهُ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ والطَّاعَةِ .

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

إنَّ المُشْرِكينَ لَمْ يُعْمِلوا عُقولَهُمْ وَلَمْ يَتَفَكَّروا في الآياتِ ، بَلْ قالوا كَلاماً مِثْلَ الَّذي قالَهُ المُشْرِكونَ السّابقونَ لَهُمْ مِنَ الأُمَمِ المُهْلَكَةِ .

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ .

قالوا مُسْتَبْعِدِينَ البَعْثَ أإذا بَلينا ، وَصِرْنا ذَراتٍ ناعِمَةً ، وَعِظاماً نَخِرَةً ، أئِنّا لَمَخْلوقونَ ثانِيَةً ، هذا شيْءٌ لا يَكونُ أَبَداً .

ثُمَّ أَضافوا إلى اسْتبعادِهِمُ البَعْثَ قَوْلَهُم :

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤنا بِالحياةِ بَعْدَ المَوْتِ ، وهَذا الوَعْدُ أُسْطورَةٌ لَيْسَ لَها حَقيقَةٌ ، والواعِدُ لَهُمْ بِذلكَ هُوَ الرَّسولُ ﷺ .

وَهذا القَوْلُ مِنَ المُشْرِكينَ غَباءٌ وَجَهْلٌ ، وَتَوَهُّمٌ أنَّ البَعْثَ سَيَكونُ في الدُّنيا لا في الآخِرَةِ ، وَلِذا فَقَدْ أَضافوا إلى كُفْرِهِمُ ، الجَهْلَ والغُرورَ ، وَسوءَ الأَدَبِ ، والقولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الإسْلامُ دينُ الحَقِّ الموصِلِ إلى رِضا اللهِ وَجَنّاتِ النَّعيمِ .

٢ـ العِنادُ ، والمُكابَرَةُ ، ورَفْضُ الحَقِّ ، والإصْرارُ عَلى الباطِلِ ، مِنْ صِفاتِ الكافِرينَ .

٣ـ وُجوبُ شُكْرِ اللهِ تَعالى عَلى نِعَمِهِ ، وَمِنْها : السَّمْعُ والبَصَرُ والفؤادُ .

٤ـ كَثْرَةُ الأَدِلَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَمِنْها : الإحْياءُ والإماتَةُ ، واخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهارِ .

٥ـ الإيمانُ بِالغَيْبِ ثَقيلٌ عَلى نُفوسِ البَشَرِ ، وَلِذا يُنْكِرُ كَثيرٌ مِنْهُمُ الغَيْبَ ، وَلا يُؤْمِنونَ إلاّ بِما يَرَوْنَهُ أَوْ يُحِسُّونَ بِهِ .

٦ـ المُسارَعَةُ إلى إلْقاءِ التُّهْمَةِ عَلى الآخَرينَ فيما لا يَسْتَوْعِبُهُ الإنْسانُ عَمَلٌ قَبيحٌ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنْ دَعوةِ الرَّسولِ ﷺ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ كَما بَيَّنَتْهُ الآيةُ ؟

٢ـ لَمْ يُؤَثِّرْ حُصولُ العَذابِ في المُشْرِكينَ ، على ماذا يَدُلُّ ذلِكَ ؟

٣ـ عَدِّدِ النِّعَمَ التي ذَكَرَتْها هذهِ الآياتُ .

٤ـ رَدَّدَ المُشْرِكونَ مَقالَةَ الأوَّلينَ ، ما هي هذهِ المَقالةُ ؟ وَما دلالَةُ تَرْدادِها ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى الأَلْفاظِ التَّاليةِ :

- ناكِبونَ .
- يَعْمَهونَ .
- يَتَضَرَّعونَ .
- مُبْلِسونَ .
- استَكانوا .
- أَساطيرُ الأَوَّلين .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتَينِ الكَريمَتَيْنِ مِنْ سورةِ (المُلْكِ) اللّتَيْنِ تُشْبِهانِ الآيَتَيْنِ (٧٨ـ٧٩) .

الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ المؤمنونَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُجيرُ	: يُغيثُ .
لا يُجارُ عَلَيْهِ	: لا يُغاثُ أَحَدٌ مِنْهُ .
فأنَّى	: فَكَيْفَ .
تُسْحَرونَ	: تُصْرَفونَ وَتُخْدعونَ عَنْ عِبادَةِ اللهِ .
الغَيْبِ والشَّهادَةِ	: السِّرِّ والعَلانِيَةِ .

التفسيرُ :

تَبْدأُ هذهِ الآياتُ بإقامَةِ الحُجَّةِ عَلى المُشْرِكينَ في إنْكارِهِمُ البَعْثَ ، وَإِثْباتِ وَحْدانِيَّةِ اللهِ مِنْ خِلالِ ثَلاثَةِ أَسْئِلَةٍ ، في كُلِّ سُؤالٍ مِنْها قَضِيَّةٌ أَساسِيَّةٌ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِلْمُشْرِكينَ : لِمَنْ هذهِ الأَرْضُ التي تَعيشونَ عَلَيْها وَتَتَنَعَّمونَ بِخَيْراتِها ؟ وَلِمَنْ

المَخْلوقاتُ التي تَعيشُ عَلَيْها ، إنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الفَهْمِ والعِلْمِ فَأخْبِروني ؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

سَيَعترِفونَ أنَّها للهِ خَلْقاً وَتدبيراً ، قُلْ لَهُمْ حينَذاكَ : أفلا تَعْتَبرونَ ، وَتَتَدبَّرونَ فتَعلَموا أنَّ مَنْ قَدِرَ عَلى خَلْقِ الأرْضِ وَمَنْ عَلَيْها قادِرٌ عَلى إعادَتِهِ وَإحْيائِهِ بَعْدَ مَوتِهِ .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

هذا السُّؤالُ الثَّاني لَهُمْ : مَنْ خالِقُ السّماواتِ السَّبْعِ بِما فيها مِنْ شُموسٍ وَكَواكِبَ وَأقْمارٍ وَمَلائِكَةٍ ؟ وَمَنْ هُوَ خالِقُ العَرْشِ العَظيمِ الذي أحاطَ بالكَوْنِ كُلِّهِ ، وَهُوَ أعْلى المَخْلوقاتِ وَأعْظَمُها .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

سَيُقِرّونَ بِأنَّ ذلكَ كُلَّهُ للهِ ، فَقُلْ لَهُمْ مُنْكِراً عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَمُوَبِّخاً : أتَعْلَمونَ ذلِكَ ، وَلاَ تَخافونَ عَذابَ رَبِّكُمْ بِسَبَبِ عِبادَتِكُمْ غَيْرَهُ مَعَ عِلْمِكُمْ بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرتِهِ ؟

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

قُلْ لَهُمْ سُؤالاً ثالثاً : مَنْ بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَتَدْبيرُهُ في هذا الكَونِ العَظيمِ ، وَهُوَ الذي يُغيثُ ، وَيَحْفَظُ مَنْ يشاءُ مِنْ خَلْقِهِ فلا يَنالُهُ أحَدٌ بِمَكْروهٍ ، وَهُوَ الذي لا يَسْتطيعُ أَحَدٌ أنْ يَمْنَعَ عِقابَهُ عَنْ أحَدٍ ، وَلا يَمْلِكُ أحَدٌ أنْ يُغيثَ مِنْهُ أحَداً ، إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ فَأَخْبِروني عَنْ ذلكَ ؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

سَيَقولونَ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ للهِ ، والقُدْرَةُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ للهِ ، فَقُلْ لَهُم رَدّاً عَلَيْهِمْ : ما دُمْتُمْ قَدِ اعْتَرَفْتُمْ بِأنَّ كُلَّ شيْءٍ تَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَسَيْطَرَتِهِ ، فَكَيْفَ تُخْدَعونَ وَتُصْرفونَ عَنِ الحقِّ مَعَ عِلْمِكُمْ بِهِ ؟ وَكَيْفَ تَنْحازونَ إلى الباطِلِ والضَّلالِ ؟ وَكَيْفَ تُنْكِرونَ البَعْثَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ قُدْرَةَ اللهِ وَعَظَمَتَهُ ؟

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

لَيْسَ الأمْرُ كما يَتَوَهَّمونَ وَيُخَيَّلُ إلَيْهِمْ ، مِنْ أنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ الرَّسولُ أَساطيرُ الأوّلينَ ، بَلْ أتَيْناهُمْ بِالحَقِّ المُبينِ ، والأدِلَّةِ السَّاطِعَةِ القاطِعَةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ ، وَإنَّهُمْ لَكاذِبونَ فيما يَقولونَ وَيَدَّعونَ ، مِنَ الشِّرْكِ وَإنكارِ البَعْثِ .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

نَزَّهَ اللهُ تعالى نَفْسَهُ عَنْ أنْ يكونَ لَهُ وَلَدٌ مُطْلَقاً ؛ لا مِنَ المَلائِكَةِ ، وَلا مِنَ البَشَرِ ، أوْ أنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ في المُلْكِ والتَّصرُّفِ ، وَلَوْ كانَ الأَمْرُ كَما يَزْعُمُ المُشْرِكونَ لاسْتَقَلَّ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ ، وانْفَرَدَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلَحَدَثَ بَيْنَهُمْ الخِلافُ والتَّنازُعُ ، وَلَغَلَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَلاخْتَلَّ نِظامُ الكَوْنِ ، وَلَفَسَدَتِ الأَرْضُ والسَّماواتُ لانْشِغالِ الآلِهَةِ عَنْ حِفْظِها وَرِعايَتِها بِالتَّنازُعِ وَإِرادةِ الغَلَبَةِ والقَهْرِ ، تَنَزَّهَ اللهُ الحَقُّ الواحِدُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الظَّالِمونَ المُشْرِكونَ الجاهِلونَ ، مِن ادِّعاءِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الواحِدُ الأَحَدُ .

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

هُوَ العَليمُ بما يَغيبُ عَنْ عُقولِ النَّاسِ وَمَدارِكِهِمْ ، وَهُوَ العَليمُ بِما يُشاهِدونَهُ بِأَبْصارِهِمْ وَحَواسِّهِمْ ، فَتَنَزَّهَ اللهُ تَعالى ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الشَّريكِ والوَلَدِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ كانوا يُقِرُّونَ بِتَوْحيدِ الرُّبوبيَّةِ وَأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ الخالِقُ الرَّازِقُ المالِكُ .

٢ـ تَوْحيدِ الرُّبوبيَّةِ يُلْزِمُ بِتَوْحيدِ الأُلوهِيَّةِ ، فالخالِقُ الرّازِقُ هُوَ المَسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ وَلِذلِكَ أَلْزَمَهُمُ اللهُ بما أَقَرُّوا بِهِ

٣ـ العَرَبُ يَعْلَمونَ أَنَّ للهِ عَرْشاً ، وَيُقِرّونَ بِأَنَ اللهَ مالِكُهُ ، وَأَنَّهُ عَظيمٌ .

٤ـ اسْتِخْدامُ أُسْلوبِ السُّؤالِ للخَصْمِ لإِلْزامِهِ الحُجَّةَ مِنْ خِلالِ إجابَتِهِ .

٥ـ جوازُ تَوْبيخِ المُتغافِلِ والمُتَجاهِلِ عَنِ الحَقِّ بما يَرْدَعُهُ وَيَزْجُرُهُ .

٦ـ تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، فَهُوَ واحِدٌ أَحَدٌ لا شَريكَ لَهُ .

٧ـ اسْتِقرارُ نِظامِ الكَوْنِ دَليلٌ عَلى أَنَّ لَهُ إِلهاً واحِداً ، فَلَوْ كانَ فيهِ أَكْثَرُ مِنْ إلهٍ لَفَسَدَ الكَوْنُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَسْئِلَةُ التي وَجَّهَها اللهُ تَعالى لِلمُشْركينَ في هذهِ الآياتِ ؟

٢ـ ما النّتيجَةُ التي تُؤدي إلَيْها هذهِ الأَسْئِلَةُ وَإجاباتُها ؟

٣ـ ما الأدِلّةُ التي ذُكِرَتْ في هذهِ الآياتِ عَلى عَدَمِ جَوازِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ ؟

٤ـ رَتِّبِ الآياتِ الكَريمةِ التّاليةَ حَسَبَ وُرودِها في تَرتيبِ السُّورَةِ :

﴿قلْ فَأَنّى تُسْحَرونَ﴾ ﴿قلْ أَفلا تَعْقِلونَ﴾ ﴿قلْ أَفلا تَذَكَّرونَ﴾ وَبَيِّن أيَّ هذهِ العِباراتِ أشَدُّ عَلى المُشْرِكينَ وَأَكْثَرُ تَوبيخاً لَهُمْ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى ما يَلي :

ـ وَهُوَ يُجيرُ وَلا يُجارُ عَلَيهِ .

ـ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرونَ .

ـ وَلَعَلا بَعْضُهُم عَلى بَعْضٍ .

ـ عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ يَعْتَرِفُ المُشْرِكونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ ، فَلِماذا يُعَدُّونَ مُشْرِكينَ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ في الآيَةِ (٩١) دَليلٌ عَلى وَحدانِيَّةِ اللهِ ، وَضِّحْ ذلكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

سورةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴿

مَعاني المُفْرَداتِ :

إما تُرِيَنِّي : إن تُطْلعْنِي وتُشْهِدْني .

ما يوعَدونَ : العَذابَ .

هَمَزاتِ الشَّياطِين : وَساوِسِهِمْ .

بَرْزَخٌ : حاجِزٌ .

تَلْفَحُ : تُحْرِقُ .

كالِحونَ : عابِسونَ وَقَدْ تَقَلَّصَتْ شِفاهُهُم عَنْ أَسْنانِهِمْ بسبَبِ الاحْتِراقِ .



التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِعَدَدٍ مِنَ التَّوْجيهاتِ الإلهيَّةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

قُلْ ، أيّها الرَّسولُ الكريمُ ، يا رَبِّ إنْ تُطْلِعْني وَتُريني العَذابَ الذي تَوَعَّدْتَ بِهِ هؤلاءِ المُشْرِكينَ .

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

فأَسأَلُكَ يا رَبِّ أنْ لا تَجْعَلْني مُشارِكاً لَهُمْ فيهِ ، وَأبْعِدْني عَنْ هَؤلاءِ القَوْمِ الظَّالِمينَ حَتَّى لا يُصيبَني ما أَصابَهُمْ .

وَهذا تَوْجيهٌ مِنْهُ سُبْحانَهُ لِنَبيِّهِ ﷺ لِتَوجيهِ المُؤْمِنينَ أنْ يَلوذوا دائِماً بِحِمى اللهِ تَعالى وَأنْ يَلْجَأوا إليهِ في جَميعِ أُمورِهِمْ ، وَأن لا يَأْمَنوا مَكْرَ اللهِ .

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

وإنَّا لَقادِرونَ عَلى إطْلاعِكَ عَلى العَذابِ الذي أعْدَدْناهُ لَهُمْ ، وَلِكنْ لِحِكْمَةٍ نَعلَمُها لَمْ نُطْلِعْكَ عَلَيْهِ ، وَأَخَّرْناهُ إلى الوَقْتِ الَّذي نُريدُ .

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

هذا تَوْجيهٌ ثانٍ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يُقابِلَ إساءَةَ المُشْرِكينَ الجاهِلينَ بالإحْسانِ ، فَيَعْفُوَ عَنْ إساءَتِهِمْ ، وَيصْفَحَ عَنْهُمْ ، ويُعْرِضَ عَنْ إيذائِهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلى سوءِ أَخْلاقِهِمْ ، وَيُخْبِرُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ أَعْلَمُ بِحالِهِمْ ، وبِما يَكونُ مِنْهُم ، مِنَ التَّكْذيبِ والاسْتِهزاءِ ، وَسَيُجازيهِمْ عَلَيْهِ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

هذا تَوْجيهٌ ثالِثٌ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يَسْتَعيذَ باللهِ ، وَيَعْتَصِمَ بِهِ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ المُغْرِيَةِ بِالسُّوءِ والعِصْيانِ .

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وَأنْ يَسْتَعيذَ باللهِ تَعالى مِنْ حُضورِ الشَّياطينِ أُمورَهُ وَأَعْمالَهُ ، وَفي هذا التَّوْجيهِ تَعْليمٌ لِلمُؤْمنينَ أَنْ يَسْتَعيذوا باللهِ مِنْ وَساوِسِ الشَّياطينِ وَحُضورِهِمْ ، وَقَدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ قُدْوَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ يُكْثِرُ مِنَ الاستعاذَةِ باللهِ في شُؤونِهِ كُلِّها .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

يَسْتَمِرُّ الكافِرُ في ضَلالِهِ وَفُجورِهِ ، حَتَّى إذا عايَنَ أَسْبابَ المَوْتِ وَأهوْالَهُ ، وَتَيَقَّنَ مِنْ حُصولِهِ ، طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ إعادَتَهُ إلى الدُّنيا .

﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

لِكَيْ أعمَلَ عَمَلاً صالِحاً فيما ضَيَّعْتُ مِنْ عُمري ، وَأُصْلِحُ ما أفْسَدْتُهُ في حياتِي ، وَأُتَدارَكُ ما فاتَني مِنْ خَيْرٍ ، ويَأتيهِ الجوابُ بِلَفْظ (كَلاّ) ، وَهِيَ لِلنَّفْيِ والزَّجْرِ ، فَلا رُجوعَ إلى الدُّنْيا ، وَإنَّ طَلَبَ العَوْدَةِ إلى الدُّنْيا مُجَرّدُ كَلِمَةٍ يَقولُها المُشْرِكُ لَيْسَ لَها حَقيقةٌ في نَفْسِهِ ، فَلَوْ رُدَّ إلى الدُّنْيا لَعادَ إلى كُفْرِهِ وَتَكْذيبِهِ ، فإذا ماتَ وَخَرَجَتْ روحُهُ فلا رَجْعَةَ إلى الدُّنيا ، لأنَّهُ يُصْبِحُ في البَرْزَخِ ، وَهُوَ مانِعٌ مِنَ العَوْدَةِ إلى الدُّنْيا ، وَمُسْتَمِرٌّ إلى يَوْمِ البَعْثِ والنُّشورِ .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

فَإذا نُفِخَ في الصُّورِ ، وَهُوَ البوقُ ، النَّفْخَةُ الثّانيةُ ، وَقامَ النّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ ، فَلا أَنْسابَ وَلا قَرابَةَ تَنْفَعُهُمْ في ذلكَ اليَوْمِ ، وَلا يَتَفاخَرُ أَحَدٌ بِحَسَبِهِ وَجاهِهِ ، وَلا يَسْألُ أَحَدٌ مِنْهُم غَيْرَهُ عَنْ حالِهِ لِشِدَّةِ الهَوْلِ واستيلاءِ الفَزَعِ عَلى النُّفوسِ ، ثُمَّ يُحاسَبُ كُلُّ امرىءٍ عَلى عَمَلِهِ . والنَّاسُ في ذلكَ اليومِ فريقانِ ، الفريقُ الأوَّلُ :

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَناتُهُ عَلى سَيِّئاتِهِ فَهُمُ السُّعَداءُ الَّذينَ فازوا وَنَجَوْا مِنَ العَذابِ ، وَأَفْلَحوا بِنَعيمِ اللهِ تَعالى . والفَريقُ الثّاني :

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

وَمَنْ زادَتْ سَيِّئاتُهُ عَلى حَسَناتِهِ فَهُمُ الأشْقِياءُ الَّذينَ خَسِروا السَّعادَةَ الأبَدِيَّةِ بَتَضْييعِ أنْفُسِهِمْ وَتَدْنيسِها بالكُفْرِ ، وَهُمْ مُقيمونَ في جَهَنَّمَ إقامَةً دائِمَةً لا يَخْرُجونَ مِنْها أَبَداً .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ الَّذينَ خَفَّتْ مَوازينُهُمْ يُعَذَّبونَ في نارِ جَهَنَّمَ تَحْرِقُ وُجوهَهُمْ إحْراقاً شَديداً ، وَتَتَقَلَّصُ شِفاهُهُمْ عَنْ أَسْنانِهِمْ مِنْ أَثَرِ الاحْتِراقِ واللَّفْحِ ، وَهُمْ عابِسونَ مِنْ شِدَّةِ ما يُقاسونَ وَهَوْلِ ما يُعانونَ .

وَتَخصيصُ الوُجوهِ بالذِّكْرِ في الآيةِ لأنَّها أشْرَفُ الأَعْضاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، منها :

١ـ تَخوُّفُ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يُصيبَهُ العَذابُ الذي يَحِلُّ بِالكافِرينَ ، وَدُعاءَهُ رَبَّهُ أَنْ يُنْجيهِ مِنَ العَذابِ الَّذي يَحِلُّ بِهِمْ .

٢ـ عَلى المُسْلِمِ أَنْ يُواجِهَ السيِّئَةَ مِنَ البَشَرِ بالحُسْنى .

٣ـ العَدُوُّ الشَّيْطانيُّ لا يَنْفَعُ مَعَهُ الإِحْسانُ ، وَلاَ يَنْفَعُ مَعَهُ إلا الاحْتِماءُ باللهِ مِنْ شَرِّه .

٤ـ تَمنّي الإنسانِ العَودَةَ إلى الدُّنيا عِنْدَ المَوْتِ لِيَتَدارَكَ ما فاتَهُ ، وَعَدَمُ إجابَةِ اللهِ الدُّعاءَ في هذا المَوْطِنِ .

٥ـ حالَةُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ أَنْ تُوزَنَ أَعْمالُهُمْ ، وَيَظْهَر رِبْحُهُمْ أَوْ خُسْرانُهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ التَّوجيهاتِ الإِلهيةَ لِلنَّبيِّ ﷺ في هذهِ الآياتِ .

٢ـ لِماذا دَعا الرَّسولُ ﷺ رَبَّهُ أَنْ لا يَجْعَلَهُ في القَوْمِ الظَّالمينَ ؟

٣ـ كَيْفَ يَكونُ دَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ ؟ وَما أَثَرُ ذلكَ في النَّاسِ ؟

٤ـ ماذا يَتَمَنَّى الكافِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ ؟

٥ـ ما اسْمُ الفاصِلِ بَيْنَ الأَحْياءِ والأَمْواتِ حَتَّى قِيامِ السَّاعَةِ ؟

٦ـ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَريقانِ ، وَضِّحْ ذلكَ مَعَ الدَّليلِ .

٧ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ وَإِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرونَ .

ب ـ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفونَ .

ج ـ هَمزاتِ الشَّياطينِ .

د ـ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها .

هـ ـ فلا أَنْساب بَيْنَهُمْ يومَئِذٍ .

و ـ وَهُمْ فيها كالِحون .

نَشاطٌ :

١ ـ اقرأ الآيةَ الرّابعةَ والثَّلاثينَ مِنْ سورَةِ فُصِّلَتْ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها أثَرَ مُقابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِالحَسَنَةِ عَلى النَّاسِ ، واكْتبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورَةِ القارِعَةِ التي تَتَحَدَّثُ عَنْ ثِقَلِ الميزانِ وَخِفَّتِهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

* * *

الدرس السادس والعشرون

سورة المؤمنون - القسم الحادي عشر

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

معاني المفردات :

غَلَبَتْ عَلَيْنا : اسْتَوْلَتْ عَلَيْنا .

شِقْوَتُنا : الشِّقْوَةُ والشَّقاوَةُ ضِدُّ السَّعادَةِ .

اخْسَؤوا : انزَجِروا واسْكُتوا صاغِرينَ .

سِخْرِيّاً : هُزُواً .

العادِّينَ : الحاسِبينَ .

فَتَعالى اللهُ : تَنَزَّهَ عَنِ العَبَثِ .



التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ بِتَتِمَّةِ وَصْفِ حالِ أَهْلِ النَّارِ ، وَطَلَبِهِمُ الخروجَ مِنْها . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يَقولُ اللهُ تَعالى لأَهْلِ النَّارِ مُوَبِّخاً : أَلَمْ تَكُنْ آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ تُتْلى عَلَيْكُمْ في الدُّنْيا لِلتَّذْكِيرِ فَكُنْتُمْ تُكَذِّبونَ بِها وَتُعْرِضونَ عَنْها .

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

قالَ أَهْلُ النَّارِ مُعْتَذِرينَ عَنْ أَفْعالِهِمْ السَّيِّئَةِ في الدُّنيا : رَبَّنا شَقينا بِأَعْمالِنا السَّيِّئَةِ ، وَتَغَلَّبَتْ عَلَينا شَهَواتُنا وسَيِّئاتُنا ، وَضَلَلْنا طَريقَ الحَقِّ فَساءَتْ عاقِبَتُنا .

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذهِ النَّارِ وَرُدَّنا إلى الدُّنْيا لِنَعْمَلَ عَمَلاً صالِحاً ، وَإِنْ عُدْنا إِلى الكُفْرِ فَإِنَّا ظالِمونَ لِأَنْفُسِنا ، نَسْتَحِقُّ العَذابَ والعِقابَ .

تَدَرَّجوا مِنَ الإقْرارِ بِالذَّنْبِ والإجْرامِ إِلى الرَّغْبَةِ في الخُروجِ والتَّضَرُّعِ ، فكانَ الجوابُ الإلهِيُّ لَهُمْ :

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لَهُمْ : اسْكُتوا سُكوتَ ذِلَّةٍ وَهَوانٍ ، وانْزَجِروا وامْكُثوا في النَّارِ صاغِرينَ ، وَلا تَعودوا لِمِثْلِ طَلَبِكُمْ هذا ؛ فإنَّه لا رَجْعَةَ لِأَحَدٍ إلى الدُّنْيا مُطْلَقاً .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ ، والّتي بَعْدَها ، تَعليلٌ لِزَجْرِهِمْ ، فَقَدْ كانَ فَريقٌ مِنَ المُؤْمِنينَ يُعْلِنونَ إيمانَهُمْ ، وَيَدْعونَ اللهَ تَعالى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُم ، لأَنَّهُم ايْقَنوا أَنَّهُ خَيْرُ الرَّاحِمينَ .

﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

فَسَخِرْتُم مِنْهُمْ واسْتَهزَأْتُم بِهِمْ ، وَحَمَلَكُمْ هذا الهُزْءُ بِهِم عَلى نِسْيانِ ما ذُكِّرْتُمْ بِهِ مِنْ آياتِ اللهِ وَعِقابِهِ ، وَكُنْتُمْ تَضْحَكونَ مِنْ عِبادَتِهِمْ ، وَتَسْخَرونَ مِنهُم ، وَلِذا فأنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ أَشَدَّ العَذابِ .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

وَإِنّي جَزَيْتُ المُؤْمنينَ بِصَبْرِهِمْ عَلى الأذى والاسْتِهْزاءِ بِهِمْ الفوزَ العظيمَ ، والنَّعيمَ المُقيمَ .

﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تعالى لِلكافِرينَ الَّذينَ طَلَبوا العَوْدَةَ إلى الدُّنْيا : كَمْ عَدَدُ السِّنينَ الَّتي لَبِثْتُموها في الدُّنْيا ، وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ ، وَلكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُريدُ أنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ قِصَرَ أيّامِ الدُّنْيا بِالنِّسْبَةِ لِما هُمْ فيهِ مِنْ عَذابٍ مُقيمٍ ، لِيَزيدَ مِنْ حَسْرَتِهِمْ :

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

قالوا لِشِدَّةِ ما قاسوا مِنَ العَذابِ ، وَلِقِصَرِ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنْيا : لَبِثْنا يَوْماً أوْ أقَلَّ مِنْ يَوْمٍ ، فاسْألِ الحاسِبينَ المُتَمَكِّنينَ مِنَ العَدِّ ، فَإِنَّنا في حالٍ تُذْهِلُ العُقولَ وَتُحَيِّرُ الألْبابَ .

﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

فَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم : ما لَبِثْتُمْ في الدُّنيا إلاّ وَقْتاً قَليلاً ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ ذلِكَ لَما عَصَيْتُمْ واغْتَرَرْتُمْ .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

أَظَنَنْتُمْ ، أيُّها الكافِرونَ باللهِ ، أنَّنا خَلَقْناكُمْ لَعِباً وَباطِلاً ، وَأنَّكُمْ لا تُبْعَثونَ بَعْدَ المَوْتِ لِلحِسابِ والجَزاءِ ، فَغَرَّتْكُمُ الدُّنْيا ، واشْتَغَلْتُمْ بِها وَنَسيتُمُ الآخِرَةَ .

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى ، وَتَقَدَّسَ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ صاحِبُ السُّلْطانِ المُطْلَقِ في خَلْقِهِ ، تَعالى عَنِ العَبَثِ والنَّقائِصِ ، وَعَنْ أنْ يَخْلُقَ شَيْئاً دونَ حِكْمَةٍ ، لا إلهَ إلا هُوَ ، وَلا رَبَّ سِواهُ ، ولا خالِقَ غَيْرُهُ ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَريمِ .

وَوُصِفَ العَرْشُ بِأنَّهُ كَريمٌ لِنِسْبَتِهِ إلى أكْرَمِ الأكْرَمينَ اللهِ رَبِّ العالَمينَ .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

هذا تَهْديدٌ عَظيمٌ لِكُلِّ مَنْ أشْرَكَ باللهِ ، وَعَبَدَ مَعَ اللهِ سِواهُ دونَ دَليلٍ عَلى ذلِكَ وَلا حُجَّةٍ ، بِأنَّهُ سَيَلْقى الحِسابَ الشَّديدَ والعَذابَ الأليمَ عَلى ذلِكَ ، وَلَنْ يَكونَ لَهُ فَوْزٌ وَلا فَلاحٌ بَلْ مَصيرُهُ الجَحيمُ والخِزْيُ والخُسْرانُ .

وَفي خَتْمِ السُّورَةِ بِعَدَمِ فَلاحِ الكافِرينَ في مُقابلِ افتتاحِها بِتَأْكيدِ فَلاحِ المُؤْمِنينَ ، إظهارٌ لِلتَّفاوُتِ الواضِحِ بَيْنَ الفريقينِ عَمَلاً وَمَآلاً .

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

هذا تَعْليمٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِرَسولِهِ ﷺ وَلأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ : أَنْ يَلْتَجِىءَ إلى اللهِ بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ خَيْرُ مَنْ يَغْفِرُ ، وَخَيْرُ مَنْ يَرْحَمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اعترافُ أَهْلِ النّارِ بِتَقْصيرِهِمْ وَضَلالِهِمْ لا يَنْفَعُهُمْ شَيْئاً .

٢ـ حُرْمَةُ السُّخْرِيَةِ مِنَ المُسْلِمِ ، والاسْتِهْزاءِ بِهِ والضَّحِكِ مِنْهُ .

٣ـ فَضيلةُ الصَّبْرِ عَلى الأَذى ، وَأَنَّهُ مِفتاحٌ لِلفوزِ بالنَّعيمِ .

٤ـ شِدَّةُ العَذابِ يَوْمَ القيامةِ تُذْهِلُ المُعذَّبينَ عمَّا مَضى مِنْ حالِهِمْ .

٥ـ لا حُجَّةَ لِلمُشْرِكِ على شِرْكِهِ ، وَلِذا فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَذابِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا اعْتَذَرَ أَهْلُ النَّارِ عَنْ كُفْرِهِمْ ؟

٢ـ ماذا طَلَبَ أَهْلُ النَّارِ مِنْ رَبِّهِم ؟ وَماذا كانَ الجَوابُ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ ما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنَ المُؤْمِنينَ ؟ وَما مَوْقِفُ المُؤْمِنينَ مِنَ المُشْرِكينَ كما تُبَيِّنَ هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ ما هَدَفُ سُؤالِ المُشْرِكينَ عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا ؟

٥ـ لِماذا لَمْ يَسْتَطِعِ المُشْرِكونَ تَحْديدَ مُدَّةِ مُكْثِهِمْ في الدُّنيا ؟

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمةِ عَلى ما يَلي :

أـ يَطْلُبُ أهلُ النَّارِ الخُروجَ مِنْها .

ب ـ كانَ المُشْركونَ يَسْخَرونَ مِنَ المُؤْمِنينَ في الدُّنيا .

ج ـ يَذْهَلُ المُشْرِكونَ عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا مِنْ شِدَّةِ العَذابِ .

د ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَمْ يَخْلُقِ الخَلْقَ عَبَثاً .

هـ ـ يُوصَفُ العَرْشُ بأَنَّهُ كَريمٌ لِنِسْبَتِهِ إلى أكْرَمِ الأَكْرَمينَ .

و ـ اسْتِجْابُ الدُّعاءِ بِالمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الأَخيرةَ مِنْ سورةِ المُطَفِّفينَ التي تُبَيِّنُ حالَ المُجْرِمينَ وَمَصيرَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ .

* * *

الدرسُ السابعُ والعشرون

سورةُ النُّور - القِسْمُ الأَوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ النُّورِ مِنَ السُّورِ المَدَنِيَّةِ ، التي تَتَناوَلُ الأَحْكامَ التَّشْريعِيَّةَ ، وَفيها عَدَدٌ مِنَ الأَحْكامِ المُهِمَّةِ والتَّوْجيهاتِ العامَّةِ ، فَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلى بَيانِ أَحْكامِ الزِّنى والقَذْفِ واللِّعانِ والاسْتِئْذانِ وَغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفُروجِ ، وَأَحْكامٍ أُخْرى تَتَعَلَّقُ بالنِّكاحِ ، والمُكاتَبَةِ والبِغاءِ ، مَعَ ما تَتَضَمَّنُهُ السُّورَةُ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ، وَتَوبيخِ المُنافِقينَ عَلَى سُلوكِهِمْ الذَّميمِ ، وَبَيانِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ ، وَحَضِّهِم عَلى تَعْظيمِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَتَوْقيرِه .

مَعاني المُفْرَداتِ :

سورةُ : السُّورَةُ جُمْلَةٌ مِنَ الآياتِ القُرْآنيَّةِ لَها بَدْءٌ وَنِهايَةٌ مَعْلومتانِ بالتَّوْقيفِ .

فَرَضْناها : أَوْجَبْنا العَمَلَ بِأَحْكامِها .

الزَّانِيَةُ : المَوْطوءَةُ مِمَّنْ لا يَحِلُّ لَها .

فاجْلِدوا : فَاْضْرِبوا عَلى جِلْدِ الظَّهْرِ .

رَأْفَةٌ : شَفَقَةٌ .

يَرْمون : يَتَّهِمونَ بِالزِّنى .

الْمُحْصَناتِ : العَفيفاتِ .



تَبْدَأُ هذهِ السُّورَةُ الكريمةُ بِالتَّنْويهِ بِشَأْنِها ، وَتَعْظيمِ أَمْرِها ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾

هذهِ سورةٌ عَظيمةُ الشَّأْنِ ، أَنْزَلْناها عَلَيْكَ ، أَيُّها النَّبِيُّ ، وَأَوْجَبْنا ما فيها مِنْ أَحْكامٍ وَتَشْريعاتٍ ، وَأَنْزَلنا فيها آياتٍ واضِحَةَ الدَّلالَةِ على قُدْرَتِنا ، وَعَلى صِحَّةِ الأَحْكامِ التي وَرَدَتْ فيها لِتَتَذَكَّروا وَتَعْتَبِروا بِها ، وَتُنَفِّذوا ما اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾

هذا شُروعٌ في تَفصيلِ الأَحْكامِ ابْتَدَأَتْ بِأَحكامِ الزِّنى ، والزّانيةُ : هِيَ المَرْأَةُ التي تُمَكِّنُ أَجْنَبِيّاً مِنْ وَطْئِها ، والزّاني : الرَّجُلُ الذي يَطَأُ امْرَأَةً لا يَحِلُّ لَهُ وَطْؤُها ، وَأَوَّلُ الأَحْكامِ المَذْكورةِ في السُّورَةِ : حَدُّ الزِّنى ، وَهُوَ جَلْدُ كُلِّ واحِدٍ مِنَ الزّانِيَيْنِ : المَرْأَةِ والرَّجُلِ ، مِائةَ ضَرْبَةٍ بِالسَّوْطِ عُقوبةً لَهُما عَلى هَذهِ الفِعْلَةِ الشَّنيعَةِ دونَ رَحْمَةٍ في تَنْفيذِ حُكْمِ اللهِ تَعالى وَحَدِّهِ ، فإِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَعْلَمُ بِحالِ عِبادِهِ ، وَبِما يَرْدَعُهُمْ عَنْ فِعْلِ المَنْهِيّاتِ ، فَلا تُعَطِّلوا الحُدودَ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، وَلا تُشْفِقوا عَلى الزُّناةِ ، وَلْيَحْضُرْ عُقوبَةَ الزانِيَيْنِ جَماعةٌ مِنَ المُؤْمِنينَ لِيَكونَ أَبْلَغَ في زَجْرِهِما ، وَلَعَلَّ في إِشْهارِ العُقوبَةِ رَدْعاً لَهُما وَلِغَيْرِهِما ؛ فَإِنَّ الفَضيحَةَ قَدْ تُؤَثِّر أَكْثَرَ مِنَ العُقوبَةِ .

وَقُدِّمَتِ الزّانِيَةُ في الذِّكْرِ على الزّاني في الآيَةِ ، لِأَنَّ الزِّنى مِنَ المَرْأَةِ أَقْبَحُ ، وَلِما يَلْحَقُها بِهِ مِنَ العارِ والفَضيحَةِ .

والزّانيةُ والزّاني المُرادانِ هُما : البِكْرانِ الحُرّانِ ، غَيْرُ المُحْصَنَيْنِ ؛ أي اللّذانِ لَمْ يَسْبِقْ لَهُما الزَّواجُ . والمَقصودُ بِالجَلْدِ الضَّرْبُ غَيْرُ المُبْرِحِ وَلا المُؤدّي إلى كَسْرِ عُضْوٍ أَوْ إِتْلافِهِ . والذي يُقيمُ الحَدَّ هُوَ الحاكِمُ المُسْلِمُ لا أَفرادُ النّاسِ وَآحادُهُمْ .

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كانَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ اسْمُهُ : مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ عَلى عَلاقةٍ بامْرَأةٍ بَغِيٍّ بِمَكَّةَ يُقالُ لَها : عَناق ، وَكانتْ صَديقةً لَهُ في الجاهلِيَّةِ ، فالتَقاها لَيلةً فَدَعَتْهُ إلى المَبيتِ عِنْدَها ، فَقالَ لَها : حَرَّمَ اللهُ الزِّنى ، فَلَمّا وَصَلَ المدينةَ سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ هَلْ يَجوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَها فَنَزَلَتْ هذهِ الآيةُ مُحَرِّمَةً زَواجَ الزّانِيَة[1] .

والمُرادُ بالنِّكاحِ في الآيةِ : العَقْدُ ، أيْ جَرَتِ العادةُ أنَّ الشَّخْصَ الزّانِيَ لا يَتَزَوَّجُ إلاّ زانِيَةً مِثْلَهُ أَوْ مُشْرِكَةً ، وَكذلكَ المَرْأةُ الزّانِيَةُ تَميلُ بِطِباعِها إلى الزَّواجِ مِنْ رَجُلٍ زانٍ مِثلِها أَوْ مِنْ مُشْرِكٍ ، لِأنَّ المُؤْمِنَ يَنْفِرُ بِطَبْعِهِ مِنَ الزَّواجِ بالمرْأةِ الزّانِيَةِ ، وَكَذلكَ المَرْأةُ المُؤْمِنَةُ لا تَرْغَبُ بالزَّواجِ مِنَ الرَّجُلِ الزّاني . فيكونُ لَفْظُ الآيَةِ الخَبَرَ وَمَعْناهُ النَّهْيُ . والتَّنفيرُ مِنَ الزَّواجِ مِنَ الزُّناةِ لِما في ذلكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلذَّمِّ وَسوءِ السُّمْعَةِ والطَّعْنِ في نَسَبِ الأَبْناءِ . التعبيرَ عَنْ هذا الفِعْلِ بالتَّحْريمِ في قولِهِ تعالى (وَحُرِّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمنينَ) نَصٌّ صَريحٌ في حُرْمَةِ تَزَوُّجِ الزّاني مِنَ العَفيفَةِ ، وَتَزَوُّجِ العَفيفِ مِنَ الزّانِيَةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بَيانُ حُكْمِ القَذْفِ ، وَهُوَ اتِّهامُ الآخَرينَ رِجالاً كانوا أَوْ نِساءً بِالزِّنى ، وَخَصَّتِ الآيةُ النِّساءَ بالذِّكْرِ لأنَّ قَذْفَهُنَّ أَشْنَعُ ، والعارَ الَّذي يَلْحَقُهُنَّ بِسَبَبِ ذلكَ أَشَدُّ ، فالذي يَقْذِفُ غَيْرَهُ بالزِّنى دونَ أَنْ يأتِيَ بِأَربَعَةِ شُهَداءَ يَشْهدونَ مَعَهُ على صِحَّةِ ما قَذَفَ واتَّهم بِهِ ، فَحُكْمُهُ أَنْ يُجْلَدَ ثَمانينَ جَلْدَةً عِقاباً على فِعْلِهِ المُنْكَرِ هذا ، وَأَنْ لا تُقْبَلَ لَهُ شَهادَةٌ أَبَداً بِسَبَبِ إِلْصاقِهِ التُّهْمَةَ بِمَنْ هُوَ بَريءٌ مِنْها ، والَّذينَ يَفْعَلونَ هذا الفِعْلَ هُمُ الفاسِقونَ الخارجونَ عَلى أَحْكامِ الشَّريعَةِ وَآدابِها .

فَهذهِ ثَلاثُ عُقوباتٍ لِمَنْ يَقذِفونَ المُحْصَناتِ : أُولاها الجَلْدُ ، وَهُوَ عُقوبَةٌ حِسِّيَّةٌ ، وَثانيها عَدَمُ قَبولِ شَهادتِهِ ، وَهِيَ عُقوبَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَثالِثُها وَصْفُهُ بالفِسْقِ ، وَهِيَ عُقوبَةٌ دينِيَّةٌ ، وَيَسْتَحِقُّ هذا الفِعْلُ الشَّنيعُ هذهِ العُقوباتِ القاسِيَةَ لِحِمايَةِ أَعْراضِ المُسْلمينَ مِنْ أَلْسِنةِ السُّوءِ ، فَإِنَّ أَقْسى ما تَتَعَرَّضُ لَهُ النُّفوسُ الطَّاهِرَةُ أَنْ تَلْتَصِقَ بِها التُّهَمُ الباطِلَةُ .

---

(١) رواهُ التِّرْمِذِيّ في كتابِ التَّفسيرِ ، رقم الحديث : ٣١٠١ .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

هذا اسْتِثْناءٌ يُبيِّن أنَّ مَنْ تابَ مِنْ قَذْفِ غَيْرِهِ ، وَأَصْلَحَ في عَمَلِهِ ، فإنَّ اللهَ تعالى كَفيلٌ بِمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ ، وَقَبولِ تَوْبَتِهِ ، فَيَرفعُ عَنْهُ وَصْفَ الفِسْقِ ، وَتُقْبَلُ شهادَتُهُ ، وَلكِنْ لا تَزولُ عَنْهُ عُقوبَةُ الجَلْدِ ؛ فَتُنَفَّذُ فيهِ متى ثَبَتَ قَذْفُهُ لِلمُحْصَناتِ وَلَوْ تابَ . وَكَيْفِيَّةُ تَوْبَةِ القاذِفِ أنْ يُكَذِّبَ نَفْسَهُ في القَذْفِ الّذي حُدَّ فيهِ ، وَيُصْلِحَ مِنْ حالِ نَفْسِهِ ، وَيَنْدَمَ على قَذْفِهِ ، وَيتْرُكَ العَوْدَةَ إلى مِثْلِهِ ، وَفي هذا التَّشْريعِ حِمايَةٌ لأَعْراضِ النَّاسِ ، وَحِفْظٌ لَها مِنْ أَلْسِنَةِ الفاسِقينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ حَدِّ الزّانيةِ والزّاني البِكْرَيْنِ الحُرَّيْنِ وَهُوَ مِائةُ جَلْدَةٍ .

٢ـ يَنْبَغي مُعامَلَةُ العُصاةِ بما يَرْدَعُهُمْ ، وَيَزْجُرُهُمْ دونَ رَأفَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِهِمْ .

٣ـ حُضورُ طائفةٍ مِنَ المُؤْمِنينَ إقامَةَ الحَدِّ فيهِ عَذابٌ آخَرُ لَهُمْ بافْتِضاحِ أَمْرِهِمْ .

٤ـ حُرْمَةُ التَّزَوُّجِ بِالزَّانِيَةِ أَوِ الزَّاني ، وَمَيْلُ الزُّناةِ إلى الزَّواجِ مِنْ بَعْضِهِمْ ، أو مِمّنْ شاكَلَهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ والمُشْرِكاتِ ، لِتشابُهِهِمْ في الفِسْقِ والخُبْثِ والسُّوءِ .

٥ـ تَبيينُ عَظَمَةِ جريمةِ القَذْفِ وَأَثَرِها السَّيِّءِ في المَقْذوفِ .

٦ـ حَدُّ مَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ القَذْفُ أَنْ يُجْلَدَ ثَمانينَ جَلْدَةً .

٧ـ التَّوْبَةُ مِنَ القَذْفِ لا تَرْفَعُ الجَلْدَ ، وَتَرْفَعُ رَدَّ الشَّهادَةِ والوَصْفِ بالفِسْقِ عَنِ القاذِفِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى السُّورَةِ ؟ وَما مَعنى (فَرَضْناها) ؟

٢ـ ما حَدُّ الزُّناةِ المذكورُ في الآيةِ ؟

٣ـ لِماذا نَهى اللهُ المُؤْمِنينَ عَنِ الرَّأفَةِ عِنْدَ إقامَةِ الحَدِّ ؟

٤ـ ما فائِدةُ حُضورِ المُؤْمِنينَ إقامَةَ الحَدِّ عَلى الزُّناةِ ؟

٥ـ ما مَعنى الآيةِ الثَّالِثَةِ ؟ وَما حُكْمُ الزَّواجِ مِنَ الزَّانِيَةِ ، إذا تابَتْ مِنْهُ وَإذا لَمْ تَتُبْ ؟

٦ـ ما عُقوبةُ القاذِفِ لِلمُؤْمناتِ المُحْصَناتِ ؟

٧ـ هَلْ يَسْتَوي في القَذْفِ الرِّجالُ والنِّساءُ ، أمْ تَخْتَصُّ بِهِ النِّساءُ ؟

٨ـ ما الَّذي يُرْفَعُ مِنْ عُقوباتِ القاذِفِ حينَ يَتوبُ ؟ وَما الذي يَبْقى مِنْها ؟

٩ـ ما الأثرُ السَّلْبِيُّ في المُجْتَمَعِ لانتشارِ آفَةِ القَذْفِ بَيْنَ النَّاسِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عُقوبَةَ الزَّانِي والزَّانِيَةِ المُحْصَنَيْنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الحِكْمَةَ مِنْ تَحْديدِ عَدَدِ الشُّهودِ بِأَرْبَعَةٍ .

* * *

الدرسُ الثامنُ والعشرونَ

سورةُ النُّورِ - القِسْمُ الثّاني

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَدْرَأُ : يَدْفَعُ .

لَوْلا : حَرفُ امتناعِ الجوابِ لِوجودِ الشَّرْطِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنِ ابنِ عبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - أنَّ هلالَ بنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امرأتَهُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ بِشُرَيْكِ بنِ سَحْماءَ ، أيِ اتَّهَمَها بالزِّنى مَعَهُ ، فقالَ لهُ الرَّسولُ ﷺ : « البينةُ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ » فقالَ : يا رَسولَ اللهِ إذا رَأى أَحَدُنا على امرأتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ ؟ فَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ : « البينةُ وَإلاّ حَدٌّ في ظَهرِكَ » فقالَ هلالٌ : والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنّي لَصادقٌ وَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ ما يُبَرِّىءُ ظَهْري مِنَ الحَدِّ ، فنزلَ جِبْريلُ بهذِهِ الآياتِ ، فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إليْهِما ، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ ، والنَّبيُّ ﷺ يَقول : إنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنَّ أَحَدَكُما كاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ ؟ ثُمَّ قامتْ زَوْجَتُهُ فَشَهِدَتْ ، فَلَما كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وَقَفوها ، وَقالوا : إنَّها مُوجِبَةٌ ، أيْ لِغَضَبِ اللهِ وَعِقابِهِ ، فَتَلَكَّأَتْ ، وَنَكَصَتْ حتى ظَنَنّا

أنَّها تَرْجِعُ ، ثُمَّ قالتْ : لا أفْضَحُ قَوْمي سائِرَ اليَوْم ، فَمَضَتْ ، وَشَهِدَتْ في الخامِسَةِ أنَّ غضبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقينَ . فَفرَّقَ الرَّسولُ ﷺ بَيْنَهُما[1] .

التَّفسيرُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

تُبيِّن هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ أنَّ الأَزْواجَ الَّذينَ يَتَّهِمونَ زَوجاتِهِمْ بِالزِّنى ، وَلا يُوجَدُ مَنْ يَشْهَدُ لَهُمْ بِصِحَّةِ هذهِ التُّهْمَةِ إلاّ أنفسُهُم ، فَعَلى الواحِدِ مِنْهُمْ أنْ يَشْهَدَ أرْبَعَ شَهاداتٍ ، لِتَقومَ كُلُّ شَهادةٍ مَقامَ الشَّاهِدِ ، يُقْسِمُ في كُلِّ شَهادَةٍ مِنْها أنَّه مِنَ الصَّادِقينَ فيما رَماها بِهِ ، وَيَكونُ ذلكَ أمامَ وَلِيِّ الأمْرِ أو القاضي .

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

وَيَشْهَدُ شَهادةً خامِسَةً بَعْدَ الأرْبَعِ المُتَقَدِّمَةِ بأنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذِبينَ في اتِّهامِهِ لِزَوْجَتِهِ بالزِّنى .

وَإفْرادُ هذهِ الشَّهادَةِ الخامِسَةِ بالذِّكْرِ لِما تَحْويهِ مِنْ زِيادةٍ في التَّأْكيدِ والتَّوْثيقِ .

ثُمَّ بيَّنَتِ الآياتُ ما يَجِبُ على المَرْأَةِ لِكَيْ تُبَرِّىءَ نَفْسَها مِمّا رَماها بِهِ زَوْجُها ، قال تعالى :

﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يَدْفَعُ الحَدَّ عَنِ المَرْأَةِ أنْ تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهاداتٍ مُتَتالِيَةً تُقْسِمُ فيها باللهِ إنَّ زَوْجَها لَمِنَ الكاذِبينَ فيما رَماها بِهِ مِنَ الزِّنى .

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

وَتَشْهَدُ بَعْدَ ذلكَ شَهادةً خامِسَةً مُؤَدَّاها أنَّ غَضَبَ اللهِ تعالى عَلَيْها إنْ كانَ زَوجُها صادِقاً فيما رَماها بِهِ ، وبِهَذا تَتَميَّزُ هذهِ الشَّهادَةُ الخامِسَةُ عَنْ سابقاتِها الأرْبعِ بالتَّغْليظِ والتَّخْويفِ مِنْ غَضَبِ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ زوجُها صادِقاً فيما اتَّهمها بِهِ .

وَفي هذهِ الآيةِ ذُكِرَ الغَضَبُ في حَقِّ المَرأةِ ، بَيْنَما في الشَّهادَةِ الخامِسَةِ مِنَ الزَّوجِ ذُكِرَ اللَّعْنُ ، لأن اسْتِعْمالَ اللَّعْنِ وَتَداوُلَهُ بَيْنَ النِّساءِ أَكْثَرُ ، وَلِذا فَإنَّ وَقْعَهُ في نُفوسِهِنَّ أَقَلُّ مِنْ وَقْعِ ذِكْرِ الغَضَبِ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التَّفْسيرِ ، بابُ تفسيرِ سورةَ النُّورِ ، رقم الحديث : ٤٤٧٠ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

وَلولا أنَّ اللهَ تعالى تَفضَّلَ عَلَيْكُمْ أيُّها المُؤْمِنونَ وَرَحِمَكُمْ بِما شَرَّعَ لَكُمْ في حُكْمِ الَّذينَ يَرْمونَ أَزْواجَهُمْ بِالزِّنى ، لَحَصَلَ لَكُمْ مِنَ الحَرَجِ شَيْءٌ عَظيمٌ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ التّائِبِ إذا صَدَقَ فِيها ، حَكيمٌ في كُلِّ ما شَرَّعَهُ لِعِبادِهِ .

وَمِنَ الأحْكامِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ هذهِ الآياتِ : أَنَّ مَنْ قَذَفَ زَوْجَتَهُ بالزِّنى ، وَلَمْ يَأْتِ بأَرْبَعَةِ شُهَداءَ عَلى صِحَّةِ ما قالَهُ ، يُطْلَبُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُما المُلاعَنَةُ ، فَمَن رَفَضَ أُقيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ .

وَمِنْها أنَّ الزَّوْجَ يَبْدأُ في اللِّعانِ فَيقولُ أَمامَ القاضِي : أَشْهَدُ باللهِ إنِّي لَمِنَ الصّادِقينَ ، وَفي المَرَّةِ الخامسةِ يقولُ : لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذبينَ ؛ أيْ فيما رَمَى بِهِ زَوْجَتَهُ ، وَتَتْبَعُهُ المَرْأَةُ فتقولُ أَرْبَعَ مَرّاتٍ : أَشْهَدُ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الكاذِبينَ ، وتَقولُ في الخامِسَةِ : إنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقينَ فيما رَماها بِهِ . فإذا قالا ذَلِكَ سَقَطَ عَنْهُما الحَدُّ ، وَفَرَّقَ القاضِي بَيْنَهُما فِراقاً أَبَدِيّاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَقريرُ مَشروعِيَّةِ اللِّعانِ وَكَيْفِيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ السَّبيلُ الأَمْثَلُ لِمَنْ رَمى زَوجَتَهُ بِالزِّنا .

٢ـ إيجادُ البديلِ عَنِ الشُّهودِ الأَرْبَعَةِ بالشَّهادات الأرْبَعِ ، إذْ مِنَ الصُّعوبَةِ النَّفْسِيَّةِ والواقِعِيَّةِ على الزَّوْجِ أنْ يَأْتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ يَشْهدونَ على زِنى زَوْجَتِهِ .

٣ـ إفْرادُ الشَّهادَةِ الخامِسَةِ بِالذِّكْرِ لِأَهمِيَّتِها وَحَسْمِها الأَمْرَ ، وَلِذا فإنَّ القاضيَ يُشَدِّدُ على الزَّوْجِ أَوِ الزَّوْجَةِ قَبْلَها ، وَيُذَكِّرُهُما بِأَنَّها مُوجِبَةٌ لِلَّعْنَةِ على الزَّوْجِ إنْ كانَ كاذباً ، وَموجِبَةٌ لِغَضَبِ اللهِ على الزَّوْجَةِ إنْ كانتْ كاذِبةً .

٤ـ يُؤَدِّي اللِّعان إلى التَّفريقِ الأبَديِّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، إذْ لا يُتَوَقَّعُ رُجوعُ أَحَدِهِما إلى الآخَرِ بَعْدَ هذا المَوْقِفِ الدَّقيقِ ، وَلا يُنْسَبُ وَلَدُ المُلاعَنَةِ إلى الزَّوجِ .

٥ـ لا تُجيزُ الشَّريعةُ لِمَنْ وَجَدَ زَوجَتَهُ تزني قَتْلَها ، بَلْ يُرْفَعُ الأَمْرُ إلى القَضاء ، فإنِ اعتَرَفَتْ قُتِلَتْ ، وَإلاّ لوعِنَ بينَهما .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ هذهِ الآياتِ .

٢ـ بيِّن كيفيَّةَ المُلاعَنَةِ بَيْنَ الزَّوجَيْنِ .

٣ـ ما سَبَبُ إفرادِ المَرَّةِ الخامِسَةِ بالذِّكْرِ ؟

٤ـ بيِّنْ كَيْفَ كانَ تَشْريعُ اللِّعانِ حَلاً عَمَلِياً مثالِياً لِمُشْكِلَةِ الخِيانَةِ الزَّوْجيَّةِ .

٥ـ بيِّنِ الحُكْمَ فيما يلي :

أـ تَلاعَنَ زوجانِ أمامَ القاضِي .

ب ـ لاعَنَ رَجُلٌ زَوْجَتَهُ ، ورَفَضَتْ هِيَ مُلاعَنَتَهُ .

ج ـ اتَّهَمَ رَجُلٌ زَوْجَتَهُ بِالزِّنى ، ورَفَضَ أنْ يُلاعِنَها .

دـ بَدَأَتِ المَرْأَةُ بِالمُلاعَنَةِ قَبْلِ الرَّجُلِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَعْنى اللَّعْنِ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

سُورةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الإفكِ : الكَذِبِ القَبيحِ الفاحِشِ .

عُصْبَةٌ : جَماعةٌ .

كِبْرَهُ : مُعْظَمَهُ .

أفَضْتُمْ : تَحَدَّثْتُم طَويلاً .

تَلقَّوْنَهُ : تتلقَّوْنَهُ .

هَيِّناً : سَهْلاً .

بُهتانٌ : كَذِبٌ يُدْهِشُ مَنْ يَسْمَعُهُ .

سَبَبُ النُّزولِ :

نَزَلَتْ هذهِ الآياتُ بِسَبَبِ حادِثَةٍ حَصَلَتْ عِنْدَ عَوْدَةِ المُسْلِمينَ مِنْ غَزْوَةِ بني المُصْطَلِقِ في السَّنَةِ الخامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ . وَمُلَخَّصُ الحادِثَةِ أنَّ الجَيْشَ في طَريقِ العَوْدَةِ مِنَ الغَزْوَةِ لَمّا قارَبوا المَدينةَ المُنَوَّرَةَ أدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فَنَزَلوا لِلرّاحَةِ ، وابْتَعَدَتْ عائِشَةُ ـ رضِيَ اللهُ عنها ـ عَنِ الجَيْشِ لِقضاءِ حاجَتِها ، وَلَمّا عادَتِ التَمَسَتْ عِقْداً لَها فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَرَجَعَتْ إلى المَكانِ الَّذي كانتْ فيهِ تَبْحَثُ عَنْ عِقْدِها ، وفي هذهِ الأَثْناءِ ارْتَحَلَ الجَيْشِ ، وَحَمَلوا هَوْدَجَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، وَأَثْبَتوهُ على البَعيرِ ، وَهُمْ يظنُّونَ أنَّها فيهِ ، فقدْ كانتْ خَفيفةَ الوَزْنِ ، حَديثَةَ السِّنِّ ، فَلَمْ يَشُكُّوا في أنَّها لَيْسَتْ في الهَوْدَجِ ، وَسارَ الجَيْشُ ، وَعادَتْ عائشةُ بَعْدَ رَحيلِهِمْ ، فَجَلَسَتْ في مكانِها تَنْتَظِرُ عَوْدَتَهُمْ إليْها حينَ يَفْقِدونَها ، وَنامَتْ في مَجْلِسِها ، وَكانَ صَفوانُ بنُ المُعَطّلِ مُكَلَّفاً بالتَّأَخُّرِ عَنِ الجَيْشِ لِتَفَقُّدِ ما يُمْكِنُ أنْ يَجِدَهُ مِنْ مَتاعٍ أَوْ مُتَأَخِّرينَ ، فَرأَى عائِشَةَ فأقْبَلَ عَلَيْها وَهُوَ يقولُ : إنَّا للهِ وإنّا إلَيْهِ راجعونَ ، وَلَمْ يَقُلْ سِوى هذهِ الكَلِمَةِ ، وَأَدْنى إليْها بَعيرَهُ ، فَرَكِبَتْ ، وَسارَ أَمامَ البَعيرِ ، حتّى أَدْرَكا الجَيْشَ ، فَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلولٍ حينَ رآهما مُقْبِلَيْنِ : ما نَجَتْ مِنْهُ وَلا نَجا مِنْها ، فاتَّهَمَهُما بِالزِّنى ، وَأَشاعَ ذَلِكَ المُنافقونَ ، وَكادَتْ تَحْصُلُ فِتْنَةٌ بِسَبَبِ هذهِ المَقولةِ ، واسْتَمَرَّتِ الحالُ على ذلكَ مُدَّةً حتَّى نَزَلَتِ الآياتُ الكريمَةُ تُبَرِّىءُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها مِنْ هذا الإفْكِ[1] .

التَّفسيرُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ الَّذينَ قالوا ما قالوا مِنْ كَذِبٍ قَبيحٍ ، وافْتِراءٍ شَنيعٍ ، على السَّيِّدَةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، جَماعَةٌ يَنْتَسِبونَ إليْكُمْ ، أيُّها المُسْلِمونَ ، بَعْضُهُم قَدْ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ ، وَبَعْضُهُمْ يُظْهِرونَ الإسْلامَ ، وَيُبْطِنونَ الكُفْرَ . لا تَظُنُّوا ، أيُّها المُؤْمِنونَ ، هذا الحَديثَ شَرّاً لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ؛ لأَنَّهُ كان سبباً في مَعْرِفَةِ الحُكمِ الشَّرْعِيِّ في مِثْلِ هذهِ الواقعةِ ولأَنَّهُ فَضَحَ المنافقينَ ، وَأَظْهَرَ ما يُضْمِرونَهُ مِنْ سوءٍ ، وَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ عِقابُهُ بِقَدْرِ ما اشْتَرَكَ في الإفْكِ ، وَأَعْظَمُ الإثْمِ وَأَشَدُّهُ عَلى

---

(١) الحادثةُ مذكورةٌ بِطولِها في كُتُبِ التَّفسيرِ والسِّيرَةِ ، وفي صحيحِ البُخاريِّ ، كتاب المغازي ، رقم الحديثِ ٣٨٢٦ ، وفي صحيحِ مُسْلمٍ ، كتاب التَّوْبَةِ ، باب حديثِ الإفْكِ ، رقم الحديثِ ٦٩٥١ .

مَنْ تَحَمَّلَ مُعْظَمَ هذا الكَذِبِ ، وَتَوَلَّى إشاعَتَهُ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَسَعى لِنَشْرِهِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ بن سَلولٍ زَعيمُ المُنافِقينَ ، وَفيهِ تَشْريفٌ عَظيمٌ بِنُزولِ الوَحْيِ بِبَراءَةِ أُمِّ المُؤْمِنينَ .

﴿ لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

هذا تَوبيخٌ لِلَّذينَ خاضوا في حَديثِ الإفْكِ ، بِأَنَّهُ كانَ يَنْبَغي عَلَيْهِمْ أنْ يَظُنُّوا بعائِشَةَ وَصَفوانَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، خَيْراً وَحُسْناً ، وَهُما مِنْ أَصْدَقِ المُؤْمِنينَ إيماناً ، فلا يُصَدِّقوا ما سَمِعوهُ وَلا يُرَدِّدوهُ دونَ بَيِّنَةٍ ، وَأَنْ يَتَثَبَّتوا مِنَ الخَبَرِ ، وَيَدْفعوا الشَّرَّ عَنْ إخوانِهِمُ المُؤْمِنينَ ، كَما يَدْفَعونَهُ عَنْ أنْفُسِهِمْ ، وَيقولوا : هذا بُهْتانٌ ظاهِرٌ ، وَكَذِبٌ قَبيحٌ .

وَفي التَّعبيرِ عَنْ إخوانِهِمْ وَأَخَواتِهِم في الدِّين بِأنْفُسِهِمْ ، غَرْسٌ لروحِ الإخاءِ الصَّادِقِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ؛ حتَّى لَكَأَنَّ الَّذي يَظُنُّ السُّوءَ بِغَيْرِهِ إنَّما ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ .

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

هَلاَّ جاءَ هَؤُلاءِ الكاذِبونَ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ يَشْهَدونَ على ما قالوا ، فَإِن عَجِزوا ، وَلَمْ يَأْتوا على دَعواهُمْ بِالشُّهودِ فَهُمُ الكاذِبونَ في حُكْمِ اللهِ وَشَرْعِهِ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هذهِ الآيةِ جانِباً مِنْ مَظاهِرِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالمُؤْمِنينَ ، فإِنَّهُ لَوْلا تَفَضُّلُ اللهِ عَلى المُؤْمِنينَ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ في الدُّنيا بِإعْطائِهِمْ فُرْصَةَ التَّوْبَةِ ، وَفي الآخِرَةِ بِالعَفْوِ عَنْهُمْ ، لَنزَلَ بِهِمْ ، بِسَبَبِ ما خاضوا فيهِ ، وَأَكْثَروا مِنَ الحَديثِ في الإفْكِ ، عَذابٌ عَظيمٌ ، لا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلاّ اللهُ تعالى .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

إذْ تَتَلَقَّوْنَ هذا البُهْتانَ ، وَتُذيعونَهُ ، وَتَسْأَلونَ عَنْهُ ، وَلَيْسَ لَهُ في الواقِع حَقيقةٌ وَلا وُجودٌ ، وَتَظُنُّونَ هذا الأَمْرَ هَيِّناً سَهْلاً لا مَعْصِيةَ فيهِ ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الكَبائِرِ ؛ لأنَّهُ طَعْنٌ في زَوْجَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وَإيذاءٌ لَهُ ولِزَوْجِهِ ، وَلِصاحِبِهِ أوّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَهُوَ أبو بَكْرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وهَذا تَوْبيخٌ شَديدٌ وَزَجْرٌ عَظيمٌ لِلّذينَ خاضوا في حَديثِ الإفْكِ دونَ تَدَبُّرٍ أَوْ تَعَقُّلٍ ، وَرَدَّدوهُ دونَ تَأَمُّلٍ أَوْ تَحَرُّجٍ .

ثُمَّ وَجَّهَهُمْ إلى ما كانَ يَنْبَغي عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ .

هلاَّ قُلْتُم وَقْتَ أنْ سَمِعْتُمْ حَديثَ الإفْكِ مِمَّنِ افتراهُ وَزَعَمَهُ عَلى سَبيلِ الزَّجْرِ : لا يَصِحُّ لنا أنْ نتَكَلَّمَ بهذا الحَديثِ البالغِ أَقْصى دَرَجاتِ الكَذِبِ والافْتِراءِ ، وَأنْ تُسَبِّحوا اللهَ تعالى تَعَجُّباً مِنْ هذا الكلامِ ، واسْتِبعاداً لَهُ ، وَتنزيهاً لَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنْ يُقالَ هذا الكَلامُ على زَوْجَةِ رَسولِ اللهِ الطّاهِرَةِ البَريئَةِ ، إنَّهُ كَذِبٌ وَزورٌ يَبْهَتُ مَنْ يَسْمَعُهُ وَيُدْهِشُهُ وَيُحَيِّرُهُ .

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

يُحَذِّرُكُمُ اللهُ مِنَ العَوْدَةِ إلى الخَوْضِ في حَديثِ الإفْكِ ، أَوْ فيما يُشْبِهُهُ مِنْ أَحاديث باطِلَةٍ ، وَعَلَيْكُمْ أنْ تَمْتَثِلوا أَمْرَ رَبِّكُم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ إيماناً كامِلاً ، فَإنَّ الإيمانَ يَمْنَعُ مِنَ المُنْكَرِ والباطِلِ ، وَفي التَّذْكيرِ بالإيمانِ حَثٌّ على الالْتِزامِ والاتِّعاظِ .

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وَيُوَضِّحُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ الدّالَّةَ على الشَّرائِعِ وَمحاسِنِ الآدابِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ عالِمٌ بِما يُصْلِحُ العِبادَ ، حَكيمٌ في تَدْبيرِهِ وَتَشْريعِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأمَّةُ الإسْلاميَّةُ أُمَّةُ القانونِ والتَّشريع يَحْكُمُها ما أُنْزِلَ إليها مِنْ رَبِّها ، لا الأَهْواءُ والعواطِفُ ، فالرَّسولُ ﷺ لَمْ يَبْطِشْ بِمَنْ اتَّهمَهُ في زَوجِهِ ، وَصَبَرَ حتَّى حَكَمَ اللهُ فيهِ وَفيهم .

٢ـ بيانُ القُرْآنِ الحُكْمَ الشَّرْعِيَّ في مِثْلِ هَذِهِ الواقِعَةِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغي لِلمُسْلِمين أَنْ يَتَصرَّفوا تِجاهَها .

٣ـ آذى المُنافِقونَ الرَّسولَ ﷺ وَزوجَهُ وَصاحِبَهُ والمُسْلِمينَ ، وَلِكنَّ اللهَ أَكرَمَهُمْ بِما أَنزَلَ فيهم وَعَلَّمَهُمْ .

٤ـ وُجوبُ إقامَةِ الدَّليلِ عَلى الدَّعوى ، والتَّروِّي قَبْلَ نَقْلِ الأَخْبارِ .

٥ـ خَطَرُ الإشاعَةِ وَتَأْثيرُها العَظيمُ في المُجْتَمَعاتِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ هذهِ الآياتِ .

٢ـ مَنِ الَّذي تَولَّى كِبْرَ هذا الأَمْرِ ؟ وَما عِقابُهُ عِنْدَ اللهِ ؟

٣ـ ما المَوْقفُ المَطلوبُ مِنَ المُؤْمنينَ في مُواجَهَةِ مِثْلِ هذهِ الحادِثَةِ ؟

٤ـ ما حُكْم نَقْل الأَخْبارِ وَإذاعَتِها دونَ عِلْمٍ بِحَقيقَتِها ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى الآياتِ والكَلِماتِ الكَريمةِ التَّاليةِ :

أـ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .

ب ـ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ .

ج ـ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فيما أَفَضْتُمْ فيهِ عَذابٌ عَظيمٌ .

د ـ وَتَحْسَبونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ .

هـ ـ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعودوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ .

٦ـ ضَعْ دائرةً حَوْلَ رَمْزِ الإجابةِ الصَّحيحةِ لِكُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ زَوجةُ رَسولِ اللهِ ﷺ التي اتُّهِمَتْ في حادِثَةِ الإِفْكِ هِي :

١ـ زَيْنَب .　　٢ـ حَفْصَةُ .

٣ـ عائِشَةُ .　　٤ـ رَمْلَةُ .

ب ـ الغَزْوَةُ التي حَدَثَتْ بَعْدَها حادِثةُ الإِفكِ هِي :

١ـ بَدْرٌ .　　٢ـ حُنَينٌ .

٣ـ تَبوك .　　٤ـ بَنو المُصْطَلِقِ .

ج ـ الصَّحابيُّ الذي اتُّهِمَ بِالفاحِشَةِ في حادِثَةِ الإِفْكِ هُو :

١ـ المُغيرةُ بنُ شُعْبَةَ .　　٢ـ صَفْوانُ بنُ المُعَطِّلِ .

٣ـ زَيدُ بنُ ثابتٍ .　　٤ـ زَيدُ بنُ حارِثَةَ .

٧ـ ما حُكْمُ مَنْ يَتَّهِمُ عائِشَةَ اليَوْمَ بِما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ عِنْدَما كان يَنْزِلُ القُرآنُ ؟ وَلِماذا ؟

تَعَلَّمْ :

لَمَّا ذاعَ حَديثُ الإفْكِ ، قالَ أبو أيّوبَ الأنْصاريُّ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ أيّوبَ : أَلا تَرَيْنَ ما يُقالُ ؟ فقالَتْ لَهُ : لَوْ كُنْتَ بَدَلَ صَفْوانَ أكُنْتَ تَظُنُّ بِحُرْمَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ سُوءاً ؟ قالَ : لا . فَقالَتْ : وَلَوْ كُنْتُ أَنا بَدَلَ ـ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ ما خُنْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ . فعائِشَةُ خَيْرٌ مِنّي ، وَصَفوانُ خَيْرٌ مِنْكَ .

وَفي هذا الخَبَرِ تَدَرُّجٌ لَطيفٌ في التَّوَصُّلِ إلى نَفْيِ التُّهْمَةِ ، فَقَدْ أَنْزَلا أنْفُسَهُما مَنْزِلَةَ المُتَّهَمَيْنِ أَوَّلاً ، وَأَثْبَتا لِنَفْسَيْهِما البَراءَةَ والأَمانَةَ ثانياً ، ثُمَّ أَثْبَتاهُما لِصَفوانَ وَعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما بِالطريقِ الأَوْلى[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عُقوبَةَ مَنْ يَتَّهِمُ أَحَدَ المُسْلِمينَ بِالزِّنى ، وَلَمْ يُحْضِرْ أَرْبَعَةَ شُهودٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الغِيبَةِ والبُهْتانِ ، وَأَيِّدْ قَوْلَكَ بِحَديثٍ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ عَدَدَ وُرودِ مَرّاتِ (لَوْلا) في الآياتِ ، وَبَيِّنْ مَعناها في كُلِّ مَوْضِعٍ مُسْتَعيناً بِكُتُبِ التَّفْسيرِ .

* * *

---

(١) الزمخشريُّ ، الكَشّافُ ، مَعَ حاشِيَتِهِ : الانتصافُ ٣/٢١٨ .

الدَّرسُ الثَّلاثون

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خُطُواتِ الشَّيْطانِ : وَساوِسَهُ وَطُرُقَهُ .

زَكا : طَهُرَ مِنَ الذُّنوبِ .

يأتَلِ : يَحْلِفُ .

السَّعَةِ : الغِنى .

الغافِلاتِ : اللاَّتي لا تَخْطُرُ الفاحِشَةُ بِبالِهِنَّ .

دينَهُمُ الحَقَّ : جَزاءَهُمُ المُؤَكَّدَ .



التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ حادِثَةِ الإفْكِ ، وَتَبيينُ خُطورَةِ إشاعَةِ الفاحِشَةِ ، والدَّعْوةُ إلى الإحْسانِ حَتَّى مَعَ المُسيءِ ، وَبَيانُ جَزاءِ القَذْفِ في الآخِرَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

إنَّ الَّذينَ يُريدونَ وَيَقْصِدونَ أنْ تَنْتَشِرَ مَقالَةُ السُّوءِ بَيْنَ صُفوفِ المُؤْمِنينَ ، وفي شَأْنِهِم كَترويجِ الفاحِشَةِ ، واتِّهامِ المُؤْمِنينَ بالزِّنى ، هؤلاءِ الَّذينَ يُحِبُّونَ ذلِكَ لَهُمْ بِسَبَبِ نَواياهُمُ السَّيِّئَةِ وَأَقْوالِهِمُ الضَّالَةِ عَذابٌ أَليمٌ في الدُّنْيا بإقامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِم ، وَعَذابٌ أَليمٌ في الآخِرَةِ ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ عَذابِ الدُّنْيا ، واللهُ تعالى وَحْدَهُ ، يَعْلَمُ جَميعَ الأَحْوالِ ، وَبَواطِنَ الأُمورِ ، وَسَرائِرَ الصُّدورِ ، وَأَنْتُم أيُّها النَّاسُ لا تَعْلَمونَ ما يَعْلَمُهُ اللهُ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

تَذكيرٌ آخرُ لِلمُؤْمنينَ بِمَنِّ اللهِ ـ تعالى ـ عَلَيْهِم وَفَضْلِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْلا أَنَّ فَضْلَ اللهِ وَرَحمَتَهُ مَوجودانِ وَمُحيطانِ بِكُمْ لَعاجَلَكُمْ بالعُقوبَةِ وَلَوَقَعْتُمْ في المَهالِكِ ، وَلكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَظيمُ الرَّأْفةِ والرَّحْمَةِ بِعِبادِهِ .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ خِطابٌ وَتَحْذيرٌ لِلْمُؤْمِنينَ ، وَنَهْيٌ لَهُمْ عَن اتِّباعِ طُرُقِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ وَمَسالِكِهِ ، الَّتي مِنْها الإصْغاءُ إلى أَهْلِ النِّفاقِ ، والخَوْضُ مَعَهُمْ ، وَما يُشْبِهُ ذَلِكَ مِنَ الأَقْوالِ الباطِلَةِ ، والأفْعالِ القَبيحَةِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ وَساوِسَ الشَّيْطانِ يَقَعْ في الضَّلالِ والعِصيانِ ، فإنَّ وَظيفَةَ الشَّيْطانِ الأَمْرُ بالمُنْكَرِ والسَّيِّءِ منَ القَوْلِ والفِعْلِ ، وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ، أيُّها المُؤْمِنونَ وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ ، ما طَهُرَ أحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رِجْسِ الذنوبِ والمَعاصي وَدَنَسِها ، وَلكِنَّ اللهَ تعالى يُطَهِّرُ مَنْ يَشاءُ تَطْهيرَهُ مِنَ الأَرْجاسِ والمُنْكَراتِ ، فَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ ، وَيُوَفِّقُهُمْ للعَمَلِ الصَّالِحِ ، واللهُ سَميعٌ لِدُعاءِ عِبادِهِ وَأَقْوالِهِمْ ، عَليمٌ بِما يُسِرُّونَهُ وَيُعْلِنونَهُ .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

هذا حَضٌّ لأَصْحابِ النُّفوسِ التَّقِيَّةِ المُحْسِنَةِ على المُواظَبَةِ على ماتَعَوَّدوهُ مِنْ سَخاءٍ وَسَماحَةٍ ، فلا يَنْبَغي أنْ يَحْلِفَ أَصْحابُ الزِّيادَةِ مِنْكُمْ في قُوَّةِ الدِّينِ وَسَعَةِ المالِ على أنْ لا يُعْطوا أقرباءَهُمْ والمَساكينَ والمُهاجرينَ شَيْئاً مِنْ أَمْوالِهِمْ ، وَلْيقابِلُوا الإساءَةَ بالإحْسانِ والسَّماحِ ، وَلْيتجاوزوا عَنْ خَطأ المُخْطِىء ، أَلَا تُحِبّونَ ، أيُّها المُؤْمنونَ ، أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، بِسَبَبِ عَفْوِكُمْ وَصَفْحِكُمْ عَمَّنْ أساءَ إلَيْكُمْ ، واللهُ تعالى كَثيرُ المَغْفِرَةِ واسِعُ الرَّحْمَةِ بِعِبادِهِ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ في أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عِنْدَما أَقْسَمَ أَلاّ يُعْطِيَ ابنَ خالَتِهِ مِسْطَحَ بنَ أثاثَةَ شَيْئاً مِنَ النَّفَقةِ أَوِ الصَّدَقَةِ ؛ لأَنَّهُ كانَ مِنَ الَّذين خاضوا في حَديثِ الإفْكِ ، وَطَعَنوا في السَّيِّدةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ قالَ أبو بَكْرٍ : بَلى واللهِ يا رَبَّنا إنَّا لَنُحِبُّ أنْ تَغْفِرَ لَنا ، فَأَعادَ لِمِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمينِهِ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

هذهِ الآيَةُ فيها بَيانٌ لِسوءِ عاقبةِ المُفْسِدينَ الَّذينَ يُخَطِّطونَ لإشاعةِ الفاحِشَةِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَمِنَ الفاحِشَةِ اتِّهامُ النَّاسِ بالزِّنى ، فالَّذينَ يَرْمونَ ، وَيَتَّهِمونَ النِّساءَ المُحْصَناتِ عَنْ كُلِّ سوءٍ وَريبَةٍ ، الَّلاتي لا تَخْطُرُ الفاحِشَةُ بأذهانِهِنَّ ؛ لأنَّهُنَّ مُتَحَلِّياتٍ بالأَخْلاقِ الكَريمةِ ، وَمؤْمِناتٍ إيماناً صادِقاً باللهِ تعالى ، هَؤلاءِ المُشَكِّكونَ المُتَّهِمونَ مَطْرودونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ في الدُّنْيا وَفي الآخِرَةِ ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ فِعْلِهِمْ هذا لَعْنَةُ اللهِ ، وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ هائِلٌ لا يَكادُ يُوصَفُ أَوْ يُتَصَوَّرُ في الآخِرَةِ .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وفي ذَلِكَ اليَوْمِ الرَّهيبِ يَوْمِ القِيامَةِ تَشْهَدُ عَلى الَّذين يَرْمون المُحصَناتِ أَعْضاؤُهُمْ ، فَتَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيديهِم وَأَرْجُلُهُمْ بما اقْتَرَفَتْ مِنْ أَعْمالٍ وارْتَكَبَتْ مِنْ قبائِحَ وَنَطَقَتْ مِنْ مُنْكَراتٍ ، ويَكونُ نُطْقُ الجَوارِحِ بِقُدْرَةِ اللهِ تعالى إدانةً لَهُمْ ، وَفَضْحاً لِحالِهِمْ واعْتِرافاً بما ارتَكَبوهُ مِنَ السَّيِّئاتِ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ .

في ذلكَ اليوم يُجازي اللهُ تعالى هَؤلاءِ الفاسِقينَ جَزاءَهُمُ العادِلَ الَّذي يَسْتَحِقُّونَهُ على افترائِهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَرَمْيِهِمُ المُحصناتِ ، وَفي ذلكَ اليوم يَعْلمونَ أَنَّ ما وُعِدوا بِهِ مِنْ عَذابٍ حَقٌّ ثابتٌ لا مِرْيَةَ فيهِ ، وَأَنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ على ما تُخْفيهِ نُفوسُهُمْ ، وتَقولُهُ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَقادِرٌ على مُجازاتِهِمْ على أفعالِهِمُ القَبيحَةِ .

﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِسُنَّةٍ إلهيَّةٍ مَرْئيَّةٍ في الكَوْنِ ، وَهِيَ أنَّ الخَبيثاتِ مِنَ النِّساءِ لِلْخَبيثينَ مِنَ الرِّجالِ ، والخَبيثونَ مِنَ الرِّجالِ مُخْتَصُّونَ بالخَبيثاتِ مِنَ النِّساءِ ، والطيباتُ مِنَ النِّساءِ لِلطَّيِّبينَ مِنَ الرِّجالِ ، والطَّيِّبونَ مِنَ الرِّجالِ مُخْتَصُّونَ بِالطَّيِّباتِ مِنَ النِّساءِ . أُولئِكَ الطَّيِّبونَ والطَّيِّباتُ مُبَرَّأُون مِمَّا قالَهُ أَهْلُ الإفْكِ مِنَ الخبيثاتِ والخبيثينَ في شَأْنِهِمْ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ لِذُنوبِهِمْ ، وَرِزْقٌ كَريمٌ جَزاءَ إيمانِهِمْ ، وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحُ ، وَصَبْرِهِمْ على الأذى .

وَفي هذِهِ الآيَةِ الكَريمةِ مَدْحٌ لِلسَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، وَرَفْعٌ لِقَدْرِها ، وَشَهادَةٌ لَها بِالبَراءَةِ مِمَّا رُمِيَتْ بِهِ وَبِأَنَّها مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ عَظيمُ جُرْمِ مَنْ يُشيعُ الفاحِشَةَ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَمَنْ يُحِبُّ ذلِكَ .

٢ـ حُرْمَةُ اتِّباعِ الشَّيْطانِ فيما يَأْمُر بِهِ مِنْ مُنْكَرٍ وَسوءٍ .

٣ـ التَّرغيبُ في العَفْوِ والصَّفْحِ عَمَّن أَساءَ إذا تاب .

٤ـ فَضْلُ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وابنَتِهِ الصِّدِّيقةِ عائِشَةَ ، وَعَظيمُ مَنْزِلَتِهما عِنْدَ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الَّذينَ يُحِبّونَ أنْ تَشيعَ الفاحِشَةُ في الَّذينَ آمَنوا ؟ وما عُقوبَتُهُمْ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِخُطُواتِ الشَّيْطانِ ؟

٣ـ ما أثرُ فَضْلِ اللهِ تعالى وَرَحْمَتِهِ في المُؤْمنينَ ؟

٤ـ ما حُكْمُ الحَلْفِ عَلى عَدَمِ فِعْلِ الخَيْرِ ، أوْ عَلى مَنْعِ الصَّدَقَةِ عَمَّنْ يَحْتاجُها ؟

٥ـ بِماذا تَشْهَدُ الأعْضاءُ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٦ـ ما المُرادُ بالخَبيثاتِ والخَبيثينَ ؟ وَلِماذا يَميلونَ إلى بَعْضِهِمْ ؟

٧ـ اسْتَخرِجْ مِنَ الآياتِ الكريمةِ ما يَدُلُّ عَلى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ مَنْزِلَةُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها وَفَضْلُها .

ب ـ الشَّيْطانُ يَأمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

ج ـ اسْتِحْبابُ العَفْوِ والصَّفْحِ .

د ـ العَذابُ العَظيمُ لِمَنْ يَقْذِفُ المُؤْمِناتِ المُحصَناتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ خَمْسَةَ أَفْعالٍ قَبيحةً مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَإغرائِهِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ماذا تَفْعَلُ إذا أقْسَمْتَ أنْ لا تُكَلِّمَ صَديقَكَ في المَدْرَسَة ؟

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورةِ (يس) الدَّالَّةَ عَلَى أنَّ الجَوارِحَ تَشْهَدُ على صاحِبِها يَوْمَ القِيامَةِ .

* * *

الدرس الحادي والثلاثون

سورة النور - القسم الخامس

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾

معاني المُفْرَدات :

تَسْتَأْنِسوا : تَسْتأذِنوا .

أزْكى : أَطْيَبُ وَأفْضَلُ .

جُناحٌ : إثمٌ .

مَتاعٌ لَكُمْ : مَنْفَعَةٌ .

التفسيرُ :

حَرَّمَ اللهُ تعالى الزِّنى ، وَحَرَّمَ أسْبابَهُ وَدواعِيَهُ ؛ لِيكونَ المُجتَمَعُ المُسْلِمُ نَظيفاً طاهِراً ، وَفي هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لآدابِ الاسْتِئذانِ قَبْلَ الدُّخولِ إلى البُيوتِ لِحفْظِ عَوْراتِ المُسْلِمينَ ، وَعَدَمِ كَشْفِ أسْرارِ بُيوتِهِمْ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ .

تَبْدأُ الآيَةُ الكَريمةُ بِتَوجيهِ النِّداءِ إلى المُؤْمِنينَ باللهِ تعالى ، لِتَذْكيرِهِمْ بِصِفَةِ الإيمانِ الَّتي تَقْتَضي

الطَّاعَةَ والالْتِزامَ ، أَيُّها المُؤْمِنونَ : لا تَدْخُلوا بُيوتاً غيرَ بُيوتِكُمْ ، يَسْكُنُها أُناسٌ غَيْرُكُمْ ، حَتَّى تَعلَموا أَنَّ صاحِبَ البَيْتِ أَذِنَ لَكُمْ ، ورَضِيَ لَكُمْ بِالدُّخولِ إلى بَيْتِهِ ، وَتُسَلِّموا على أَهْلِ هَذهِ البُيوتِ السّاكِنينَ فيها ، فَفي الاسْتِئْذانِ والتَّسْليمِ على أَصْحابِ البُيوتِ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الدُّخولِ إليْها فُجاءَةً دون إنْذارٍ ، وَهَذا التَّشْريعُ لَكُمْ لِتَعْملوا بِموجِبِهِ ، وَتكونوا مُتَذَكِّرينَ لَهُ دائِماً ؛ فَفيهِ الخَيْرُ لَكُمْ .

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فإنْ لَمْ تَجِدوا في بيوتِ الآخَرينَ أَحداً مِمَّنْ يَمْلِكُ الإذنَ بِدُخولِها ، فَلا تَدْخُلوها حتَّى يَأْذَنَ لَكُمْ بِذلكَ صاحِبُ البَيْتِ ، فإنَّ لِلبُيوتِ حُرْمَةً ، وَهِيَ مَحَلُّ السَّكَنِ الخاصِّ ، والرَّاحَةِ والطُّمأنينَةِ .

وَإنْ طَلَبَ مِنْكُمْ صاحِبُ البَيتِ الرُّجوعَ بَعْدَ الاسْتِئْذانِ فارْجِعوا ، وَلا تُلِحُّوا في طَلَبِ الدُّخولِ ، فإنَّ الرُّجوعَ أَطْهَرُ لَكُمْ وَأَفْضَلُ ، واللهُ عَليمٌ بِأَعْمالِكُمْ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافيةٌ مِنْها ، فَأَصلِحوها والتزموا أَمْرَ اللهِ لِتفوزوا بِرِضوانِهِ .

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِحُكْمِ دُخولِ البُيوتِ والأَماكِنِ الَّتي لا تُسْتَعْمَلُ لِلسَّكَنِ الخاصِّ ، بَلْ هِيَ مُهَيَّأَةٌ لِيَنْتَفِعَ بها مَنْ يَحْتاجُ إليْها مِنْ دونِ أَنْ يَتَّخِذَها مَسْكَناً لَهُ ، مِثْلِ الفنادقِ والدَّكاكينِ وَنَحوِها مِنَ الأَماكِنِ العامَّةِ ، فَيجوزُ دُخولُها دونَ اسْتِئذانٍ لِمَنْ كانَ لَهُ فيها مَصْلَحَةٌ وانتفاعٌ ، وَهذهِ الأَماكِنُ في الغالِبِ مَفتوحَةٌ لِلعُمومِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ شُمولَ عِلْمِهِ لِما يُظْهِرُهُ خَلْقُهُ ، وَما يَكْتُمونَهُ مِنْ أَقْوالٍ وَأَعْمالٍ ، وَمِنْها ما يَتَعَلَّقُ بِالدُّخولِ إلى البُيوتِ دونَ إذنٍ ، أَوْ دُخولِها لاسْتِراقِ السَّمْعِ ، وَمَعْرِفَةِ الأَسْرارِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّوايا والأَفْعالِ السَّيِّئَةِ .

وَمِنْ آدابِ الاسْتِئْذانِ التي يَنْبَغي عَلى المُسْلِمِ مُراعاتُها :

١ـ الاسْتِئْذانُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، يَفْصِلُ بَيْنَها زَمَنٌ مُناسِبٌ ، بِقَدْرِ ما يَفْرُغُ المَرْءُ مِنْ حاجَتِهِ .

٢ـ قَرْعُ البابِ أَوِ الجَرَسِ وَنَحوِهِما يَقومُ مَقامَ الاسْتِئْذانِ ، فَلا يُزادُ فيهِ عَلى ثَلاثِ مَرّاتٍ ، وَلا يَجْعَلُ اسْتِئْذانَهُ مُزْعِجاً لِأَهْلِ البَيْتِ بِإطالَةِ زَمَنِ قَرْعِ الجَرَسِ ، أَوْ بِقُوّةِ الطَّرْقِ وَعُنْفِهِ .

٣ـ إذا سُئِلَ القادِمُ عَنِ اسْمِهِ فَلا يَقُلْ : أنا ، فإنَّها لا تُفيدُ التَّعريفَ بِهِ ، وَلْيَقُلِ اسْمَهُ ؛ حتى يَعْرِفَهُ أَهْلَ البَيْتِ .

٤ـ أنْ لا يَقِفَ أَمامَ البابِ في مُواجَهَتِهِ ، بَلْ يَقِفُ عَلى جانِبٍ مِنْهُ ، لِئلاَّ يَقَعَ بَصَرُهُ ، عِنْدَ فَتْحِ البابِ ، عَلى ما لا يُحِبُّ أَهْلُ البَيتِ الاطّلاعَ عَلَيهِ . وَفي الحَديثِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّما جُعِلَ الاسْتِئْذانُ مِنْ أجْلِ البَصَرِ »[1] .

٥ـ الاسْتِئذانُ حَتى عِنْدَ الدُّخولِ إلى بَيتِهِ ، فَقَدْ يَكونُ في البَيتِ ضُيوفٌ ، أو زُوّارٌ ، أو يَكونُ أَهْلُ البَيْتِ بِحالَةٍ لا يُحِبُّ أن يَراهُمْ عَلَيْها أَحَدٌ .

٦ـ يُسَلِّمُ الدّاخِلُ إلى المَحَلاّتِ العامَّةِ والفنادِقِ وَنَحوِها عَلى مَنْ يَجِدُهُ فيها ، فالَّذي سَقَطَ في حَقِّهِ الاسْتِئْذانُ لا السَّلامُ .

٧ـ الالْتِزامُ بِصيغَةِ « السَّلامُ عَلَيْكُمْ » فإنَّها تَحِيَّةُ الإسْلامِ ، وَهِيَ مُناسِبَةٌ لِجَميعِ الأَوْقاتِ ، وَتَدُلُّ عَلى المَحَبَّةِ والمُسالَمَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الاسْتِئْذانِ عَلى كُلِّ مَنْ أَرادَ دُخولَ بَيتٍ مَسْكونٍ سِوى بَيتِهِ .

٢ـ الالْتِزامُ بِآدابِ الاسْتِئْذانِ ؛ فَإِنَّها تَدُلُّ عَلى خُلُقٍ عالٍ ، وَأَدَبٍ رَفيعٍ .

٣ـ عَدَمُ الامْتِعاضِ أوِ التَّأَثُّرِ إذا اعْتَذَرَ أَحَدٌ عَنِ اسْتِقْبالِكَ في بَيْتِهِ ؛ فَلِلنّاسِ ظُروفٌ ، وَلِلبيُوتِ أَسْرارُها .

٤ـ سُقوطُ الاسْتِئْذانِ عِنْدَ إرادَةِ دُخولِ الأَماكِنِ العامَّةِ ؛ كالمَحلاّتِ التِّجارِيّةِ ، والمدارِسِ ، والجامِعاتِ ، والفنادِقِ ، وَنَحوِها .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيَّنَتِ الآيةُ السّابِعَةُ والعِشرونَ أنَّهُ يُطْلَبُ مِمَّنْ أَرادَ دُخولَ بَيتٍ غَيْرِ بَيتِهِ أَمْران ، ما هُما ؟

٢ـ ماذا يَفْعَلُ مَنِ اعتُذِرَ لَهُ عَنِ الدُّخولِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الاستئذانِ ، رقمِ الحديثِ : ٥٧٧٢ ، ورواهُ مُسْلِمٌ في كتابِ الآدابِ ، رقمِ الحديثِ : ٤٠١٣ .

٣ـ متى يَسْقُطُ الاسْتِئْذانُ عِنْدَ دُخولِ البُيوتِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثَةً مِنْ آدابِ الاسْتِئْذانِ ؟

٥ـ ما الصِّيغَةُ التي يَنْبَغي الالتِزامُ بِها عِنْدَ تَحِيَّةِ الآخَرينَ ؟ وَلِماذا كانتْ أفْضَلَ مِنْ غَيرِها ؟

نَشاطٌ :

ـ ناقِشْ مَعَ زُملائِكَ السُّلوكاتِ الخاطِئَةَ في الاسْتِئْذانِ ، وَوَسائِلَ حَلِّها وَعِلاجِها .

* * *

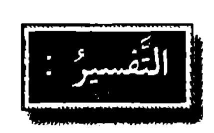
الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَغُضُّوا	: يَحفَظوا وَيَكُفُّوا .
وَيَحْفَظوا فُروجَهُمْ	: يَصونوها عَنِ المُتْعَةِ الحَرامِ ، وَعَنْ كَشْفِها لِلنَّاسِ .
وَلْيَضْرِبْنَ	: وَلَيُلْقِينَ وَيُسْدِلْنَ .
بِخُمُرِهِنَّ	: أَغْطِيَةِ رُؤوسِهِنَّ .
جُيوبِهِنَّ	: فَتْحَةِ الثَّوبِ مِنْ جِهَةِ الصَّدْرِ .
بُعُولَتِهِنَّ	: أَزواجِهِنَّ .
نِسائِهِنَّ	: المُسْلِماتِ مِنَ النِّساءِ .
ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ	: العَبيدِ .
التَّابِعينَ غَيْرِ أُولي الإِرْبَةِ	: التَّابِعينَ لأَهْلِ البَيْتِ يُطْعِمونَهُمْ وَيُسْكِنونَهُمْ مِمَّنْ لا حاجَةَ لَهُمْ إِلى النِّساءِ .
لَمْ يَظْهَروا على عَوْراتِ النِّساءِ	: لَمْ يَبْلُغوا سِنّاً تَدْعوهُم إِلى الاطِّلاعِ عَلى عَوْراتِ النِّساءِ .



التَّفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في مُحارَبةِ أسْبابِ الفاحِشَةِ والرَّذيلةِ ، وَفي هذهِ الآياتِ أَمْرٌ بِغَضِّ البَصَرِ ، وَحِفْظِ الفروجِ ، وَسَتْرِ العَوْراتِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قُلْ ، أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ، للمُؤْمِنينَ أنْ يَكُفُّوا أبْصارَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إلى ما حَرَّمَ اللهُ ، فَإِنَّ النَّظَرَ مِنْ وَسائِلِ الفِتْنَةِ الّتي تقودُ إلى المَعْصِيَةِ ، وَرُبَّما جَرَّتْ إلى الزِّنى ، وَقُلْ لَهُمْ أنْ يَحْفَظوا فُروجَهُمْ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُمْ ، فَلا يَكْشِفوها لأَحَدٍ ، وَيَحْفَظوها مِنَ الزِّنى والفاحِشَةِ ، ذلك أَزْكى لِقُلوبِهِمْ ، وَأَطْهَرُ لِنُفوسِهِمْ ، وَأَنْفَعُ لَهُمْ في دُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، فإِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ تَصَرُّفاتِهِمْ ، خَبيرٌ بِكُلِّ أَحْوالِهِمْ ، فَعَلَيْهُمْ أَنْ يَتَّقوا اللهَ في السِّرِّ والعَلَنِ .

وَقَدَّمَ سُبْحانَهُ غَضَّ البَصَرِ عَلى حِفْظِ الفُروجِ لأَنَّهُ كالسَّبَبِ لَهُ ، إذْ إنَّ عَدَمَ غَضِّ البَصَرِ كَثيراً ما يُؤَدِّي إلى الوُقوعِ في الفَواحِشِ ، وَذُكِرَتْ (مِنْ) مَعَ غَضِّ البَصَرِ ، وَلَمْ تُذْكَرْ مَعَ حِفْظِ الفَرْجِ ، لأنَّ أمْرَ النَّظَرِ أَوْسَعُ ، فَيَجوزُ النَّظَرُ إلى بَعْضِ أعْضاءِ المَحارِمِ ، وَقَدْ يقع نَظَرُ الفَجْأَةِ ، وَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ كَما في الحَديثِ عَنْ جَريرِ بنِ عَبدِ اللهِ قالَ : سَأَلتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ . فقالَ : « اصْرِفْ بَصَرَكَ »[1] ، وَقالَ ﷺ : « لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإنَّ لَكَ الأُولى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةُ »[2] ، أمَّا حِفْظُ الفروجِ فَيَجِبُ أنْ يكونَ كامِلاً وَمُسْتَمِراً دائِماً فَهُوَ أَمْرٌ مَقدورٌ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِيه مَشَقَّةٌ أَوْ حَرَجٌ .

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا

---

(١) رواهُ أبو داودَ في كتابِ النِّكاحِ ، وَرَواهُ أحمدُ في المُسْنَدِ برقم ١٨٤٠١ ، وَرَواهُ التِّرْمِذِيُّ في كتابِ الأَدَبِ .

(٢) رواهُ أبو داودَ في كتابِ النِّكاحِ ، ورواهُ التِّرمِذِيُّ في كتابِ الأدبِ .

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ .

وَقُلْ ، أيُّها الرَّسول ، لِلْمُؤْمِناتِ أنْ يَكْفُفْنَ أبْصارَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إلى ما لا يَحِلُّ لَهُنَّ ، وَأنْ يَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ عَنْ كُلِّ ما نَهى اللهُ عَنْهُ .

وَفي تَخصيصِ النِّساءِ بِالخِطابِ بَعْدَ الرِّجالِ تَأْكيدٌ لِلأَمْرِ بِغَضِّ البَصْرِ ، وَحِفْظ الفَرْجِ ؛ فالمَرْأَةُ مَأمورَةٌ بِغَضِّ بَصَرِها ، وَكَما يُمْنَعُ الرِّجالُ مِنَ النَّظَرِ إلى المَرْأة تُمْنَعُ المَرْأةُ مِنَ النَّظَرِ إلى الرَّجُلِ ، خاصةً حينَ يَقْتَرِنُ النَّظَرُ بِالشَّهْوَةِ أَوْ سوءِ القَصْدِ ، أَوْ يَكونُ نَظَراً لِلْعَوْرَةِ ، فإنَّ مَقْصِدَ المَرْأَةِ مِنَ الرَّجُلِ كَمَقْصِدِهِ مِنْها ، وَغَضُّ البَصَرِ أطْهَرُ للعِرْضِ وَأبرأُ لِلدّينِ وَأَسْلَمُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ لا يَجوزُ للمَرْأَةِ أَنْ تُظْهِرَ مِنْ زينَتِها إلاَّ ما جَرَتِ العادةُ بِظُهورِهِ وَهُوَ : الثِّيابُ الظَّاهِرَةُ والوَجْهُ والكَفَّانِ ، وَإِنْ كانَ الأَوْلى سَتْرُ الوَجْهِ أَوْلى خاصَّةً إذا خُشِيَتِ الفِتْنَةُ .

ثُمَّ أمَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ النِّساءَ بالاعْتِناءِ بِسَتْرِ العُنُقِ وَأَعْلى الصَّدْرِ ، وَذلكَ بِأنْ تُنْزِلَ المَرْأَةُ خِمارَها ، وَهُوَ غِطاءُ الرَّأسِ ، على فَتْحَةِ الثَّوْبِ الَّذي يَكونُ في أعْلى الصَّدْرِ ، فَتَسْتُرَ بِذلِكَ عُنُقَها وَصَدْرَها .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَنْ يَجوزُ لَهُمْ أَنْ يَطَّلِعوا عَلى مَوْضِعِ الزِّينَةِ الخَفِيَّةِ مِنَ المَرْأَةِ ؛ كَشَعْرِ الرَّأْسِ والذِّراعينِ والسَّاقينِ ، وَهُمْ :

١ـ الأزواجُ : بَدأَ بِهِمْ لأنَّهُمْ هُمُ المقصودونَ بِالزِّينَةِ ، وَلأَنَّ كُلَّ بَدَنِ الزَّوْجَةِ حَلالٌ لِزَوْجِها أنْ يَنْظُرَ إليهِ .

٢ـ الآباءُ : وَيَدْخُلُ مَعَهُمْ آباءُ الآباءِ وَآباءُ الأمَّهاتِ (الأجدادُ) .

٣ـ آباءُ الأزْواجِ : لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الآباءِ .

٤ـ الأَبْناءُ : وَيَدْخُلُ مَعَهُمْ أبناءُ الأَبْناءِ وَأبناءُ البَناتِ (الأَحْفادُ) .

٥ـ أبناءُ الأَزْواجِ : فَإِنَّهُمْ بِمَنزِلَةِ الأبْناءِ .

٦ـ الإِخْوَةُ : سَواءٌ أَكانوا أشِقّاءَ أَمْ إِخوةً لأبٍ أو لأمٍّ .

٧ـ أبناءُ الإِخوةِ : وَيَلْحَقُ بِهِمُ الأَعْمامُ .

٨ـ أَبْناءُ الأَخَواتِ : وَيَلْحَقُ بِهِمُ الأَخْوالُ .

وَهؤلاءِ المَذكورونَ بَعْدَ الزَّوْجِ هُمُ الأَرْحامُ ، والحُكْمُ يَشْمَلُ الأَرْحامَ مِنَ النَّسَبِ ، وَمِنَ الرَّضاعَةِ .

٩ـ النِّساءُ المُسْلِماتُ الصَّالِحاتُ ، كالصَّديقاتِ أوِ الخادِماتِ .

١٠ـ العَبيدُ والإِماءُ ، لِأنَّ أَمْثالَهُمْ خَدَمٌ لا مَطْمَعَ لَهُمْ في أَسْيادِهِمْ .

١١ـ الَّذينَ يَتَّبعونُ النَّاسَ لِيُصيبوا مِنْ فَضْلِ طَعامِهِمْ طالبينَ الإِحْسانَ والانتفاعَ ، مِمّنْ لا حاجةَ لَهُمْ في النِّساءِ إمَّا لِكِبَرِ سِنِّهِمْ ، أوْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ شَيْئاً مِنْ أُمورِ النِّساءِ لِمَرَضٍ فيهِمْ ، أو لِقِلَّةِ عَقْلِهِمْ .

١٢ـ الأَطْفالُ الصِّغارُ الَّذينَ لَمْ يَبْلغوا السِّنَّ التي يَشْتَهونَ فيها النِّساءِ .

فَهؤلاءِ الأَصْنافُ لا حَرَجَ عَليهِمْ ، وَلا عَلى المَرْأَةِ أنْ يَرَوْا مِنْها مَوْضِعَ الزِّينَةِ الخَفِيَّةِ ؛ كالرَّأسِ والذِّراعينِ والسَّاقينِ لانتِفاءِ الفِتْنَةِ الَّتي مِنْ أجْلِها كانَ الأَمْرُ بالسَّتْرِ .

وَنَهَى اللهُ تعالَى النِّساءَ أنْ يَضْرِبْنَ بِأرْجُلِهِنَّ في الأرْضِ لِيُسمِعْنَ غَيْرَهُنَّ مِنَ الرِّجالِ أَصْواتَ حُلِيِّهِنَّ الدّاخِلِيّةِ كالخُلْخالِ في القَدَمِ ، بِقَصْدِ التَّطَلُّعِ إليهِنَّ ، والمَيْلِ نَحْوَهُنَّ بِالمُحادَثَةِ أَوْ غَيرِها ، وَيَشْمَلُ النَّهْيُ كُلَّ حَرَكَةٍ مِنْ شَأْنِها إثارَةُ الشَّهْوَةِ والفِتْنَةِ ، وَلَفْتُ النَّظَرِ إليها .

ثُمَّ خَتَمَ سُبْحانَهُ الآيَةَ بِدَعوَةِ المُؤْمنينَ إلى التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ لِينالوا الفَلاحَ في دُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، وَفي مُناداتِهِمْ باسْمِ الإيمانِ تذكيرٌ لَهُمْ بِهِ ، وَبِأنَّهُ مُوجِبٌ للامْتِثالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ غَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ يَسْتوي فيه الرِّجالُ والنِّساءُ .

٢ـ وُجوبُ سَتْرِ المَرْأَةِ زينتَها عَمَّنْ لا يَحِلُّ لَهُ النظرُ إليها .

٣ـ سَتْرُ المَرْأَةِ لِجَسَدِها عَلَى النَّحوِ الَّذي شَرَعَهُ اللهُ حَضارَةٌ وَمَدَنِيَّةٌ ، والبُعْدُ عَنْهُ هَمَجِيَّةٌ وَتَأَخُّرٌ .

٤ـ بَيانُ المَحارِمِ الَّذينَ يَجوزُ لِلمَرْأَةِ المُؤْمِنَةِ أنْ تُبْدِيَ زينتَها عِنْدَهُمْ بِلا حَرَجٍ .

٥ـ عَلى المَرْأَةِ اجتِنابُ أيِّ حَرَكَةٍ أَوْ إشارَةٍ تُؤَدّي إلى لَفْتِ الرِّجالِ إلَيْها .

٦ـ وُجوبُ التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ لِلحُصولِ عَلى الفَلاحِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ مُخاطَبَةِ المُؤْمناتِ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ بَعْدَ خِطابِ المُؤْمِنينَ بِذلِكَ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَتى يَجوزُ نظرُ الرَّجُلِ إلى المَرْأَةِ ؟

٤ـ مَنِ الأصنافُ الَّذينَ يَجوزُ لِلمرأةِ إِظْهارُ زينَتِها عِنْدَهُمْ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ ذلكَ أزْكى لَهُمْ .

ب ـ وَلا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها .

ج ـ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيوبِهِنَّ .

دـ أوِ التَّابعينَ غَيْرِ أُولي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ .

هـ ـ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفينَ مِنْ زينَتِهِنَّ .

نَشاطٌ :

نَهى رَسولُ اللهِ ﷺ المَرأةَ عَنِ التَّعَطُّرِ عِنْدَ خُروجِها مِنْ بَيْتِها . بيِّنْ حِكْمَةَ ذلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدرس الثالث والثلاثون

سورة النور ـ القسم السابع

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَنكِحوا : زوِّجوا .

الأيامى : مَنْ لا زوجَ لَهُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، جَمْعَ أيِّم .

وَلْيَسْتَعْفِفِ : وَلْيَطْلُبْ عِفَّةَ نَفْسِهِ .

فَتَياتِكُمْ : إمائِكُمْ اللّاتي تَمْلِكونَهُنَّ .

البِغاءِ : الزِّنى .

تَحَصُّناً : تَعَفُّفاً وَتَحَفُّظاً .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابقَةُ بَعْضَ الأَساليبِ الوِقائِيَّةِ مِنَ الزِّنى كَغَضِّ البَصَرِ ، والاسْتِئْذانِ والحِجابِ ، تَدْعو هذهِ الآياتُ إلى ما يَحمي الإنْسانَ مِنَ الزِّنى بِتَيْسيرِ سُبُلِ الزَّواجِ وَبالاسْتِعْفافِ .

قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ تعالى المُؤْمنينَ أنْ زَوِّجوا ، أيُّها الأوْلِياءُ ، مَنْ لا زَوجَ لَهُ مِنَ الرِّجالِ المُسْلِمين والنِّساءِ المُسْلِماتِ ، وَيَسِّروا لَهُمْ أُمورَ الزَّواجِ ، وَزَوِّجوا ، أيُّها السَّادَةُ الصَّالحينَ للزَّواجِ مِنْ عَبيدِكُمْ وإمائِكُمْ المَمْلوكينَ لَكُمْ ، وَأَعينوهُمْ عَلَيهِ بِما تَمْلِكونَ مِنْ وَسائِلِ العَوْنِ والمُساعَدَةِ .

وَأكْثَرُ العُلَماءِ عَلى أنَّ الأمْرَ في الآيَةِ لِلنَّدْبِ لا لِلوُجوبِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الفقْرَ لا يَنْبَغي أنْ يَقِفَ عائِقاً أمامَ طَريقِ الزَّواجِ ، فإنْ كانَ الرَّاغِبونَ في الزَّواج فُقَراءَ فَإنَّ اللهَ قادِرٌ عَلى إغنائِهِمْ بَمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ، وَفي الحَديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « ثلاثَةٌ حَقٌّ عَلى اللهِ عَوْنُهُمْ : النَّاكِحُ يُريدُ العَفافَ ، والمُكاتِبُ يُريدُ الأداءَ ، والغازي في سَبيلِ اللهِ »[1] واللهُ واسعُ الفَضْلِ ، جَوادٌ كَريمٌ ، عَليمٌ بِمصالحِ عِبادِهِ .

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

هذا إرْشادٌ لِلعاجزينَ عَنْ أَسْبابِ الزَّواجِ كالمَهْرِ والنَّفَقَةِ لِيَتَحَصَّنوا بالعَفافِ ، وَيقاوِموا الشَّهْوَةَ ، وَيَسْتعينوا عَلى ذلِكَ بِغَضِّ البَصَرِ وَبالصَّوْمِ ، وَأَنْ يَسْتَمِرُّوا مُتَعَفِّفينَ حتَّى يَرْزُقَهُمُ اللهُ تعالى مِنْ فَضْلِهِ رِزقاً يَسْتعينونَ بِهِ عَلى الزَّواجِ . ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ أنْ يُعينوا مَماليكَهُمْ عَلى التَّحَرُّرِ مِنَ الرِّقِّ حينَ يَرْغبونَ بِذلِكَ عَنْ طَريقِ المُكاتَبَةِ . وَهُوَ : الاتِّفاقُ بينَ السَّيِّدِ وَعَبْدِهِ بِأنْ يَدْفَعَ العَبْدُ مَبْلغاً مِنَ المالِ إلى سَيِّدِهِ فَيُصْبِحَ حُرّاً ، فالسَّيِّدُ مَأْمورٌ بِمُكاتَبَةِ عَبْدِهِ إذا كانَتْ عِنْدَ العَبْدِ المَقْدِرَةُ عَلى الكَسْبِ ، والرَّغْبَةُ في التَّحَرُّرِ مِنْ قَيْدِ العُبودِيَّةِ ، وَيُسْتَحَبُّ لِلسَّيِّدِ أنْ يُعينَ عَبْدَهُ عَلى الأداءِ بِأنْ يُعْطِيَهُ شَيْئاً مِنَ المالِ ، أو يُخَفِّفَ لَهُ مِنَ المَبْلَغِ المَطْلوبِ مِنْهُ .

وَفي التَّعْبيرِ عَنِ المالِ بِأنَّهُ (مالُ اللهِ) وَبِأنَّهُ (الَّذي آتاكُم) حَثٌّ عَلى الإنْفاقِ ؛ فالمالُ للهِ يؤْتيهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، وَهُمْ مُسْتَخْلَفونَ فيهِ ، يقومونَ برِعايتِهِ وَبَذْلِهِ .

قَوْلُهُ تعالى ﴿ولا تُكرِهوا فتياتكم على البغاءِ. . . . .﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : كانَ لِعَبْدِ اللهِ بن أُبَيٍّ بن سَلولٍ جارِيَتانِ يُكْرِهُهُما عَلى الزِّنى ، فَشَكَتا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فنَزَلَتِ الآيَةُ الكَريمَةُ[2] .

---

(١) رواهُ التِّرمِذيُّ في كتابِ فضائلِ الجهادِ ، رقم الحديثِ : ١٥٧٩ ، ورواهُ النَّسائيُّ في كتابِ الجِهاد ، رقم الحديثِ : ٣٠٦٩ .

(٢) رواهُ مُسْلِمٌ في كتابِ التَّفْسيرِ ، رقم الحديثِ : ٥٣٥٥ .

والمَعنى : لا تُكرهوا ، أيُّها السَّادَةُ ، إماءَكُمْ عَلى الزِّنى ، وَهُنَّ راغِباتٌ في العَفافِ والسَّتْرِ ، لِكي تَنالوا بذلِكَ بَعْضَ المالِ ، وَمَنْ يُجْبِرْ إماءَهُ عَلى الزِّنى فَإنَّ اللهَ تعالى غَفورٌ لَهُنَّ ، رَحيمٌ بِهِنَّ ، لا يُؤاخِذُهُنَّ عَلى ما أُجبِرْنَ عَلَيْهِ ، أمَّا مَنْ أَجبَرَهُنَّ عَلى الزِّنى فَإنَّهُ سَيلْقى عَذاباً شَديداً عَلى ذلِكَ .

وَفي التَّعبيرِ عَنِ الإماءِ بـ(فتياتِكم) تَكْريمٌ لَهُنّ ، وَرَفْعٌ لِمَنْزِلَتِهِنَّ ، وَفي قَولِهِ تعالى : (إنْ أرَدْنَ تَحَصُّناً) بَيانٌ لِفَظاعَةِ الأَمْرِ وَشَناعَتِهِ ، فالأَصْلُ في السَّيِّدِ أنْ يُحْصِنَ أَمَتَهُ ، وَيُعينَها على العَفافِ والطُّهْرِ ، أمَّا أنْ يَأْمُرَها بِالزِّنى وَيُكْرِهَها عَلَيْهِ ، وَهِيَ تُريدُ العِفَّةَ ، وَتَمْتَنِعُ مِنَ الفاحِشَةِ ، فَذلِكَ مُنْتهى الخِسَّةِ والدَّناءَةِ .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذهِ الآيَةِ أنَّهُ أنْزَلَ لعبادِهِ المُؤْمِنينَ في هذهِ السُّورَةِ وَغَيْرِها آياتٍ واضِحاتٍ في نَفْسِها وَمُوَضِّحاتٍ لِغَيْرِها ، وَأنَّهُ فَصَّلَ لِعبادِهِ في هذهِ الآياتِ قِصَصاً وَأمثالاً فيها العِبْرَةُ والهِدايَةُ ، وَفيها مَوْعِظَةٌ يَنْتَفِعُ بِها المُؤْمِنونَ المُتَّقونَ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَيلتَزِمونَ بِأَمْرِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ أهَميَّةُ التَّعاوُنِ بَيْنَ المُسْلِمينَ لإعانَةِ بَعْضِهِمْ عَلى قَضاءِ المَصالِحِ ، وَمِنْها إعانَةُ الأيامى عَلى الزَّواجِ .

٢ـ وُجوبُ الاسْتِعْفافِ والصَّبْرِ عِنْدَ عَدَمِ القُدْرَةِ عَلى الزَّواجِ حَتَّى يُيَسِّرَ اللهُ الأمْرَ .

٣ـ لا يَنْبَغي أنْ يَكونَ الفَقْرُ عائِقاً مِنَ الزَّواجِ ، فاللهُ تعالى يُعينُ الفَقيرَ الباحِثَ عَنِ العَفافِ بالزَّواجِ .

٤ـ عَلى المُسْلِمِ أنْ يَسْتَشْعِرَ دائِماً أنَّ المالَ للهِ ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فيما يُرضيهِ سُبْحانَهُ .

٥ـ فظاعَةُ إكْراهِ الآخَرينَ عَلى فِعْلِ ما لا يَرْغَبونَ فيهِ ، خاصَّةً إذا كانَ الأمْرُ المُكْرَهُ عَلَيْهِ هُوَ الزِّنى .

٦ـ إذا أُكْرِهَ أَحَدٌ على فِعْلِ شَيْءٍ فَعَمِلَهُ ، وَهُوَ كارِهٌ لَهُ ، فَلا إثْمَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى المُفْرَداتِ التَّاليَةِ :

الأيامى ، إمائِكم ، يَبْتغونَ ، فَتياتِكُمْ ، تَحَصُّناً .

٢ـ بِماذا وَعَدَ اللهُ تعالى الفُقَراءَ الباحِثينَ عَنِ العَفافِ بالزَّواجِ ؟

٣ـ كَيفَ يَسْتَعْفِفُ الّذين لا يَسْتَطيعونَ الزَّواجَ ؟

٤ـ ماذا يَفعَلُ السَّيِّدُ إذا طَلَبَ مِنْهُ العَبْدُ المُكاتَبَةَ ؟

٥ـ ما فائِدةُ التَّعْبيرِ عَنِ المالِ بأنَّهُ (مِنْ مالِ اللهِ الّذي آتاكُمْ) ؟

٦ـ ما حُكْمُ إكْراهِ الأمَةِ عَلى الزِّنى ؟ وَما حُكْمُ الرِّضى بِزنى الأَمَةِ إنْ رَضِيَتْ هِيَ بِهِ ؟

٧ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى الآياتِ الّتي أنْزَلَها عَلى رَسولِهِ ﷺ في الآية الرّابِعَةِ والثّلاثينَ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سورَةِ التَّوْبَةِ التي تُبَيِّنُ قُدْرَةَ اللهِ عَلى إغْناءِ الفُقراءِ ، ثُمَّ بَيِّنِ الفَرْقَ بَيْنَها وَبَيْنَ الآيةِ (٣٢) .

* * *

الدرس الرابع والثلاثون

سورة النور ـ القسم الثامن

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

معاني المفردات :

الله نور السماوات والأرض : مُنوِّرُهما .

مشكاة : كُوَّةٍ غيرِ نافِذَةٍ ، وَهِيَ المَكانَ الذي تكونُ فيهِ الشَّمْعَةُ أَوِ المِصباحُ .

دري : مُضيءٌ متلألِئٌ .

ترفع : تُبْنى وَتُعظَّمَ .

بالغدو والآصال : أوَّلِ النهارِ وَآخرِه .

كسراب : ما يَتراءى للنَّاظِرِ أنَّهُ ماءٌ خاصَّةً في وسَطِ النَّهارِ في الصَّحراءِ .

بقيعة : ما انْبَسَطَ مِنَ الأَرْضِ .

لجي : كثيرِ الماءِ .   يغشاه : يعلوهُ .



التَّفسيرُ :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ المُبارَكةِ بَيانٌ لِعَظيمِ أمْرِ اللهِ تعالى ، فَهُوَ نُورُ السَّماواتِ والأرْضِ ، وَمِنْ أَسْمائِهِ تعالى : النُّورُ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ : « اللهُمّ لَكَ الحَمْدُ أنْتَ نورُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ »[١] - وَهُوَ سُبْحانَهُ مُنَوِّرُ السَّماواتِ والأرْضِ ، أنارَ السَّماواتِ بِالنُّجوم والكواكِبِ المُضيئَةِ ، وَأَنارَ الأَرْضَ بِالآياتِ والشَّرائِعِ والأَحْكامِ وَبَعَثَ الرُّسُلَ ، فَكُلُّ نورٍ حِسِّيٍّ وَمَعْنَويٍّ في هذا الكَونِ اللهُ خالِقُهُ وَمُوهِبُهُ وَهادٍ إليهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَثَلَ نورِهِ في قَلْبِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ ، وَأَنَّهُ كَمِشْكاةٍ وَهِيَ الكُوَّةُ في الجدارِ غَيْرُ النَّافِذَةِ ، فيها مِصْباحٌ ، وَوُجودُ المِصْباحِ في الكُوَّةِ أَجْمَعُ لِنورِهِ ، وَأَحْصَرُ لِضِيائِهِ ، فَيَبدو قَوِيّاً مُتَأَلِّقاً ، والمِصْباحُ مَوْجودٌ في قِنْديلٍ مِنَ الزُّجاجِ الصَّافي النَّقِيِّ ، لِيَزيدَ مِنْ تَوَهُّجِ النُّورِ وَقُوَّتِهِ ، وَهذِهِ الزُّجاجَةُ مِنْ شِدَّةِ نَقائِها كأَنَّها كَوْكَبٌ مُضيءٌ مُتَلأْلِىءٌ ، وَهذا المِصْباحُ يُوقَدُ مِنْ زَيْتِ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ كَثيرةِ المَنافِعِ ، هِيَ شَجَرَةُ الزَّيتونِ ، وَوُصِفَتِ الشَّجَرَةُ بِأَنَّها لا شَرْقِيَّةٌ وَلا غَرْبِيَّةٌ ، أي أَنَّها تَقَعُ في أَرْضٍ فَضاءٍ ، لا يَقَعُ حَوْلَها بُيوتٌ أَوْ جِبالٌ يَجْعَلُها تَقَعُ في شَرْقِها أَوْ غَرْبِها ، وَهذا يَعني أَنَّها تَتَعَرَّضُ لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ طَوالَ النَّهارِ ، يَزيدُ في حُسْنِ ثِمارِها وَقُوَّتِها وَجَمالِها ، وَزَيْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ شِدَّةِ حُسْنِهِ وَجَوْدَتِهِ يَكادُ يُضيءُ دونَ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ ، فَهُوَ في أَعْلى دَرَجاتِ الجَوْدَةِ ، وَأَقصى مَنازِلِ الحُسْنِ والصَّفاءِ ، فَهُوَ نُورٌ عَظيمٌ مُتضاعِفٌ ، اجْتَمَعَ فيهِ ضَوْءُ المِصْباحِ والزُّجاجَةِ والزَّيْتِ ، واللهُ تَعالى يُوَفِّقُ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ لاتِّباعِ نُورِهِ ، وَيَضْرِبُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ تَقريباً لإفْهامِهِمْ لِيَعْتَبِروا وَيَتَّعِظوا بما فيها مِنَ الحِكَمِ العَظيمَةِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الخَلْقِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَكْثَرَ الأَماكِنِ والأَشْخاصِ انْتِفاعاً بِنورِهِ فَقالَ :

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الَّذينَ يَذكرونَ اللهَ تَعالى وَيُسَبِّحونَهُ في المَساجِدِ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ تَعَرُّضاً لِنورِهِ وانْتِفاعاً بِهِ ،

(١) رواهُ البُخارِيُّ في كتابِ الجُمُعَةِ ، رقم الحديثِ : ١٠٥٣ ، ورواه مُسْلِمٌ في كتابِ صلاةِ المُسافرينَ ، رقم الحديثِ : ١٢٨٨ .

وَهُمْ يَتَقَرَّبونَ إلى اللهِ تَعالى بِالصَّلاةِ والدُّعاءِ وَسائِرِ أَنْواعِ الذِّكْرِ في تِلْكَ المَساجِدِ أَوَّلَ النَّهارِ وَآخِرَهُ ، وَفي غيرِ ذلِكَ مِنَ الأَوْقاتِ الَّتي أَمَرَ اللهُ تعالى بِعِبادَتِهِ فيها .

وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَمَرَ بِرَفْعِ شَأْنِ المَساجِدَ وَتَعظيمِها وَتَطهيرِها مِنَ الأَقْذارِ والنَّجاساتِ ، وَعَدَمِ فِعْلِ أَيِّ أَمْرٍ قَبيحٍ فيها ، والاعتناءِ بِها وَبِبِنائِها والبَذْلِ والإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ ، فَإنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أبوابِ الخَيْرِ .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الرِّجالُ لا تَشْغَلُهُمُ التِّجارَةُ مَهْما عَظُمَتْ ، وَلا يُلهيهِمُ البَيْعُ مَهْما اشتَدَّتْ حاجَتُهُمْ إليْهِ عَنْ ذكرِ اللهِ ، وَإقامِ الصَّلاةِ في مَواقيتِها ، وَأداءَ الزَّكاةِ لِمُستَحِقِّيها ، لأَنَّهُمْ يَخافونَ يَوْماً شَديداً تَضطَرِبُ فيه القُلوبُ والأَبْصارُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ والفَزَعِ .

وَخَصَّ سُبْحانَهُ الرجالَ بالذِّكْرِ في الآيَةِ لأَنَّهُمْ في الغالِبِ أَهْلُ التِّجارَةِ والبَيْعِ ، وَلأَنَّ النِّساءَ غَيْرُ مَأموراتٍ بِصَلاةِ الجماعَةِ في المَساجِدِ ، وَخَصَّ سُبْحانَهُ البَيْعَ بالذِّكْرِ بَعْدَ التِّجارَةِ مَعَ انْدِراجِهِ فيها لأَنَّهُ أَقْوى في الإلْهاءِ عَنِ الصَّلاةِ لِحِرْصِ التَّاجِرِ عَلَيْهِ طَلَباً لِلرِّبْحِ .

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الرِّجالُ يُكْثِرونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تعالى وَتَسبيحِهِ دونَ أَنْ يَشْغَلَهُمْ عَنْ ذلِكَ شاغِلٌ لأَنَّهُمْ يَرْجونَ أَنْ يُثيبَهُمُ اللهُ تعالى عَلى ذَلِكَ أَعْظَمَ الثَّوابِ وَأَحْسَنَهُ ، وَأَنْ يَزيدَهُمْ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِلا حَدٍّ وَلا عَدٍّ وَلا حَصْرٍ ؛ لأَنَّ خَزائِنَهُ لا تَنْفَدُ ، وَأَوْلى النَّاسِ بِرِزْقِ اللهِ وَفَضْلِهِ عِبادُهُ الصّادِقونَ الَّذين لا يُلْهيهِم عَنْ عبادَتِهِ شَيْءٌ مَهْما كانَ حَبيباً لِلنَّفْسِ مَرْغوباً فيهِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ المُؤْمنينَ ، أَتْبَعَهُ بِبَيانِ حالِ الكافِرينَ ، فَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ أعمالَهُمُ الصَّالحَةَ التي يَعْملونَها في الدُّنيا كَصِلَةِ الرَّحِمِ والصَّدَقَةِ لا ثَوابَ لَهُمْ عليها ، وَهِيَ كَسَرابٍ بِأَرْضٍ مُنْبَسِطَةٍ ، يَظُنُّهُ العَطْشانُ ماءً وَما هُوَ بِماءٍ وَلكِنَّهُ سَرابٌ خادِعٌ لا حَقيقةَ لَهُ ، فَإذا جاءَهُ العَطْشانُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللهَ لَهُ بِالمِرصادِ فَوَفَّاهُ جَزاءَ عَمَلِهِ واللهُ سَريعُ الحِسابِ ، يُحاسِبُ العِبادَ جَميعاً في لَحَظاتٍ يَسيرَةٍ ، فَلا ثَوابَ لِلْكافِرينَ عَلى أَعْمالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتي يَظُنُّونَها نافِعةً لَهُمْ ، وَسيُخَيِّبُ أَمَلَهُم في الآخِرَةِ ، وَتَشْتَدُّ حَسْرَتُهُمْ .

وَخصَّ سُبْحانَهُ العَطْشانَ بِالذِّكْرِ في الآيَةِ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرى السَّرابَ يَظُنُّهُ ماءً ، لِأَنَّ الذي اشتَدَّ بِهِ العَطَشُ أشدُّ حِرْصاً عَلى طَلَبِ الماءِ مِنْ غيرِهِ .

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هذا مَثَلٌ آخَرُ لِأَعْمالِ الكافِرينَ ، وَمَثَلُها كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ عَميقٍ كَثيرِ الماءِ ، يَعلوهُ مَوْجٌ عظيمٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ آخَرُ أَشَدُّ مِنْهُ ، وَفَوْقَ تِلْكَ الأَمْواجِ الهائِلَةِ الكَثيفَةِ سَحابٌ مُتراكِمٌ قاتِمٌ ، وَهِيَ ظُلُماتٌ مُتكاثِفَةٌ مُتراكِمَةٌ فَوقَ بَعْضٍ ، لِدَرَجَةِ أَنَّ الإِنْسانَ الواقِعَ في هَذهِ الظُّلُماتِ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ ، وَجَعَلَها قَريبَةً مِنْ عَيْنِهِ لِيَنْظُرَ إِلَيْها لَمْ يَكَدْ يَراها ، وَهِيَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَيْهِ لِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ ، وَمَنْ لَمْ يهدِهِ اللهُ للإِيمانِ وَيُنَوِّرْ قَلْبَهُ بِنورِ الإِيمانِ لَمْ يَهْتَدِ أَبَداً .

وَفي هذا المَثَلِ ثَلاثُ ظُلُماتٍ هِيَ : ظُلْمَةُ البَحْرِ ، وَظُلْمَةُ المَوْجِ ، وَظُلْمَةُ السَّحابِ ، في مُقابِلِ ظُلُماتِ الكافِرِ الثَّلاثِ وَهِيَ : ظُلْمَةُ الاعْتِقادِ ، وَظُلْمَةُ القَوْلِ وَظُلْمَةُ العَمَلِ .

والكافِرُ لا يَنْتَفِعُ مِنْ أَعْمالِهِ الصَّالِحَةِ لِأَنَّها لا تَقومُ عَلى أَساسِ الإِيمانِ الَّذي بِهِ تُقْبَلُ الأَعْمالُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الله مُنَوِّرُ السَّمواتِ والأَرْضِ وَكُلُّ نورٍ فيهِما فَهُوَ مَصْدَرُهُ .

٢ـ في الآيَةِ ضُرِبَ مَثَلٌ لِنورِ اللهِ في قَلْبِ العَبْدِ المُؤْمِنِ المُسْتَمَدِّ مِنْ كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولهِ ﷺ .

٣ـ أَفْضَلُ أَنْواعِ الزُّيوتِ ما كان مَصدَرُهُ زَيتونَةٌ لا يُوجَدُ ما يَحْجُبُ عَنْها ضَوْءَ الشَّمْسِ .

٤ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ لِتَقريبِ المَعنى .

٥ـ وُجوبُ الاعْتِناءِ بِالمَساجِدِ وَبِنائِها وَتَعظيمِ شَأْنِها .

٦ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ لا يُلْهيهِ عَنِ الصَّلاةِ وَذِكْرِ اللهِ أَيُّ أَمْرٍ مَهْما عَظُمَ .

٧ـ لا ثوابَ لِلكافِرِ عَلى عَمَلِهِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُ لا يَرْجو بِهِ وَجْهَ اللهِ تعالى ، وَلا يَسْتَنِدُ إلى الإيمانِ بِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي : المِشكاةِ ، دُرِّيّ ، سَرابِ ، قِيعَةٍ ، لُجِّيّ .

٢ـ بيِّنِ المَثَلَ الذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِنورِهِ .

٣ـ بِماذا امتَدحَ اللهُ تعالى شَجَرَةَ الزَّيْتونِ ؟

٤ـ ما المُرادُ بِقولِهِ تعالى (أنْ تُرْفَعَ) ؟

٥ـ وَصَفَ اللهُ تعالى الرِّجالَ المَذكورينَ في الآيةِ بِأُمورٍ . ما هِيَ ؟

٦ـ ضَرَبَ اللهُ مَثَلَيْنِ لأَعْمالِ الكافِرينَ . بيِّنْهُما .

نَشاطٌ :

١ـ عَدِّدْ مَعَ زُمَلائِكَ فَوائِدَ شَجَرَةِ الزَّيْتونِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يَحُثُّ عَلى بِناءِ المَساجِدِ .

٣ـ ارْجِعْ إلى مَرْجِعٍ يَبْحَثُ في البحارِ والمُحيطاتِ ، واكتبْ مَوْضوعاً في حُدودِ الصَّفْحَةِ عَنِ الأَمْواجِ في البِحارِ ، واقْرَأْهُ عَلى طَلَبَةِ مَدْرَسَتِكَ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

صافَاتٍ : باسِطاتٍ أَجْنِحَتَها في الهواءِ .

يُزْجي : يَسوقُ بِرِفْقٍ .

رُكاماً : مُجْتَمِعاً بَعضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .

الوَدْقَ : المَطَرَ .

خِلالِهِ : أَجْزائِهِ وَمَخارِجِهِ .

جِبالٍ : المُرادُ بِها هُنا قِطَعُ السُّحُبِ العَظيمَةِ .

سَنا بَرْقِهِ : لَمَعانُ ضَوْءِ البَرْقِ .



التَّفسيرُ :

في آياتِ هذا الدَّرْسِ عَدَدٌ مِنَ الأدِلَّةِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، وَقُدْرَتِهِ المُطْلَقَةِ وَتَصَرُّفِهِ في هذا الكَوْنِ بما يَشاءُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾ .

أيْ : لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسول ، عِلْماً يَقينياً يُشْبِهُ المُشاهَدَةَ أنَّ اللهَ تعالى يُقَدِّسُهُ وَيُنَزِّهُهُ عَنْ كُلِّ سوءٍ جَميعُ المَخْلوقاتِ الّتي في السَّماوات ، وَجَميعُ المَخلوقاتِ الَّتي في الأرْضِ ، وَتُسَبِّحُ لَهُ ، وتُقَدِّسُهُ الطَّيْرُ ، حالَ كَوْنِها باسِطَةً أجنِحَتَها في الجَوِّ لا يُمْسِكُها وَيَحْفَظُها إلاَّ اللهُ . وَتَخْصيصُ ذِكْرِ الطَّيْرِ مَعَ اندِراجِها فيما سَبَقَ لِعَدَمِ استِقرارِها بِصِفَةٍ دائِمَةٍ عَلى الأَرْضِ ، وَتَخصيصُ ذِكرِها حالَ بَسْطِها أجْنِحَتَها لأنَّ هذِهِ الحالَةَ مِنْ أعْجَبِ حالاتِها ، حَيْثُ تَكونُ مُسْتَقِرَّةً في الجَوِّ مَعَ بَسْطِ أجْنِحَتِها دونَ تَحريكٍ لَها ، مِمَّا يَدُلُّ عَلى بَديعِ خَلْقِ اللهِ وَإحكامِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْ هذِهِ المَخلوقاتِ الَّتي تَذْكُرُ اللهَ وَتُسَبِّحُهُ قَدْ عَلِمَ طَريقَهُ وَمَسْلَكَهُ في عِبادَةِ اللهِ ، بِكَيفيَّةٍ لا يَعْلَمُها ، وَلا يُحيطُ بِها إلاَّ اللهُ . فَهُوَ سُبْحانَهُ عالِمٌ بِكُلِّ ما يَفْعَلُهُ خَلْقُهُ وَيَعْمَلونَهُ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ المالِكُ والمُتَصَرِّفُ في هذا الكَونِ ، وَجَميعُ المَخلوقاتِ تَحْتَ مُلْكِهِ يَتَصَرَّفُ فيهِم تَصَرُّفَ المالِكِ القادِرِ كَما يَشاءُ ، وَإلَيْهِ وَحْدَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مَرْجِعُ الخلائِقِ وَمَصيرُها كُلِّها فَيُجازيهِم عَلى أَعْمالِهِمْ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) ﴾ .

لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسولُ ، وَرَأيْتَ مِنْ بَديعِ صُنْعِ اللهِ أنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ يَسوقُ بِقُدْرَتِهِ السَّحابَ الَّذي في السَّماءِ سَوْقاً رَفيقاً إلى حَيْثُ يُريدُ ، ثُمَّ يَصِلُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَيَجْمَعُهُ ، فَيُصْبِحُ مُتَراكِماً فإذا صارَ كَذلِكَ خَرَجَ المَطَرُ مِنْ بَيْنَ فُتوقِ هذا السَّحابِ وَأَجزائِهِ ، كَما أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُنَزِّلُ مِنَ السُّحُبِ الَّتي تُشْبِهُ الجِبالَ في عَظَمَتِها البَرَدَ ، وَهُوَ قِطَعُ الماءِ المُتَجَمِّدِ بِما يُشْبِهُ صِغارَ الحَصى ، فَيُصيبُ اللهُ بِهذا البَرَدِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وَيَمْنَعُهُ عَمَّنْ يَشاءُ حَسَبَما جَرَتْ بِهِ حِكْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ لَمَعانَ البَرْقِ الصَّادِرِ مِنَ السُّحُبِ مِنْ شِدَّتِهِ يَكادُ يخطَفُ الأَبْصارَ مِنْ شِدّةِ الإضاءَةِ والسُّرْعَةِ .

﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يُبَيِّنُ اللهُ تعالى قُدْرَتَهُ في تَصْرِيفِ اللَّيْلِ والنَّهارِ بأَنْ يَجْعَلَهُما مُتعاقِبَيْنِ ، وَيَزيدُ في أَحَدِهِما ما يُنْقِصُ مِنَ الآخَرِ ، وَيُغَيِّرُ أحوالَهُما مِنْ بُرودَةٍ وَحَرارَةٍ ، وَذلكَ مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ لأُولي البَصائِرِ والعُقولِ عَلى كَمالِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

في هذِهِ الآيَةِ الكَريمةِ بَيانٌ لأَصْلِ خَلْقِ الحَيواناتِ ؛ فَكُلُّ حَيوانٌ يَدِبُّ وَيَسْعى فَوْقَ سَطْحِ الأَرْضِ ، أو في جَوْفِها ، أو في مائِها ، خَلَقَهُ اللهُ تعالى مِنْ ماءٍ ، وَهِيَ النُّطْفَةُ التي أَوْجَدَها اللهُ تعالى في هذِهِ المَخْلوقاتِ وَجَعَلَها أَصْلاً لِلكائِناتِ الحَيَّةِ ، كما جَعَلَ ـ سُبْحانَهُ ـ تَكْوينَ مُعْظَمِ الأَجْسادِ مِنْ ماءٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ نَوَّعَ في كَيْفِيَّةِ حَرَكَةِ هذهِ الدَّوابِّ ، فَمِنها ما يَزْحَفُ عَلى بَطْنِهِ كَّالأفاعي ، وَمِنْها ما يَمْشي عَلى رِجْلَيْنِ ، كالإنسانِ والطُّيورِ ، وَمِنْها ما يَمْشي عَلى أَرْبَعٍ كالحيواناتِ مِنَ الإِبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ ، يَخْلُقُ اللهُ ما يشاءُ خَلْقَهُ مِنْ هَذِهِ الدَّوابِّ وَغَيْرِها ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ .

﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أيْ : لَقَدْ أَنْزَلْنا في هذا القُرْآنِ آياتٍ مُوَضِّحاتٍ وَمُفَصِّلاتٍ لِكُلِّ ما فيها مِنْ أَحْكامٍ ، واللهُ يَهْدي ، وَيُوَفِّقُ مَنْ يشاءُ هِدايَتَهُ إلى ما يُوصِلُهُ إلى الحَقِّ والفَوْزِ بالجَنَّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كلُّ ما في الكَوْنِ يُسَبِّحُ اللهَ ، وَيُقَدِّسُهُ ، وَيَعْبُدُهُ ، وَفيهِ دَليلٌ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٢ـ اللهُ مالِكُ السَّمواتِ والأرضِ فَلا مَعبودَ إلا هُوَ .

٣ـ بَيانُ الطَّريقَةِ التي يَتَكَوَّنُ فيها السَّحابُ وَيَتَنَزَّلُ فيها المَطَرُ .

٤ـ كُلُّ دوابِّ الأَرْضِ مَخلوقَةٌ مِنْ ماءٍ .

٥ـ مِنْ لُطْفِ اللهِ ـ تعالى ـ بِعِبادِهِ أنْ يَصْرِفَ عَنْهُمُ البَرَدَ لِئلاَّ يُؤْذِيَ زَرْعَهُمْ وَماشِيَتَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبيحَهُ﴾ ؟

٢ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ ذِكْرِ الطَّيْرِ حالةَ كَوْنِها صافَّاتٍ أجْنِحَتَها ؟

٣ـ اذكُر ، عَلى شَكْلِ نِقاطٍ ، مَراحِلَ تَكَوُّنِ السَّحابِ والمَطَرِ .

٤ـ أـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تعالى السُّحُبَ التي تُنْزِلُ البَرَدَ ؟

ب ـ صِفِ البَرْقَ الذي يُصاحِبُ نُزولَ البَرَدِ .

٥ـ ما مَعنى ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ﴾ ؟

٦ـ اذكُرْ أَصْنافَ الدَّوابِّ الَّتي ذَكَرَتْها الآيةُ الكَريمَةُ ، مَعَ مِثالٍ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْها .

٧ـ اذكُرْ ثَلاثاً مِنَ الحَقائقِ العِلْمِيَّةِ التي ذَكَرَتْها آياتُ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ آيَةَ سورَةِ المُلْكِ الَّتي تَصِفُ الطَّيْرَ حالَ طَيَرانِها .

٢ـ صِفْ ما يُشاهِدُهُ راكِبُ الطائِرَةِ مِنْ مَشْهَدِ الغُيومِ المُتراكِمَةِ التي تُشْبِهُ الجِبالَ في عَظَمَتِها وارتِفاعِها وَشَكْلِها ، وَدَوِّنْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِثالاً لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هذهِ الدَّوابِّ :

أـ ما يَمْشي عَلى بَطْنِه .

ب ـ ما يَمْشي عَلى رِجْلَيْنِ

ج ـ ما يَمْشي عَلى أرْبَعٍ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُذعِنينَ : مُنقادِينَ مُطيعينَ .

ارْتابوا : شَكّوا .

يَحيفَ : يَجورَ ويَظْلِمَ .

التَّفسيرُ :

في آياتِ الدَّرْسِ ذِكْرٌ لِبَعْضِ صفاتِ المُنافِقينَ ، وَفي مُقابِلِها بَعْضُ صِفاتِ المُؤْمِنينَ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ الآيَةُ الكريمةُ جانِباً مِنْ حالِ المُنافقينَ ؛ فَهُمْ يقولونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ : آمَنَّا باللهِ وبالرَّسولِ ،

وأطَعْنا اللهَ وَرَسولَهُ في كُلِّ أمْرٍ ، ثُمَّ يُعْرِضُ جماعَةٌ ، مِنْ بَعْدِ قولِهِمْ هذا ، مُتغافِلينَ عَمَّا يَتَطَلَّبُهُ الإيمانُ مِنَ الالتِزام بِشَريعةِ اللهِ وَأوامِرِهِ ، إنَّ هؤلاءِ المُنافِقينَ لَيْسوا بِمُؤْمِنينَ ؛ فما في قُلوبِهِمْ مُخالِفٌ لِما تَقولُهُ أَلسِنَتُهُمْ ، والإيمانُ عِنْدَهُمْ مُجَرَّدُ دَعوى لا حَقيقةَ لَها .

﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ .

إذا دُعِيَ هؤلاءِ المُنافِقونَ إلى كِتابِ اللهِ وَإلى رَسولِ اللهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فيما يَعْرِضُ لَهُمْ مِنْ خُصوماتٍ وَقَضايا ، لا يُعْجِبُهُمْ ذلكَ الأمْرُ ، وَلا يَسْتجيبونَ لَهُ ، بَلْ يُعْرِضونَ عَنِ الاحتِكام إلى كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ ، لأنَّ حُكْمَ اللهِ لا يُوصِلُهُمْ إلى أَغْراضِهِمْ ، وَلأنَّهُ حُكْمٌ عادِلٌ يُنْصِفُ المَظلومَ ، وَلَوْ كانَ كافِراً ، وَيَدينُ الظّالِمَ ، وَلَوْ لَبِسَ ثِيابَ المُؤْمنينَ .

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ .

وَإنْ يَكُنْ لِهؤلاءِ المُنافقينَ الحَقُّ في خُصوماتِهِمْ مَعَ غَيْرِهِمْ يُسرعونَ إلى الاحْتِكام إلى كِتابِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ ، لأنَّهُمْ حينَئِذٍ يَعْلَمونَ أَنَّهُمْ سَيَصِلونَ إلى حَقِّهِم ، فالرَّسُولُ ﷺ لا يَحْكُمُ إلاَّ بالحَقِّ والعَدْلِ وَلَوْ لأبْعَدِ الناسِ عَنْهُ . فَهُمْ ، والحالةُ هذِهِ ، يَنْطَلِقونَ مِنْ مَصالِحِهِمْ وَهوى أنْفُسِهِمْ .

﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

أي : ما بالُ هؤلاءِ المُنافِقينَ يُعْرِضونَ عَنْ أحكامِ الإسلامِ ، وَلا يَقْبَلونَ بِحُكْمِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلاَّ إذا كانَ الحَقُّ مَعَهُمْ ؟ أهذا لأنهم مرضى القلوبِ بالنِّفاقِ ؟ أمْ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ يَشُكُّونَ في صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ؟ أمْ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ يخافونَ أنْ يَظْلِمَهُمُ اللهُ تعالى في حُكْمِهِ ؟ أوْ أنْ يَظْلِمَهُمُ الرّسولَ ﷺ في قَضائِهِ ؟ إنَّ السَّبَبَ الذي انْبَثَقَتْ مِنْهُ كُلُّ هذِهِ الآفاتِ هُوَ كَوْنُهُمْ ظالِمينَ ، والظُّلْمُ وَضْعُ الأمورِ في غَيْرِ مَوْضِعِها ، فَهُمْ ظالِمونَ لِأنفسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ ، وَلا يُحِبُّونَ العَدْلَ بِسَبَبِ نِفاقِهِمْ وَفَسادِ قُلوبِهِمْ .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذِهِ الآيةُ مَوْقِفَ المُؤْمنينَ في مُقابِلِ مَوْقِفِ المُنافقينَ ، فَإنَّ مِنْ صِفاتِ المُؤْمنينَ أنَّهُم إذا دُعوا إلى الاحتِكام إلى شَرْعِ اللهِ وَكِتابِهِ ، وَإلى رَسولِهِ ﷺ فإنَّهُمْ يُسارِعونَ إلى الاسْتِجابَةِ ، وَيقولونَ : سَمِعْنا وَأَطَعْنا ، وَيَلْتَزِمونَ بِما يَسْمَعونَ وَيَعْلَمونَ مِنْ حُكْمِ اللهِ تعالى دونَ تَرَدُّدٍ أو تَباطُؤٍ . وَتُخْتَمُ الآيةُ بِمَدْحِ هؤُلاءِ المُؤْمنينَ ، وَتُشيرُ إلى أَنَّهُمْ هُمُ المُفلِحونَ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكريمةِ تقريرُ مَضمونِ الآيةِ السَّابقةِ ، وَفيها الإخْبارُ بأنَّ مَنْ يُطِعْ أَمْرَ اللهِ تَعالى وَأَمْرَ رَسولِهِ ﷺ في كُلِّ قَولٍ وَفِعْلٍ ، وَيَقبلْ بِحُكْمِ الرَّسولِ ﷺ ، وَيَرْضَ بهِ ، وَيَخَفِ اللهَ تعالى ، وَيَتَّقهِ في أَعْمالِهِ فَأُولئكَ المَوصوفونَ بِهذهِ الصِّفاتِ هُمُ الفائِزونَ بِالأَجْرِ العَظيمِ في جَنَّاتِ النَّعيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ التَّحاكُمِ إلى كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ .

٢ـ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ اللهِ تعالى ، وَلا بِحُكْمِ رَسولِهِ ﷺ فَهُوَ مُنافِقٌ ظاهِرُ النِّفاقِ .

٣ـ وُجوبُ المُسارَعَةِ إلى طاعَةِ اللهِ تعالى والتزامِ أمْرِهِ .

٤ـ طاعةُ اللهِ تعالى سَبَبٌ لِلفلاحِ والفَوْزِ بِالجَنَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ذمَّ اللهُ تعالى المُنافقينَ في هذهِ الآياتِ بِذكْرِ عَدَدٍ مِنْ صفاتِهِمْ . اذْكُرْها .

٢ـ لِماذا يُعْرِضُ المُنافِقونَ حينَ يُدْعَوْنَ إلى حُكْمِ اللهِ تعالى ؟

٣ـ في أيِّ حالٍ يَستَجيبُ المُنافِقونَ لِحُكْمِ الحَقِّ وَيأْتونَ إليْهِ مُسْرِعينَ ؟

٤ـ وازن بَيْنَ صِفاتِ المُؤْمِنينَ والمُنافِقينَ المَذكورَةِ في هذِهِ الآياتِ .

٥ـ اسْتَخرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ ما يَدُلُّ عَلى المَعاني التَّاليةِ :

أـ المُنافِقونَ لَيْسوا مِنَ المُؤْمنينَ .

ب ـ إذا عَلِمَ المُنافِقُ أنَّ الحُكْمَ سَيَكونُ لِصالِحِهِ أَسْرَعَ إلى الاسْتِجابَةِ والرِّضا بِالحُكْمِ .

ج ـ مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ أنَّهُمْ يَخافونَ أنْ يَظْلِمَهُمُ اللهُ سُبْحانَهُ ، وَأنْ يَظْلِمَهُمْ رَسولُهُ ﷺ .

د ـ شِعارُ المُؤْمِنين قَولُهُمْ سَمِعْنا وَأَطَعْنا .

هـ ـ طاعَةُ اللهِ تعالى ، وَطاعَةُ رسولِهِ ﷺ تُؤَدِّيانِ إلى الفَوْزِ بِالجَنَّةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرِ الآيَةَ في أوائِلِ سُورَةِ البَقَرَةِ الّتي تُشْبِهُ الآيَةَ (٤٧) في مَضْمونِها ، واكتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورَةِ الحَجِّ التي تُبَيِّنُ حالَ بَعْضِ النَّاسِ الَّذينَ يَعْبدونَ اللهَ عَلى حَرْفٍ .

٣ـ اكْتُبْ خَمْساً مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ التي لَمْ تُذكَرْ في الآياتِ (٤٧ـ٥٢) ، وَبَيِّنْ كَيفَ يُمْكِنُ لِلمُسْلِم أنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هذِهِ الصِّفاتِ السَّيِّئَة .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جَهْدَ أَيْمانِهِمْ : مُجْتَهِدينَ في الحَلْفِ ، مُقْسِمينَ الأَيْمانَ المُغَلَّظَةَ .

عَلَيْهِ ما حُمِّلَ : ما أُمِرَ بِهِ .

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ : يَجْعَلُهُمْ خُلفاءَ مُتَصَرِّفينَ في الأَرْضِ ، يَخلُفُ بَعْضُهم بَعْضاً .

مُعْجِزين : قادِرينَ عَلى الهَرَبِ مِنْ عَذابِ اللهِ .

التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ عَوْدٌ لاسْتِكْمالِ الحَديثِ عَنِ المُنافِقينَ ، وَبيانٌ لِوَعْدِ اللهِ الحَقِّ لِلمُؤْمِنينَ . قالَ اللهُ تعالى :

بالخروج معه إلى الجهاد سيخرجون [illegible]
أَمَرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لَهُمْ : لا تُقْسِموا ؛ فإنَّ أَيْمانَكُمْ كاذِبَةٌ ، وَطاعَتَكُمْ مَعروفٌ أمْرُها ، وَمَفروغٌ مِنْها ؛ فَهِيَ طاعَةٌ باللّسانِ فَقَطْ ، وَأَفعالُكُمْ تُكَذِّبُها . وَإنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ عَلى جَميعِ أَعْمالِكُمْ فَلا يَحْتاجُ مِنْكُمْ إلى قَسَمٍ أَوْ تَوْكيدٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّكُمْ كاذِبونَ في حَلِفِكُمْ ، كما يَعْلَمُ ما تُضمِرونَهُ مِنْ نِفاقٍ وَضَلالٍ . وَهذا غايَةٌ في تَهديدِهِمْ ، وَفَضْحِ خفاياهُمْ .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

قُلْ ، أيُّها الرّسولُ الكَريمُ ، لِهؤلاءِ المُنافِقينَ أنْ يُطيعوا اللهَ تعالى ، وَأنْ يُطيعوا رَسولَهُ ﷺ طاعَةً صادِقَةً فإنَّها هِيَ الّتي تُقْبَلُ مِنْهُمْ ، وَأخبِرْهُمْ أنَّهُمْ إنْ لَمْ يَلْتَزموا بِطاعَةِ اللهِ وَرَسولِهِ ، فَقَدْ فَعَلْتَ ما أُمِرْتَ بِهِ مِنْ تَبليغِهِمْ ، وَإنذارِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ أنْ يَفْعَلوا ما أُمِروا بِهِ مِنَ الطّاعَةِ والانْقِيادِ ، وَهُوَ ﷺ فَعَلَ ما أُمِرَ بِهِ ، فافْعَلوا مِثْلَهُ ، والْتَزِموا بِأَمْرِهِ ، فَإنَّكُمْ إنْ أَطَعْتُموهُ ، فيما يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهاكُمْ عَنْهُ ، تَهتَدوا إلى الحَقِّ ، وَتَظْفَروا بالسَّعادَةِ . وَلَيْسَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ إلاَّ التبليغُ الواضِحُ ، والنُّصْحُ الأمينُ لَكُم ، وَلا ضَرَرَ عَلَيْهِ إنْ خالَفْتُمْ وَعَصَيْتُمْ ؛ فَقَدْ قامَ بِواجِبِ التَّبْليغِ والإنذارِ خَيْرَ قِيامٍ .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : لمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحابُهُ المَدينَةَ ، وَآواهُمُ الأنْصارُ ، رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ واحدةٍ ، وَكانوا لا يَبيتونَ إلا بالسِّلاحِ ، وَلا يُصبِحونَ إلاَّ فيهِ ، فَقالوا : تَرَوْنَ أنَّا نعيشُ حين نَبيت آمنينَ مُطْمَئِنّينَ لا نَخافُ إلاَّ اللهَ ، فَنزَلَتْ (وَعَدَ اللهُ. . . . . .)[1] .

هذهِ بِشارَةٌ عَظيمَةٌ لِلمُؤْمنينَ ، وَوَعْدٌ مِنَ اللهِ تعالى لا يَتَخَلَّفُ وَلا يَتَأَخَّرُ ، فَإنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِفَضْلِهِ وَإحسانِهِ وَعَدَ الذينَ صَدَقوا في إيمانِهِمْ مِنْ عِبادِهِ ، وَعَمِلوا العَمَلَ الصَّالحَ أنْ يَجْعَلَهُمْ خُلَفاءَ في

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠١ .

الأَرْضِ ، يَتَصَرَّفونَ فيها تَصَرُّفَ أَصْحابِ العِزَّةِ والسُّلْطانِ ، كَما حَصَلَ مَعَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ المُؤْمنَةِ الَّذين مَكَّنَ اللهُ تَعالى لَهُمْ في الأَرْضِ بَعْدَ إهْلاكِ الكافِرينَ والمُكَذِّبينَ مِنْ أَقوامِهِمْ .

وَوَعَدَ اللهُ تعالى المُؤْمنينَ أَنْ يَجْعَلَ دينَهُمُ الَّذي ارتَضاهُ لَهُمْ ، وَهُوَ الإسلامُ ، ثابِتاً في القلوبِ ، وَراسِخاً في النُّفوسِ ، عَزيزاً مَكيناً عالياً عَلى كُلِّ الأَدْيانِ ، وَتَضَمَّنَ وَعْدُ اللهِ تَعالى لِلمُؤْمنينَ أَنْ يَمْنَحَهُمُ الأَمْنَ بَعْدَ الخَوْفِ ، والاطْمِئْنانَ بَعْدَ الفَزَعِ ، وَتَحَقُّقُ هذا الوَعْدِ مِنَ اللهِ تعالى لِعبادِهِ يَتَطَلَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يَعبُدوهُ ـ سُبحانَهُ ـ دونَ أَنْ يُشْرِكوا مَعَهُ في العِبادَةِ أَحَداً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ كُلِّ هذِهِ النِّعَمِ وَهذا العَطاءِ الجَزيلِ ، فَأُولئك هُمُ الفاسِقونَ الخارِجونَ عَنْ طاعَةِ اللهِ المُسْتَوجِبونَ لِعِقابِهِ .

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تعالى عِبادَهُ الَّذينَ مَكَّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ أَنْ يُحافِظوا عَلى الصَّلاةِ ، وَأَنْ يُؤَدُّوها عَلى الوَجْهِ المطلوبِ بِخُشوعٍ وَصِدْقِ تَوَجُّهٍ ، وَأَنْ يُؤتوا الزَّكاةَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّها مِنَ المُحْتاجينَ ، وَأَنْ يُطيعوا الرَّسولَ ﷺ طاعَةً تامَّةً في كُلِّ ما يَأْمُرُ بِهِ ، وَيَنْهى عَنْهُ ، لَعَلَّهُمْ بِسَبَبِ هذِهِ العِبادَةِ ، والطَّاعَةِ يَنالونَ رَحْمَةَ اللهِ ورِضوانَهُ .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وَيُطَمْئِنُ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ ﷺ والمُؤْمنينَ ؛ فَلاَ تَظُنَّنَّ ، أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ، أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمنينَ ، أَنَّ الَّذينَ كَفَروا مَهْما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُمْ ، بِإِمكانِهِم أَنْ يَهْرُبوا ويَنْجوا من إهلاكِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، وَمِمّا أَرادَهُ بِهِمْ من خِزْيٍ وعِقابٍ ، فإِنَّ قُوَّةَ اللهِ غالِبَةٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَقِفُ أَمامَ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ مَهْما عَظُمَ ، وَمآلُ هؤلاءِ الكافرينَ إلى النَّارِ ، وَهِيَ بِئْسَ المَصيرُ والمَسكَنُ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ المُنافقونَ يُرَوِّجونَ كَذِبَهُمْ بالأَيمانِ المُغَلَّظَةِ دونَ مبالاةٍ وَلا خَوْفٍ مِنَ العِقابِ .

٢ـ مَشروعِيَّةُ مُواجَهَةِ الكاذِبِ بِما يُظْهِرُ انكِشافَ أَمْرِهِ ، والعِلْمَ بِكَذِبِهِ .

٣ـ تَحَقُّقُ وَعْدِ اللهِ تعالى لِلمُؤْمنينَ بالتَّمكينِ في الأَرْضِ .

٤ـ الوَعيدُ الشَّديدُ لِمَنْ كَفَرَ نِعَمَ اللهِ تعالى عَلَيهِ ، وَلَمْ يَقُمْ بِواجِبِ شُكْرِها .

٥ـ تَأْكيدُ عَجْزِ الكافرينَ ، وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلى الإفْلاتِ مِنْ عَذابِ اللهِ تعالى .

التَّقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أـ علَى ماذا أقْسَمَ المُنافِقونَ باللهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ ؟

ب ـ بِماذا أمَرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ ؟

٢ـ ما مَعنى ﴿فإنَّما عَليْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ﴾ ؟

٣ـ تَضَمَّنَ وَعْدُ اللهِ تعالى لِلمُؤْمِنينَ ثَلاثَةَ أُمورٍ . ما هِيَ ؟

٤ـ ما الأَمْرُ المَطلوبُ مِنَ المُؤمِنينَ لِيَتَحَقَّقَ فيهِم وَعْدُ اللهِ تعالى بالتَّمكينِ ؟

٥ـ ذَكَرَتِ الآية السَّادِسَةُ والخَمسونَ أنَّ حُصولَ رَحْمَةِ اللهِ يَتَطَلَّبُ ثَلاثَةَ أشياءَ . اذكُرْها .

٦ـ لِماذا لا يَسْتطيعُ الكافِرونَ الإفْلاتَ مِنْ عِقابِ اللهِ ؟ وَما مَصيرُهُمْ في الآخِرَةِ ؟

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثاني عَشَرَ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- لَمْ يَبْلُغوا الحُلُمَ : لَمْ يَصِلِ الصِّبيانُ سِنَّ البُلوغِ .
- ثَلاثَ مَرَاتٍ : ثلاثَةَ أَوْقاتٍ .
- تَضَعونَ ثِيابَكُمْ : تَخْلَعونَ ثِيابَكُمْ وَتَسْتَبْدِلونَها لِلرَّاحَةِ .
- جُناحٌ : إثْمٌ وَحَرَجٌ .
- طَوَّافونَ عَلَيْكُمْ : يَدورونَ عَلَيْكُمْ لِقَضاءِ مَصالِحِكُمْ .
- القَواعِدُ : النِّساءُ اللّاتي تَقَدَّمْنَ في السِّنِ (العَجائِزُ) .
- مُتَبَرِّجاتٍ بِزينَةٍ : مُظْهِراتٍ لَها .



التفسيرُ :

تَعودُ آياتُ هذا الدَّرْسِ لِلحَديثِ عَنْ أَحْكامِ الاسْتِئْذانِ ، وَتَخُصُّ مِنْهُ ما يَتَعَلَّقُ باسْتِئْذانِ الأَبْناءِ والمَماليكِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ . .

أيْ : يا مَنْ آمَنْتُمْ باللهِ تعالى حَقّ الإيمانِ ، عَلَيْكُمْ أنْ تَلْتَزِموا بأمْرِ مَماليكِكُمْ وَصِبيانِكُمُ الَّذينَ لم يَصِلوا سِنَّ البُلوغ ، أنْ يَستأذِنوا عِنْد الدُّخولِ عَلَيْكُمْ في ثَلاثَةِ أوقاتٍ ، خَشْيَةَ أنْ يَطَّلِعوا مِنْكُمْ عَلى ما لا تَرْغَبونَ في اطِّلاعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ الأوقاتُ الثَّلاثَةُ هِيَ :

١ـ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ ، لِأَنَّ هذا الوَقْتَ يَقومُ فيهِ الإنسانُ عادَةً مِنَ النَّوْمِ ، وَيَسْتَعِدُّ لِأداءِ الصَّلاةِ ، وَيخْلَعُ مَلابِسَ النَّوْمِ ، وَيَرْتدي ثِيابَ السَّعْيِ والعَمَلِ .

٢ـ وَقْتُ الظَّهيرَةِ ، حَيْثُ يَنْتَصِفُ النَّهارُ ، وَهُوَ وَقْتُ القَيْلولَةِ والرَّاحَةِ مِنْ عَناءِ العَمَلِ ، وَتَبديلِ المَلابِسِ .

٣ـ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ : لِأَنَّهُ وَقْتُ خَلْعِ ثِيابِ العَمَلِ ، وارتداءِ مَلابِس النَّوْمِ والرَّاحَةِ .

فَعَلى المُسْلِمينَ أنْ يُلزِموا مَماليكَهُمْ وَصِبيانَهُمْ بالاسْتِئْذانِ عِنْدَ الدُّخولِ عَلَيْهِمْ في هِذِهِ الأَوْقاتِ ، أَمَّا الأوقاتُ الأُخرى فَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ أنْ يَدْخُلوا دونَ اسْتِئْذانٍ ، حَيْثُ تَكْثُرُ حاجَتُهُمْ إلى التَّرَدُّدِ عَلَيْكُمْ . وَمِنْ مُعتادِ الحَياةِ اليَوْمِيَّةِ أنْ يَطوفَ أَهْلُ البيتِ الواحِدِ داخلَ البَيْتِ ، وَأنْ ينتَقِلوا بَيْنَ غُرَفِهِ لِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ ، وَلَوْ فُرِضَ عَلَيهِمُ الاسْتِئْذانُ دائماً لَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ . وَإِنَّ الالتزامَ بِهذا الأَمْرِ الإِلهيِّ يَجْعَلُ أَهْلَ البَيْتِ يَعيشونَ في راحةٍ تامَّةٍ ، عامِرَةٍ بِالطُّهْرِ والحَياءِ والنَّقاءِ مِنْ كُلِّ ما يَجْرَحُ الشُّعورَ ، ويُثيرُ الفِتْنَةَ ، وَمِمَّا يُؤَدِّي إلى الاطِّلاعِ عَلى العَوْراتِ التي يَحْرِصُ المُؤْمِنونَ عَلى سَتْرِها وَعَدَم إبْدائِها .

وَمِثْلُ هذا البيانِ الواضِح الذي بَيَّنَ اللهُ تعالى فيهِ حُكْمَ الاسْتِئْذانِ ، يُبَيِّنُ ـ سُبحانَهُ ـ لَكُمُ الآياتِ المُتَضَمِّنَةَ لِلشَّرائِع والأَحْكامِ والآدابِ ، فَلَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بِخَلْقِهِ ، وَبِما يَحْتاجونَ إليهِ ، وَما يَصْلُحُ لَهُمْ مِنْ أحكامٍ ، حَكيمٌ فيما يُشَرِّعُ لَهُمْ ، وَيَفْرِضُ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وَإذا وَصَلَ أطْفالُكُمْ إلى سِنِّ البُلوغ فَعَلَيْهِمْ أنْ يَسْتَأْذِنوا للدُّخولِ عَلَيْكُمْ في جَميعِ الأوقاتِ ، كَما أنَّ عَلَيْهِمُ الاسْتِئْذانَ عِنْدَ إرادَةِ الدُّخولِ إلى بُيُوتِ الآخَرينَ ، كما اسْتَأْذَنَ الَّذينَ هُمْ أكْبَرُ مِنْهُمْ في السِّنِ عِنْدَما بَلَغوا ، وانْتَقَلوا مِنْ مَرْحَلَةِ الطُّفولَةِ إلى مَرْحَلَةِ البُلوغِ ، وَهكذا يُبَيِّنُ اللهُ تَعالى لَكُمْ أَحْكامَهُ وَشَرائِعَ دينِهِ . واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بِخَلْقِهِ ، حَكيمٌ في تَشريعِهِ .

وَلَمْ تَذْكُرْ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ المَماليكَ كَما ذَكَرَتْهُمُ الآيَةُ السَّابِقَةُ ، وَذلكَ لأَنَّ حُكْمَهُم لا يَخْتَلِفُ سواءٌ أكانوا صِغاراً أمْ كِباراً ، فَهُمْ لا يَستَأذِنونَ إلاَّ في الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ المُحَدَّدَةِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ .

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ أَنَّ النِّساءِ العَجائِزَ اللَّاتي قَعَدَ بِهِنَّ سِنُّهُنَّ ، حتَّى أصبَحْنَ لا يُرْغَبُ في الزواجِ مِنْهُنَّ ، وانْقَطَعْنَ عَنِ الحَمْلِ والولادَةِ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِنَّ ، لا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ أنْ يَتَخَفَّفْنَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِهِنَّ ، عَلى ألاَّ يَظْهَرَ مِنهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الزِّينَةِ ، أَوْ مِمّا يَجِبُ سَتْرُهُ مِنْ أَجْسادِهِنَّ . وَمُحافَظَتُهُنَّ عَلى الحِجابِ التَّامِ دونَ تَخَفُّفٍ أفْضَلُ لَهُنَّ وَأحوَطُ ، وَأبْعَدُ عَن أيِّ ريبَةٍ أَوِ اتِّهامٍ ، أَوْ سوءِ ظَنٍّ بِهِنَّ .

وَما وَرَدَ في هذهِ الآيَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظاهِرِ التَيْسيرِ والرِّفْقِ بِالمرأةِ العَجوزِ إذا رَغِبَتْ أنْ تَتَخَفَّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها بما لا يُؤَدِّي إلى إبْداءِ زينَةٍ أو كَشْفِ عَوْرَةٍ ، واللهُ تَعالى سَميعٌ لأَقْوالِ عِبادِهِ ، عَليمٌ بِأعْمالِهِمْ وَأَحْوالِهِم وَنِيّاتِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الاسْتِئْذانِ عَلى الأَطْفالِ والصِّبيانِ والخَدَمِ والرَّقيقِ عِنْدَ إرادَتِهِمُ الدُّخولَ عَلى أَهْليهِم في الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ للعَوْراتِ وَتأدُّباً بِأَخْلاقِ الإسْلامِ .

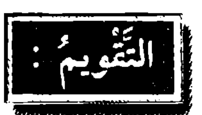
٢ـ عَلى المُسْلِمِ مُراعاةُ السَّتْرِ عِنْدَ تَبديلِ ثِيابِهِ والحِرْصُ عَلى أنْ لا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

٣ـ عَظَمَةُ مَنْهَجِ الإسْلامِ في التَّربِيَةِ والاعْتِناءِ بِالأَطْفالِ وَتَدْريبِهِمْ عَلى آدابِ التَّعامُلِ والالْتِزامِ بِالأَخْلاقِ .

٤ـ عَلى المَرْءِ أنْ يَتَعَلَّمَ الأَحْكامَ الشَّرْعِيَّة ، وَأنْ يَلْتَزِمَ بما يَجِبُ عَلَيْهِ الالْتِزامُ بِهِ حينَ يَبْلُغُ الحُلُمَ .

٥ـ يُباحُ لِلمَرأةِ العَجوزِ أنْ تَتَخَفَّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ، كَأنْ تَتْرُكَ الغِطاءَ الَّذي فَوْقَ الخِمارِ ، أَوِ الرّداءَ الَّذي فَوْقَ الثِّيابِ .

٦ـ مِنْ مَظاهِرِ اليُسْرِ في هذا الدِّينِ مُراعاةُ أحْوالِ كِبارِ السِّنِّ وَنَحْوِهِمْ ، والتَّخفيفُ عَلَيْهِم بِما يَتَناسَبُ مَعَ حالِهِمْ .



أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَوْقاتُ التي يَجِبُ فيها عَلى الصِّغارِ والمَماليكِ الاسْتِئْذانُ ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ تَخصيصِ هذِهِ الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ بالاسْتِئْذانِ دونَ غَيرِها مِنَ الأَوْقاتِ ؟

٣ـ ما الحَدُّ الفاصِلُ بيْنَ مَرْحَلَةِ الطُّفولَةِ وَمَرْحَلَةِ الرُّجولَةِ ؟

٤ـ مَنْ هُنَّ القَواعِدُ مِنَ النِّساءِ ؟

٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إباحَةِ تخفُّفِ المَرْأَةِ العَجوزِ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ؟

٦ـ أيُّهُما أفْضَلُ في حَقِّ المَرأةِ الكَبيرةِ : أنْ تُخَفِّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ، أوْ أنْ تُحافِظَ عَلى حجابِها كامِلاً دونَ أيِّ نَقصٍ ؟

فائدةٌ :

سُئِلَ الشَّعْبيُّ عَنِ الآيَةِ الثامِنَةِ والخَمسينَ مِنْ سورَةِ النُّورِ هَلْ نُسِخَتْ ؟ فَقال : لا واللهِ ما نُسِخَتْ . فَقالَ السَّائِلُ : إنَّ النَّاسَ لا يَعْمَلونَ بها! فقالَ الشَّعْبيُّ : اللهُ المُسْتَعانُ .

وَعَنْ سَعيدِ بنِ جُبيرٍ قالَ : « إنَّ ناساً يَقولونَ هِيَ مَنْسوخَةٌ ، لا واللهِ ما هِي مَنْسوخَةً وَلكِنَّها مِمَّا يَتَهاوَنُ بِهِ النَّاسُ » .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيفَ يَكُونُ الاسْتِئْذانُ عِنْدَ دُخولِ بُيوتِ الآخَرينَ .

الدرس التاسع والثلاثون

سورة النور - القسم الثالث عشر

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

مَعاني المُفْرَدات :

حَرَجٌ	: إِثْمٌ وَضيقٌ .
ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ	: ما كانَ تَحْتَ تَصَرُّفِكُمْ .
أَشْتاتاً	: مُتَفَرِّقينَ .
فَسَلِّموا على أَنْفُسِكِمْ	: لِيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ .
مُبارَكةً	: مُضاعَفَةَ الثَّوابِ .
طَيِّبَةً	: تَطيبُ بِها نَفْسُ المُسْتَمِعِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالتْ : كانَ المُسْلِمونَ يَرْغَبونَ في النَّفْرِ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَيَدْفَعونَ مَفاتيحَهُمْ إِلى زَمْناهُمْ - أَصْحابِ الأَمْراضِ المُزْمِنَةِ - وَيَقولونَ لَهُمْ : قد أَحْلَلْنا لَكُمْ أن تأْكُلوا مِمّا

أَحْبَبْتُمْ ، فكانوا يَقولونَ إنَّهُ لا يَحِلُّ لَنا ، إِنَّهُمْ أَذِنوا لَنا عَنْ غَيْرِ طيبِ نَفْسٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ[1] .



التَّفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ الكَريمَةُ عَدَداً مِنَ الآدابِ الإسلامِيَّةِ الرَّفيعَةِ . قالَ تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

أيْ : لَيْسَ عَلى أَهْلِ الأَعْذارِ المَذكورينَ في الآيةِ ، وَهُمْ : الأعْمى ، والأعْرَجُ ، والمَريضُ ، وَلا عَلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحابِ الأَعْذارِ الأخرى إثْمٌ أنْ يَأْكُلُوا مِنَ البُيوتِ المَذْكورَةِ في الآيةِ . وَقَدْ كانوا قَبْلَ نُزولِ الآيةِ يَتَحَرَّجونَ مِنَ الأَكْلِ مَعَ الأصِحّاءِ ، حَذَراً مِنْ أنْ يَسْتَقْذِروهُمْ ، أَوْ يَتَأَذَّوا مِنْ بَعْضِ ما يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ وَضْعٍ غَيْرِ مُناسِبٍ .

كَما أنَّ الأصِحّاءَ كانوا يَتَحَرَّجونَ مِنَ الأكْلِ مَعَ ذوي العاهاتِ لِئَلاَّ يَظْلِموهُمْ ، بِأنْ يَأكُلوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، أَوْ أنْ يَخْتاروا الطَّعامَ الطَّيِّبَ لأنْفُسِهِمْ .

فَبَيَّنَتِ الآيَةُ أَنَّهُ لا حَرَجَ مِنَ الأكلِ مَعَهُمْ ، كَما أَنَّهُ لا حَرَجَ عَلَيْكُمْ ، أَيُّها المؤمنونَ أنْ تأكُلوا مِنْ هذِهِ البيوتِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ . وَأَوَّلُ هذِهِ البُيوتِ هِيَ (بيوتُكُمْ) ، وَذَكَرَها هُنا ، مَعَ أنَّ المرءَ لا يَتَحَرَّجُ مِنَ الأكلِ في بَيْتِهِ ، للإشعارِ بأنَّ البُيوتَ المذكورةَ بَعْدَها مِثْلُها في نَفْيِ الحَرَجِ مِنَ الأَكْلِ فيها ، وَقَدْ يَكونُ المُرادُ بِبُيوتِكُمْ : بُيوتُ أَبْنائِكُمْ وَزوجاتِكُمْ . فلا حَرَجَ عَلَيْكُمْ مِنَ الأكْلِ فيها .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ البُيوتَ الأُخْرى التي لا حَرَجَ على المُؤْمِنينَ في الأَكْلِ مِنْها ، وَهِيَ : بُيوتُ آبائِكُمْ ، وَبُيوتُ أُمَّهاتِكُمْ ، وَبُيوت إخوانِكُمْ ، وَبُيوتُ أَخَواتِكُمْ ، وَبُيوتُ أعمامِكُمْ ، وَبُيوتُ عَمّاتِكُمْ . وَبُيوتُ أَخْوالِكُمْ ، وَبُيوتُ خالاتِكُمْ ، والبُيوتُ الَّتي تَمْلكونَ التَّصرُّفَ فيها بإذْنِ أَصْحابِها ، بِوَكالةٍ أَوْ بإذْنٍ ، أو بِتَسليمِ مَفاتيحِها لَكُمْ ، وَبُيوتُ أَصدِقائِكُمْ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ

---

(١) السَّيوطِيُّ ، لُبابُ النُّقولِ في أسبابِ النُّزولِ (بحاشيةِ تفسيرِ الجلالينِ) ص٣١٩ .

وَبينَهُمْ قَرابةٌ أوْ نَسَبٌ ، فإنَّهُمْ يَرْضَوْنَ لِذلِكَ ويُسَرُّونَ بِهِ . وَلَفْظُ (الصَّديقِ) يُطْلَقُ على الواحِدِ والجَمْع .

فهذِهِ البيوتُ المَذْكورةُ في الآيَةِ ، يُباحُ لِلمَرْءِ المُؤْمِنِ أنْ يَأكُلَ مِنْها ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فيها أَصْحابُها ، إنْ كانَ الآكِلُ يَعْلَمُ رِضا أصْحابِ البَيْتِ عَنْ ذلكَ ، وَإذنَهُمْ بِهِ ، وَسرورَهُمْ لَهُ .

وَبَعْدَ أنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ البُيوتَ التي يُباحُ الأَكْلُ مِنْها ، بَيَّنَ الحالَةَ التي يُباحُ عَلَيها الأَكْلُ ؛ فَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ لا حَرَجَ ، وَلا إثْمَ على المُؤْمِنينَ أنْ يأكُلوا مُجْتَمِعين أو مُتَفرِّقينَ ، وَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ بَعْضِهِمْ أنْ لا يأكُلَ مُنْفَرِداً ، فإنْ لَمْ يَجدْ مَنْ يأكُلُ مَعَهُ أَخَّرَ تَناوُلَ طعامِهِ ، فَرَفَعَ اللهُ تعالى عَنْهُم هذا الحَرَجَ ، وَرَدَّ الأَمْرَ إلى ما تَقْتَضيهِ شريعَةُ الإسلامِ مِنْ يُسْرٍ وَعَدَمِ تَكَلُّفٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أدَباً يَنْبَغي التزامُهُ عِنْدَ إرادَةِ دُخولِ بُيوتِ الآخَرينَ سَواءٌ أكانوا مِنْ أصحابِ البُيوتِ المذكورَةِ في الآيَةِ أَمْ غيْرِها وَهُوَ إلقاءُ السَّلامِ على أَهْلِ تِلْكَ البُيوتِ ، وَتَحِيَّتُهُمْ تَحِيَّةٌ فيها أَجْرٌ وَثَوابٌ مُضاعَفٌ ، وَتُؤَدّي إلى زِيادَةِ المَحَبَّةِ والمَوَدَّةِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ .

وَفي التَّعْبيرِ عَنْ أَصْحابِ البُيوتِ المُرادِ دُخولُها بِقَولِهِ تعالى (أنفسِكُم) ما يُشْعِرُ بِعُمْقِ قُوَّةِ الرّابِطَةِ الإيمانِيَّةِ ، وَأَنَّ المُؤْمِنينَ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الواحِدَةِ في توادِّهِمْ وَتَراحُمِهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ .

﴿كذلكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ﴾ أيْ مِثْلَ هذا البَيانِ الواضِحِ ، يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ سائرَ آياتِهِ لِكَيْ تَعْقِلوها ، وَتَفْهَموها ، وَتَحْرِصوا على العَمَلِ بها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إباحةُ الأكْلِ مَعَ ذَوِي العاهاتِ دونَ تَحَرُّجٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ .

٢ـ رَفْعُ الحَرَجِ والإثْمِ عَنْ ذَوي العاهاتِ في كلِّ ما يُقَصِّرونَ فيهِ بِسَبَبِ عاهَتِهِمْ .

٣ـ إباحةُ الأَكْلِ مِنَ البُيوتِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ دونَ تَحَرُّجٍ .

٤ـ إباحةُ تناوُلِ الطَّعامِ مَعَ آخرينَ أَوْ مُنْفَرِداً حَسَبَ الحالِ بِلا تَحَرُّجٍ .

٥ـ فَضْلُ تَحِيَّةِ الإسلامِ ، وَأَنَّها مُبارَكَةٌ ، تَطيبُ بِها النُّفوسُ ، وَيَحْصُلُ بِها الأجْرُ .



التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الكَريمَةِ .

٢ـ لِماذا كانَ أهلُ الأعْذارِ يَتحَرَّجونَ مِنَ الأكْلِ مَعَ الأصِحّاءِ ؟

٣ـ ما سَبَبُ ذِكْرِ (بُيوتِكُمْ) ضِمْنَ البُيوتِ مَعَ أنَّ الإنسانَ لا يَتَحَرَّجُ مِنَ الأكْلِ في بَيْتِهِ ؟

٤ـ عَدِّدِ البُيوتَ التي ذُكِرَتْ في الآيَةِ مِمّا لا حَرَجَ مِنَ الأكْلِ مِنْها .

٥ـ بماذا وَصَفَتِ الآيَةُ الكريمةُ السَّلامَ والتَّحِيَّةَ التي يُلْقيها المَرْءُ على غَيْرِهِ ؟

٦ـ ما مَعنى (أشْتاتاً) ؟ وَما حُكْمُ أكْلِ المُنْفَرِدِ دونَ أنْ يَكونَ مَعَهُ أحَدٌ ؟

٧ـ ما سَبَبُ التَّعبيرِ عَنِ الآخَرينَ بِـ(أنْفُسِكُمْ) ؟

فائدةٌ :

عَنْ عِمرانَ بنِ الحُصَينِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قالَ : جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فَقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ : عَشْرٌ ، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ ، فَقالَ : عِشْرونَ ، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَ ، فقالَ : ثَلاثونَ[1] .

نَشاطٌ :

ـ لَمْ تَذْكُرِ الآيَةُ (٦١) بُيوتَ الأَبْناءِ . اذْكُرِ الحِكْمَةَ مِنْ ذلكَ .

* * *

---

(١) رواهُ التِّرْمِذِيُّ في كتابِ الاستئذانِ والآدابِ ، رقم الحديث : ٢٦١٣ .

سُورةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَمْرٍ جامِعٍ : حَدَثٍ مُهِمٍّ يَتَطَلَّبُ الاجْتماعَ لِشَأْنِهِ .

يَتَسَلَّلونَ : يَخْرُجونَ بِخِفَّةٍ لِئَلاّ يَشْعُرَ بِهِمُ الحاضِرونَ .

لِواذاً : يَسْتُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عِنْدَ الخُروجِ .

التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لِما يَنْبَغي أَنْ يَكونَ عَلَيْهِ المُسْلِمونَ مِنْ آدابٍ مَعَ رَسولِهِمْ ﷺ ، قالَ تعالى :

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن

شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ هُمُ الّذينَ آمَنوا باللهِ وَرَسولِهِ حَقَّ الإيمانِ ، وَإذا كانوا مَعَ الرَّسولِ ﷺ في أمرٍ يَقْتَضي اجْتِماعَهُمْ ، لَمْ يَذْهَبوا مِنْ مَكانِ الاجتِماعِ حَتَّى يَطْلُبوا الإذْنَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ وَيأذَنَ لَهُمْ ، وَهذا الاسْتِئذانُ مِنْهُمْ دَليلٌ على قُوَّةِ إيمانِهِمْ ، وَعلى حُسْنِ أدَبِهِمْ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، فإذا اسْتَأْذَنَكَ ، يا رَسولَ اللهِ ، هؤلاءِ المُؤْمِنونَ في الانْصِرافِ لِقَضاءِ شَيْءٍ مِنْ مَصالِحِهِمْ ، فَأنْتَ مُخَيَّرٌ في الإذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَفي مَنْعِهِ عَنْ بَعْضِهِمْ ، حَسَبَ الحاجَةِ العامَّةِ ، والمَصْلَحَةِ ، وَما تَراهُ مُناسِباً للأَمْرِ ، واسْتَغْفِرْ لِمَنْ أذِنْتَ لَهُ بِالذَّهابِ مِنْهُمْ ؛ لأنَّ الأَوْلى بِمَنْ كانَ مَعَكَ في أمْرٍ مُهِمٍّ أنْ يَبْقى حتّى يَتِمَّ قَضاءُ الأَمْرِ ، والفَصْلُ فيهِ ، وَلا يُغادِرَ إلاّ مَنْ كانَ لَهُ ظَرْفٌ قاهِرٌ جداً يَسْتَدْعي خُروجَهُ ، واللهُ تعالى واسِعُ المَغْفِرَةِ لِعبادِهِ ، عَظيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ .

وَوَصْفُ الأمْرِ في الآيَةِ بِأنَّهُ (جامِعْ) للإشعارِ بأهميَّتِهِ ، وَأَهَميَّةِ حُضورِهِ لِما في ذلكَ مِنْ تأييدٍ وَمُظاهَرَةٍ ومَعُاوَنَةٍ للوصُولِ إلى أفْضَلِ الآراءِ وَأنسَبِها .

وَحُكْمُ هذِهِ الآيَةِ يَشْمَلُ مجالِسَ العِلْمِ ، وَمَعارِكَ القِتال ، والمَسيرَ في الأسْفار ، وَنَحْوَها مِنْ كُلِّ مَجْلِسٍ يَحْتاجُ حاضِروهُ إلى الاسْتِئْذانِ لِمُغادَرَتِهِ فَيَحْسُنُ بِالمُسْلِمِ أنْ يَستَأذِنَ ، وَلا يَتَسَلَّلَ مِنَ المَجْلِسِ أَوِ الاجْتِماعِ دونَ إذنٍ مِنَ القائِمِ بالأَمْرِ .

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

وَمِنْ تَمامِ تَقديرِ النَّبيِّ ﷺ وَتوقيرِهِ أنْ لا تُنادوهُ باسْمِهِ المُجَرَّدِ إذا أَرَدْتُمْ نِداءَهُ ، وَأنْ لا تَرْفَعوا أصواتَكُمْ بِنِدائِهِ ، بَلْ عَلَيْكُمْ أنْ تُنادوهُ بِصِفَتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَهِيَ النُّبُوَّةُ أَوِ الرِّسالَةُ فَتقولوا : يا رَسولَ اللهِ ، يا نَبِيَّ اللهِ ، وَأنْ تَخْفِضوا أصواتَكُمْ عِنْدَ مُناداتِهِ تَوقيراً واحتِراماً لَهُ ﷺ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ عَليمٌ بالَّذينَ كانوا يَتَسَلَّلونَ مِنْ مَجْلِسِ الرَّسولِ ﷺ ، وَيُغادِرونَهُ في خَفاءٍ وَتَسَتُّرٍ دونَ أنْ يَطْلُبوا مِنْهُ ﷺ إذْناً بالمُغادَرَةِ ، وَيُبالِغونَ في مُحاوَلَةِ إخفاءِ أنْفُسِهِمْ حتّى يَلوذَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، أَوْ يُحاوِلَ بَعْضُهُمُ الاخْتِباءَ خَلْفَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ ، فَيَنْطَلِقَ خَلْفَهُ كَأنَّهُ تابِعُهُ ، فَلْيَحْذَرْ هؤُلاءِ المُنافِقونَ الَّذينَ يُخالِفونَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَلا يُطيعونَهُ أنْ يُصيبَهُمْ بَلاءٌ يَفْضَحُ أمْرَهُمْ ، وَيَكْشِفُ سِرَّهُمْ ، أَوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ في الآخِرَةِ إنِ استَمَرُّوا على نِفاقِهِمْ ، وَعَدَمِ تَوقيرِهِمْ لِلرَّسولِ ﷺ .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

ألا إنَّ للهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ دونَ غَيرِهِ جَميعَ ما في السَّماواتِ والأرْضِ مِنْ شيْءٍ خَلْقاً وَمُلْكاً

وَعِلْماً وتَدبيراً ؛ فَلا تَخفى عَلَيهِ أَحْوالُ المُنافِقينَ وَإِنِ اجْتَهدوا في إخفائِها وَسَتْرِها ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ جَميعَ أَحْوالِ الخَلْقِ ، وَسَيُخْبِرُ الجَميعُ يَوْمَ القِيامةِ حينَ يَرْجِعونَ إِلَيْهِ بِما كانوا يَعْمَلونَ في الدُّنْيا ، وَسَيُجازيهِم على عَمَلِهِمْ بِما يَسْتَحِقّونَ ، فَعِلْمُ اللهِ تعالى مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لا تَخْفى عَلَيهِ خافِيَةٌ في السَّماءِ وَلا في الأَرْضِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ المُسلمِون مُنَظَّمون في أعْمالِهِمْ ، فَكُلُّ عَمَلٍ جامِعٍ لا بُدَّ لَهُمْ فيهِ مِنْ أميرٍ أو رَئيسٍ يَقودُهُ وَيُدَبِّرُهُ ، وَعَلى المنْضَوينَ تَحْتَهُ الاسْتِئْذانُ إذا أَرادوا الانْصِرافَ لِبَعضِ شَأْنِهِم .

٢ـ الاسْتِئْذانُ مِنْ صاحِبِ الأمْرِ عِنْدَ إرادَةِ مُغادَرَةِ المَكانِ في الاجْتِماعاتِ والمَجالِسِ الهامَّةِ .

٣ـ لِصاحِبِ الأمْرِ أنْ يَأذَنَ لِمَنْ يَسْتَأْذِنُهُ أو لا ، حَسَبَ المَصْلَحَةِ العامَّةِ .

٤ـ وُجوبُ تَعظيمِ رَسولِ اللهِ ﷺ حَيّاً وَمَيْتاً ، وُوُجوبُ طاعَتِهِ .

٥ـ بَيانُ شَيْءٍ مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ وَهِيَ : الجُبْنُ والاسْتِهانَةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَجْلِسِهِ ، واخْتِلاقُ الأعْذارِ للاسْتِئْذانِ .

٦ـ مُخالَفَةُ أمْرِ الرَّسولِ ﷺ تُؤَدّي بِصاحِبِها إنْ لَمْ يَتُبْ إلى العَذابِ الأليمِ والبَلاءِ العَظيمِ .

٧ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى بِكُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، فَلا تَخْفى عَلَيهِ خافِيَةٌ ، وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المُؤْمنينَ في هذهِ الآياتِ ؟

٢ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ ﷺ بالاسْتِغفارِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ؟

٣ـ بِماذا أَمَرَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ إذا أرادوا مُناداةَ النَّبِيِّ ﷺ ؟

٤ـ مَنِ الَّذينَ كانوا يَتَسَلَّلونَ مِنَ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ وَلِماذا كانوا يَفْعلونَ ذلكَ ؟

٥ـ اذكُرْ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمّا يلي :

١ـ سِعَةِ عِلْمِ اللهِ تعالى وَإحاطَتِهِ بكُلِّ شَيْءٍ .

٢ـ النَّهي عَنْ مُناداةِ الرَّسولِ ﷺ باسمِهِ .

٣ـ لِصاحِبِ الأَمْرِ أنْ لا يَأْذَنَ لِمَنْ يَسْتَأْذِنُ بِمُغادَرَةِ مَجْلِسِهِ .

٤ـ كانَ المُنافِقونَ يَستَتِرونَ بِغَيْرِهِمْ ، عِنْدَ تَسَلُّلِهِمْ مِنْ مَجْلِسِ النَّبيِّ ﷺ .

٥ـ المُخالِفُ لأمْرِ الرَّسولِ ﷺ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلفِتْنَةِ والعذابِ .

نشاطٌ :

١ـ ارجِعْ إلى الآياتِ القُرآنيَّةِ الكَريمةِ التي فيها نِداءٌ للنَّبيِّ ﷺ ، وَدَوِّنْ في دفْتَرِكَ الأَلْفاظَ التي نُودِيَ بها ﷺ .

٢ـ ارجِعْ إلى أحَدِ كُتُبِ السِّيرَةِ واسْتَخرِجْ مِنْهُ ثَلاثَ حَوادِثَ كانَ المُنافِقونَ يَتَسَلَّلونَ فيها مِنْ مَجْلِسِ النَّبيِّ الكريمِ ﷺ ، بِخاصَّةٍ في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ .

* * *

المَراجِعُ

١ـ أحمدُ بنُ حَنْبَلَ الشّيْبانِيُّ (ت٢٤١هـ) المُسْند ، دارُ المعارِفِ ، مصر .

٢ـ أيمن عبد العزيز جبر ، روائِعُ البيانِ لمعاني القُرآنِ ، راجعه : د . أحمد نوفل ود . أحمد شكري ، دار الأرقم ، عمّان ، الطبعة الأولى .

٣ـ البخاريّ ، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) الجامعُ الصحيحُ ، ضبط وترقيم : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثيرٍ بدمشقَ ، ودار اليمامةِ بدمشقَ ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٤ـ أبو بكر جابر الجزائري ، أيسرُ التفاسيرِ لكلامِ العَلِيِّ الكبيرِ ، مطبعةُ السَّعادَةِ ، القاهرة ، الطبعةُ الثّانيةُ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٥ـ التِّرمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ) السُّنَنُ ، دار إحياءِ التُّراثِ العَرَبيّ ، بيروت .

٦ـ ابن الجَوْزِي ، عبد الرحمن بن علي البغدادي (ت٥٩٧هـ) زادُ المَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٧ـ الحاكم ، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) المُسْتَدْرَكُ على الصَّحيحينِ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

٨ـ حسنين محمد مخلوف ، كلماتُ القرآنِ ، تفسيرٌ وبيانٌ ، مكتبة الإحسان ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

٩ـ أبو داودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السّجِسْتانيّ (ت٢٧٥هـ) السُّنَنُ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٠ـ الرَّازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) التفسيرُ الكبيرُ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

١١ـ الزَّمَخْشَرِيُّ ، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) الكَشّافُ عَنْ حقائقِ التَّنْزيلِ وعيونِ الأقاويلِ في وجوهِ التَّأويلِ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٢ـ سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) الأساسُ في التَّفْسيرِ ، دار السَّلام ، حَلَب ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

١٣ـ سيّد قطب (ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) في ظلالِ القرآنِ ، دار إحياءِ التُّراثِ العربيِّ ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

١٤ـ السيوطي ، جلالُ الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) لُبابُ النُّقولِ في أسبابِ النُّزولِ ، بحاشيَةِ تفسيرِ الجلالينِ ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

١٥ـ الشَّوْكانيُّ ، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ) فَتْحُ القديرِ الجامعُ بينَ فَنَّي الرِّوايةِ والدِّرايةِ مِنْ عِلْمِ التَّفْسيرِ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .

١٦ـ الطَّبَرِيُّ ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) جامعُ البيانِ عَنْ تأويلِ آيِ القرآنِ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

١٧ـ عبدُ الرَّحمنِ بن ناصر السَّعدي (ت١٣٧٦هـ) تَيسيرُ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المَنّانِ ، مؤسسةُ الرِّسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

١٨ـ عفيف عبد الفتاح طبّارَة ، روح القرآنِ ، طُبع منه تفسيرُ الأجزاءِ مِنَ الثالثَ عَشَرَ حتى الثلاثينَ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

١٩ـ القُرطُبِيُّ ، محمد بن أحمد الأنصاريُّ (ت٦٧١هـ) الجامِعُ لأحكامِ القرآنِ ، دون ناشرٍ ، ولا تاريخِ طباعةٍ .

٢٠ـ ابنُ كثيرٍ ، اسماعيل بن كثير الدمشق (ت٧٧٤هـ) تفسيرُ القرآنِ العظيمِ ، تقديم : عبد القادر الارناؤوط ، دار الفيحاء بدمشق ودار السلام بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

٢١ـ ابنُ ماجَة ، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) السُّنَنُ ، شركةُ الطِّباعَةِ العربيّة ، ١٩٨٤م .

٢٢ـ مجموعةٌ مِنَ العُلَماءِ بإشرافِ مَجْمَعِ البحوثِ الإسلامِيَّةِ بالأزْهرِ ، التفسيرُ الوَسيطُ للقرآنِ الكريمِ ، الطَّبْعَةُ الأولى ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م .

٢٣ـ مُحَمّد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣) ، تفسيرُ التَّحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

٢٤ـ د . محمد عبد المنعم الجمال ، التَّفْسيرُ الفريدُ للقرآنِ المَجيدِ ، دون ناشرٍ ولا تاريخِ طباعةٍ .

٢٥ـ د . محمد محمود حجازي ، التَّفْسيرُ الواضِحُ ، دار الجيل ، بيروت ، الطَّبْعةُ العاشِرَةُ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٢٦ـ مُسْلِمُ بنَ الحجَّاجِ النَيْسابوريُّ (ت٢٦١هـ) الجامِعُ الصَّحيحُ ، مع شرح الإمام النووي ، تحقيق وترقيم : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

٢٧ـ مُصطفى الحصن المنصوريّ (ت١٣٩٠هـ) ، المُقْتَطَفُ مِنْ عيونِ التَّفاسير ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار القلم بدمشق ، والدار الشامية ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

٢٨ـ مُقْبِل بن هادي الوادعي ، الصَّحيحُ المسْندُ مِنْ أسبابِ النُّزولِ ، دار ابن حزم ببيروت ، ودار القدس باليمن ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

٢٩ـ النَّسائِيُّ ، أحمدُ بنُ شعيبٍ (ت٣٠٣هـ) السُّنَنُ ، دار البشائرِ الإسلاميَّةُ ، ١٩٨٦م .

٣٠ـ د . وهبة الزُّحَيْلِيّ ، التَّفسيرُ الوَسيط ، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

* * *